الدكتورة فاطمة الجامعى الحبابى

لغة أبى العلاء المعرى في رسالة الغفران



لُغَةُ أبى العَلاء المعَرِّى

فى رِسَالَةِ الغُفرَان

الدكتورة

فَاطِمَة الجَامِعى الحبابى



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

تصدير

أبو العلاء المعرى فريد فى بابه، فريد فى قوله وملّته، فريد فى حكمته وفلسفته. وفريد بخاصة فى علمه وأدبه، فى نثره وشعره، فى أسلوبه ولغته. كان رهن المحبسين، ولكن بصيرته النفاذة لم تحدها حدود، ولم تعز عليها آفاق. تأثر بعصره، وأثر فيه، وامتد أثره إلى اليوم. لم يقف هذا الأثر عند الشرق، بل جاوزه إلى الغرب، ولم يكن غريباً أن تعقد بينه وبين دانتى صاحب الكوميديا الإلـهية صلة كشف عنها كثيرون. درس قديماً وحديثاً، وعنى به الباحثون المعاصرون بين عرب ومستعربين. واستلفت نظر الشباب الجامعى، فعكفوا على دراسته وإحياء كتبه، وكان لرسالة الغفران جذب خاص، وهى فى قمة نثره.

ويبدو أن المعرى الكاتب والشاعر، والفيلسوف والحكيم، نال عناية لم ينلها المعرى اللغوى، برغم ماله فى اللغة من منزلة مرموقة. وشاءت باحثتنا المتأنية الطويلة النفس أن تتدارك هذا النقص. أوقفت بحثها هذا على «لغة أبى العلاء فى رسالة الغفران». والبحث اللغوى عميق ودقيق، يتطلب اطلاعاً واسعاً، وقراءة مستفيضة. واللغة متن وأسلوب، أو بعبارة أخرى مفردات وتراكيب، وفى ألفاظ المعرى ومفرداته ما يستوقف الباحث، ويدفعه إلى التساؤل عن مدى صلتها بلغة عصره، وما القديم منها والجديد، وهل بقيت سائدة إلى اليوم؟ وأيها كان أحب إلى نفسه، وأقرب إلى ميوله واتجاهاته، وأكثر وروداً فى استعماله، ولا شك فى أن فيها مولَّداً ودخيلا، ولكنا مضطرون هنا أيضاً لأن نربط هذا بلغة عصره. ويعز علينا أن نقطع بأن لفظاً ما من صنعه وحده. ويعنينا أن نفرق بين الغريب لديه والمألوف.

وما يقال عن الألفاظ والمفردات يمكن أن يثار حول الجمل والتراكيب، لنتساءل هل كان أرغب فى الجملة الطويلة أو القصيرة؟ وهل استحدث تراكيب لم يسبق إليها؟ وهل لما جاء به أشباه ونظائر تقتضينا أن نقيسه بمقياس عصره، أو بمقياس الأساليب التى تجاريه وتشابهه؟ وعلينا أن نسجل أساليبه الخالدة التى أثرت عنه واستمسك بها السلف.

وقد تذرعت باحثتنا لهذا بكل ما توفر لديها من أسباب ووسائل. فجمعت طائفة قيمة من المراجع والمصادر، وعكفت على درسها زمناً طويلا، وشغلت أساساً برسالة الغفران، فلخصتها، ورسمت منهجها. ووقفت طويلا عند جملها وتراكيبها. وتوسعت فى الحديث عن الجمل الفعلية والاسمية، وأدعمت بحثها بطائفة من الجداول والإحصاءات.

وباحثتنا صادقة مع نفسها صدقها مع قارئها، فقد سجلت فى إخلاص الصعوبات التى صادفتها، ولم ترغضاضة فى أن تشير إليها. ونتفق معها فى أن منهج التحصيل اللغوى لم يكتب فيه فى العربية المعاصرة قدر ما كتب فى لغة أخرى، وهو يتطلب أساساً مراناً ودربة، ومعاشرة طويلة للأساليب اللغوية المختلفة. ومهما يكن من أمر، فإن باحثتنا تعد فى بحثها هذا رائدة، ونأمل أن يحذو حذوها فى هذا المضمار باحثون ودارسون.

إبراهيم مدكور

شكر وتقدير

لابد، فى مقدمة هذا البحث، أن أتوجه بامتنانى لكل من أعانونى فى خطوات هذه الدراسة التى انجزت، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة. وأخص منهم شيخ المجمعيين الأستاذ الرئيس الدكتور إبراهيم بيومى مدكور الذى أحاطنى برعايته العلمية، وأمدنى بالكثير مما ساعدنى على المضى قدماً فى إنجاز البحث، وكذلك المرحوم عباس حسن، عضو مجمع اللغة العربية الموقر، الذى طالما استفتيته فى مشكلات نحوية وصرفية.

أقدم الشكر أيضاً إلى أستاذى الدكتور عبد الصبور شاهين رئيس قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم الذى أشرف عمليا على إنجاز هذه الرسالة. وجزيل امتنانى للأستاذ العميد الدكتور تمام حسان لاهتمامه ببحثى هذا وتوجيهه القيم الذى أفدت منه كثيراً.

وأكن للأستاذ محمد عزيز الحبابى التقدير لما لقيت منه من تشجيع وتفهم.

ومسك الختام، أقدم آيات الشكر والتقدير لسيادة الأستاذ العميد الدكتور عبد الله درويش، على تفضله بالإسهام فى مناقشة الرسالة فى موعد قياسى جار على الكثير من التزاماته العلمية والإدارية.

تقديم

صلتى بالبحث :

لم تكن صلتى بأبى العلاء وليدة هذا البحث، ولكنها بدأت منذ أمد طويل، فمنذ حداثتى أخذت أتجول بين صفحات بعض ماكتب وما كُتب عنه. فشغفت بشخصيته وأحببت أدبه وفكره. استمر ولعى بأدب الرجل حتى التحقت بالدراسات العليا، فعقدت العزم على أن أساهم بجهدى المتواضع فى التعريف بلغته ومحاولة كشف أسرار أسلوبه.

لا ريب أن ظروف المعرى الشخصية، وأوضاع القرنين الرابع والخامس الهجريين السياسية والمجتمعية والفكرية، قد أثرت كلها فى تكوين شخصيته تأثيراً كبيراً انبثق عنه رد فعل قوى فى نثره وشعره. فكان لذلك صدى تردده الأقلام والألسنة، قديماً وحديثاً. لقد أطال القدماء الحديث عن ذكائه ومقدرته اللغوية وقوة حافظته[1]، ويكفى أن نلقى نظرة على كتاب **تعريف القدماء بأبى العلاء** لنرى ذلك الاهتمام الذى حظى به منذ القديم، والذى لا تزال مظاهره بارزة إلى اليوم، فلا غرابة أن يقام فى دمشق سنة ١٩٤٤ مهرجان للاحتفال بالذكرى الألفية لوفاة المعرى[2]، كما لا غرابة أن تعد بالمئات الكتب والمقالات الصادرة عنه خلال القرن العشرين، وأن يهتم به الباحثون - عرباً ومستشرقين - فمن أجدر بذلك منه وهو الذى جمع برغم حرمانه من البصر، بين قوة الإبداع فى الفن والتضلع فى اللغة. وقلما اجتمعا لكاتب من الكتّاب؟

لقد تناولت آثاره أقلام المحدثين محققة تارة ومحللة جوانب شخصيته تارة أخرى، فجاءت مؤلفاتهم متنوعة المشارب والمذاهب. فكل واحد يجد فيها جانباً

---

(١) انظر مثلا ما يرويه الثعالبى عن ذكائه : يتيمة الدهر، القاهرة ١٩٤٣م.

(٢) بهذه المناسبة نشر يوسف أسعد داغر كتاباً تحت عنوان، ٣٥٠ مصدراً فى دراسة أبى العلاء ط. بيروت، دار صادر ١٩٤٤.

على مستوى ثقافته وقدراته الإدراكية وعمق تجاربه؛ هكذا بوأه بعضهم مكاناً مرموقاً بين فلاسفة النظرة التشاؤمية، وحشره آخرون فى زمرة الملاحدة، وتصدى غيرهم لرد الشبهات عنه، وجعله بعض النقاد الموحى لدانتى بالكوميديا الإلـٰهية.

لقد تكاثرت الأقوال وتضاربت الآراء حول أبى العلاء كما تتضارب دائماً حول من تميزوا بنوع من النبوغ، فهذا طه حسين يقسو عليه تارة ويرأف به أخرى، وتجعل منه بنت الشاطئ، وسليم الجندى المسلم الزاهد، ويميل أمجد الطرابلسى ليحبب إلى طلبته الاهتمام بأبى العلاء كمعلم لغوى بارع، ويتعرض عمر فروخ إلى دراسة الجانب الفلسفى عنده وإلى تحليل منهجه الأخلاقى ومواقفه من قضايا المجتمع، ويتقمص تيمور دور المدافع عن دين أبى العلاء وصدق إيمانه. ثم يأتى لويس عوض ليرميه بالزندقة والإلحاد، ويجرد «غفرانه» من كل جدة وطرافة، فيتصدى له محمود محمد شاكر ليخطئ أقواله، ويسفه آراءه دفاعاً عن أبى العلاء وعن العروبة والإسلام.

ومبلغ علمى وبحثى أن أحداً من هؤلاء وغيرهم ممن اهتموا بآثار أبى العلاء لم يتناول تحليل لغته، أى وسائله التعبيرية، ولكن انصبت جهودهم على الجانب الفنى والأدبى، وعلى الآراء والمعتقدات.

لقد جذبني عنوان كتاب أستاذى أمجد الطرابلسى «النقد واللغة فى رسالة الغفران»، ظنا منى أن المؤلف الكريم عالج لغة رسالة الغفران ودرسها دراسة وصفية، فانكببت على قراءته بإمعان، فإذا المراد «باللغة» آراء المعرى اللغوية التى تضمنتها الرسالة وليست لغة المعرى بالذات.

لكل ذلك، ولأن أبا العلاء لا كغيره من الكتّاب، مكفوف البصر، يملى ولا يكتب، ولكون لغته تمثل شكلاً خاصًا فى اللسان العربى، حيث هى لغة أعمى لم يباشر الكتابة، جاء هذا البحث، ليدرس لغة أبى العلاء فى **«رسالة الغفران»**.

ومرد اختيارى للرسالة بالذات يرجع إلى أنها تجمع بين الطرافة فى الموضوع والهيكل، ويبين تنوع الأساليب وطرق التعبير عن مضامين شتى، وأنها بحق تعكس شخصيةأبى العلاء الأعمى لغة وفكراً.

الصـعوبات :

لا يخفى مايعترض الدارس للغة نص ما من صعوبات وعقبات فى اختيار منهج قويم، كفيل بأن يوفى الموضوع حقه، لقد حظيت المكتبات العربية بالكثير من المصنفات فى مناهج البحث فى اللغة، غير أنى لم أحظ بالعثور على دراسة تطبيقية نموذجية تنير السبيل لمن يود القيام بدراسة لغوية لنص مكتوب. فكان الأمر بالنسبة لنص مملى مكتوب يتميز بصعوبات أكبر!

صعوبة أخرى واجهتها، ولعلها وليدة السابقة، تتمثل فى أن مفهوم تحليل النص ودراسته دراسةً لغوية لم تكن واضحة فى ذهنى، إذ لم يكن لدى من المعلومات ومن التجارب ما يمكننى من تناول الموضوع بسهولة ووضوح. كما لم يقدر لى أن أعمل فى السنوات الأولى من حياة هذا البحث تحت إشراف يساعدنى على تخطى أمثال تلك الصعوبات. لقد انكببت على قراءة ما استطعت الحصول عليه من كتب مناهج البحث فى اللغة، مستعينة بما جاء عند بعض اللغويين الأوربيين، وحاولت جهد المستطاع أن أستفيد من هؤلاء وأولئك، فبدا لى أن الأمر يقتضى دراسة مراتب (مستويات) لغة النص دراسة تعتمد على معطيات المعاجم وكتب قواعد اللغة والنحو، أى محاولة إثبات المعادلات والمناسبات التى توجد بين التراكيب والمقصود من استعمالها، ومدى نجاح الكاتب فى اختيار ما يلائم منها للتأثير فيالنفس وإيصال ما يود تبليغه.

صعوبة ثالثة، صادفتها حين عزمت على دراسة الألفاظ الدخيلة التى وردت فى لغة رسالة الغفران، ذلك أن المكتبات العربية لا تتوفر فيها معاجم تأصيلية تعنى بدراسة تطور الألفاظ، وبيان أصولها، وما يعتريها من جراء تداخل اللغات، والتحول الزمانى والجغرافى. . وأملى كبير فى أن يعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إخراج بقية منجزات «فيشر» المستشرق الألمانى عن المعجم اللغوى والتاريخى، عسى أن يغطى بعض هذا النقص.[1]

---

(١) صدر عن المجمع القسم الأول لمعجم فيشر، ويضم من أول حرف الهمزة إلى مادة «أبد».

تلك بعض الصعوبات التى اعترضتنى فى بداية دراستى للغة الغفران، وقد حاولت التغلب عليها فى سنوات البحث الأولى بالرجوع إلى شتى المصادر، وبالتنقل بين آراء عدد من الأساتذة شرقاً وغرباً.

مصادر البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على نص «رسالة الغفران» الذى قامت بتحقيقه الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) وهو نص تتجلى فيه الجهود القيمة التى بذلتها المحققة للمزيد من الضبط والتحرى.

وكانت مصادرى الأساسية فى مجال الدراسات النحوية واللغوية: **الكتاب** لسيبوية، **وألفية** ابن مالك، **ومغنى اللبيب** لابن هشام، ومن المعاجم: **الجمهرة** لابن دريد، **والقاموس المحيط** للفيروزبادى، **ولسان العرب** لابن منظور، وفى دراسة الدخيل رجعت إلى **المعرب** للجواليقى **وشفاء الغليل** للخفاجى، كما استعنت بمؤلفات بعض المحدثين فى هذا المجال مثل كتاب **الألفاظ الفارسية المعربة** لأدى شير، **وغرائب اللغة العربية** للأب نخلة اليسوعى، وكذا بعض القواميس المزدوجة اللغة مثل قاموس بلاشير.

منهج البحث:

«رسالة الغفران» ملْتَقى لمعارفَ شَتَّى، وصدى لتيارات فكرية ومناقشات لغوية وأدبية، الشيء الذى جعلها تختص بتعابير وألفاظ متميزة. وقد أثار انتباهى بصورة خاصة، ما بالجمل والتراكيب العلائية من امتداد داخلى لعله وليد ما كان ينساق إليه المؤلف من استطرادات يسلم بعضها إلى بعض، أحياناً بعفوية، وأخرى عن قصد وسابقْ إصرار. لذا حاولت أن أركز جل اهتمامى على هذه الظاهرة، فقمت بدراسة التراكيب والجمل وتقصيت ميزاتها وخصائصها. وبما أن تلك التراكيب قوالب لمضامين مختلفة رأيت من واجبى أن أمهد بدراسة لمضمون **رسالة الغفران** والمنهج الذى احتواه، قبل أن أتناول دراسة التراكيب فى مختلف صورها.

وأثار انتباهى أيضاً، ما بالرسالة من كلمات دخيلة وشروح لغوية لكثير من الكلمات.

هكذا فرضت طبيعة الغفران شكلاً ومضموناً، وطبيعة الدراسة اللغوية الوصفية، أن يأتى هذا البحث فى مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة.

يتحدث المدخل، بإيجاز، عن أهم الأحداث التى أثرت فى حياة أبى العلاء.

يتناول الباب الأول دراسات تمهيدية جاءت فى فصلين:

الفصل الأول: المضمون فى رسالة الغفران.

الفصل الثانى: المنهج فى رسالة الغفران.

ويدرس الباب الثانى الخواص التركيبية للجمل فى رسالة الغفران. وبما أن أكبر ظاهرة لغوية تميز لغة الغفران تتعلق بنوعية التراكيب، استغرق هذا الباب خمسة فصول جاءت كما يلى:

الفصل الأول: مدخل إلى دراسة الجملة فى رسالة الغفران (ما الجملة؟).

الفصل الثانى: أشكال الجمل العلائية وخصائصها.

الفصل الثالث: الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

الفصل الرابع: النعت فى رسالة الغفران.

الفصل الخامس: الجمل الدعائية.

أما الباب الثالث فيتناول بعض قضايا المفردات، وينقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الدخيل.

الفصل الثانى: طريقة شرح أبى العلاء للكلمات.

الفصل الثالث: نموذج من أدوات الربط التركيبية (أدوات الشرط).

وإن المنهج الوصفى الذى سار عليه البحث جعله يصطنع التطبيق والاستشهاد والإحصاء فى جميع مراحل الدراسة. أحصيت - مثلا - أشكال الجمل العلائية فى شتى النماذج، وعدد النعوت الواقعة جملة أو مفرداً، وكذا عدد الجمل الدعائية. وفى مجال المفردات أحصيت عدد الكلمات الدخيلة، والكلمات التى تعرض

أبو العلاء لشرحها، وبعض أدوات الشرط هادفة بذلك إلى تلافى إلقاء الأحكام، وتقرير الخصائص دون ضبط ودقة. هكذا حاولت، ما أمكن، أن أعزز بنتائج الإحصاء، بعض الظواهر اللغوية التى تميز لغة الغفران والتى استخلصها البحث أثناء الدراسة.

وإنى لأرجو أن تكون هذه الجهود المتواضعة قد أسهمت فى محاولة التعريف بلغة أبى العلاء، وإنها قطرة من بحر مما يجب أن تحظى به لغة مكفوفى البصر من اهتمام الدارسين اللغويين. كما أتمنى أن تنال قبولا، على مابها من عثرات. وأسأل الله التوفيق.

البَابُ الأول

دراسة تمهيدية

الفصل الأول

جولة مع المعرى فى الغفران

أبو العلاء فى مجتمعه :

ينحدر أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان من أسرة عريقة فى الثقافة والمجد، عرفت شعراء وفقهاء، وقضاة؛ كان «أكثر قضاة المعَّرة وفضلائها وعلمائها وشعرائها وأدبائها من بنى سليمان بن داود بن المطهر»[1].

كان تأثير هذه الأسرة على تكوين أبى العلاء عظيمًا، لا يقل عما اكتسبه من رحلاته، لقد طاف بالعواصم العلمية وزار مكتباتها، وأخذ عمن كان بها من شيوخ أعلام واطلع على تآليفهم، فأصبح لغويًا بارعًا وأديبًا متميزًا، كما أتقن معارف عصره، من فقه ومنطق وفلسفة.

ومما يستوجب التأكيد قوة تأثير «المعرة»[2] والمعريين فى تكوين أبى العلاء. فقد كانت المعرة منذ القرن الرابع الهجرى حتى القرن السادس تعج بالقراء والمفسرين والمحدثين واللغويين والمؤرخين والشعراء والمؤلفين فى علوم مختلفة. ومما يروى، أن ثمانين شاعرًا رثوا أبا العلاء يوم وفاته، ولم يكن أحد منهم غريبًا عن المعرة[3].

عاش صاحبنا بحلب، وتلمذ على مشاهيرها، وزار أنطاكية (وكانت إذ ذاك تحت حكم الرومان)، فاطلع على ذخائر مكتبتها الشهيرة؛ وعرج على اللاذقية،

(١) سليمان بن داود هو الجد الخامس لأبى العلاء. ابن العديم، الانصاف والتحرى.

(٢) مسقط رأس أبى العلاء (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ) تقع بين حلب وحماة.

(٣) انظر سليم الجندى تاريخ معرة النعمان. المعرة، فى اللغة : الإثم، والأذى، والجناية، وتلون الوجه من الغضب، والمعرة أيضًا : الأرض الجرداء (ج ١ ص ٥٥). مثل هذه الأوصاف، ينفر النفس، وقد كان الناس يعيرون سكان المعرة كما جاء عند أبى العلاء فى دفاعه عنها :

يُعَيِّرُنا لفظَ المعرة أنَّها ... من العَرِّ، قومٌ في العُلا غُرَباءَ

وهَل لِحَقَ التَّثْرِيبُ سكانَ يثرب ... من الناس، لا بَل فى الرجالِ غَباءُ

(اللزوميات، ص ٤٦، القاهرة، ط. المحروسة، ١٨٩١).

فنزل بأحد أديرتها، واستمع إلى راهب مولع بالأبحاث الفلسفية والعلوم الدينية، ثم انتقل أخيراً إلى طرابلس الشام، قبل أن يقدم بغداد عاصمة الإمبراطورية الإسلامية.

لم تكن بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وحسب، ولكن كانت كذلك، مجمع التيارات الفكرية، يتواجد فيها اللغوى، والنحوى، والفيلسوف، والمتكلم، والمحدث، والمفسر. . . على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم. فسنحت فرصة مواتية لأبي العلاء ليسمع كثيرًا، ويستسيغ كثيرًا، ويصقل ذهنه كثيرًا. ولم يقف عند الأخذ، بل أسهم فى مناقشات المجالس، فذاع صيته، والتفتت إليه أنظار الخاصة والعامة حتى أصبح محل التجلة والإكرام، مما حرك حقد الحسدة عليه فبدءوا يحبكون له المكايد، وينغصون عليه الحياة. دفع الطموح وقوة الشخصية الواعية أبا العلاء إلى أن يستغل كل إمكاناته فى تحقيق أمانيه، فاستقر رأيه على استيطان بغداد، لكنه لم يمكث بها إلا سنتين (من ٣٩٨هـ إلى ٤٠٠هـ)، فحين لم يجد ما كان يتوقعه، عاد إلى مسقط رأسه.

هكذا استخلص أبو العلاء من تطوافه تجربة مرة ومفيدة فى آن واحد، سيكون لها التأثير العميق على اتجاهه فى باقى حياته. مما جاء فى رسالة كتبها إلى خاله أبي القاسم :

«ولما فاتنى المقام بحيث اخترت، أجمعت على انفراد يجعلنى كالظبى في الكناس، ويقطع ما بينى وبين الناس، إلاّ من وصلنى الله به وصل الذراع باليد والليلة بالغد»[1].

ما هى أسباب مغادرة أبي العلاء بغداد؟

علل المؤرخون ذلك بالنبأ الذى حمله إليه البريد عن مرض أمه. إنه تعليل وجيه، خصوصًا وأننا نعرف مقدار تعلق أبي العلاء بأمه، إلا أننا نرتئى سببًا آخر

---

(١) انظر: شاهين عطية، رسائل أبي العلاء المعرى: ص ٨٠، بيروت ١٨٩٤. انظر كذلك تعريف القدماء بأبي العلاء (مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود، وعبد السلام هارون، وإبراهيم الأبيارى، وحامد عبد المجيد، تحت إشراف طه حسين، ص ٩١ ط. دار الكتب، القاهرة ١٩٤٤.

ليس أقل احتمالا من الأول : نفور أبي العلاء من بيئة بغداد المتأججة بالحسد تكالبًا على المناصب. لعل ذلك هو ما جعل صاحبنا يختار العودة إلى المعرة لينعزل عن جو الدسائس والحسدة والمغرضين، ويكرس جهوده للأدب والعلم، يخدم الناس عن بعد، بمعارفه، وانتقاداته.

تلك صدمة ثانية كبرى يصاب بها أبو العلاء كان لها أكبر الوقع فى نفسه[١]. ولم يمهله الدهر، فقد أبى إلا أن يردفها بثالثة، ألا وهى نعى أمه، حبيبته الحميمة والوحيدة، اهتز لها كيانه، فامتلأ وجدانه شعورًا بالضياع والعزلة فى العالم، حتى لقد استعجل الموت للقائها، وهجر الحياة لفراقها، فأصبح كالرضيع مرهف الشعور، واهن القوى :

مَضتْ وقدِ اكتهلتُ وخِلْتُ أنِّى رضيعٌ ما بلغتُ مدَى الفِطَام
سألْتُ متى اللقاءُ فقيلَ حَتَّى يقومَ الهامِدون من الرِّجَام
فَلَيْتَ أَذِينَ يوم الحَشْرِ نَادَى فأجْهَشتِ الرِّمامُ إلى الرِمّامِ[٢]

لقد فقد أبو العلاء منبعًا خصبًا للحب الصادق الذى كان ينساب فى أعماقه، ويخفف من وطأة عاهة العمى، خصوصًا وأنه لم يتزوج ولم ينجب أبناءً، فتصدع نزوعه إلى المناصب المرموقة، وانغلقت أمامه الآفاق[٣].

وقعت هاتان الحادثتان وأبو العلاء فى سن الأربعين، أى فى مفترق الأعمار، حيث تستكمل الشخصية نضجها، وتتحدد معالم الاختيار فى الحياة وتبدأ المرحلة الجديدة الحاسمة فى تاريخ الإنسان.

وبالفعل، تُشَكِلُ السن الأربعون حدًّا فاصلاً بين طورين من حياة صاحبنا إذ لم

---

(١) الصدمة الأولى، فَقْد بصره إثر جدرى أصابه وهو فى سن الرابعة ٣٦٧هـ، لا يميز الأشياء لصغره كما يقول عن نفسه فى رسالته إلى هبة الله بن موسى بن أبى عمران داعى الدعاه : «وقضى على وأنا ابن أربع لا أفرق بين البازل والربع». (انظر سليم الجندى، الجامع فى أخبار أبى العلاء وآثاره. «أثر الجدرى والعمى فى نفسه»، ج ١ من ص ٦٦ إلى ص ٧٠ دمشق ١٩٦٦).

(٢) شروح سقط الزند، جـ ٤، صـ١٤٢، ط القاهرة : الدار القومية للنشر، ١٩٦٤.

(٣) انظر عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أبو العلاء المعرى : الفصل الثالث «موت الأم»، ص ١٢٩-١٣٨، القاهرة، ١٩٦٥.

يؤت الفرصة قبل لإظهار مدى ثقافته وأصالته. لقد أصبح من كبار الأدباء وعلية نخبة مثقفي عصره.

انعزل أبو العلاء عن ضوضاء المجتمع، وعكف فى بيته على الدرس والتأليف. فعاش ما سماه هو نفسه، بفترة «رهين المحابس الثلاثة»:

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيثِ
لفقدى ناظرى، ولزوم بيتى وكونِ النَّفس فى الجسد الخبيثِ[١]

بيد أن خلوته لم تكن خلوة الأديرة، إذ غدا بيته محجًا لرواد العلم والأدب، يأتون إليه كما يذهب المثقفون اليوم إلى ناد أدبى. فأخذ بعض الرواد يروجون آراءً علائية فى شتى الميادين، وخاصة ميدان نقد المجتمع، والملل والنحل، والشرائع، أوَّلها بعضهم سوء تأويل، فرمى المفكر الرائد بالزندقة والإلحاد.

حقًّا، اهتم أبو العلاء بأحداث المجتمع وانفعل لمشاكل الحياة العامة، وللأوضاع المجتمعية المتفاحشة، فى عهد العباسيين[٢]. فأدمجها فى الاهتمامات الإنسانية المصيرية، فسخر من الشره العبثى على الحياة:

تعب كلها الحياة فما أعجب إلّا من راغب فى ازدياد!

كما وقف حائراً أمام تناقض الخير والشر، واندهش لتعلق الناس بالغيبيات تعلُّقًا يجعلهم يخاصمون من ليسوا على اعتقادهم، كأنهم مقتنعون بكيفية مطلقة، أن الحقيقة هى ما يعتقدون هم وحدهم، مما كان مدعاة للصراع المذهبى وتسفيهًا للواقع المضطرب المخالف لحرية الفكر، يقول:

باللاذقية فتنة ما بين أحمد والمسيح
هذا بمطرقة يدق وذا بمئذنة يصيح[٣]

---

(١) اللزوميات: أبو العلاء المعرى، جـ١، ص ٢٤٩، بيروت ١٩٦١.

(٢) انظر: الجامع فى أخبار أبى العلاء وآثاره، «طائفة من الأحداث التى وقعت فى عهد أبى العلاء بالعراق وغيرها». ج ٢، من ص ١٠١ إلى ١١٩.

(٣) مثل هذه الأشعار يشك فى نسبتها إلى أبى العلاء لأنها لا توجد فى دواوينه أو كتبه الأخرى. ومن المعروف أن شعرًا كثيرًا قيل على لسان أبى العلاء من قبل خصومه للإيقاع به.

ما مصير أبي العلاء في هذا الجو؟

نسمع عمّا يقاسيه من محن أدباء أحرار في الكثير من البلدان، إذا صرحوا بما لايجارى الرأى السائد، الرأى الرسمى، لدرجة أن بعضهم يتسلحون بـ «التقية» أو يهجرون ميدان الكلمة...

فلنتصور مقدار شجاعة أبي العلاء، وهو الكاتب الذى يفصله عنا ألف سنة أو ما يقرب من الألف: يزهد في الدنيا، في أموالها وجاهها ومغرياتها زهد المقتنع بصواب الاتجاه والمذهب، لقد ترك الدنيا «دنية»[1]، كابتًا ميوله ليخلص للرأى الصريح ويرضى الضمير النظيف.

هكذا تقبل أبو العلاء الحرمان، لأنه اختار موقفًا معينًا من الوجود ومن المجتمع، فجاءت آثاره تعبيرًا صريحًا عن ذلك الموقف، وشهادة على تعلقه بحرية الرأى، إلى أن مات مصون الكرامة، لم يستغل كما فعل الخاصة من معاصريه، جهد العامة ويَسْتَبِزَّ أموالها، كما لم يسمح لنفسه مثلهم بالتلاعب بالدين ولا بتسخير العلم لتحقيق أغراض شخصية. كانت عزلته عزلة المتعالى الذى يراقب عصره وينقده دون أن يدنس يديه. فلم يكن شاعر القصور، ولا كاتب المناسبات، ولا مُتَّجِرًا بالأدب؛ بل على العكس قد سَخِر من مرتزقة الأدب. فلنستمع إلى الحوار الذى جاء في رسالة الغفران - بين ابن القارح وشيخ الجن - يصرح الأول:

«لقد شَقِيتُ في الدار العاجلة بجَمْعِ الأَدبِ، ولم أَحْظَ منه بطائل، وإنما كنتُ أَتَقَرَّب به إلى الرُّؤساءِ، فَأَحْتَلِب منهم دَرَّ بكيءٍ، وأجهَدُ أَخْلافَ مَصُورٍ[2]. ولستُ بِمُوفَّقٍ إنْ تَركتُ لَذّاتِ الجَنَّةِ وأقبلتُ أَنْتسِخُ آدابَ الجن، ومعى من الأَدبِ ما هو كافٍ، لا سِيَّما وقد شاع النِّسْيان في أهل أدبِ الجَنَّةِ، فصِرتُ من أكثرهم رواية وأوْسعِهم حِفظًا، ولِلّهِ الحمدُ»[3].

---

(١) تتردد هذه العبارة كثيرًا في رسالة الغفران، انظر مثلًا، الصفحات ١٤٣، ١٨١، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٩٥.

(٢) البكيء: الناقة البخيلة بلبنها، والمصور: البطيئة اللبن.

(٣) ص ٢٩٢، ٢٩٣.

وفى صفحة أخرى ينطلق هذا السهم النافذ على لسان إبليس فى حديث إلى ابن القارح :

– «مَن الرجلُ؟

فيقول :

– أنا فلانُ ابنُ فلانٍ، من أَهْلِ «حَلَبَ»، كانتْ صناعتى الأدبَ، أتقرَّب بِهِ إلى الملوكِ!

فيقول :

– بِئْسَ الصِناعةُ! إنَّها تَهَب غُفَّةً من العَيْشِ لا يتَّسِعُ بها العِيال وإنَّها لَمَزَلَّةٌ بالقَدَم، وكم أهْلَكَتْ مِثْلَكَ!»[1].

خاتمة المطاف :

عاش أبو العلاء بئيسًا خاضِعًا للواقع، وأدى ببؤسه ضريبة رفضه الاسترزاق بالدين، والأدب، والعلم، فاضطر إلى خلوة بداره فى معرة النعمان، منعزلا عن الناس والمزاحمات اليومية، بما فيها من تحمس للحياة ومن شقاء. بيد أنه انعزل وبين جانبيه وجدان ثرى، وفكر ثاقب انبثقت عنهما تأملات شاملة، يتجلى كل ذلك فى رسالة الغفران الأثر الذى يعد من روائع الآداب العالمية. إنها تضم حصيلة أوضاع أبى العلاء ومواقفه ممزوجة بانعكاس ما أحدثت من انفعالات مختلفة : تجربة العزلة، ومعاناة العمى، وتضارب نور البصيرة المتوقدة مع ظلام عالم العاهة. فالرحلة إلى عالم ما بعد الموت، التى هى محور رسالة الغفران، محاولة لا شعورية وطبيعية من بعض الوجوه. إنها انتقال من نظرة محدودة الأفق إلى نظرة ذات آفاق بلا حدود و«هجرة» وجدانية وذهنية، من دنيا الظلام والظلم، دنيا المتناقضات والمعايير المزيفة إلى عالم بلا انحرافات وبلا تزوير، عالم يشتاق إليه أبو العلاء المحروم حقًا.

---

(١) الرسالة ص ٣٠٩.

غير أن عالم ما بعد الموت ليس ضروريًا أن يكون عالم الصفاء والسعادة، وكأنه «مدينة فاضلة» أو «جمهورية المثل»، بل إنه عالم، كما يراه أبو العلاء نفسه، لا يخلو، هو أيضًا، من هموم ومخاوف، ومناقشات ومزاحمات، كما تسجله محاورات ابن القارح.

المعرى بين المناصرين والمنتقدين:

يمكن اعتبار رسالة الغفران منبعًا أساسيًا للكثير من التأويلات المتناقضة التى انبنى عليها تصور الناس لشخصية أبى العلاء المعرى، وما صاحب ذلك من اتهام فى معتقده، أو تبرىء وتقدير لإيمانه وعلمه[1]. فمثلاً هذا سليم الجندى ينقل عن البطليوسى أن أبا العلاء كان «متدينًا كثير الصيام والصدقة، تسمع له بالليل هينة لا تفهم (...) وكان ذا عفة ونزاهة نفس»[2]. وذلك لويس عوض يرميه بضروب الزندقة والمروق[3].

إننا، هنا لا نقصد أن ندخل المعمعة مع الذين يتعصبون لأبى العلاء فيتصدون للدفاع عن نظرياته حتى يغلق عليهم دفاعهم العاطفى مسالك البحث الموضوعى[4]؛ كما أننا لن ننزلق مع الذين تناسوا فضله على الثقافة العربية فبخسوه حقه. ولكن سنعمل على دراسة مضامين الغفران بالقدر الذى يسمح لنا بمعرفة أسباب تميزها بلغة خاصة وتراكيب متميزة دون التصدى لتقييم مضامينها، لأن ذلك يُخرجنا عن الهدف الذى نسعى إليه.

مضمون رسالة الغفران:

يقف الدارس لرسالة الغفران مندهشًا أمام الموضوعات المتنوعة التى تزخر بها الرسالة، معجبًا بالإطار الفنى الذى صاغ فيه أبو العلاء تلك المواضيع البالغة

---

(١) انظر طه حسين، تجديد ذكرى أبى العلاء، المقالة الثالثة «اتهامه بالزندقة» ص ١٥٩، ط ١ القاهرة، ١٩٦٨.

(٢) الجامع فى أخبار أبى العلاء وآثاره ج ١ ص ٤٣٢.

(٣) لويس عوض على هامش الغفران، دار الهلال ١٩٦٦، تولى الرد على لويس عوض وتخطىء آرائه محمود محمد شاكر فى كتابه «أباطيل وأسمار فى الرد على هامش الغفران»، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٤) أحمد تيمور أبو العلاء المعرى نسبه وأخباره - شعره - معتقده، القاهرة ١٩٧٠.

التعقيد، إذ ذاك تلح عليه أسئلة شتى، يبقى معها فى حيرة، ويصعب عليه التسليم بكون الغفران مجرد جواب عن رسالة تلقاها المؤلف من ابن القارح، إذ لا يتوقع أن ينتج عن الرد على نقط محدودة فى صفحات معدودة، جواب من مستوى «رسالة الغفران» الكثيرة الصفحات، العميقة المضمون، المتشعبة الجوانب.

فما الأسباب التى حفزت أبا العلاء على اختيار ذلك النهج ؟

سؤال آخر تطرحه الرسالة شكلاً ومضموناً : ما وضع رسالة الغفران بين آثار أبي العلاء المعرى الزاخرة؟

نعنى ماذا يميزها عن غيرها من الرسائل والمؤلفات العلائية؟ عن هذين السؤالين، وما بهما من استفسارات ضمنية، ستجيب الصفحات التالية.

رسالة ابن القارح :

وردت على أبي العلاء رسالة أديب من أدباء حلب، يدعى أبا الحسن على بن منصور، ويلقب بدوخله، ويعرف بابن القارح (٣٥١-٤٢٣ هـ) غادر هذا الأديب حلب مدة، ثم وردها، فشعر بغربة لفقدان المعرفة والجار:

«وردت حلب ظاهرها، حماها الله وحرسها بعد أن مُنِيتُ بِرَبَضِها (. . .) فلما دخلتها، وبعدُ لم تستقر بِي الدارُ، وقد نَكِرتُها لفقدانِ معرفة وجار، أنشدتُها باكياً :

إذا زرت أرضًا بَعْدَ طولِ اجتنابِها   فقدَتُ حبِيبًا والبلادُ كما هيا»[1]

ومن قبيل المصادفات أن أبا الفرج الزهرجى كاتب نصر الدولة كتب رسالة إلى أبي العلاء، وكلف ابن القارح بإيصالها إليه فسرقت منه، فوجدها ابن القارح فرصة ليكتب إلى أبي العلاء، ليعتذر إليه ويبث أحزانه :

«كان (أبو الفرج الزهرجي) كاتب حضرة نصر الدولة - أدام الله حراسته - كتب رسالةً إلىَّ أعطانيها، ورسالة إليه - أدام الله تأييده، استودعنيها، وسألنى

(١) رسالة الغفران، ص ٢٥.

إيصالها إلى جليل حضرته، وأكون نافثها لا باعثها، ومُعَجِّلَها لا مؤجِّلها، فسرقَ عَديلى رَحْلاً لى، الرسالة فيه، فكتبتُ هذه الرسالة أشكو أمورى، وأبثُّ شُقُورى، وأطلِعُهُ طِلْعَ عُجَرى وبجَرى، وما لقيتُ فى سَفَرى من أقْوَام يَدَّعون العلم والأدب، والأدبُ أدبُ النَّفْسِ لا أدبُ الدرسِ، وهم أصفار منهما جميعًا ولهم تصحيفاتٌ كنت إذا ردَدْتُها عليهم، نَسَبُوا التَّصحيفَ إلىَّ، وصاروا إلباً علىَّ»[1].

بدأ ابن القارح رسالته بالحمد والثناء على نعم الله، ويذكر شوقه إلى أبى العلاء وحنينه إلى لقائه حنين: «الظمآن إلى الماء، والخَائِف إلى الأمن . . »[2].

ثم تصدى إلى انتقاد أخلاق بعض الشعراء والأدباء، ممن كانوا يتهاونون فى الدين، ويدمنون على شرب الخمر، وقول الغزل، كالمتنبى، وبشار، وصالح بن عبد القدوس، والصناديقى والوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحلاج، وابن الراوندى، وابن الرومى، وأبى تمام والمازيار. وقد كان هؤلاء وأمثالهم فى نظره لا محالة من الخالدين فى جهنم.

وبعد أن تعرض ابن القارح لهؤلاء القوم المذنبين، أخذ فى استفسار أبى العلاء عن الزندقة والتصوف، والفقه، والنحو، واللغة، وأمور الدين، ثم انتقل إلى التشكى من الزمان وأهله، قبل أن يعمد إلى مدح مخاطبه والثناء على علمه وفضله، وعلى ما سمعه من رسائله. وختم بذكر طائفة من أنبائه الخاصة : لقد تغيرت حاله لكبر سنه، وقصرت قدرته عن الكتابة والدرس. وعانى الكثير من ابنة أخته التى سرقت دنانيره. وأخيرًا اعتذر عما فى رسالته تلك من خطل أو زلل، واستعطف أبا العلاء بألّا يبخل عليه بالجواب.

---

(١) رسالة الغفران، ٢٦ – ٢٧.

الشقور : الحاجة، والهم، واحده شقر (بفتح فسكون).

العجر والبجر : العيوب والهموم.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٢.

ماذا كان الجواب؟

من هذا المنبثق، تفجرت قريحة أبي العلاء، فسبك عالماً أطره الجنة والنار، وسكانه الأدباء والشعراء والنحويون واللغويون.

إن أول ما يفاجئنا هو أن أبا العلاء يبدو متفائلاً (أو على الأقل أكثر تفاؤلاً من مراسله ابن القارح). نعم، جاءت رسالة الغفران تُوَقِّع على نغمة العفو الإلٰهى والمغفرة، وتعلن عن أن كثيرًا من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين قد ينعمون بالجنة، خلاف ما يصرح به بعض المتزمتين من الفقهاء، إذ يحشرونهم فى جهن، دونما رحمة ودونما تردد. فقد يكون أكثرهم من أهل الجنة لصدق إيمانهم بالله، أو لما قدمت يداهم من معروف بنية خالصة، وإن صدرت عنهم أعمال غير صالحة. فمشاهدة الظاهر لا تكفى للحكم على الناس بالنار، واتهامهم بالإلحاد والزندقة.

ولتبيان ذلك، كان لزامًا على أبى العلاء أن يتخذ موقفًا من الفقهاء المتعنتين الذين يتهمون الناس فى سلوكهم وأعراضهم وإيمانهم، ويضيقون النطاق على حرية الرأى. فلنتأمل، مثلاً ما ساقه على لسان «حسان بن ثابت»[1] تعليقًا على قصيدته التى يمدح فيها الرسول ﷺ، يقول:

«ويمر (حسانُ بنُ ثابتٍ) فيقولونَ: أهلاً أبا عبدِ الرحمن ألا تُحَدِّثُ معَنا ساعةً؟ فإذا جلس إليهم قالوا:

«أين هذه المشروبةُ من سَبِيئَتِكَ التى ذكرتَها فى قولك؟:

كــأنَّ سَبيئــةً من بيــتِ رَاسٍ ... يكــون مِـزاجَهــا عســلٌ ومــاءُ
عــلى أنيــابِهــا، أوطَعــمِ غَضٍّ ... من التـفَّــاحِ هَصَّــرهُ اجـتنــاءُ
على فيها، إذا مـا الليلُ قَلَّتْ ... كَــواكبــهُ ومــالَ بهَــا الغِــطاءُ
إذا مَـا الاشربات ذُكِـرْنَ يومـاً ... فـهُنَّ لِـطيِّـبِ الـراحِ الـفِـداءُ

---

(١) شاعر مخضرم وشاعر الرسول ﷺ، مات فى خلافة معاوية.

ويحَك !! أما استحييت أن تذكر مثل هذا فى مدحتك رسول الله ﷺ؟

فيقولُ : إنَّه كان أسْجَحَ خُلُقاً مِمَّا تَظُنُّون، ولم أقل إلاَّ خيرًا. لم أذكُر أنِّى شَربتُ خمراً، ولا ركبتُ مما حظِر أمرًا، وإنما وصفتُ ريقَ امرَأة، يجوزُ أن يكون حِلاًّ لِى، ويمكنُ أن أقولَه على الظَّنِّ، وقد شَفَعَ ﷺ فى «أبى بَصيرِ بعد ما تَهكَّم فى مواطِنَ كثيرة، وزعم أنَّه مُسْتَرٍ[١]، مفترياً أو ليس بمُفْترٍ. وما سَمِعَ بأكرم منه ﷺ : لقد أفكتُ فَجَلَدَنِى مع (مِسْطَح)[٢]، ثم وَهَبَ لى (أختَ مارية) فولدت لى (عبدَ الرحمن) وهى خالةُ ولدهِ إبراهيم»[٣].

هكذا يعلنها أبو العلاء حربًا شعواء على أولئك الجامدين، أحيانًا بسخرية مرة، وأحيانًا بشىء من المرح يقتضيه التهكم[٤].

إن السبب الظاهر لتحرير رسالة الغفران هو الإجابة عن رسالة ابن القارح، غير أن أبا العلاء كان يرمى إلى أبعد من ذلك، فلو كان يود مجرد الجواب لفعل فى سطور، أو صفحات قليلة، ثم إن المستقرئ لرسالة ابن القارح لا يعثر فيها على ما يستدعى الحديث عن الآخرة، فى إطار خيالى، إذن رسالة الغفران ليست جوابًا بقدر ما هى تحفة فنية ولغوية، أملاها أبو العلاء منتهزاً فرصة خطاب ابن القارح، فانساق للمباهاة بالبراعة اللغوية، ووفرة الثقافة الأدبية، وإن التباهى بالمعرفة كان عادة متبعة فى عصره، وكثيرًا ما يظهر ذلك فى فن المراسلة الذى شاع فى القرن الرابع للهجرة، حتى إن كل الكتّاب تطرقوا لهذا الفن، فألفوا الرسائل المختلفة، فجاءت على نوعين:

---

(١) تتساءل بنت الشاطئ فيما إذا كانت من الاستراء بمعنى السرى أى السير ليلاً اعتمادًا على ما جاء فى اللسان من استرى كأسرى، ولكننا لا ندرى ما العلاقة التى تتبينها المحققة بين السير فى الليل وسياق الكلام. ولعل الأمر يتعلق بجارية زعم أنه تسرّاها كما يحتمل السياق.

(٢) مسطح : ابن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب شهد بدرًا، ثم خاض فى حديث الإفك، فجلده الرسول، توفى سنة ٣٤هـ.

(٣) رسالة الغفران، ص ٢٣٤، انظر كذلك حوار ابن القارح مع عبيد بن الأبرص، ص ١٨٥، و١٨٦ وأيضًا، حديث الأعشى وكيف كانت سلامته من النار ص ١٧٧ و١٧٨.

(٤) انظر، تجديد ذكرى أبى العلاء، «السخرية» ص ٢٢١.

١ – الرسائل القصار، كرسائل الخوارزمى[1].

٢ – الرسائل الإخوانية الطوال؛ وفيها تظهر البراعة الأدبية والخصائص الفنية للأسلوب، وتمتاز بإتقان الصنعة وإحكام النسج، وقلة السجع المتكلف، والحرص على سلامة المعنى وتنميق العرض.

* لكن رسالة الغفران تتعدى، فى مضمونها، شخصية المرسل إليه، إذ ترمى إلى شيء من الشمول. إنها رسالة، لا فى معنى مراسلة (Correspondance) أى نوع من «الرسائل الإخوانية» المعروفة آنذاك، وحسب، أو من رسائل المجاملات أو التراسل بغية قضاء حاجة من حاجات الحياة اليومية. وإنما هى نوع خاص، كما سنرى. فنحن، وإن كنا نطمئن إلى ما تراه بنت الشاطئ من وضع الغفران فى ديوان الرسائل الفنية الطوال التى ورثها القرن الخامس من سابقه،[2] إلّا أننا نرى أنها بالإضافة رسالة ترمى إلى تبليغ مضمون «مذهبى»، وقد اعتمد أسلوبًا لغويًّا، وأدبيًّا، أراد أبو العلاء أن ينشر ذلك المضمون بين الناس جميعًا، وفى نفس الوقت، أن يظهر لهم مدى براعته الأدبية ومعرفته اللغوية.

إن الغفران «رسالة» فى المعنى الذى يطلق عليه اليوم «أطروحة» أى تعبير عن رؤية خاصة يشعر المعرى بوجوب إيصالها إلى الغير وتعميمها بين الناس، إنها تجارب رجل عانى الحياة طويلاً. ويظهر أن رسالة الغفران أمليت نحو سنة ٤٢٤ هـ وأبو العلاء فى السبعين من العمر، أى فى سن بلغ فيه تأمله درجة اكتمال النضج، واختمرت فيه معرفته بالناس وبالحياة، لقد عكف على إملائها الأعوام الطوال، راصدًا خواطره، وهواجسه، سابحاً فى أحلامه وتأملاته. ومن ثمة، كما تقول بنت الشاطئ، حملت الرسالة «طابع التأمل». وجمعت ما بين الاطلاع، والتأمل، والإخلاص للفن، وحرية التفكير، وتصوير الشهوات المكبوتة فى تفنن مثير[3].

---

(١) الخوارزمى أبو عبد الله محمد بن موسى، توفى ببغداد، ٢٣٢هـ – ٨٤٦م.

(٢) الغفران لأبى العلاء المعرى، ص١٩٣، القاهرة، ١٩٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٤–٥٥.

عزاء عن الحرمان :

ميزة مضمون رسالة الغفران هى هذا النزوع إلى الشمول مع براعة محكمة للتعبير عن الملاذ الحسية، على تنوع أشكالها، مما يدل على حرمان فى هذه الدنيا انتقل، إلى الإشباع بالتسامى، (sublimation). نعنى أن أبا العلاء قام بعملية إعلاء للطاقات الغريزية، من مستوى الشهوة إلى إشباعها بتعويضات فكرية وخيالية، فى العالم الآخر.

عرف أبو العلاء حياة العزلة والحرمان، فاضطر إلى كبت ميوله. غير أنه لم يزهد فى الدنيا رغبة، بل اضطرارًا. فكما يقول طه حسين: «فالذين يظنون به الزهد مخطئون. فليس هو زاهدًا ولكنه رجل عاجز عن تحقيق آماله قد راض الآمال فامتنعت عليه ولم تذعن له، وأدركه اليأس من انقيادها فخلى بينها وبين الشموس، وأعرض عن لذاته لا رغبة عنها بل قصورًا وعجزا (. . .) فهو، إذن، ساخط على الدنيا لأنها أعجزته لا لأنه زهد فيها، وفلسفته إذن كما قلت فى أول هذا الحديث فلسفة المحنق المغيظ لا فلسفة المرتفع عن نعيم الحياة ولذاتها – أو قل إنها فلسفة المرتفع عن نعيم الحياة ولذاتها. لا لأنه أراد أن يرتفع، بل لأنه أكره نفسه على هذا الارتفاع. طمعه أكثر من طاقته، فهو يؤثر أن يفقد كل شىء على أن يقنع ببعض الشىء (. . .) أما أنا فأختصه بالرحمة والعطف، لأنه أحب الدنيا وأعرض عنها، ورغب فى اللذات ثم صدف عنها، ولأنه حين أعرض عن الدنيا وصدف عن اللذات لم يضمر لأحد شرًّا، ولم يحسد الناس على ما أصابوا منها، وإنما رضى عن الحرمان واطمأنت نفسه إليه، وعاش وادعًا هادئاً لا يؤذى أحدًا ولا يكاد أحد يؤذيه»[1].

هكذا عكف أبو العلاء على التأمل والإملاء، فى صبر مناضل، صبر نبيل مصدوم لا يرضى الهزيمة أمام أهوال الحياة. ولكى يحافظ على كرامته، برغم الشعور بالحرمان، انصرف برغباته المكبوتة إلى التأمل الذى يتقبل الواقع الحزين،

---

(١) مع أبى العلاء فى سجنه ص ١٩٠، القاهرة، ١٩٦٣.

ويرفض العبث، ويزهد في الدنيا لأنها زهدت فيه، ولكن ما تحت الشعور يطفو بمكنوناته، فتظهر للعيان في رحاب العالم الآخر. هناك، لا يجرؤ أبو العلاء على أن يتمثل جنة بها عمى، بل نراه يتسلى عن لوعة حرمانه، ويعلل نفسه بهذه الرحلة حيث يطوف في الجنة بعينين مبصرتين أقوى ما يكون الإبصار.

بالجنة، تختفي كل العاهات[1]، فكل من أصيب في الدنيا بشيء من ذلك رفع عنه في الآخرة، بل لا يكفي أن يصبح الأعمى بصيرًا والأعشى أحور، والهرم شابًّا[2] والسوداء بيضاء، وإنما يعوض المُمْتَحَنُ عن محنته تعويضاً لا يتمناه إلّا من عانى الحرمان وامتحن بعاهة، أو كما تقول بنت الشاطئ: «لا يقترح مثله سوى المبتلى المحروم»[3]. فأحدُّ أهل الجنة بصرًا هم الذين حرموا نعمة الإبصار في الدنيا، وأجملهم عيونًا، هم عوران قيس، وأطيب نسائها نشرًا امرأة طلقت لرائحة كرهها زوجها من فيها[4]، وأنصعهن بياضاً جارية سوداء كانت تخدم في دار العلم ببغداد[5]، وهناك بالجنة في الجموع الغفيرة من الشعراء والكتاب، تكثر النساء والجواري[6]، رغم ما نعرف عن أبي العلاء من زهد وانصراف عنهن.

كما نجد محاوري ابن القارح، في العالم الآخر، يتساقون كئوسًا عسجدية من الخمر[7]، ويتناولون ما لذ وطاب من الأطعمة[8].

---

(١) يقول أبو العلاء على لسان عدى:

«ويحك! أما عَلِمتَ أنَّ الجنةَ لا يُرْهَبُ لديها السُّقمُ ولا تَنزِلُ بِسُكّانِها النِّقَمُ؟» (ص ١٩٧).

(٢) انظر حوار ابن القارح مع الأعشى حيث يقول أبو العلاء:

«فيلتفِتُ إليه الشيخُ هَشًّا بَشًّا مُرتاحًا، فإذا هُو بشابٍّ غُرانِق، غَبَرَ في النعيم المُفانق، وقد صارَ عشاهُ حَوَرًا معروفًا، وانحناء ظهرِه قوامًا موصوفًا» (ص ١٧٧ - ١٧٨).

انظر كذلك: حوار ابن القارح مع «حميد بن ثور» (ص ٢٦٣).

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٤) انظر رسالة الغفران، ص ٢٨٦، و٢٨٧.

(٥) يقول أبو العلاء على لسان توفيق السوداء:

«أتدْرِي مَنْ أنا يا عَلِيُّ بنَ مَنصور؟ أنا توفيقُ السوداءُ التي كانت تخدُمُ في (دارِ العلم ببغداد) (...) فيقول (ابن القارح): لا إلهَ إلّا الله، لقد كنتِ سوداءَ فَصِرتِ أنْصَعَ من الكافُور» (ص ٢٨٧).

(٦) انظر مثلاً: مأدبة في الجنان، من ص ٢٦٨ إلى ٢٨٤.

(٧) انظر الحديث عن الحور العين مثلاً في ص ٢١٢ - ٢٨٤ و٢٨٧.

(٨) مشاهد للمنادمة، ص ٢٠٣ و٢٣٣.

هكذا شفى أبو العلاء، عن طريق الإعلاء غليله، وفجر بالتصور والتمثيل ما حُرم منه فى الدنيا.

أصالة رسالة الغفران :

للمضمون حظ وافر فى ما بالغفران من أصالة. فلا نعثر فى الآداب العربية، قبل أبى العلاء، على تصور عالم ما بعد الموت وجعله موضوع بناء أدبى. حقًا، إن القرآن الكريم يتحدث عن الجنة والنار، والصراط والحشر والنشر، ولكن فى نظرة وعد ووعيد، وفى معرض الدعوة إلى الإيمان بالله، خالق الدنيا والآخرة. أما المعرى، فيسبك رواية بأبطال وديكور وإخراج وحوار.

قد يقال بأن أبا حامد الغزالى، مثلاً قد دعا إلى عالم ما فوق المحسوس، عالم ليس هو عالم اليقظة ولا عالم الحلم، يتَصَعَّد إليه المرء بالحدس والذوق[1].

على هذا، نجيب بأن الرجلين لا يرميان إلى القصد نفسه. فعالم الصوفى خاص، بالأقلية من المحظوظين، ويتنافى مع عالمنا العادى اليومى، ولا يرمى إلى انتقاد مجتمعى[2]. أما «عالم الغفران» فيعتمد على نفس قوى من التخيل والمعرفة بالواقع المعيش، مع اطلاع على اللغة العربية ودقائقها وعلى تاريخ الأدب، والمذاهب والأديان.

وحجتنا على ذلك واضحة تشهد بها مشاهد الغفران جنة ونارًا.

فما هو التصور الدينى للآخرة عند أبى العلاء؟

الغفران رحلة «روائية» طويلة المدى، بعيدة المغزى، تتجه إلى كل الناس، على اختلاف الأجيال، إلى الصوفى وإلى الشيعى، إلى المتدين وإلى الزنديق، إنها وصف ونقد، لا تبشير ووعظ.

---

(١) يقول أبو حامد الغزالى : «فمن لم يبلغ الطور الذى وراء العقل، لا تنفتح له العين التى ينكشف منها الغيب الذى لا يدركه إلا الخواص» انظر المنقذ من الضلال ص ١٩٥، ط ٣ القاهرة، مكتبة الأنجلو، (قام بنشر هذه الطبعة عبد الحليم محمود).

(٢) انظر: هنرى برجسون منبعا الأخلاق والدين.

«آخرة» أبى العلاء عالم مثير، عالم يخضع لتطورات تأبى إلاّ أن تخلق عالمًا أخرويًّا من نوع خاص. يشبع فيه المحرومون حاجتهم الملحّة إلى ألوان من النعيم افتقدوها فى هذه الدنيا، ويروى ظمأ فضوله الفكرى كل المولعين بالغريب فى اللغة والدخيل والمهجور، ويشفى غليله جميع المغرمين بالصناعة الفنية الأدبية، ويفجر كبته كل من صَدِمت رغبة من رغباته فى عالمنا، عالم الصراع والأتعاب! فعالم الخيال يحرر، ولو مؤقتًا، من الأنظمة التعسفية التى تفرضها العقلانية المجمدة ويصعد الشهوات المغمورة، المباح منها وغير المباح[1].

جُلّ أقوام عالم الغفران من الأدباء والشعراء، وأغلبيتهم من الطبقة التى عرفت الحرمان واستكانت إليه على مضض، فامرؤ القيس عرف الخمر ولم يعرف الأمر، . . . وكم بكت الخنساء، لقد تجرعت المأساة، وزرعت الكآبة حولها[2]. . . فمن أولى من هؤلاء بالتمتع بالنعيم فى الدار الأخرى؟

فى جنة عالم الغفران (جنة المحرومين فى هذه الدنيا، ومنهم أبو العلاء نفسه)، نجد كلَّ الطيبات من الرزق، أطعمة شهية وخمرًا ونساءً، . . . إنه عالم الخيرات والتسليات المتنوعة والنزهة والصيد والرقص[3].

هذا ما خص به المعرى المحرومين، أما القادة السياسيون، وأصحاب العروش وأبناء الأكاسرة ونساؤهم، فيظهرهم أبو العلاء يعانون أهوال يوم الحساب والعقاب:

«تجذِبُهم الزَّبانيَةُ إلى الجَحيم، والنِّسْوَةُ ذوات التيجان يُصَرْنَ بألسِنةٍ من الوَقُودِ، فتأخُذُ فى فُرُوعِهِنَّ وأجسادهنَّ، فيصِحْنَ: هل مِن فِداءٍ؟ هل من عُذْر يُقام؟ والشبابُ مِن أَوْلَادِ الأكَاسِرَةِ يَتَضَاغَوْنَ فِى سَلاسِلِ النارِ. . .»[4].

---

(١) انظر مثلاً، حوار إبليس مع ابن القارح، حول «الولدان المخلدون» ص ٣٠٩.

(٢) انظر، الرسالة، ص ٣٠٨.

(٣) انظر بعض مشاهد الجنة من ص ٢٦٧ إلى ٢٨٤.

(٤) ص ٢٤٧. – يصرن: منْ صار الشيء وأصاره: أماله.
يتضاغون: يتصايحون.

تأثير عصر المعرى على الرسالة :

كان العالم الإسلامى، فى القرن الخامس الهجرى، إمبراطورية متشتتة الكلمة منهارة سياسيًّا[1] : لم يعد الحكم المركزى يوجه السياسة العامة من العاصمة بغداد، بعد أن تمردت الأقاليم (حلب والقاهرة وقرطبة . . .)، فكان رد الفعل ظاهرًا فى ميدان الاقتصاد، وفى التناحر الطائفى.

نشأ أبو العلاء فى هذا الجو المملوء بالفوضى، فشاهد تصدعاً شاملا، وأخلاقًا غير سوية. لا نظام ولا استقرار، وبالتالى لا عدل ولا مساواة ولا استحقاق، شعوبية وعصبيات قبلية، وتدجيل ونفاق واستغلال للدين. فَلِمَ لا يتشاءم ضمير واعٍ، كضمير أبى العلاء؟

المعرى متشائم، ولكنه غير يائس كامل اليأس. لذا انعزل عن الناس، أفرادًا، كما انعزل عن عاداتهم ومعاملاتهم. ولم يقاطعهم مجتمعات، فالأجيال تتصل، تاريخيًّا، وتخضع لتحول دائم. فلو لم يكن لأبى العلاء أمل (ولو ضئيل) فى قابلية الإنسانية للتغير والإصلاح لما انتقدها، ولابتلع مرارته وسكت، دون أن يتهكم ويسخر من المتكلمين، والشيعة، والإمامية، والصوفية، والفرس، والهنود، لذا التزم بالقيام بواجبه، ولم يكتفِ بإصدار الحكم اعتباطاً، بل يوضح الأخطاء بأمثلة يحللها ثم يبنى عليها أحكامه. فلنتمعن حديثه عن الحلولية ورأيه فيها، يقول :

«والحُلوليةُ قَريبةٌ من مذهبِ التناسُخِ، وحُدِّثْتُ عن رجلٍ من رؤساءِ المنجِّمِين من أهلِ (حران) أقامَ فى بلدِنا زمانًا، فخرجَ مرةً مع قوم يتنزهون فَمَرُّوا بثور يَكْرُبُ، فقالَ لأصحابِه : لا أَشُكُّ فى أَنَّ هذا الثورَ كان يُعرَفُ «بِخَلَف» بحرَّان. وجعل يَصيحُ به : يا «خَلَفُ»، فيتَّفِقُ أن يخورَ ذلك الثورُ، فيقولُ لأصحابِه : أَلَا تَرَوْنَ إلى صِحَّة ما خَبَّرْتُكم بِه؟»

وحُكِى لِى عنْ رجلٍ آخرَ ممن يقولُ بالتناسخِ أنه قال : رأيتُ فى النومِ أبى وهو يقولُ لى : «يا بُنَىَّ، إنَّ روحى قد نُقِلتْ إلى جَمَلٍ أعورَ فى قِطَار فُلانٍ، وإنى قد

---

(١) الجامع فى أخبار أبى العلاء وآثاره، ج ١، من ص ٧١ إلى ١٠٠.

اشتهيت بطيخة، قال فأخذت بطيخة وسألت عن ذلك القطار فوجدتُ فِيه جملاً أعورَ، فدنوتُ منه بالبطيخةِ، فأخذَها أخْذَ مريدٍ مُشْتَهٍ!

أَفَلَا يرى مولاى الشيخُ إلى مَا رُمِيَ به هذا البَشَرُ من سُوء التمييزِ، وتحيُّزِهم إلى ما يمتنعُ من التَّحيز؟»[١].

كما يمكن أن نتأمل موقف أبي العلاء من الصوفية، من خلال حديثه عن الحَلّاج[٢]. إنه يعرف بحق أحوال المنافقين والمتحزبين وتصرفاتهم. فكل مذهب يعمل أصحابه على نشره بشتى الوسائل. فيتردد صدى ذلك كله فى المجتمع الذى يعيش فيه:

«الإمامية تَقرَّبوا بالتَّعْفِير فَعَدَّه بعضُ المتديِّنةِ ذنْباً ليس بِغَفير [. . . و] كم متظاهرٍ باعتِزالٍ وهوَ معَ المُخَالفِ فى نِزال»[٣].

حقًّا، إنَ أبا العلاء متشائم، لكن كما أن الشك نوعان: شك لذاته (كما هو الحال عند الارتيابيين المنكرين لكل شيء، وحال أبي حامد الغزالى الذى يرى فى كتابه **المنقذ من الضلال** أن عالم اليقظة والعقل والحواس لا يمثل الحقيقة)، وشك منهجى (كما عند ديكارت فى **حديث المنهج**)[٤]، نقول: إن التشاؤم كذلك، نوعان: تشاؤم ناشئ عن بعض الناس واليأس منهم مثل تشاؤم بطل (موليير) فى **الميزانطروب**[٥]، وتشاؤم لا يصاحبه يأس كتشاؤم المعرى الذى لا يقصر جهدًا فى أن يفضح ما فى الكون من سواد واعوجاج، مستعملا طريقة النقد الهاجم أحياناً وطريقة السخرية أحيانًا أخرى، كما كان يفعل سقراط فى محاوراته.

رسالة الغفران من الآثار التى تبقت حية، من القرن الخامس الهجرى حتى

---

(١) رسالة الغفران، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

(٢) رسالة الغفران، ص ٤٥٣.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٦٥.

(٤) نقله إلى العربية جميل صليبا، تحت عنوان «مقالة المنهج»

René Descartes, **Discours de la méthode**

(٥) تمثيلية لموليير، الكاتب المسرحى الفرنسى Molière, **Le misanthrope** (القرن ١٧). اختلف النقاد ومؤرخو الآداب حول نوعيتها: هل هى مأساة أم ملهاة؟

يومنا. إنها تمثل جانباً خاصًا فى الآداب العربية، فلا نعرف للمتقدمين رسالة تشبهها، فى أسلوبها وسعة خيالها، وما تزخر به من تحقيقات لغوية ونحوية ومناقشات فكرية. إنها صنف جديد، يمكن تسميته بـ« الأدب الفكرى»، «أو الرواية - الأطروحة» (Roman-thèse)، إن جاز هذا التعبير.

مثل رسالة الغفران كمثل القصة الفلسفية **حى بن يقظان** لابن طفيل، من بعض الجوانب: لكلتيهما أصالة تميزها عن بقية الأنواع الأدبية. طبعًا، كل موضوع جديد يأتى بمفاهيم جديدة، وهذه تقتضى، هى الأخرى أسلوبًا جديدًا ولغة جديدة لتساير أصالة المعانى، فالذى يبدع لغويًا وحسب، لا يعطى إلا رنات صوتية[1]. فاللغة إنما هى شكل تتقمصه الأفكار، فلا أصالة ولا إبداع فى الأسلوب إذا كانت الأفكار فقيرة. وإن أكبر ما يميز الغفران هو أنها أتت بنوع جديد من الأدب اقتضى قوالب لغوية جديدة انصهر فيها فكان لها أثر على نمو الأسلوب الفنى وعلى تكييف الذوق لدى الخاصة من المتأدبين.

ومن أهداف هذه الدراسة أن تبرز ما تحمل **رسالة الغفران**، فى طياتها، من تلميحات فنية وظواهر لغوية تمكن متتبعى تطور اللغة العربية من إضافة عناصر جديدة إلى ملف تاريخ هذه اللغة.

فى الرسالة لمحات جميلة تعين على تصور مدى نجاح أبى العلاء فى استحداث لغة ذات قدرة فنية لا تتحرج من استعمال المعروف «المدرسى» إلى جانب المستحدث الطريف. فلأبى العلاء تعابير «علائية»، لا تخرج عن نطاق روح اللغة العربية، ولكنها لا تقف عند الحدود التقليدية. إنه مبتكر، ولابد للمبتكر من أن تنصب جهوده أيضًا على الوسائل التعبيرية. وليس هذا تنكراً منه للغة القدامى، أو رفضًا للارتواء من الينابيع الصافية للسليقة العربية، بل على العكس، كان أبو العلاء يحسن الرقص على النغمة القديمة الأصيلة، وعلى النغمة الشخصية التى هى من أصالته.

* * *

---

(١) هذا إذا افترضنا إمكانية وجود إبداع فنى لغوى مجرد عن المضمون.

تأثر المعرى بمن سبقه، كما لا شك أنه أثر، بدوره، فى أسلوب الخلف. غير أننا، من الآن، نؤكد أن المعرى كان واعيا للمهمة التى التزم بها، إنه، كما قلنا، حامل رسالة فكرية ثقافية ليست فى متناول العامة، فكان طبيعيًّا أن يجيء أسلوبه، على مستوى المهمة، خاصًّا بالنخبة. ذاك ما يفسر ما بأسلوب الغفران من قوة لا تخلو من تعقيد فى بعض المواقف. لقد سعى المعرى إلى التبليغ بقدر ما سعى إلى تنميق اللفظ والتلوين الموسيقى الذى يرمى إلى الزخرفة والموسيقى فى حد ذاتها.

أهى «ارستقراطية» فكرية؟

إنّ المعرى قادر على التعبير البسيط بقدر ما يستطيع الأسلوب الوعر الممتنع.

فلنقرأ حديثه عن اللغة التى يتكلمها آدم:

«... فيقول آدمُ صلَّى الله عليه:

أَبَيْتُم إلَّا عُقوقًا وأَذِيَةً! إنما كنت أتكلَّمُ بالعَرَبيةِ وأنا فى الجَنَّةِ، فَلَمَّا هَبَطْتُ إلى الأَرضِ، نُقِل لسانى إلى السُّريانيَّةِ، فلم أَنطِق بغيرِها إلى أن هَلَكتُ، فلمَّا ردَّنِى اللهُ، سبحانَهُ وتعالَى إلَى الجنةِ، عادت عَلَيَّ العربيّةُ، فأَيَّ حِين نظمتُ هذا الشعرَ: فى العاجلةِ أم الآجلةِ؟ والذى قال ذلك، يجبُ أن يَكون قالَه وهو فى الدارِ الماكِرةِ، ألا تَرى قوله:

﴿مِنها خُلِقْنَا وإِلَيْهَا نَعُود﴾.

فكيفَ أقولُ هذا المقالَ ولِسانِي سريانيٌّ؟...»[1].

فبقدر ما تتميز به هذه السطور من سلامة ووضوح، بقدر ما توغل الفقرة التالية فى الغموض والالتباس لولا مبادرة أبى العلاء بالشرح:

«ولو رأى تلك الأَباريقَ (أبو زبيد)[2] لَعلِمَ أَنهُ كالعَبْدِ المَاهِن[3] أو العُبَيْد، وأنه ما تَشَبب بخيرٍ، ورَضِيَ بقلِيل المَيْر[4]، وهَزِئَ بقوله:

---

(١) رسالة الغفران، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢) أبو زبيد الطائى، شاعر جاهلى أدرك الإسلام.

(٣) الماهن: الخادم. جمعه، مُهّان ومَهَنة.

(٤) المير: الطعام الذى يمتاره الإنسان.

وأبـاريقُ مثـلُ أعنـاقِ طَـيْرِ الـ ـمَاءِ قَدْ جِيبَ فَـوقهنَّ خَنِيفُ[١]

هيهات ! هذه أباريق، تحملُها أباريقُ، كأنَّها فى الحُسْنِ الأَباريقُ، فالأولَى هى الأباريقُ المعروفةُ، والثانيةُ من قولهم : جارِيةٌ إبريقٌ، إذا كانت تبرُق من حسنها. قال الشاعر :

وغيـداءَ إبـريقٍ كَـأَنَّ رُضَـابَهـا جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بصَهْبَاء تَاجِرِ

والثالثة من قولهم : سيفٌ إبريقٌ، مأخوذ من البريق، قال ابنُ أحمر :

تقلدتَ إبـريقـاً وعَلَّقتَ جُعْبـةً لتُهلِكَ حَيًّا ذَا زُهاءٍ وجَامِلٍ »[٢]

تَمْثُلُ شخصية أبى العلاء المتأمل جنبًا إلى جنب مع شخصية المعرى المعتز بمعرفته الواسعة للغة العربية.. يريد أن يظهر، بتحد وكبرياء، قوته على التصرف فى أساليب التعبير. . . بقدر ما نجده يعبر بأروع تعبير وأسهله عن أدق الخلجات النفسانية واللويْنَات الفكرية، مستعينًا بكل المعطيات البلاغية المعهودة، نجده كذلك ينزلق مع الإغراب والغموض، عن عمد وسابق إصرار. وهذا، مثلا ما يبدو جليًّا فى نقده لرؤبة بن العجاج، يقول :

« فإذا رأى (ابن القارح. . .) ما فى « رؤبة » من الانْتِخَاءِ قال :

لو سُبِكَ رَجزُكَ ورجزُ أَبيكَ، لم تَخْرُجْ منه قصيدةٌ مستحسَنَةٌ (. . .) فيقول رؤبةُ :

أَليس رئيسُكم، فى القَـديم، والذى ضَهَلت[٣] إليـه المقايِيسُ كَـان يَسْتشهِد بقَولى ويَجعلُنِى لهُ كالإمَامِ ؟

فيقولُ - وهو بالقول مُنْطَقٌ :

لا فَخْرَ لك أن استُشْهِد بِكلامِك، فقد وجـدنَاهُم يَسْتَشْهِـدُون بكلام أَمَـة وَكْعاءَ تحمِلُ القُطُلَ[٤] إلَى النارِ المُـوقَدةِ فى السَّبْـرَةِ[٥] التى نَفَضَ عليها الشَّبَمُ[٦]

---

(١) الخنيف : جنس من الكتان.

(٢) رسالة الغفران، ص ١٤٤ - ١٤٥.

الزهاء : الكثرة. الجامل : القطيع من الجمال.

(٣) ضهل إلى فلان : رجع إليه.

(٤) القطيل من الشجر : المقطوع.

(٥) السبرة : الغداة الباردة.

(٦) الشبم : البرد.

رِيشَه، وهدَم لهَا الشيخُ عَرِيشَه، تأْخُذ خشبةً لِلْوقودِ، كيما يصل إلى الرُّقُودِ، وأَجَلُّ أيامِها أن تَجْنِىَ عَسَاقِلَ[1]، ومُغْروداً، وتتلوَ نَعَمًا مَطْرُوداً. وإنَّ بَعْلَهَا فى المِهْنةِ[2] لَسَيِّئُ العَذِيرِ، غَلُظَ عن الفِطَن والتَّحْذِير. وكم رَوَى النحاةُ عن طِفلٍ، ما لَه فى الأَدبِ من كِفْلٍ، وعن امرأةٍ لم تُعَد يومًا فى الدَّرَأة»[3].

تقسيم رسالة الغفران

تنقسم الرسالة إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول :

قصة خيالية تمر فى السمٰوات العلا، أبطالها عدة، تختلف أصنافهم، منهم من يقيم بالجنة، ومنهم من يقيم بالسعير. كبير الأبطال ورئيسهم هو ابن القارح نفسه. اختاره المعرى، لهذا الدور الرئيسى، ليقف هو ذاته على بُطلان ما روجه عن بعض الشعراء والأدباء من زندقة وإلحاد، وليشعره بخطل آرائه عن الدنيا وأهلها.

يجتمع ابن القارح فى الجنة بالكثير ممن كان يتهمهم. وبالحوار المباشر سيفهمهم ويتفاهم معهم، وهكذا سيحبهم ويصبح من المدافعين عنهم ضد المتعنتين. وكأنه ترجمان لآراء المعرى حول قضايا شتى تتعلق باللغة والشعر، والأدب والعقائد. . .

الملاحظ أنه لا يوجد بين قسمى الرسالة ارتباط وظيفى، بل إن ما يجمعهما هو مجرد ملامسة اقتضاها شعور أبى العلاء بالإطالة فى الرحلة الأُخْرَوِية وتنبهه إلى لزوم الإجابة عن رسالة ابن القارح، يقول :

---

(١) جمع عسقل وعسقول : ضرب من الكمأة. - المغرود، بالضم : ضرب من الكمأة، جمعه مغاريد - النعم المطرود، من : طرد الإبل ضمها من نواحيها، وساقها.

(٢) المَهْنَة والمِهْنَة والمَهِنَة : الحذق بالخدمة والعمل.

(٣) رسالة الغفران، ص ٣٧٥-٣٧٦.

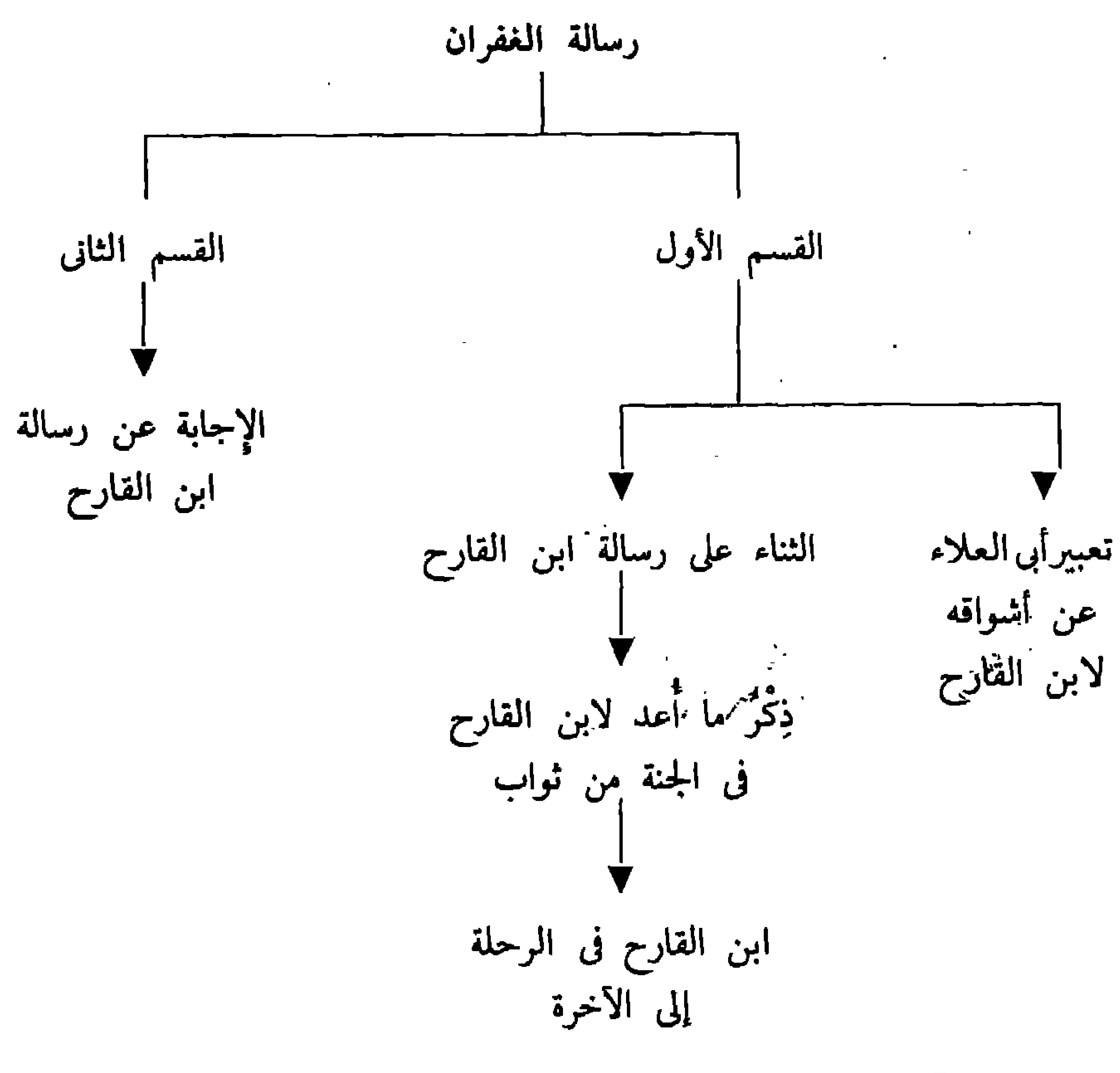
«وقد أَطلتُ فى هذا الفَصْل، ونَعودُ الآنَ إلَى الإجابة عن الرسالة»(١).

إن القسم الأول كتاب قائم بذاته، وهو «رواية» **الغفران**، أى عالم خيالى ليس فيه سوى تلميحات بالإجابة عن بعض أسئلة ابن القارح.

أما القسم الثانى:

فقد خصصه للرد على أسئلة مراسله نقطة بعد أخرى.

يعطى الشكل التالى صورة مجملة عن القسمين مَعًا.



لنتبع، الآن، مراحل كل قسم على حدة.

(١) رسالة الغفران، ص ٣٧٩.

قِفا نَبْكِ من ذكرَى حبيب وعِرفان

ووَسمتها «برضوان» (...)[1].

وقد استغرقت قصة الحشر هذه أربع عشرة صفحة حكى لنا فيها ابن القارح عن وقفة الحساب، ويوم الحشر وما عاناه من ظمأ وتعب وحرارة. إثر ذلك، استأنف طوافه بمرافق الجنة، وعاد من جديد إلى حوار الشعراء والقيان، فى مجالس شراب وغناء ورقص، وفى ندوات شعرية ولغوية حول مآدب بالجنان.

المرحلة الرابعة:-

جنة العفاريت: حرض الفضول رغبة ابن القارح فى أن يطلع على أحوال أهل الجحيم. وفى طريقه إلى جهنم عرج على رواق العفاريت (وهم من الجن الذين آمنوا برسالة نبى الإسلام).

جناح العفاريت أقل بهجة وبهاءً ونورًا ومتعة من جنة البشر، ولم يفت ابن القارح أن يكلم سكانه، ويستمع إلى أشعارهم وأخبارهم:

«وَيبدو له أَن يَطَّلِعَ إلى أَهلِ النارِ فَينظرَ إلى ما هم فيه لِيَعْظُمَ شكرُه على النعم (...) فيَرْكَبُ بعضَ دوابِّ الجَنَّةِ ويَسِيرُ، فإذا هو بمَدائنَ ليستْ كمَدائنِ الجَنَّة، ولا عليْها النورُ الشَّعْشَعانى، وهى ذاتُ أَدْحالٍ وَغَمالِيلَ، فيقولُ لبعض الملائكةِ:

ما هذه يا عبد الله؟

فيقولُ: هذه جنَّةُ العفاريتِ الذينَ آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلَّم (...) فيقولُ:

لأعدلَنَّ إلى هؤلاءِ فَلَنْ أَخلُو لَديْهم من أعْجُوبةٍ، فَيَعُوجُ عليهم..»[2].

---

(١) رسالة الغفران، ص ٢٤٨. تستمر حكاية الحشر حتى صفحة ٢٦٢.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

الملائكةُ من الأَرضِ الراكدةِ إلى السماءِ، وتكشِفُ سُجوفَ[١] الظلماءِ، بدليلِ الآية : ﴿إليهِ يصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصالحُ يرْفَعُه﴾[٢].

وهذه الكلمةُ الطيبةُ كأَنها المعنيَّةُ بقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مثلاً كَلمةً طيبةً، كشجرة طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها فى السَّماءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كلَّ حينٍ، بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٣].

وفى تلك السطور كَلِمٌ كثيرٌ، كلُّه عند البارى، تقدسَ، أَثِيرٌ»[٤].

إن كانت الصفحات السابقة أتت كديباجة امتازت بشىء غير قليل من المجاملة، كما تقتضيه الحال، فى رسالة إخوانية، فإنها تحمل فى طياتها تقديرًا كبيرًا من المعرى لمراسله، فابن القارح، كما يبدو فى نظر أبى العلاء، صادقًا كان أم مستهزئًا، رجل علم وحكمة وورع. وبما أنه افتتح رسالته بالثناء على الخالق تعالى، استحق نعيم الخلد فى الجنة :

«فقد غُرِسَ لمولاى الشيخِ الجليل - إن شاء اللهُ - بذلك الثناءِ شجرٌ فى الجَنَّةِ لذيذُ اجتناء، كلُّ شجرةٍ منهُ تأخذُ ما بين المشرق إلى المغرب بظِلٍّ غَاط.[٥] (. . .) والولدانُ المخلَّدون فى ظلالِ تلك الشجرِ قيامٌ وقعود، وبالمغفرةِ نِيلَت السُّعُود، يقولون، واللهُ القادرُ على كلِّ عزيزٍ، نحنُ وهذا الشجرُ صِلَةٌ من اللهِ «لعَلِيِّ بن منصور»[٦] نُخْبَأُ له إلَى نفخ الصُّور».[٧]

* * *

لم يكتف أبو العلاء بأن يتمنى لصاحبه نعيم الجنة، بل يسعى إلى تحقيق ذلك التمنى ولو خيالا، ويأبى إلاّ أن يجعل ابن القارح يتمتع، فعلا، بهذا الذى صوره من نعيم الجنان، فرأيناه يبوئه أعلى درجات الفردوس ويفسح له المجال للتجول هناك. لقد خطر لابن القارح أن يقوم بنزهة فى الآخرة،

(١) سجوف : الواحد سجف = الستر.
(٢) سورة فاطر، الآية ١٠ .
(٣) سورة إبراهيم، الآيتان : ٢٤، ٢٥.
(٤) رسالة الغفران، ص ١٣٩، ١٤٠.
(٥) غاط : واسع مبسوط ومظل.
(٦) هو ابن القارح مراسل أبى العلاء.
(٧) رسالة الغفران، ص ١٤١.

فصوره لنا أبو العلاء، وقد امتطى جملاً قويًا سريعًا من جمال الجنة، ودونما تصميم محدد، ينطلق قاطعًا أشواط هذه الجولة العجيبة، ثم انتزع القارئ من كيانه الدُّنْيَوِى ليساير، عن كثب، خطوات الرحلة ويشارك ابن القارح بشوق وشغف فى مختلف نشاطاته التى ابتدعها المؤلف ابتداعًا، هكذا يجعلنا نعيش ساعات طوالا فى جو الرحلة القارحية الشيقة إلى الآخرة، كما نتمتع، فى آن واحد، بمحاوراته المتنوعة المشارب مع ما يربى على خمسين محاورًا، ما بين شاعر ولغوى ونحوى وأديب. . .، بل حتى مع آدم وإبليس، والجن، وبعض الحيوانات، وغير هؤلاء ممن يقيم فى الجنة أو جهنم، فيندهش ابن القارح، ونندهش بدورنا معه أمام خيرات الجنة، وترتعش فرائصنا جميعًا أمام مشاهد هول يوم الحشر، وكوارث أهل النار.

لقد نجحت عبقرية أبى العلاء فى تصوير مبدع للعالم الأخروى، وبالرغم من أن أسباب الرحلة القارحية واهية، من الجانب العقلانى. فإنها تسجل نجاحًا فائقًا فى الفن الروائى.

إذا نحن رافقنا ابن القارح وجدنا أن الرحلة طويلة ومغرية تمر بمراحل تتوالى كما يأتى:

المرحلة الأولى:

فى الجنة: يفاجئنا أبو العلاء بتربع ابن القارح إحدى عرصات الجنان وقد اصطفى له جماعة من أدباء وأئمة اللغة المقيمين بالجنة، وهم يتبادلون أطراف الحديث حول وقائع العرب، يقول:

«وكأَنِّى بِه (ابن القارح) - أَدامَ الله الجمالَ ببقائِه - إِذَا استحقَّ تلك الرُّتبةَ، بِيَقِينِ التَّوبةِ، وقد اصطفى له نَدَامى من أُدبَاءِ الفِرْدَوْس (. . .) «وأبو عُبَيْدَةَ» يذاكِرهُم بوقائع العربِ ومَقاتِلِ الفُرْسَان «والأَصْمعِىّ» يُنْشِدُهم من الشعرِ ما أَحسَنَ قائلُه كُلَّ الإِحسان.

وتهشُّ نفوسُهم لِلَّعبِ فيَقذِفون تلكَ الآنيةَ فى أنهارِ الرحيق»[1].

---

(١) رسالة الغفران، ص ١٦٨ - ١٧٢.

المرحلة الثانية :

بَدْءُ الرحلة : خلال تلك الجلسة الأدبية يخطر لابن القارح أن يقوم بنزهة فى الجنة، فنشاهده على جمل غريب الصفة يسير من غير تصميم مسبق :

«ثم إنه - أدامَ الله تمكِينَه - يَخطِر له حديثُ شيء كان يُسمَّى النزهةَ فى الدارِ الفانية، فَيَرْكَبُ نَجيبًا من نُجُب الجنةِ خُلِقَ من ياقُوتٍ ودُرٍّ (. . .) فيسيرُ فى الجنَّة على غير مَنْهَج، ومعه شيء من طعام الخُلود»[١].

ها هو ذا يطوف بين الأشجار والأنهار، محفوفًا بما لذ من الطعام والشراب، متمتعًا بجمال الحور العين ومجالس اللهو والغناء.

هناك، فى الجنة، يصادف بعض الشعراء الجاهليين والمخضرمين ممن حظوا بلطف الله ونجوا من جهنم، فيقيمون ندوات أدبية ولغوية فيها من المتع الفكرية بقدر ما توفر من الملذات الحسية التى تشبع بمتعة فائقة، كل الرغبات البشرية.

المرحلة الثالثة :

القيامة : لم يفتْ أبا العلاء أن يقف بنا وقفة يصف خلالها أهوال القيامة، هكذا أخذ ابن القارح يحكى لتميم بن أبَىّ عَمَّا لَقِيه مِن مشاق يوم القيامة، وعن انتظار فى قلق، دام ستة أشهر، بين هول الحشر وأمل الشفاعة[٢] يقول :

«أنَا أقُصُّ عليك قِصَّتى : لَمَّا نهَضتُ أنْتفِضُ من الرَّيْم، وحَضَرتُ حَرصَات القيامة (. . .)، فافتكرتُ، فرأيتُ أمرًا لا قِوام لمثلِي به، ولقيني المَلَكُ الحفِيظُ بما زُبِرَ لِي من فِعل الخير، فَوَجدتُ حَسناتى قليلة كالنُّفَإ فى العام الأرْمَلِ (. . .) فلَمّا أقمتُ فى المَوقفِ زُهاءَ شهرٍ أوْ شَهرين، وخِفتُ فى العَرق من الغرق، زَيّنَتْ لِي النفسُ الكاذبةُ أنْ أنظم أبياتًا فى «رضوان، خازن الجنان» عَمِلتُها فى وزنِ :

---

(١) رسالة الغفران، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) إنها فى الواقع، مرحلة سابقة : فابن القارح لم يدخل الجنة إلّا بعد أن مرَّ بالحشر، غير أن المعرى بدأ بفصل أول عن الجنة، ثم جعل بطل روايته يتحدث عمّا عانى قبل أن يغفر له ويصبح من أهل الجنة، وهذه طريقة رائعة لم يعرفها الفن السينمائى، ولا بعض أصناف القصة إلا حديثًا.

قِفا نَبْكِ من ذكرَى حبيب وعِرفان

ووَسمتها «برضوان» (. . .)[1].

وقد استغرقت قصة الحشر هذه أربع عشرة صفحة حكى لنا فيها ابن القارح عن وقفة الحساب، ويوم الحشر وما عاناه من ظمأ وتعب وحرارة. إثر ذلك، استأنف طوافه بمرافق الجنة، وعاد من جديد إلى حوار الشعراء والقيان، فى مجالس شراب وغناء ورقص، وفى ندوات شعرية ولغوية حول مآدب بالجنان.

المرحلة الرابعة:-

جنة العفاريت: حرض الفضول رغبة ابن القارح فى أن يطلع على أحوال أهل الجحيم. وفى طريقه إلى جهنم عرج على رواق العفاريت (وهم من الجن الذين آمنوا برسالة نبى الإسلام).

جناح العفاريت أقل بهجة وبهاءً ونورًا ومتعة من جنة البشر، ولم يفت ابن القارح أن يكلم سكانه، ويستمع إلى أشعارهم وأخبارهم:

«وَيبْدو له أن يَطَّلِعَ إلى أهلِ النارِ فَينظرَ إلى ما هم فيه لِيَعْظُمَ شكرُه على النعم (. . .) فيَرْكَبُ بعضَ دوابِّ الجنَّةِ ويَسِيرُ، فإذا هو بمَدَائنَ ليستْ كمَدائنِ الجنَّة، ولا عليْها النورُ الشَّعْشَعانى، وهى ذاتُ أَدْحالٍ وَغَماليلَ، فيقولُ لبعض الملائكةِ:

ما هذه يا عبد الله؟

فيقولُ: هذه جنَّةُ العفاريتِ الذينَ آمنوا بمحَمَّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلَّم (. . .) فيقولُ:

لأعدلَنَّ إلى هؤلاءِ فَلَنْ أخلُو لَديْهم من أعْجُوبةٍ، فَيَعُوجُ عليهم. . »[2].

---

(١) رسالة الغفران، ص ٢٤٨. تستمر حكاية الحشر حتى صفحة ٢٦٢.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

المرحلة الخامسة :

الجحيم : يودع ابن القارح مأوى العفاريت ليتابع سيره نحو جهنم، فيقف قريبًا من المطلع إلى النار، ليتحدث إلى الخنساء :

« فيرى إبليسَ - لَعَنه الله - وهو يَضْطَرِبُ فى الأغلالِ والسّلاسِلِ »[١] فيحادثه، ثم يطرح أسئلة على بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين الذين يقيمون بالنار.

فلما رأى « قِلةَ الفوائِدِ لديهم، تَرَكهم فى الشقاءِ السَّرمَدِ، وعَمَد لمحلِّهِ فى الجنانِ »[٢].

المرحلة السادسة :

رجوع ابن القارح إلى الجنة : بعد الجولة الاستطلاعية فى الجحيم، يعود إلى مقره بالجنة، فيصادف آدم فيتحدث معه، ثم يلتقى بـ « ذات الصفا »[٣]، وأخيرًا « يَمُرُّ بأبياتٍ ليس لها سموق أبياتِ الجنَّة، فيسألُ عنها فيُقالُ : هذه جنَّة الرُّجَّز »[٤] فيحاورهم. وبعد هذا الطواف تنتهى الرحلة حيث :

« يَتكئُ (ابن القارح) على مَفرشٍ من السُّنْدُسِ. ويأمُرُ الحور العِينَ أن يَحمِلنَ ذلك المفرَشَ فيضَعْنَه على سَريرٍ من سُرُرِ أهلِ الجنه، وإنَّما هوُ زَبَرْجَدٌ أو عَسْجدٌ، ويكوِّن البارِئُ فيه حَلَقًا من الذَّهبِ تُطِيفُ به من كلِّ الأشْراء حتّى يأخُذَ كلُّ واحد من الغِلمانِ، وكلُّ واحدةٍ مِن الجَوارى المُشبَّهةِ بالجُمانِ واحدَةً من تلك الحَلَق ؛ فيُحملُ على تلك الحالِ إلى مَحَلِّه المُشَيَّدِ بدارِ الخُلودِ (. . .) وتُنادِيهِ الثَّمراتُ مِنْ كلِّ أوْبٍ وهو مُسْتَلْقٍ علَى الظَّهْرِ :

---

(١) رسالة الغفران، ص ٣٠٩.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٦٠.

(٣) اسم حية اشتهرت بالوفاء بالعهد، استحقت نعيم الجنة كما تروى أسطورة « الحية والأخوين »، وقد نظم النابغة قصيدة عن هذه الأسطورة.

(٤) رسالة الغفران، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

هل لكَ يا أَبا الحَسَن؟[١] هل لك؟ فإذا أرادَ عُنْقودًا من العِنَبِ أو غيره، انقَضَبَ مِن الشَّجرةِ بمشيئةِ الله، وحَمَلَتْه القدرة إلى فِيهِ..»[٢].

يشعر أبو العلاء بأنه أطال فى وصف الرحلة القارحية، فيختتمها قائلا:

«وقد أطلت فى هذا الفَصْل، ونعود الآن إلى الإجابة عن الرسالة»[٣].

ذاك ملخص مراحل الرحلة القارحية التى استغرقت القسم الأول من الغفران.

القسم الثانى

ينقلنا أبو العلاء من الجو القصصى الممزوج بالأسطورة والمعرفة اللغوية والأدبية إلى جو المراسلات المعهودة لدى معاصريه من أدباء ولغويين.

فيتصدى فى القسم الثانى إلى الجواب عمّا ورد فى رسالة ابن القارح من أسئلة، يجيب عنها، واحدًا واحدًا. ويبدأ بالتعليق على تقدير ابن القارح له وعلى ما نقله من الآراء حول خلقه وعلمه، متواضعًا تواضع النزهاء.

«وأمَّا ما ذَكَرهُ من حالى (...) فطالما أُعطِيَ الوثن سعودًا، فصارَ حُضُوره للجهَلَةِ موعودًا! فإن سُرِرتُ بالباطلِ، فَشهرْتُ باتِّخاذِ النياطل. وإنَّ الصابرَ مأجور محمود، ولاريبَ أنْ سيقدر لِمن ظَعَن شِرْبٌ مَثْمود.

وأَحلِفُ كَيمين امرئ القيس (...) والأخرَى التى أقسَمَ بها زُهَيرٌ (...) إنى لَمكذُوبٌ عليه كما كذبت العربُ على الغُولِ (...) ويُقالُ إنَّنى من أَهلِ الدِّين، ولو ظَهَر ما وَرَاءَ السَّدِينِ، ما اقْتَنَع لِي الواصِفُ بسبٍّ، ووَدَّ أَن يَسْقِيَنى جَوْزَلًا بشَبٍّ»[٤].

---

(١) أبو الحسن: كنية ابن القارح.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) رسالة الغفران، ص ٣٧٩.

(٤) رسالة الغفران، ص ٣٨٧-٣٩٠. الجوزل هنا: السم. الشب: ملح معدنى قابض.

بعد هذا، يبدى تأسفه على ضياع رسالة أبى الفرج الزهرجى إليه :[١]

« ووددتُ أنَّ (الرِّسالةَ) وَصَلَتْ إلىَّ، ولكِنْ مَا عَدَلَ ذلك العَديلُ، فَبَعِدَ مَا تَغَنَّى هَدِيل، هلاَّ اقتَنَع بنَفَقةٍ أو ثَوْب، وتَرَكَ الصُّحفَ عن نَوْب؟ فأرِب من يَدَيْه، ولااهتَدَى فى الليلةِ بِفَرْقَدَيه »[٢].

ثم يتحدث عن الأشخاص الذين جاء ذكرهم فى الرسالة القارحية، فيدافع عن بعض المتهمين منهم، مثل دفاعه عن « بشّار» ضد تهمة الزندقة، إذ يرى أبو العلاء أن بشّارًا :

« إنَّما أَخَذ ذلك عن غيره، وقد رُوى أنَّه وُجدَ فى كُتُبه رُقعةٌ مكتوب فِيها : إنى أَرَدْتُ أنْ أهجُو فلانَ بنَ فُلانٍ الهاشمى، فَصفَحتُ عنه، لقَرَابتِه من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم »[٣].

ويؤكد التهمة بالنسبة لآخرين، كقوله فى المصحفين :

« فَغيرُ البررةِ ولاَ المُنْصِفين »[٤].

إلى جانب ذلك، يتطرق أبو العلاء للحديث عن بعض المذاهب والعقائد، فيتعرض إلى مشكل الزمان والمكان، ومشكل التناسخ، كما يتعرض إلى مذاهب القرامطة[٥] والمعتزلة وأهل الحلول[٦]، فيناقش أصحابها وينتقد بحدَّةٍ أفكارهم ويظهر زيفها.

---

(١) انظر الإشارة إلى هذه الرسالة فى ص ١٣ من هذه الدراسة.

(٢) رسالة الغفران، ص ٤٠٤.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٢٩.

(٤) رسالة الغفران، ص ٤١٢.

(٥) القرامطة : طائفة باطنية يؤولون الأحكام الشرعية والآيات القرآنية تأويلات ظاهرية وتأويلات باطنية. كانوا يقولون بالحلول استغلوا الدين فى القيام بدور سياسى هام.

ظهرت هذه الحركة فى ٢٧٨هـ - ٨٩١م وانتشرت دعوتها بالشام، وانتصرت على جيوش الخليفة العباسى المقتدر. حَلَّ دعاتهم بأفريقيا (تونس حاليًا) ليمهدوا السبل لقيام الدولة الفاطمية.

(٦) قام، مثلاً، فى بغداد أبو جعفر السلمغانى يدَّعِى التناسخ وحلول الألوهية فيه، فقتل سنة ٩٣٤م. انظر حديث أبى العلاء عن الحلولية، وقد نقلناه فى مناسبة سابقة من هذه الرسالة.

لم يثر أبو العلاء هاته القضايا لمجرد ذكرها، وبدون هدف معين، وإنما طرقها ليشرحها ويبين موقفه منها. مثلا، يتعرض لذكر المعتزلة ليؤكد أن بعضهم يتسغلون الناس باسم الدين، وأن من أئمتهم من يشرب الخمر ولا يتورع عن ارتكاب الفحش :

«كم متظاهرٍ باعتزال، وهو مع المخالفِ في نِزال، يزعُم أَنَّ رَبَّه على الذرَّةِ يُخلدُ في النارِ، بَلْه الدرهَم وبَلْه الدينار، وما ينفك يحتقِبُ من المآثِم عظائِمَ، ويقعُ بها في أطائمَ[1]. وينهمِكُ على العهَارِ والفِسق، ويظعنُ من الأوزارِ الموبقةِ بأوْفَى وسقٍ[2]، يقنُتُ على رَهْطِ الإجْبَارِ، ويسنِدُ إلى عبد الجبار[3]، يُطيلُ الدأْبَ في النهارِ والليل، ويُضمِر أَنَّ شيخَ المعتزلةِ غيرُ طاهرِ الرُّدْنِ ولا الذيْلِ، قد صيَّرَ الجدَلَ مصيدَةً، ينظِمُ به من الغَيِّ قصيدة»[4].

لا يترك المعرى الفرصة تفوته دون أن يبدى رأيه في مشكل كثيرًا ما اختلف الناس فيه، هو مشكل الحلول وشعوذة الحسين بن منصور الحلاج :

«وأدل رُتَب الحلاَّج[5] أن يكون شعْوذِيًّا، لا ثاقبَ الفَهمِ، ولا أحوَذِيًّا، على أَنَّ الصُّوفيَّة تُعَظِمه مِنهم طائفةٌ، ما هي لأمِره شائفة»[6].

هذه أحكام لا تصدر عن متشائم يائس بل عن مفكر ملتزم، ينتقد بجرأة ليفضح الزيف.

---

(١) أطائم : جمع أطيمة وهي موقد النار.

(٢) الوسق : الحمل.

(٣) عبد الجبار : ابن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، كان يذهب مذهب الشافعي في الفروع، ومذاهب المعتزلة في الأصول. مات بالري، عام ٤١٥ هـ.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٥.

(٥) جاء، في الفهرست لابن النديم، أن الحسين بن منصور، المشهور بالحلاج كان :

«رجلاً محتالاً مشعوذًا، يتعاطى مذاهب الصوفية، يتحلى بالفاظهم ويدعي كل علم، وكان صفرًا من ذلك وكان (...) مرتكبًا للعظائم، يروم انقلاب الدول ويدعي عند أصحابه الألوهية، ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، وفي تضاعيف ذلك يدعي أن الألوهية قد حلت فيه وأنه هو...». (ص ٢٨٣ - ٢٨٦ - ط القاهرة). وقد ظهر أمر الحلاج، وانتشر ذكره سنة ٢٩٩ هـ.

(٦) الرسالة، ص ٤٦٣.

لا تقف جرأة أبي العلاء عند هذا الحد من التجريح والتعديل والنقد الموضح للأوضاع، فكما تعرض إلى القرامطة، تناول بالفحص والتمحيص مواقف عبد الله ابن سبإ، أحد زعماء الإسرائيليات[١]. هذا مما يؤكد لنا أن أبا العلاء كان مجددًا لحركة التفكير والنقد المجتمعى على عهده، فهو ملتزم التزام من يؤمل مسبقًا إصلاح المجتمع العربى الإسلامى.

نشير أيضًا إلى أن آراء المعرى لم تكن تَعَسفيَة رغبة فى الاختلاف بل كثيرًا ما كانت موضوعية ويتجلى ذلك، مثلا فى تحليله للإلحاد والزندقة اللذين كانا منتشرين جدًّا فى الوسط الإسلامى. لقد مهد للرد على أسئلة مراسله بتحليل مفهوم الزندقة وإظهار أنها شىء أصيل فى الطبيعة البشرية:

«ولم يَزَل الإلحاد فى بنى «آدمَ» على ممرِّ الدُّهور، حتى إن أصحابَ السِّير يزعمون أن آدمَ، صلى الله عليه، بُعثَ إلى أولادِه فأنذرهم بالآخرةِ، وخوَّفَهم من العذابِ، فكذَّبوه وردُّوا قولَه. ثم على ذلك المِنهاج إلى اليوم»[٢].

وانطلاقًا من هذا الرأى أخذ يدافع عن أبى الطيب المتنبى، نافيًا عنه التهم التى ألصقت به:

«وكان قد طَمِعَ فى شىء قد طَمِعَ فيه مَنْ هو دُونَه. وإنَّما هى مَقادِيرُ يُدِيرُها فى العُلوّ مُدِيرٌ، يَظْفر بها مَنْ وفِّقَ، ولا يُرَاعُ بالمجتهدِ أن يُخفِقَ وقد دلَّتْ أشياءُ فى دِيوانِه أنه كان مُتألها، ومِثْلَ غيره من الناسِ مُتدلها، فمن ذلك قولُه:

ولا قابِلا إلاَّ لِخالِقِه حُكما

وقولُه:

ما أقْدَر الله أن يُخزِى بَرِيَّتَهُ ولا يصدِّق قَوْمًا فى الَّذِى زَعموا.

وإذا رُجِعَ إلى الحقائِقِ، فنُطْق اللسَانِ لا ينبئُ عن اعتقاد الإنسان، لأن العالمَ مجبولٌ على الكَذِبِ والنِّفَاق، ويُحتَمل أن يُظهرَ الرجُلُ بالقوْلِ تَدَيُّنا، وإنَّما يجعلُ

---

(١) الرسالة، ص ٤٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٤٢١.

ذلك تَزَيُّنا، يريد أن يَصِلَ به إلى ثناءٍ أو غَرَضٍ من أغراضِ الخالبةِ أمّ الفَناءِ، ولَعله قد ذَهَبَ جَماعة هم فى الظاهر مُتعبِّدُون، وفيما بَطَنَ مُلحِدُون»[1].

كثيرة هى مواقف المعرى من القضايا الكبرى، وكلها تمتاز بميزة رئيسية : كونها قضايا الساعة، لذلك كان الاهتمام بها التزامًا. ولا يسمح المقام بتقصى تلك القضايا لذا أكتفينا بالإشارة إلى نماذج تمثل قليلا من كثير.

الخلاصـــة :

بوسع الباحث أن يسجل أن رسالة الغفران تدخل فى إطار زمانى معين، وتعكس وسطًا إسلاميًا خاصًا هو الوسط المشرقى، فلو أن المعرى عاش، فى نفس العصر، بالأندلس، لكانت اهتماماته غير تلك، ولما كان ليهتم بالقرامطة، ولا ليدخل فى مجادلات حول أبى الطيب المتنبى لأن مشاكل الغرب الإسلامى فى القرن الرابع والخامس غيرها فى المشرق.

ومما يؤكد هذا الاستنتاج أن الأمكنة المذكورة فى رسالة الغفران كلها من المشرق (بالإضافة إلى المذاهب والأعلام).. هكذا تأتى (حلب) فى طليعة بقية الأمكنة حيث ذُكِرَتْ ١٨ مرة، وتليها مكة (١٥ مرة) ثم بغداد (١٢ مرة) فالبصرة (٨ مرات) فالحيرة (٥ مرات) ثم دمشق (٤ مرات) والكوفة (مرتان).

فمجالس المعرى الأخروية كانت تعكس ماجريات المجتمع المعاصر، الأقرب فالأقرب. جاءت حلب فى الطليعة لأن قضايا معرة النعمان كانت خاضعة لقضايا حلب. امتازت العواصم الأخرى بكونها مراكز سياسية وثقافية مشعة إذْ ذاك.

نستنتج مما تقدم أن أبا العلاء كان رائدًا للالتزام، من أجل الإصلاح المجتمعى.

---

(١) الرسالة، ص ٤١٨ - ٤٢٠.

الفصل الثانى

المنهج فى رسالة الغفران

أبو العلاء المبدع

حاولنا فيما سبق رسم المعالم الكبرى لمضامين الغفران، وهدفنا الآن أن نستخلص هيكل المنهجية التى اعتمدها أبو العلاء فى إيصال تلك المضامين، هيكلاً وأسلوبًا.

أول ما يلفت نظر الدارس هو قدرة أبى العلاء على أن يتقمص سيكولوجيًّا ولغويًّا فى آن واحد هوية عدة شخصيات مختلفة، فهو، مرة، أبو العلاء، وأخرى، ابن القارح، وتارة «عدى بن زيد العبادى»[1] وأحيانًا إوزة من إوز الجنة[2]، أو حوراء من حورها[3]، أو «رضوان خازن الجنان»[4]، وأحيانًا يبدو فى شخصية امرأة، مثل «فاطمة الزهراء»[5]، و«توفيق السوداء»[6]، أو «آدم»[7]، وأحيانًا أخرى يلبس لباس شخص من الشخوص غير الآدمية مثل «الجن المؤمن»[8] وإبليس[9]، وبعض الحيات «كذات الصفا»[10]، والحيوانات «كأسد القاصرة»[11].

وقد انتقى فى كل مرة من الألفاظ ما يناسب، فكانت التراكيب تتغير حسب الأشخاص الذين يتكلمون كما تتغير الضمائر وأزمنة الأفعال.

---

(١) رسالة الغفران ص ١٨٦.
(٢) رسالة الغفران ص ٢١٢.
(٣) رسالة الغفران ص ٢٨٨.
(٤) رسالة الغفران ص ٢٥٠.
(٥) رسالة الغفران ص ٢٥٨.
(٦) رسالة الغفران ص ٢٨٧.
(٧) رسالة الغفران ص ٣٦٠.
(٨) رسالة الغفران ص ٢٩٠.
(٩) رسالة الغفران ص ٣٠٩.
(١٠) رسالة الغفران ص ٣٦٤.
(١١) رسالة الغفران ص ٣٠٤.

يتولى أبو العلاء نفسُه التعبير عما يشعر به من شوق لابن القارح، والثناء على رسالته. وما إن تبدأ الرحلة إلى الآخرة، حتى يدع مجال الحديث للبطل، ابن القارح، ومحاوريه، ويتقمص هو شخصية «المدير» منسقًا المشاهد الأخروية، فلا نراه يتدخل فى الحديث إلا نادرًا، لشرح لفظة أو لإبداء رأى. ولا يفوتنا فى ملاحظة ثانية أن نشير إلى أن جميع أشخاص الرسالة الذين ذكرهم أبو العلاء مشارقة، فلا يُظهر مغربيًا على خشبة المسرح الذى اختاره، لا من الأدباء أو الشعراء، ولا من اللغويين، وهذا يؤكد ما قلناه سابقًا من أن الرسالة تعكس الوسط الذى عاش فيه أبو العلاء، مكانيًا وزمانيًا.

وفيما يلى، نقدم رسمًا تفصيليًا لمشاهد «الغفران»، حيث يظهر فى كل مشهد أبطال وممثلون حسب الأدوار التى يقومون بها.

رسم تفصيلي لمشاهد رسالة الغفران*

بطل الرحلة : ابن القارح

تبدأ من ص ١٦٨	تبدأ من ص ١٧٥	من ص ٢٠٩	من ص ٣٠٤	من ص ٣٠٧	من ص ٣٠٩	من ص ٣٦٠	من ص ٣٧٤	من ص ٣٧٧
فى الجنة مع :	خلال النزهة فى الجنة يجاور :	فى جنة العفاريت يجاور :	عندما يرحل عن جنة العفاريت يجـاور :	فى أقصى الجنة يجـاور :	فى المطلع إلى النار يجـاور :	فى الطريق لمحله بالجنان يجـاور :	جنة الرجز يجـاور :	يحمل إلى مقره بدار الخلود
١ - أخو ثمالة. ٢ - أخو أوس. ٣ - يونس بن حبيب. ٤ - المجاشيعى. ٥ - سيبويه. ٦ - الكسائى. ٧ - أبو عبيدة. ٨ - الأصمعى.	٩ - الأعشى. ١٠ - زهـير. ١١ - عبيد. ١٢ - عـدى. ١٣ - الهـذلى. ١٤ - الجـعـدى. ١٥ - الـذبـيـانى. ١٦ - المـازنى. ١٧ - الـشـيـبـانى ١٨ - أبـو عبيـدة. ١٩ - الأصمعى. ٢٠ - أوز الجـنـة. ٢١ - لـبـيـد. ٢٢ - حسان بن ثابت. ٢٣ - الشماخ بن ضرار. ٢٤ - ابن أحمـر. ٢٥ - تميم بن أبى. ٢٦ - رضـوان (حـارس الجنـان). ٢٧ - زفر. ٢٨ - حمزة بن عبد المطلب. ٢٩ - على بن أبى طـالب. ٣٠ - قـاضى حلب. ٣١ - فاطمة. ٣٢ - محمد ﷺ. ٣٣ - خيل الجنة. ٣٤ - جارية فـاطمة. ٣٥ - راعى الإبل. ٣٦ - حميد بن ثـور. ٣٧ - الجـرادتـان. ٣٨ - جـران العـود. ٣٩ - أم عمرو بن عدى. ٤٠ - الخليل. ٤١ - ابن درستـويـه. ٤٢ - النضر بن شميـل. ٤٣ - حمـدونـه. ٤٤ - تـوفيق السوداء. ٤٥ - ملك. ٤٦ - جارية شجر حور الجنة.	٤٧ - الجن ٤٨ - الخيتعور	٤٩ - أسـد القاصرة ٥٠ - الذئب الذى كلم السلمى.	٥١ - الحطيئة ٥٢ - الخنساء.	٥٣ - إبليس ٥٤ - بشار ٥٥ - عنترة ٥٦ - علقمة ٥٧ - عمـرو ابن كلثوم ٥٨ - الحارث اليشكرى ٥٩ - طرفة بن العبد ٦٠ - أوس بن حجر ٦١ - أبو كبير الهذلى ٦٢ - صخر الغى ٦٣ - الأخطل التغلبى ٦٤ - المهلهل ٦٥ - المرقش الأكبر ٦٦ - المرقش الأصغر ٦٧ - الشنفرى الأزدى ٦٨ - تأبط شرا.	٦٩ - آدم ٧٠ - ذات الصفا ٧١ - حية قارئة. ٧٢ - جارية شجرحور الجنـة.	٧٣ - رؤبة ابن العجاج.	

* ملاحظة : أرقام الصفحات تشير إلى بدء المشهد كما ورد فى رسالة الغفران.

خطوات الحوار :

(أ) فى الجنة : لا يكاد يخلو حوار أبى العلاء، (فى شخص ابن القارح) مع من أسكنهم الجنة، وخصوصاً الشعراء منهم، من وقفة أو من وقفات لغوية أو نحوية أو صرفية أو نقدية أو سوسيولوجية، أى من تلميحات تتعلق بتاريخ الأدب أو تاريخ الإسلام، أو إبداء رأى فى علم العروض أو الموسيقى أو الدين أو السياسة. بل أحيانًا تتعدد تلك الاستطرادات وتتنوع، فنجد أبا العلاء ينتقل بنا فى الحوار الواحد، من موضوع لآخر خاضعًا لمنهج متقارب يكاد يكون هو هو، فى جل المشاهد، ويقطع نفس الخطوات :

(أ) الاتصال بالشاعر.

(ب) وصف الشاعر من حيث هيئته (ويبدو فى هذا الوصف إلحاح أبى العلاء على التعويض عما حرم منه فى الدنيا، كالبصر والملذات المختلفة).

(جـ) وصف منزله أو قصره فى الجنة مع ما يحيط به من رياض.

(د) السؤال عمّا غفر به للشاعر.

(هـ) الحديث عن شعر مخاطبه، فالاستطراد إلى ذكر بعض الانتقادات التى تتعلق، أحيانًا، بقضايا لغوية أو نحوية، وأحيانًا أخرى بوزن القصيدة، وبحرها ومعانيها أو بتصحيح رواية أو نسبة شعر إلى صاحبه. سار على هذه الخطة بالتوالى مع كل من الأعشى[١] وزهير[٢] وعبيد[٣] وعدى[٤] والنابغة الذبيانى[٥] ولبيد[٦].

وها نموذج من هذا المشهد :

«وينظُرُ الشَّيخُ (ابن القارح) فى رِياضِ الجَنَّةِ فيرَى قَصْرَيْنِ مُنِيفَين، فيقولُ فى نفسِه : لأبْلُغَنَّ هذين القَصْرَينِ، فأسْأل لِمَنْ هما. فإذَا قَرُب إليهما رأى على أحدهما

---

(١) الرسالة ص ١٧٧.
(٢) الرسالة ص ١٨٤.
(٣) الرسالة ص ١٨٥.
(٤) الرسالة ص ١٨٦.
(٥) الرسالة ص ٢٠٢.
(٦) الرسالة ص ٢١٥.

مَكتُوباً : «هذا القَصرُ لِزُهيرِ بنِ أبى سُلمَى المُزنى»[١] وعلى الآخر :

«هذا القَصرُ لِعَبيدِ بنِ الأبْرَصِ الأسدِى»[٢] فَيعْجَبُ من ذلك ويقول :

«هذانِ ماتا فى الجاهليَّةِ، ولكنَّ رَحْمَةَ رَبنا وَسِعَتْ كل شيء، وسَوفَ ألْتَمِسُ لِقاء هذين الرجُلين فأسألُهما : بمَ غُفِرَ لهما. فيبتدئ بزُهَير، فَيجدُه شابًّا كالزَّهرَةِ الجَنِيَّة قد وُهِبَ له قصر من وَنِيَّةٍ[٣]، كأنَّهُ ما لَبِسَ جِلبابَ هَرمٍ ، ولا تأفَّفَ من البَرَم [. . .].

فيقول : جَيرَ جَيْر! أأنت «أبو كعب وبُجَير»؟

فيقول : نعم.

فيقولُ – أدام الله عِزَّه – : بم غُفِرَ لك وقد كنْتَ فى زَمانِ الفترَةِ والناسُ هَمَل لا يَحْسُنُ منهم العَمَلُ؟

فيقول : كانت نفْسى من الباطِلِ نَفُورًا، فَصادفتُ مَلكًا غَفُورًا، وكنتُ مؤمنا بالله العظيم [. . .].

فيقول ألستَ القائلَ :

وقد أغْدُو على ثُبَةٍ[٤] كِرامٍ نشاوَى وَاجِدِين لما نشاءُ
يجُرُّون البُرود وقد تَمَشَّتْ حُمَيَّا الكَأسِ فيهم والغِناءُ

أفأطْلِقَتْ لك الخمرُ كغيرِكَ من أصحابِ الخلود؟ أم حُرِّمتْ عليك مثلَ ما حرِّمت على «أعْشَى قَيْس»؟ فيقول «زُهير» : [. . .] وهَلكْتُ أنا والخمرُ كغيرها من الأشياء، يشربُها أتباعُ الأنبياءِ، فلا حُجةَ عليَّ»[٥].

يغير أبو العلاء الخطة، شيئاً ما، مع النابغة الجعدى[٦] وحسان حيث نفتقد الخطوة الرابعة (د) فلا يسألهما عما غفر لهما به، لأنهما شاعرين مخضرمين. فلم يكن

---

(١) زهير بن أبى سلمى المزنى من فحول الشعراء الجاهليين.

(٢) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلى.

(٣) الونية : اللؤلؤة.

(٤) الثبة : الجماعة.

(٥) رسالة الغفران ص ١٨١–١٨٤.

(٦) رسالة الغفران ص ٢٠٨.

هناك داع للسؤال، لكنه يقف معهما وقفة طويلة لانتقاد أشعارهما:

«ويمر حسانُ بنُ ثابتٍ. فيقولون:

أهلاً أبا عبدِ الرحمن ألا تحدَّثُ معنا ساعةً؟ فإذا جلس إليهم قالوا:

أينَ هذه المشروبةُ من سَبيئتِك التى ذكرتَها فى قولِك؟

كـأنَّ سبيئـةً من بيـتِ رَاسٍ يكـونُ مـزاجَهـا عَسَـلٌ ومـاءُ
عـلى أنيـابهـا، أو طعمَ غَضٍّ مـن التفَّـاحِ هصَّـرَهُ اجتِنَـاءُ

[...] يخطِرُ فى ضميره (ابن القارح) أشياءُ، يريدُ أن يذكُرها «لحَسَّان» وغيره، ثم يخافُ أن يكونوا لما طَلَب غيرَ مُحْسِنين فيضربُ عنها، إكرامًا للجليس: مثلُ قول «حسان».

«يكون مِزاجَها عسلاً وماء»

يَعرض لَه أن يقولَ: كيفَ قُلتَ يا أبا عبد الرَّحمن: أيكونُ مِزَاجَها عَسَلٌ وماءُ، أم مِزاجُها عَسَلاً وماءَ، على الابتداء والخبر؟»[١]

كما نفتقد نفس هذه الخطوة فى حوار ابن القارح مع عوران قيس[٢]. لكنه، يستعاض عنها بالإشارة إلى انشغال هؤلاء عن الأدب والشعر، فالشماخ[٣] اندهش لِنعيم الجنة وخيراتها. أما عمرو بن أحمر، وتميم بن أُبى فلم تبق أهوال القيامة على شىء من أدبهما[٤]. ولعل أبا العلاء أراد أن يجعل حديثهما عن أهوال القيامة تمهيدًا لنقل مشهد دخول ابن القارح الجنة وتفصيل الحكاية عن المراحل التى قطعها قبل أن يتمكن من ذلك.

(ب) فى النار: ما إن نصل إلى الحوار مع أهل النار حتى نجد أبا العلاء (فى شخص ابن القارح) يختصر الطريق فلا يبقى وفيًّا لجل تلك الخطوات، بل يثب وثبة واحدة، وكأنه أحس برتابة مملة، أو شعر أن الإطالة أمام أهل النار شىء

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٤-٢٣٦.
(٢) رسالة الغفران ص ٢٣٧.
(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٨.
(٤) رسالة الغفران ص ٢٤٠.

لا يقبله الطبع، لِما هُمْ فيه من عذاب أليم، وقد لا يكون هذا أو ذاك وإنما لأن مشهد النار لا يقتضى الإطالة لشدة الحرارة.

والأهمّ من ذلك هو اهتمام ابى العلاء بالانتقادات اللغوية إذا استعجل دون تمهيد، كما فعل مع أهل الجنة، الدخول إلى معالجة قضايا تتعلق بأشعارهم ما بين لغوية ونحوية وعروضية، . . .ويتجلى هذا بوضوح فى سؤاله عن امرئ القيس. فما أن يُجاب :

«ها هو ذَا بِحيثُ يسمَعك»

حتى يبدأ فى نقاشه حول معلقته :

«يا أبا هند، إنَّ رواة البغداديينَ ينشِدون، فى (قِفَانَبكِ)، هذه الأبياتَ بِزيادَةِ الواوِ فى أوَّلِها، أعنى قولَك :

«وكأنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً»

وكذلك :

«وكأنَّ مكاكىَّ الجـــواء»
«وكأنَّ السباعَ فيهِ غَرْقَى»

فيقول : أبْعَدَ الله أولئك. لقد أساؤوا الروايةَ، وإذا فَعَلوا ذلك، فأىُّ فَرْقٍ يَقَعُ بينِ النَّظْمِ والنَّثْر؟ وإنما ذلك شيءٌ فَعَلَهُ مَنْ لاَ غَرِيزَة له فى مَعْرِفَةِ وَزْنِ القَرِيض، فظنُّه المُتَأخرون أصْلاً فى المنظوم، وهيهَاتَ هَيْهات»[1].

وقد صار أبو العلاء على نفس المنهج مع كل من «عنترة»[2] و«علقمة ابن عبدة»[3] و«عمرو بن كلثوم»[4] و«الحارث اليشكرى»[5] و«طرفة ابن العبد»[6] و«أوس بن حجر»[7].

(١) رسالة الغفران ص ٣١٣-٣١٤.
(٢) رسالة الغفران ص ٣٢٢.
(٣) رسالة الغفران ص ٣٢٧.
(٤) رسالة الغفران ص ٣٢٩.
(٥) رسالة الغفران ص ٣٣٢.
(٦) رسالة الغفران ص ٣٣٤.
(٧) رسالة الغفران ص ٣٣٩.

الاستطرادات العلائية :

(أ) **من الوصف إلى اللغة** : اكتسحت الغفران ظاهرة الاستطرادات، وتكاد تكون جميعها وقفات انتقادية تتعلق بقضايا اللغة والعروض والنحو، وغيرها. انساق إليها أبو العلاء أثناء حوار بعض الشعراء، فهو ينجر مثلاً فى وصف مشهد من المشاهد إلى تحليل قضية لغوية، كما فعل عند وصف الفقاع، لقد خطرت لابن القارح صورة الأولاد يبيعون الفقاع فى السلال، فقاده لفظ «السلال» إلى الحديث عن أصل الكلمة وذكر مقابلها، فى اللغة العربية، مشاركًا فى هذا النقاش اللغوى كبار أئمة اللغة، يقول :

«ويخطر له (ابن القارح) ذِكْر الفقَّاع الذى كان يُعْمَلُ فى الدارِ الخادِعةِ فيُجرى الله بقُدرتِه أنهَارًا من فُقَّاع [. . .] فيقولُ فى نفسِهِ [. . .] الذى أريدُ نحو ما كنت أراهُ مع الطَّوَّافِينَ فى الدارِ الذاهبة فلا تكمُلُ هذه المقالةُ، حتى يجمعَ الله كل فُقَّاعيٍّ فى الجنة، من أهلِ العِراقِ والشام وغيرهما من البلادِ، بين أيديهم الولدانُ المُخلَّدُون يَحْمِلُون السِّلالَ إلى أهلِ ذلك المَجلِس فيقول [. . .] لِمَنْ حَضَرَه من أهل العِلم :

مَا تُسَمَّى هذه السلالُ بالعربيَّة؟

فَيرِمُّونَ، أى يَسْكتُون، ويقولُ بعضُهم :

هذه تُسَمَّى البَواسِنَ، واحِدَتُها باسِنَة.

فيقول قائلٌ من الحاضرين :

مَنْ ذكَر هذا من أهلِ اللغة؟

فيقول (ابن القارح) قد ذكرها «ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ»[1] وهو يومئذٍ فى الحَضرةِ.

فيقولُ له «الخليلُ» من أين جِئتَ بهذا الحَرْفِ؟

(١) أحد أئمة النحو والأدب - توفى ببغداد عام ٣٤٧هـ.

فيقول ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ :

وجَدتُه فى كُتُبِ النَّضْرِ بنِ شُمَيل.

فيقولُ «الخليلُ» :

أتَحُقُّ هذا يا نَضْرُ؟ فأنت عندنا الثِقةُ. فيقولُ «النَّضرُ» : قد التَبس علىَّ الأمرُ، ولم يَحْكِ الرجلُ إن شاءَ الله إلا حَقًّا»[1].

مثل هذه الاستطرادات عند وصف أشياء ذكرت عرضًا، ما جاء فى حديث ابى العلاء عما أعد لابن القارح فى الجنة من جزاء لتمجيده الله فى مستهل رسالته : أنهار من عسل مصفى، ياخذ فى وصفها، ويستطرد فى هذا الوصف إلى ذكر بيتى شعر للنمر بن تولب[2] ورد فيهما ذكر عسل مصفى ثم ينتقل إلى قص حكاية خلف ابن أحمر مع أصحابه عن هذين البيتين، فينساق فى التفريع عن هذه الحكاية بشكل غريب.

هذا التفريع يثبت ما لأبى العلاء من قدرة على الفقه بالغريب، وما يتمتع به من صبر ومناعة فى البحث والاستقراء. وقد نجد لهذا الحكم سندًا فيما يراه الأستاذ الصفدى حين يقول :

«ومن وقف على كلام أبى العلاء فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين اللذين للنمر ابن تولب [. . .] وكيف غير القوافى منهما، ونزلها على سائر حروف المعجم، خلا حرف الظاء، علم تمكن أبى العلاء من الأدب واطلاعه على اللغة»[3].

وخلافًا لما ادعاه الصفدى فإن أبا العلاء لم يستثن حرف الظاء، إنه يثبته ويضيف ملاحظته بصدده، فينص على أنه قليل الورود فى العربية عمومًا، ثم يعطى مثالاً له :

«فإنْ قَال : مِن أم حظ، فإن الأطعمة تقل فيها الظاءُ لقلتها فى غيرها، لأن

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٠.

(٢) رسالة الغفران من ص ١٥٤ إلى ص ١٦٤.

(٣) تعريف القدماء بأبى العلاء ص ٤٠٥.

الظاء قليلةٌ جدًّا ويجوز أن يقول : حوارى بِكَظٍّ، أى يكظُّها الشِّبَعُ، أو نحو ذلك من الأشياء التى تدخلُ على الاحتيال»[١].

إن أبا العلاء يجمع من ألفاظ الطعام المناسبة لمحتوى البيتين ما يفوق عدد حروف الهجاء العربية لأنه قد يعطى للحرف الواحد أكثر من مثال. ويتدرج فى اختيار تلك الألفاظ حسب حروف المعجم، مبتدئاً «بالهمزة»، ومنتهيًا «بالياء»، يصطحب كل لفظة بشرح مع شاهد أو شواهد. داخل هذه الاستطرادات اللغوية، ترد لفظة «أرز» فيذكر لها لغات ستًّا ثم يقيمها من حيث الجودة والرداءة، يقول :

«فإن قال : أمَّ كُرْزٍ، فإنَّ أشبهَ ما يقُول : وحوارى بأرْزٍ وفيه لغاتٌ ستٌّ : أَرزٌّ على وزن أشُد، وأُرُزٌّ على وزن صُملّ، وأُرُز على وزن شُغل، وأُرْز فى وزن قُفْل، ورزٌّ مثل جُدٍّ، ورُنْز - بنونٍ - وهى رديئة»[٢].

بعد هذا الاستطراد الطويل يستأنف أبو العلاء وصف عسل الجنة فيذكر طائفة من أسماء النباتات المرة، ويشرح ما يبدو من بينها غريبًا، قبل أن ينتقل لسرد شعر للحارث بن كلدة جاءت فيه لفظة «عسل» وآخر للهذلى[٣] فيه لفظ «السلوى» مرادفاً لعسل : يقول :

«وكذلك السَّلوى التى ذكرها الهُذَلىُّ [. . .] عَنِيتُ قَوْلَ القائِلِ :

فَقَاسمهـا بـالله جَهْـدًا لا نْتُمُ ألذُّ من السلوى إذا ما نشُورُهَا»[٤]

نشورها نَجْتنيها.

تلك نماذج للاستطرادات العلائية التى يغلب عليها الطابع اللغوى.

(ب) **نتف شعرية** : فى الغفران نوع آخر من الاستطرادات، وهو عبارة عن سرد نتف شعرية، لشعراء متعددين تجمعها والموضوع الذى يصفه أبو العلاء

---

(١) رسالة الغفران ص ١٦٢.

(٢) رسالة الغفران ص ١٦٠.

(٣) أبو ذؤيب الهذلى شاعر مخضرم.

(٤) رسالة الغفران ص ١٦٦-١٦٧.

صلة ما. وهذا ما نجده مثلاً، فى تقصيه لأشعار ورد فيها ذكر لفظة «الرباب» على لسان الأعشى، فى مشهد شجار دار بينه وبين النابغة الجعدى[١].

وهذا ما ورد فى وصفه لأباريق ذكرت استطرادًا فى حديث عن شجر أعِدَّ لابن القارح فى الجنة، تجرى فى أصوله أنهار يُغْتَرف منها بكؤوس من عسجد وأباريق خلقت من الزبرجد. يصف أبو العلاء تلك الأباريق، فيذكر أبا الهندى وشعرًا له يستوقفه ما به من خروج عن قواعد النحو والعروض:

سيُغنى أبا الهِندىّ عن وَطْبِ سالمٍ أباريقُ لم يعلق بها وَضر الزُّبدِ
مُفَدَّمةٌ قزًّا، كأنَّ رقابَها رقابُ بناتِ الماء أفزعها الرعْدُ

ثم يعلق أبو العلاء على هذين البيتين قائلاً:

«هكذا ينشد على الأقواء، وبعضهم ينشد:

«رقاب بنات الماء ريعت من الرعد»

والروايةُ الأولى إنشادُ النَّحْويين. وأبو الهندى إسلامىٌّ، واسمُه عبد المؤمن ابن عبد القدوس، وهذان اسمان شرعيان، وما اسْتُشهد بهذا البيتِ إلَّا وقائلهُ عند المستشهد فصيحٌ. فإنْ كان «أبو الهندى» ممن كتبَ وعرفَ حُروفَ المعجم، فقد أساءَ فى الإقواءِ، وإنْ كانَ بَنِيَ الأبيات على السكون، فقد صحَّ قول «سعيد ابن مَسعَدة»[٢]، فى أن الطويل من الشعر له أربعةُ أضرُب»[٣].

بعد هذه الوقفة، يعود أبو العلاء ليتابع وصف الأباريق، فيتسطرد إلى ذكر شعر أبى زبيد الطارئى، فيثبت للفظة «إبريق» ثلاثة شروح، لكل واحد منها يسوق استشهادًا شعريًا يؤيده، فيذكر ابن أحمر، فعلقمة، مقارنًا إبريقه الذى ذكره فى بيت شعر له، بأباريق الجنة. إثر ذلك ينتقل إلى الموازنة بين هذه الأباريق وبين الخمر والريق. ويستمر فى الوصف مستطردًا إلى سرد شعر لعدى بن زيد، وهو

(١) رسالة الغفران ص ٢٢٤.

(٢) هو أبو الحسن، الأخفش الأوسط، من أكابر أئمة النحويين البصريين، مات فى القرن الثالث الهجرى.

(٣) الغفران ص ١٤٣.

خامس الشعراء الذين ذكرهم. وبهذا الصدد يقص حادثة جرت له، فى بغداد، تتعلق بقصيدة «عدى»، وينتقل إلى ذكر شاعر سادس، هو «الأقيشر الأسدى»، ثم إلى شاعر سابع، هو «إياس بن الأرث» وأخيرًا يتوجه للعجاج لينقد خَلْطَهُ فى رجَزِه العُلبطَ بالسجاج[1]، قبل أن يذكر رجزًا له وردت فيه لفظة «إبريق».

الشكل التالى يعطينا رسمًا توضيحيًا لتسلسل الاستطراد فى ذكر نتف شعرية وانتقادات لغوية، خلال وصف أبى العلاء لأباريق الجنة.

(١) رسالة الغفران ص ١٤٨ العُلَبِط اللّبن الخاثر جدًا، والسُّجاج اللّبن المرَقَّق بالماءِ ومعنى العبارة أن العجاج – فى رأى أبى العلاءِ – كان فى رَجَزه يخلط الغَثّ بالسمين.

وصف أباريق الجنة

↓

استقصاء أشعار ورد فيها لفظ إبريق لـ :

↓

١ - الهذلى

↓ ←(لغة + عروض)

٢ - أبى زبيد

↓ ←(شروح للفظة إبريق)

٣ - ابن أحمر

↓

٤ - علقمة

↓ ←(موازنة بين خمر وريق)

٥ - عدى

↓ ← (أخبار عن نسخ ديوانه فى دار العلم)

٦ - الأقيشر الأسدى

↓

٧ - إياس بن الأرث

↓

٨ - العجاج

←(لغة)

استغرق هذا الوصف
سبع صفحات
من ص ١٤٢-١٤٨

(جـ) **أشخاص وأسماء** : من الاستطرادات ما ينجر إليه أبو العلاء لتوارد الخواطر فيسترسل فى ذكر كل ما له مساس، قريب أو بعيد، بموضوع أو بلفظة يشرحها، وقد جاء هذا مثلاً فى الحديث عن حبه لابن القارح، إذ عبر عن ذلك بثلاث صور كلها شروح لغوية، ولكنه استطرد بشكل خاص، غريب فى الصورة الثالثة(1) : لقد سمى قلبه «أسود» وذكر بهذا الصدد ما يزيد على أحد عشر شخصًا ممن يسمون بهذا الاسم، بالإضافة إلى استقصاء طائفة ممن لهم أدنى اشتراك لفظى أو معنوى بكلمة «أسود» قبل أن يستطرد من جديد (داخل الاستطراد) إلى ذكر مقابل «الأسود» أى الأبيض وشَرْحه، كما سنرى ذلك فى موضع آخر.

مثال آخر لهذا النوع من الاستطرادات، هو حديث أبى العلاء عن دنانير ابن القارح التى سرقتها منه بنت أخته. إذ يذكر أبو العلاء أكثر من ٢٨ شخصًا، ما بين شاعر وغيره ممن ذكر الدنانير أو وصفها فتعرض «لدينار النخة» و«دينار الأخطل» و«الدنانير الهرقلية» التى ذكرها «كثير عزة»، يقول :

«لو رَآها [دنانير ابن القارح] كُثير عزة لألَى أوكد أليَّه، أَنَّها أحسنُ من الهِرقلِيةِ، التى شَبَّهَ بِمُنْفَرِدها نفسَه فقال :

«يـروق عيونَ النـاظـرين كـأَنَّـهُ هِرَقْلِيٌّ وزنٍ، أحمر التِّبر، رَاجحُ»(2)

عجيب أمر أبى العلاء لا يكتفى بهذا النوع من الاستطراد، بل يفتح أقواسًا داخلها. فبصدد ذكر عدد دنانير ابن القارح الثمانون، انقادت مخيلته إلى الحديث عن هذا العدد وعن أعداد أخرى، متناسيًا «دينار» و«دنانير» ويسوق حوالى عشرين استشهادًا مما له أدنى علاقة بلفظ «ثمانين». يقول :

«وإن كانت زائدةً على الثمانينَ، فقد أَوْفَتْ على عدّةِ «أصحاب موسى» [. . .] ولو كان الإنسان فى قَلِيبٍ عمقه ثمانونَ قامةً لجازَ أن تَسْتَنِقذَهُ هذهِ المصفرةُ من غير مرضٍ . .(3)»

---

(1) رسالة الغفران ص ١٣٢.

(2) رسالة الغفران ص ٥٧٠.

(3) رسالة الغفران ص ٥٧١، الحديث عن الدنانير استغرق من ص ٥٥٩ إلى ص ٥٧٨.

الشروح اللغوية :

لا نغفل الإشارة إلى ظاهرة هامة، هى الشروح اللغوية وإن جاز لنا نعتناها بـ «القاموسية»، فكلما شعر أبو العلاء بصعوبة كلمة جاءت في تعابيره، شرحها. كقوله :

«ولكنى أُنفذُ معك تَوْرًا، أى رَسُولاً»(١)

«فَلِيحَ بِي، عند ذلك، أى صُرِعتُ إلى الأرض»(٢)

«فأَخَذنى الهَلَعُ والقِلُّ، أى الرِّعدةُ»(٣)

«والغِضْرِم تراب يُشَبِهُ الجصَّ»(٤)

إن أمثال هذه الشروح كثيرة الورود فى الرسالة وسنخصص فصلا لدراستها، نبين فيه المنهجية التى اتبعها أبو العلاء فى معالجتها.

الجمل الدعائية :

هناك ظاهرة أخرى تثير الانتباه هى انتشار الجمل الدعائية، فمثلاً لا يكاد أبو العلاء يذكر ابن القارح باسمه، أو بضمير يعود عليه، إلا ويدعو له، مثل :

«فيقول [ابنَ القارح] لا زال مِقْوالاً للخَير(٥)»

«فيقول : أيَّدَ الله الفضلَ بزيادةِ مُدَّتِهِ»(٦)

- «... مولاى الشيخ الجليل، كَبتَ الله عدُوَّه وأدَام رَواحَهُ إلى الفَضْلِ وغُدوَّه»(٧).

وتتنوع الجمل الدعائية تنوعًا مذهلا، إذ قلما تتكرر نفس الجملة، كما أنها قد

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٥٤.
(٢) رسالة الغفران ص ٢٥٦.
(٣) رسالة الغفران ص ٢٥٦.
(٤) رسالة الغفران ص ٢٥٠.
(٥) رسالة الغفران ص ٢٤٠.
(٦) رسالة الغفران ص ٢٠٦.
(٧) رسالة الغفران ص ١٢٩.

تأتى عنوانًا للموضوع الذى سيطرقه، فتناسب كلماتها، لفظًا ومعنى، الحديث الذى يفتتحه، كما فى المثال التالى :

«ويعرض له [لابن القارح] - أدام الله الجَمال ببقائِه - الشَّوقُ إلى نظر سحابٍ كالسحابِ الذى وصفه قائِلُ هذه القصيدة [. . .] فَيُنْشِئُ الله تعالتْ آلاؤُه، سحابةً كأَحْسنِ ما يكون من السُّحبِ، من نَظَرَ إليها، شَهِد أنَّه لم ير قطُّ شيئًا أَحْسَنَ منها، محلاة بالبرقِ فى وسِطها وأطرافِها، تمطرُ بماءِ ورد الجَنَّة من طلٍّ وطَشٍّ، وتنْشُرُ حصى الكافورِ كأَنَّه صغارُ البردِ»[1].

يبدو جليًّا، أن تعرض أبى العلاء لوصف السحاب كان متميزًا بإبراز مظاهر الجمال والحسن فيه، فكان للفظ «الجمال» الذى استعمله فى الجملة الدعائية دلالة موحية لما سيصفه أبو العلاء فى مشهد السحاب.

الألفاظ الغريبة :

فى رسالة الغفران ألفاظ غريبة لم يشرحها أبو العلاء، ولعله لم يفعل لأن ما يبدو لنا غريبًا كان فى عصر المؤلف غير غريب ولو لم يكن كذلك، لشرحه كما شرح كثيرًا من الألفاظ.

إن القارئ اليوم لن يفهم فقرات عديدة من الرسالة إذا لم يستفسر المعاجم العربية عن معنى الكثير من الكلمات كما فى قوله :

- «ولصار الصمَر كأنَّه رائحةُ خُزامى سهلٍ»[2].

الصمر : النتن

- «تُدِير بعضَها [أرحاء] جِمَال تَسوم فى عضاهِ الفِردَوْس»[3].

سامت الماشية = خرجت إلى المرعى.

العضاه، كل شجر يعظم وله شوك. واحدته عضة وعضاهة.

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٧٦.

(٢) رسالة الغفران ص ١٦٨.

(٣) رسالة الغفران ص ٢٧٠.

- «كأبجاج العكارم»[1].

أبجاج جمع بج : فرخ الطائر.

العكارم مفرده عكرمة : أنثى الحمام.

«كنت أقيم عشر ليال، أو أكثر، لا أقدر على العكرشة ولا القواع»[2].

العكرشة : أنثى الأرنب.

القواع : ذكر الأرانب.

- ويمر بأبيات ليس لها سُمُوق أبياتِ الجنة»[3].

السموق : العلو والارتفاع.

- «ويكونُ فيهم الَأعرج أو الأبْخَقُ»[4].

الأبخق = الأعور أقبح العور.

- «فجعلوا يَتَفَكَّنُون»[5].

تفكن = تعجب وتفكر

- «وهى ذاتُ أدْحَالٍ وغَمالِيل»[6].

الأدحال = جمع دحل، وهو النقب الضيق الأعلى، الواسع من أسفل، يخزن فيه ماء المطر، وينزل الناس عنده إذا قل الماء.

الغماليل = جمع غملول كعصفور، وهو الوادى ذو الشجر، وكل مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة.

- «وإنما كانت تخطرُ بِهِم أُطَيْفَالٌ منا عَارِمون، فَتَنْفِثُ إليهم مقدارَ الضَّوازَة من أراكِ نَعْمان»[7].

عارمون : جمع عارم، وهو الشرس من عرم يعرم عرامًا وعرامة أشتد.

الضوازة، شظية من السواك.

---

(١) رسالة الغفران ص ٢٧١.

(٢) رسالة الغفران ص ٣٠٦.

(٣) رسالة الغفران ص ٣٧٣.

(٤) رسالة الغفران ص ٣٣٠.

(٥) رسالة الغفران ص ٢٩٤.

(٦) رسالة الغفران ص ٢٩٠.

(٧) رسالة الغفران ص ٢٩١ نعمان : بالفتح والسكون، واد بين مكة والطائف ينبت به الأراك.

أمثال هاته الألفاظ الغريبة كثير الورود فى الرسالة بفصليها، وإنها، لتستحق وحدها دراسة وافية يعتمدها المعجميون.

الترادف :

لا يألو أبو العلاء جهدًا فى إيراد العديد من المترادفات للمسمى الواحد وقد يكون من الأسباب التى دفعته إلى ذلك ما يلى :

(أ) السَّجع : إن ولع أبى العلاء بالسجع جره إلى استغلال المترادفات لإشباع نهمه وذلك كما فى قوله :

«فكيف يُعتبُ على الفَاهين، وينتقَم من القوم السَّاهين»[1]

فلفظ «الفاهين» يرادف لفظ «الساهين».

(ب) تلافيه لتكرار نفس اللفظ فى الفقرة الواحدة، كما فى قوله :

«وينصرفُ مولاى الشيخُ الجليلُ وصاحبهُ «عَدِىّ»، فإذا هما برجُلٍ يحتلبُ ناقةً فى إناءٍ من ذَهَب، فيقولان :

من الرجل؟ فيقولُ :

أبو ذُؤَيبٍ الهذلىُّ.

فيقولان : حُيِّيتَ وسعِدْتَ، لاشَقِيتَ فى عَيْشِكَ ولا بَعدت، أَتَحْتَلِبُ مع أَنهارِ لَبَن؟ كأَنَّ ذلك من الغَبَن[2].

فيقول : لا بأس ! إنَّمَا خَطَر لى ذلك مثلما خَطَر لكُما القَنِيصُ، وإنى ذكرتُ قولى فى الدهر الأول :

وإنَّ حَديثًا منكِ لو تَعْلَمِينَهُ جنَى النحْلِ فى أَلْبَان عُوذٍ مطَافِلِ

[. . .]

---

(١) الرسالة ص ٣٩٧ فها يفهو فهواً : سها.

(٢) الغبن : بسكون الباء وفتحها : الحمق وضعف الرأى.

فَقَيَّضَ الله بِقُدرته لى هذه الناقةَ عائِذًا[1] مُطْفِلاً، وكان بالنعم مُتكفِّلاً، فقُمت أَحْتَلِبُ على العادةِ [. . .]

فَإِذا امتلأَ إناؤُه من الرِّسْلِ، كَوَّنَ البارِى - جلت عظمتُه - خَليةً من الجوهر، رتع ثَوْلُها فى الزَّهَرِ، فاجْتَنى ذلك «أبو ذؤيب» ومزَج حَلِيبَه بِلا رَيْب»[2].

لقد ساق أبو العلاء فى هذا النموذج ثلاثة ألفاظ مترادفة هى:

لبن - رسل - حليب

ولعله رمى بذلك إلى اجتناب التكرار. ومثل صنيعه هذا ما جاء فى حديثه عن عسل الجنة حيث ذكر «السلوى» و«الأرى» وكلاهما من أسماء العسل[3]، وقريب من ذلك ما فعله عند استقصاء أسماء المُعْقِيات وسردها الواحد تلو الآخر[4].

(جـ) إيراد المترادف رغبة فى إظهار براعته فى اللغة.

مهما تكن الأسباب فإن ظاهرة انتشارالمترادفات تبدو واضحة بالرسالة. وقد يختار أبو العلاء لإيرادها سبْكَها فى جمل متراصة تسير على نفس الوتيرة كما فى النص التالى الذى يضم من أسماء الخمر وصفاتها تسعة عشر اسمًا:

«والسكْرُ محرَّمٌ فى كل المِلَل [. . .] لُعنت القَهْوةُ، فكم تهبِطُ بها رَهوةٌ، لا خِيرةَ فى الخَمرِ، توطِىءُ على مثلِ الجمرِ. مَن اصطبحَ فيْهجًا، فقد سَلَك إلى الدَّاهيةِ مَنهجاً. من اغتبقَ أُمَّ لَيلَى، فقد سحَب فى الباطل ذَيْلا، من غرِىَ بِأُمِّ زَنْبق، فقد سمَح بالعقلِ الموبَق. من حَمل بالراحةِ راحاً، فقد أسرعَ للرُّشدِ سَراحاً، من رضِىَ بصُحبةِ العُقارِ، فقد خلعَ ثوبَ الوَقار. من أدمنَ قَرْقفاً فَليس على الواضحةِ مُوقفًا، من سَدِكَ بالخُرطوم، رجعَ إلى حالِ المَفْطُوم. المُواظبةُ على العانىِّ، تمنعُ بلوغَ الأمانِى. الخيبة لسبيئةٍ تُخرجُ من سِرّ كلَّ خَبِيئةٍ. لا فائدةً فى الكُمَيْتِ، تجعَل

---

(١) ناقة عائذ: الحديثة النتاج - مطافل جمع مطفل: الناقة إثْر وضعها لولدها بأيام.

(٢) رسالة الغفران ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) انظر ص ١٦٤-١٦٨ من الرسالة.

(٤) نفس الصفحات السابقة.

حَيَّها مثلَ المَيْت. من بُلِيَ بالصَّرْخَدِيِّ لم يكن من الفاضحةِ بالمَفدىّ، ما أخونَ عهود السُّلافِ تنقض مريرَ الأحلافِ. أما السُّلافةُ فسُلٌّ وآفة. كم شابٍّ من بني كلابٍ مات عَبْطةً، وما بلغ من الدنيا غِبطة، رماهُ بِسُحافٍ قاتلٍ، إدمانُ المُعتَّقةِ ذاتِ المخاتلِ. من بكَرَ إلى الشمولِ فرأيهُ ينظرُ بطَرْفٍ مسمول. أقلُّ عنتاً من كرينة[1] ليثٌ زَأَرَ فى العرينة (...) وينبغى أن يزهِّدَه فى الصهباءِ الصافيةِ أن نداماهُ الأكرمينَ أصبحوا فى الأجدَاثِ العافيةِ».[2].

ليس ما بالنص أعلاه من أسماء للخمر وصفاتها كل ماورد فى رسالة الغفران، بل وردت لها أسماء أخرى متفرّقة ذكرها أبو العلاء بصدد وصفه لأنهار الجنة فى القسم الأول من الرسالة، كقوله:

«... ومَا عُمِل من أَجْنَاسِ المسكراتِ، مفوِّقاتٍ للشارب وموَكرات، كالجعة، والبِتْع، والمِزر والسكركةِ ذات الوزر».[3]

فإذا كانت لفظة الخمر هى الاسم الجامع كما يرى الثعالبى[4]، وما عداها من الأسماء هو صفات لها. فها نحن نرى إلى أى حد استطاع أبو العلاء أن يستقصى من أسماء وأجناس الخمر وصفاتها ما لا نجده حتى عند الثعالبى الذى خصص لذلك فصولا، مثل: أم زنبق، أم ليلى، سبيئة، وبالإضافة إلى ذلك برع أبو العلاء فى سياقه تلك الأسماء فى جمل مسجعة لا تخلو من فنية أدبية.

الخطة التركيبية:

ملاحظة أخيرة تثير الانتباه هى الفرق بين التراكيب اللغوية التى اعتمدها أبو العلاء فى القسم الأول من الرسالة، وبين نظيراتها فى القسم الثانى.

قلنا سابقا إن الغفران قسمان، يمتاز كل واحد منهما بأسلوب يقتضيه المضمون. فالأول وصف لرحلة ابن القارح فى الآخرة، جنة وجحيماً. والجنة نعيم، وحور

(١) الكرينة: المغنية الضاربة بالعود. سمل عينة = فقأها

(٢) انظر الرسالة: ص ٥٥٥-٥٥٧.

(٣) رسالة الغفران ص ١٥٣.

(٤) انظر كتابه فقه اللغة، «فصل فى تقسيم أجناسها»، ص ٤٠٢.

عين، وشراب فيه لذة للشاربين. الجنة عالم لا كعالمنا، فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، عالم فيه تنطلق المخيلة سابحة فى عالم ما فوق المحسوسات خارج كل رقابة أو إطار مسبق. لذا نجد أسلوب هذا القسم، يسير على أجنحة الخيال المبدع، والإبداع الدفاق.

ثم إن أوصاف الجنة والنعيم تبعث على التفاؤل، المتفائل يعمل دائمًا للتحرر من القيود. فإذا تذكرنا أبا العلاء وهو رهين محابس ثلاثة، وتذكرنا ماعاناه من صدمات نفسانية، وهو المعتز بقوة شخصيته ومجده، إتضح لنا أن وصف الجنة عملية إعلاء بالنسبة لعواطف ورغبات المعرى المكبوتة، وأن وصف الجحيم تفجُّرٌ وتمرد على القيود المصطنعة، وانتقام من قساوة الحياة ومن محترفى الظلم والفساد.

لعل ذلك هو ما يبرر ما يميز القسم الأول من الرسالة من صياغة خاصة.

أما القسم الثانى، فعلى العكس من الأول، يتميز بالأسلوب التقريرى ويغلب على صياغته التأكيد لما يقتضيه المقام، وإن كان لا يخلو من مشاهد خيالية يعود فيها أبو العلاء إلى الأسلوب الوصفى، كما سنرى.

يبقى بعد هذا وذاك، فرض آخر، يتكامل مع الفرض السابق، دونما تناقض. تستقطب «رسالة الغفران»، «أبطالا» تختلف ذهنياتهم ومشاربهم، وتتباين أساليبهم، وبديهى أنه لا يمكن لشعراء اختلفت عصورهم أن يتحاوروا جميعاً بنفس الأسلوب. وقد لا نبتعد عن الموضوع إذا قلنا إن هذه مشكلة قائمة اليوم بين المسرحيين، خصوصاً فى العالم العربى. إنهم يطرحون الازدواجية اللغوية فى المسرح وفى الأدب عموماً: القصة، والرواية، والشعر.

لقد نشأت مشكلة ازدواجية اللغة العربية (الفصحي والعامية) منذ القرن العاشر بالمشرق وإن كانت قد ازدادت حدة لأن الفصحى منذ عصورها الزاهرة كانت مهددة دائماً باللهجات والعجمة.

إن اللغة – أية لغة – ظاهرة تاريخية، مثلها مثل كل مايساير تاريخ البشر، تحتاج إلى تطور وصيانة فى تآن ولن يحل المشكل إلا جهود علماء اللغة المختصين، وإرادة الشعوب العربية، فكثيراً ما يتناول أنصار الفصحى الموضوع من الناحية

السياسية، والدينية، والعاطفية، ويتغافلون عن الناحية اللغوية والفنية التى تثرى اللغة وتطورها مع محافظة على أصالتها. فى حين ينطلق أنصار العامية من اعتبارات أغلبها سياسية تتستر، مثلا وراء الدفاع عن الفن وشيوع الثقافة بين الجماهير، فيزعمون أن الأدب الروائى والقصصى والمسرحى المكتوب بالفصحى يخسر شعبيته، لأنه يعبر بتعابير ينقصها الدفء الصادق والحيوية الفنية، ولا يكون لها صدى عند الشعب.

بين أنصار العامية، وخصومها برزت طائفة تدعو شخصيات الروايات والقصص للحديث بأسلوب وسط، على سجيتها، وهذا لا يعارض الحس القومى ولا العاطفة الدينية.

فلعل المشكل الذى عاناه المعرى شبيه بهذا الذى ضربنا به المثل: أيجوز أن ينطق شعراء من الجاهلية فى حوارهم مع ابن القارح (وهو ابن القرن الخامس) بألفاظ إسلامية جديدة، وأخرى مولدة؟

لو فعل ذلك أبو العلاء، لكان عابثاً مع التاريخ، إن القرآن أثر فى العربية تأثيراً واضحاً، كما أثرت الحياة المجتمعية الجديدة على ذهنية العرب وسلوكهم. هناك كلمات مثل «الصلاة» و«الزكاة» و«الكفارة».. ومفاهيم إسلامية لا قبل للشعراء الجاهليين بها، إنها مفاهيم تكوِّن رؤى خاصة عن الوجود، والعلاقات بين البشر، وبين الشخص والأفعال التى هو مسئول عنها. لقد كانت ألفاظهم فى معانيها الوضعية قاصرة عن أن تتناول تلك المواضيع الجديدة، وأن تشمل العلوم المحدثة، كالنحو، والعروض، والبلاغة.. ولم يفت أبا العلاء أن يثبت هذه الملاحظة وينص عليها فى حوار بين ابن القارح وعدى ابن زيد العبادى الشاعر الجاهلى.

يقول: «إنك يا أبا سَوادةَ أحرَزت فضيلةَ السبق».

وما كنت أختارُ لك أن تقولَ: يا ليت شعرى وأن ذو عجَّةٍ

لأنك لا تخلو من أحد أمرين:

إما أن تكونَ قد وصلت همزةَ القطع وذلك ردىءٌ [...]، وإما أن تكونَ

حقَّقت الهمزة فجعلتَها بينَ بينَ، ثم اجترأت على تصييرِها أَلِفًا خالصةً [...]

ولو قلت: «ياليت شعرى أنا ذو عَجَّةٍ»

فحذفت الواو، لكان عندى أحسنَ وأشبَه.

فيقولُ عدِىٌّ بن زيد:

إنَّما قُلت كما سمعتُ أهل زمنى يقولون، وحدثَتْ لكم فى الإسلام أشياء ليس لنا بها عِلم.

فيقول الشيخ:

لا أراكَ تفْهَم ما أُريدُه من الأغراض، ولقد هممتُ أن أسألك عن بيتِك الذى استشهدَ به «سيبويه» وهو قولُك:

أرَواحٌ مــوَدِّعٌ أم بُكــورُ أنت فانظُرْ لأىِّ حالٍ تصير

فإنه يزعم أنَّ «أنْتَ» يجوزُ أن يرتفعَ بفعلٍ مُضمرٍ يُفسّرهُ قولُك فانظرْ. وأنا أستبعِد هذا المذهب، ولا أظُنُّك أردتهُ.

فيقولُ «عدىٌّ بنُ زيْدٍ»:

«دعنى من هذه الأباطِيل! ولكنى كنت فى الدارِ الفانيةِ صاحبَ قنصٍ»[1].

نجد، أيضاً، بالقسم الأول من «الرسالة»، إلى جانب محاورات بين شعراء جاهليين، لغويين من القرنين الثانى والثالث، ومناظرات بين أجيال عصور مختلفة، وأحاديث للجن[2]، والوحش، والحور. فأية لغة يُعِير أبو العلاء هاته المخلوقات البكم؟ ألغة الأعشى والجعدى، أم لغة المازنى والأصمعى؟ أيعدها من معاصريه فيجعلها تتكلم لغة ابن القارح؟...

لن يجوز لأى متذوق للفنية القصصية أو الرواية أن يلزم المعرى باستعمال أسلوب واحد فى جزئيات رسالته، رغم تباين عصور الشخصيات المتحاورة

---

(١) رسالة الغفران ص ١٩٠.

(٢) رسالة الغفران ص ١٩١.

ومستوياتها الثقافية والمجتمعية. فللنوع البشرى منطق غير منطق الطير، وغير منطق الحيات والجن.

يبقى أن نشير إلى بعض الملاحظات التركيبية التى تطبع كل قسم من قسمى الرسالة. وسنبدأ بفصل الرحلة.

* * *

فى القسم الأول من الرسالة نجد منهجية الإطار الذى تقدم فيه المضامين عبارة عن وحدات أو مشاهد متوالية، يستقل كل منها بحوار ابن القارح مع إحدى الشخصيات التى تمثل دور البطل الثانى فى المشهد.

جاءت هذه الوحدات متتابعة، يستهلها أبو العلاء بفعل مضارع غالبا، مسبوق بـ «واو» أو «فاء» أو «ثم» تارة للاستئناف وأخرى للعطف ليعبر عن الكيفية التى بها يتم اتصال ابن القارح بمحاوريه. وهاهى بعض النماذج:

- «وينظرُ الشيخُ [ابن القارح] فى رياض الجنّةِ فيرى قصرين مُنيفيْن...»[1]
- «ثُم ينصرفُ إلى عُبيدٍ...»[2]
- «ويَمُرُّ رفٌّ مِن إوز الجَنَّةِ...»[3]
- «فيقولُ للشَّماخِ بنِ ضِرارٍ...»[4]
- «وَتُمرُّ إوَزَّةٌ مِثلَ البُخْتيَّةِ...»[5]
- «ويسأل عن امرئ القيس...»[6]
- «وينظرُ فإذا عنترةُ العبسيُّ...»[7]
- «وينظرُ فإذا علقمةُ بنُ عبدةَ...»[8]
- «وينظرُ فإذا الحارثُ اليَشْكُرِى...»[9]
- «ويَعْمِدُ لِسُؤالِ طرفةَ بنِ العبد...»[10]

---

(١) رسالة الغفران، ص ١٨١.
(٢) رسالة الغفران، ص ١٨٥.
(٣) رسالة الغفران، ص ٢١٢.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٣٨.
(٥) رسالة الغفران، ص ٢٨٣.
(٦) رسالة الغفران، ص ٣١٣.
(٧) رسالة الغفران، ص ٣٢٢.
(٨) رسالة الغفران، ص ٣٢٧.
(٩) رسالة الغفران، ص ٣٣٢.
(١٠) رسالة الغفران، ص ٣٣٤.

- «ويسأل عن المرقشِ الأكبرِ. . . »[١]
- «وينعطِفُ إلى المرقَّش الأصغَرِ. . . »[٢]

تلك هى الخطة التركيبية التى صار عليها أبو العلاء فى القسم الأول من رسالة الغفران. أما القسم الثانى فبما أن موضوعه يختلف عن موضوع سابقه، فإننا نجد الخطة التركيبية فيه مغايرة، على العموم.

جاءت أجوبة أبى العلاء عن أسئلة ابن القارح، هى أيضاً، عبارة عن وحدات تستقل كل وحدة منها بسؤال معين، وتتميز بكونها تبتدىء بجمل اسمية. وسنكتفى هنا بإيراد بعض الشواهد تاركين تفصيل القول فى البناء التركيبى للجمل بكلا القسمين إلى الباب الثانى من هذه الدراسة:

- «أمّا مَاذكَره من حالِى [. . .] فلطالما أعطِىَ الوَثَنُ سعودًا»[٣]
- «وأما وُرودُهُ حلبَ - حرَسَها الله - فلو كانت تعقلُ لفرِحَت به. . . »[٤]
- «وأمَّا أبو القَطِرانِ الأسدى، وأى البشر من الخطوب مَفْدِى فصاحِب غَزَلٍ وتَبطُّل»[٥]
- «وأمَّا مَنْ فَقَدهُ من الأصدِقَاء لَمَّا دخل حلب، حرسها الله، فتلك عادة الزَّمنِ»[٦].
- «فأما الفصلُ الذى ذكَر فيه الخليلَ، فقد سقطَ منه اسمُ الذى غَلَاقِىٌ. . . »[٧]
- «وأما أَبُوالفَرج الزَّهرَجى فمعرِفَته بالشيخِ تُقْسِمُ أنَّهُ للأدَبِ حَليفٌ»[٨]
- «وأمَّا شكواهُ إلىَّ، فإنى وإياه لَكمَا قيل فى المَثَل. . . »[٩]
- «وأما الذين ذَكَرهُم من المُصحفين فغَير البَرَرة ولا المُنصِفين»[١٠]

---

(١) رسالة الغفران، ص ٣٥٥.
(٢) رسالة الغفران، ص ٣٥٧.
(٣) رسالة الغفران، ص ٣٨٧.
(٤) رسالة الغفران، ص ٣٩٣.
(٥) رسالة الغفران، ص ٣٩٦.
(٦) رسالة الغفران، ص ٤٠٢.
(٧) رسالة الغفران، ص ٤٠٣.
(٨) رسالة الغفران، ص ٤٠٤.
(٩) رسالة الغفران، ص ٤٠٩.
(١٠) رسالة الغفران، ص ٢١٢.

- «فأما ما ذَكَره من قول أبي الطيب [. . .] فقد كان الرجلُ مؤلَعاً بالتصغير»[١]
- «وأما غيظُه على الزَّنادِقَةِ والمُلْحِدين، فأَجَرَهُ الله عليه»[٢]
- «فأما الحُسَينُ بنُ منصورٍ فَليس جهلُه بالمحصورِ»[٣]
- «وأما ابنُ الراوندى، فلم يكنْ إلى المصلحة بِمهدِىٍّ»[٤]
- «وأما العلماءُ الذين لقيَهم، فأولئكَ مصابيحُ الناجيةِ»[٥]

ومما يختص به أسلوب المعرى كذلك، فى هذا القسم، هو أنه يتحدث إلى ابن القارح، ولكن لا يوجه إليه الخطاب مباشرة. وإنما يستعمل ضمير المفرد الغائب، مرة المتصل، وأخرى المنفصل وثالثة المستمر. وقد يجمع بين نوعين من الضمائر، كما قد يلقبه «الشيخ» أو «مولاى الشيخ».

هذه الأمثلة قليل من كثير، فما تطرق أبو العلاء للرد على سؤال إلا استعمل أمثال هذه التراكيب، وحتى عند تحليله لبعض القضايا الثانوية أثناء الجواب. ومما يثير الانتباه منهجه فى انتقاد الخصوم: يأخذ المعرى عناوين كتب وأسماء أشخاص ويستثمر الألفاظ المكونة منها فى فنية لطيفة تنبىء عن ذكاء صاحبنا ومقدرته على التلاعب بمعانى الألفاظ. وهذه المشاكلة اللفظية، هى أيضاً، تعتمد فى صياغتها نفس التراكيب السابقة، مثل ذلك ما جاء فى الحديث عن ابن «الراوندى» وتفصيل الكلام على مؤلفاته. يقول.

- «وأما (تَاجُه)، فلا يصلُحُ أن يكونَ نَعْلاً»[٦].
- «وأما (الدامِغُ) فما إخَاله دَمغ إلاَّ من أَلَّفهُ، وَبِسوء الخلافة خَلَفَه»[٧].
- «وأما (القضيبُ) فمن عَمِلَه أخسَرُ صفقة من قضيب[٨]».

---

(١) رسالة الغفران، ص ٤١٤.
(٢) رسالة الغفران، ص ٤٢٨.
(٣) رسالة الغفران، ص ٤٥٢.
(٤) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.
(٥) رسالة الغفران، ص ٥٣١.
(٦) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.
(٧) رسالة الغفران، ص ٤٧١.
(٨) رسالة الغفران، ص ٤٧٣، القضيب هنا: الناقة لم تروض.

- «وأما (الفريدُ) فأفردهُ من كلِّ خَليلٍ . . »[1].

- «وأما (المرجانُ) فإذا قيلَ إنه صغارُ اللؤلؤ، فمعاذَ اللهِ أن يكونَ (مرجانه) صِغارَ حَصىً»[2].

هذا التسلسل فى التعبير المتماثل يدفعنا إلى تساؤل هو: هل كان أبو العلاء يستلذ بترداد تلك التعابير الموقعة التى كثيراً ما كانت تسير على وتيرة واحدة وكأنها لازمة نثرية، أم مرد ذلك إلى عماه وطبيعة الإملاء؟ لعل للأمرين أكبر الأثر فى خضوع قسمى الرسالة إلى نوع خاص من الأسلوب يقتضيه موضوع كل منهما.

لم يحل هذا التنوع الأسلوبى بين ما كان يرمى إليه أبو العلاء من الجمع بين الفنية والموسوعية، الشيء الذى جعل الرسالة تأتى كدائرة معارف لغوية ورائعة من الروائع الفنية. لقد حرص أبو العلاء فى القسم الأول خاصة، على تحقيق الجانب الفنى باستيفاء شروط الإبداع الروائى، كما تخيله، وكما يود أن يجعلنا نتخيله فنعيش معه الخيال واقعاً مشخصاً، وكان من منهجيته أن اختار لتلك الرحلة البعيدة، (بطلا) معاصراً معروفاً، لكى تنمو الظلال المتشابكة بين الحقيقة والخيال، وحتى نظن أن «العالم الآخر» حقيقة.

ذاك ما ألزم أبا العلاء بأن يُعدد فى «غفرانه» الأساليب والصيغ. وإن اختلاف الأساليب ذاك ليتطلب جهداً كبيراً وموهبة خاصة، لم يعجز أبو العلاء عن إظهارهما فى قسمى الرسالة على اختلافهما، بالانتقال من الوصف إلى التقرير، ومن التقرير إلى الوصف.

إن يكن صاحبنا قد التزم فى القسم الثانى من الرسالة بالإجابة عن أسئلة ابن القارح التى تتطلب الاعتماد على أساليب علمية تقريرية بعيدة عن الابتكار والوصف المتداخل، فإن التزامه ذاك لم يمنعه من الارتماء، من جديد، بين أحضان الوصف مرات عديدة فتتجلى من جديد، وبقوة، نزعته إلى الخيال وبراعته فى الانتقال من الأسلوب العلمى التقريرى إلى الأسلوب الوصفى ذى الجمل

---

(١) رسالة الغفران، ص ٤٧٤.

(٢) رسالة الغفران، ص ٤٧٦.

والتراكيب الطويلة، وذلك كما فى حديثه عن توبة ابن القارح[1]، ومثل ما جاء فى تعليقه على آراء مراسله أبى تمام إذ يقول:

«وأما أبو تمَّامٍ[2] فما أمسك من الدين بزمام. والحكايةُ عن ابن رجاء[3] مشهورة والمهْجةُ بِعَيبها مبهورة. فإن قُذِفَ فى النارِ «حبيب»[4]. فما تُغنى المدحُ ولا التشبيب. ولو أنَّ القصائدَ لها علمٌ وتأسف لما يشكو الخِلْمُ[5]، لأقامت عليه (الممدودتان) اللتان فى أوّلِ ديوانِه مأْتمًا يُعْجَبُ لأسوانِه. فناحَتا عليه كابْنَتى «لبيدٍ»، وجُرْعَتَاهُمَا من الثُّكْلِ نظيرُ الهبيد.

[. . .] وكأنى بهما لو قُضِيَ ذلك، لا جتمعتْ إليهما (الممدودات) كما تجتمعُ نساءٌ معدوداتٌ. فيجِئن من كلِّ أَوْبٍ، ويتواعدنَ لحفل على نوْبٍ.

ولو فعلن ذلك لبارتْهُن (البائيَّاتُ)، بمأتمٍ أَعظمَ رنينا، وأَشدَّ فى الحندْس حنينا، [. . .].

وإذا كان مأتمُ (الممدودات)، فى مائةٍ ممن يُسعدهُنَّ ويُظاهِرُ، وَجبَ أَنْ يَكُونَ مأْتمُ (البائياتِ)، فى آلافٍ تُعلنُ وتُجَاهِرُ، لأنَّ الباء طريقٌ ركوبٌ، والمدَّ فى القصائدِ سبيل منكوبٌ.

وما نظمه على التاء، فإنهُ لا يُعجِزُ عن الإيتاء.

وتجيءُ (الثائيَّتانِ)، وكلتَاهُما كابنِةِ الجَونِ، تبتدرُ فى حالكِ اللون. ولو صُوِّرتا من الأدميات، لزادتا على قَيْنَتَىْ ابنِ خَطَلٍ[6] فى المَرثيات، وإنَّ الثاءَ لقليلةٌ فى شعرِ العرب إلاَّ أنهما تَستعينانِ كلمة «كَثِّر».

حبـالُ سلامـة أضحت رِثاثـاً ... فسُيقـا لها جُـدُداً أو رمـاثـا

---

(١) رسالة الغفران، ص ٥١٧.

(٢) انظر حديث ابن القارح عن أبى تمام الرسالة ص ٤١٢.

(٣) الحسين بن رجاء بن أبى الضحاك من أعلام القرن الثالث، مدحه أبو تمام.

(٤) حبيب: بن أوس الطائى أبو تمام.

(٥) الخلم الصديق والخِل.

(٦) ابن خطل: عبد الله بن خطل، أحد الذين عهد النبى لأمرائه يوم الفتح بقتلهم ولو وجدوه تحت أستار الكعبة، وكانت له قينتان تغنيان بهجو النبى فأمر بقتلهما، وقد قتلت إحداهما وفرت الأخرى.

وبأَراجيزِ «رؤبة» وما كان نحوَها من القوافى المتكلَّفةِ، والأشعارِ المَتعسَّفة. ولهما فيما نَظم «ابنُ دُرَيْدٍ» أعوانٌ بالعَجَلِ والرُّويد.

فأمّا (الداليَّاتُ)، و (الرائياتُ) وما بُنِى على الحروفِ الذُّلُلِ: كالميم والعَين واللام وما جرى مجراهنَّ، فلو اجتَمع كلُّ حَيِّزٍ منهنَّ وهو خِرَاد لضاق عنهنَّ الصَّدَرُ والإيراد، وَزِدْنَ على ما ذُكر أنَّه اجتمع فى جنازة «أحمدَ بنِ حنبل» من النساء والرجال، ويقال إنه لم يجتمعْ فى الجاهلية ولا الاسلام جمعٌ أكثرُ مما اجتمع فى موتِ «أحمدَ»، حُزِرَ الرجالُ بألفِ ألف، والنساء بستمائةِ ألفٍ، والله العالمُ بيقين الأشياء!»[1].

هكذا نعيش خلال هذه الفقرات، فى خيال جامح يعيدنا إلى الجو الذى عشناه صحبة ابن القارح فى قسم الرحلة، وبهذه العودة نلتقى مع أسلوب الوصف والتراكيب الطويلة فى سجع لا يمجه الذوق، لكن ما إن وصل أبو العلاء إلى نهاية الاستطراد، كما يلاحظ من النص، حتى انساق إلى الأسلوب العلمى التقريرى وهذا عكس ما وجدنا فى القسم الأول من الرسالة حيث يحاول أبو العلاء، تجنب الأساليب العلمية والطرق التقليدية، مستعيناً بنسيج الخيال فى القص والحوار، وان لاحظنا أنه كثيراً ما كانت تخرج الأساليب المعبرة عن هذه الانتقادات المستطردة من النسق الوصفى الذى حاول التزامه، فتأتى مغايرة، تخضع لطبيعة الموضوع الذى تتحدث عنه. فتراه فى «الوحدة» المتكاملة المستقلة، نسبيًّا مثلا، وحدة حوار ابن القارح مع شاعر، ينتقل من أسلوب القص الوصفى إلى أسلوب علمى تقريرى، تبعاً لنوع الاستطرادات التى يسوقها كما فى النص التالى، حيث يستطرد أبو العلاء أثناء حوار ابن القارح مع الأعشى إلى تحقيق لغوى بصدد كلمة وردت فى شعره.

«فيلتَفِتُ إليه[2] الشيخُ [ابن القارح] هَشًّا بَشًّا مُرْتاحاً، فإذا هو بِشابٍّ غُرانِق،

---

(١) لعل أبا العلاء استعمل العبارة «والله العالم بيقين الأشياء» تلميحاً إلى أنه لا يصدق الأعداد المذكورة، وأن فيها مبالغة، لذلك جعلنا فى آخر الجملة نقطة تعجب(!).

الرسالة من ص٤٨٣ إلى ٤٨٧.

(٢) الضمير يعود على ميمون بن قيس الأعشى، من الطبقة الأولى فى الجاهلية. أدرك الإسلام فرحل إلى النبى فصدته قريش.

غَبَرَ فى النَّعيم المُفَانِق[١]، وقد صار عَشَاه حَوراً معروفاً، وانحناءُ ظَهره قواماً موصوفاً. فيقولُ :

أخْبرنى كيف كان خلاصُكَ من النار، وسلامتُك من قبيح الشنار؟

فيقول : سَحَبَتْنِي الزبانيةُ إلى سَقَرَ، فرأيتُ رَجلا فى عرَصاتِ القِيامةِ يتلألأُ وجهُه تلألُؤَ القَمر، والناسُ يَهتِفونَ به من كلِّ أوْب : يا مُحَمَّد ! يا مُحمدُ ! الشفاعة !! نَمتُّ بكذا وبكذا. فصرخت فى أيدى الزبانية : يامحمد ! أغثنى، فإن لى بكَ حُرْمةً. فقال :

يا علىّ [٢]، بَادِرْهُ فانْظُرْ ما حُرْمتُه ؟

فجاءَنى «علىُّ بنُ أبى طالب» - صلواتُ الله عليه - وأنَا أُعْتَلُ[٣] كى ألقى فى الدَركِ الأسفِلِ من النَّار، فَزجرُهُم عنى، وقال : ما حُرْمتكُ ؟

فقلتُ :

أنا القائلُ :

ألا أيُّهذا السائلى أينَ يَمَّمَتْ ... فإنَّ لها فى أهلِ يثرِبَ مَوْعِدا

....

نبىٌّ يَرى مالاَ يَرَوْنَ، وذِكرُهُ ... أَغارَ لَعَمرى فى البِلادِ وأنجدَا

وهو أكملَ الله زينة المحافل بحُضوره، يَعرفُ الأقوالَ فى هذا البيتِ. وإنما أذكُرُها لأنه قد يجوزُ أن يقرأ هذا الهَذَيان ناشىء لم يَبْلُغْه، حَكَى «الفراءُ»[٤] وحدَهُ (أغارَ) فى معنى غارَ، إذا أتَى الغَوْرَ. وَإذَا صَحَّ هذا البيتُ للأعشَى فلم يُرِدْ بالإغارةِ إلاَّ ضِدَّ الإنجاد. ورُوى عن الأصْمَعِى روايتان : إحداهما، أنَّ أغارَ فى معنى عدَا عدْواً شَديداً، وأنشد فى (كتابِ الأجناسِ) :

فعدِّ طِلابَها وتَسلَّ عنها ... بناجيةٍ إذا زُجِرَت تُغِيرُ

(١) المفانق، الناعم.

(٢) على : ابن أبى طالب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) عتله عتلا، جذبه وجره عنيفاً.

(٤) الفراء أبو زكريا : أحد أئمة نحاة الكوفة توفى سنة ٢٠٧ هـ.

والأخرى أنه كان يُقدِّمُ ويؤخِّر فيقول :

«لعُمْرِىَ غارَ فى البِلادِ وأنجدَا»

فيجىء به على الزِّحافِ. وكان «سعيدُ بنُ مَسْعدَة»[١] يقولُ :

«غار لعمرِى فى البلادِ وأنجدَا»

فيخرمه فى النصفِ الثانى»[٢].

بعد هذا الاستطراد الذى نقل أبا العلاء إلى أسلوب علمى تقريرى بالسند والعنعنة : «حكى الفراء»، «روى عن الأصمعى . .» «أنشد فى . .» وإلى بث تحقيق لغوى يتعلق بلفظ «أغار»، يعود فيستأنف بأسلوبه الخيالى القص والوصف.

الخلاصـــة :

أعطى الفصلان السابقان صورة عامة عن مضامين رسالة الغفران، والمباحث التى قامت عليها، وعن المنهجية التى خضعت لها. وقد حاولنا تحليل تلك المواضيع وتتبع خطوات أبى العلاء ومنهجيته فاستخلصنا أن التعاليق النحوية والصرفية والشروح اللغوية والانتقادات السياسية والمذهبية لم تكن لتتوارى خلف الإطار الفنى الذى ابتكره أبو العلاء. وأنه وإن حاول جاهداً، بالقسم الأول من الرسالة، سكبها فى هيكل قصصى، يميزها عن الطرق التقليدية المعهودة، انساق إلى استعمال الأسلوب العلمى التقريرى البعيد عن الخيال المبدع. كما لم تكن أجوبته عن أسئلة ابن القارح لتسلم من صدى نسيج الخيال المبدع الذى كان يغذيها فتشرف من ثنايا الأجوبة أساليب الوصف والحكاية.

لقد نتج عن هذا التمازج بين الصنفين فن أدبى متميز فرض كل من مضمونه ومنهجيته أسلوبا خاصا من التراكيب، ولغة علائية متميزة.

---

(١) الأخفش الأوسط.

(٢) رسالة الغفران من ص ١٧٧ - ١٨٠.

هكذا تقرر لدينا أن لغة الغفران يجب أن تحظى بدراسة تعمل على إبراز أهم الميزات التى تختص بها التراكيب والجمل والمفردات، وهذا ما ترمى هذه الدراسة المتواضعة إلى تحقيقه.

الباب الثاني

الخواص التركيبية للجمل
في رسالة الغفران

الفصل الأول

مدخل إلى دراسة الجمل فى رسالة الغفران

أول ما يبدو بوضوح لدارس لغة **رسالة الغفران** هو ما فى الجمل والتراكيب من امتداد داخلى يتعب القارئ، حتى يكاد يضيع عليه المعنى، فيرغمه أحيانًا على إعادة قراءة الجملة أكثر من مرة، ولكى لا نتخذ، اعتباطيًا، من هذا الانطباع قاعدة، قمنا باستبار، فجمعنا عددًا من آراء أساتذة اللغة العربية بالمشرق والمغرب[1]، حول نصوص من **رسالة الغفران**، كانت النتيجة أن آراءهم تكاد تتفق على تعقيد لغتها، فالقارئ ولو تمكن من تذليل الصعوبات التى ترجع إلى الحشد الهائل من الألفاظ الغريبة، والشواهد وأسماء الأعلام والإشارات التاريخية، لن يصل بسهولة إلى فهم مبين لمضامين الجمل والفقرات. إن عائقًا قويًا يقف دون ذلك، إنه التراكيب اللغوية ذات البنيات المختلفة المتداخلة التى تتطلب من القارئ بذل جهد أكثر مما يبذله مع أى نص آخر.

يمكن أن نرجع صعوبة **الغفران** إلى الإطار الذى وضع فيه أبو العلاء أفكاره، ذلك الإطار الذى يبرز شخصية المؤلف لما تتميز به من إغراقه العميق فى خيالات تخلع على النص ثوبًا من الغموض والتعقيد، فصعوبة النص ترجع بالدرجة الأولى إلى ما فيه من استطرادات طويلة تعترض طرفى الجملة الرئيسية. يبدأ المعرى الحكم ثم يستطرد إلى كلام طويل يبلغ أحيانًا اثنى عشر سطرًا، وأحيانًا أكثر من ذلك قبل أن ينهى الحكم الأول. وهذا ما يؤدى فى بعض المرات إلى ضياع الطرف الآخر للجملة، أو نسيانه فى زحام العبارات المستطردة.

---

(١) من بين من لجأنا إلى الاستنارة بآرائهم الأساتذة: محمد السعيد بدوى رئيس قسم اللغات بالجامعة الامريكيه (القاهرة)، شوقى أمين عضو فى مجمع اللغة العربية (القاهرة)، وعبد الرحمن الحاج صالح مدير معهد اللسنيات (الجزائر)، ومحمود الربداوى أستاذ بكلية الآداب، (دمشق).

فهل مرد ذلك إلى عاهة العمى التى لم تكن تسمح له بالكتابة ؟ فأبو العلاء كان يملى، ولا يكتب، ولاشك أن خصائص اللغة المملاة تختلف كثيرًا عن خصائص اللغة المكتوبة. وإن لم يكن الاختلاف بينهما من نوع الاختلاف القائم بين اللغة المكتوبة واللغة المتكلمة فهاتان الأخيرتان، كما يرى (فندريس)، لا تختلطان أبدًا : فـ «اللغة المكتوبة هى الطابع المميز للغات المشتركة. واللغة المشتركة، بطبعها، فى نزاع دائم مع اللغة المتكلمة، لأن هذه الأخيرة تخضع للتأثيرات الفردية، وتميل دائمًا إلى الابتعاد عن المثل الأعلى الذى تحتذيه اللغة المشتركة. واللغة المكتوبة معرضة، بدورها، لضربات اللغة المتكلمة، لأن اللغة المشتركة تعتمد فى مقاومتها على الكتابة، أولاً وقبل كل شىء. ومن جهة أخرى، تستعمل الكتابة فى التعبير عن كثير من اللغات الخاصة، بل لا وجود لبعض هذه اللغات الخاصة إلا فى صورة مكتوبة، ولهذا الاعتبار، أيضًا كان الخلاف بين الكلام والكتابة أمرًا مقررًا ثابتًا»[1].

حقًّا كان أبو العلاء يملى لكنه كان يعلم أن ما يمليه يُكتب بيد يستعيرها. فليس ما يمليه لغة متكلمة، وإنما لغة منطوقة فى نية الكتابة، فكان ولا شك يتحرى اختيار ما يلائم لغة الكتابة. وبالرغم من ذلك فإن عدم تقيده بالكتابة يرمى به فى الانسياب مع الإملاء والانفلات من قيود صور الحروف والكلمات، بل يستمر منطلقًا فيضيع منه جزء أساسى من الجملة.

ولنضرب مثالاً ليتجلى مصداق ما قدمناه. يقول أبو العلاء فى وصف أنهار الجنة التى اعدت لابن القارح :

«وفى تلك الأنهار، أوانٍ على هيئة الطير السابحة، والغانية عن الماء السائحة، فمنها ما هو على صُوَرِ الكَراكيّ، وأُخَرُ تُشاكِلُ المكاكِى، وعلى خَلق طواويسَ وبَط، فبعضٌ فى الجارية، وبعضٌ فى الشَّطّ، يَنْبُعُ من أفواهها شَرابٌ، كأنهُ من الرِّقة سَرابٌ، لو جَرع جُرعةً منهُ «الحَكَمىُّ»[2] لحكم أنه الفوزُ القِدَمىُّ، وَشَهِدَ لهُ

---

(١) انظر : ج فندريس اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص، ص ٤٠٥، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٠.

(٢) الحكمى : أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر العباسى.

كلُّ وُصَّافِ الخمرِ، من مُحْدَثٍ فى الزمنِ وعتيقِ الأمر، **أنَّ أصنافَ الأشربةِ** المنسوبة إلى الدار الفانيةِ، كخمرِ «عانة» و«أذْرِعات» وهى مظِنَّةٌ للنُّعَّاتِ، و«غزة»، و«بيتِ راس» و«الفِلَسْطِيَّة» ذوات الأحراس، وما جُلِبَ من «بُصْرى» فى الوسوقِ، تُبْغَى به المرابحةُ عند سُوق، وما ذَخَرهُ «ابنُ بُجْرَةَ» بـ«وَجّ» واعتمد به أوقاتَ الحجِّ، قبل أن تُحَرَّم على الناس القهواتُ، وتحظَرَ لخوفِ اللهِ الشهواتُ.

قال «أبو ذؤيب»[1]:

ولو أنَّ ما عندَ «ابنِ بُجْرَةَ» عندها من الخمر، لم تبْلُلْ لهاتى بناطل

وما اعتصر بـ«صرخد» أو أرضِ «شبام» لكلِ ملك غير عبام[2] وما تردد ذكره من كميت «بَابِلَ» و«صَرِيفِينَ» واتُّخذ للأشرافِ المُنيفين، وما عُمِل من أجناس المسكرات، مفوّقاتٍ للشارب ومُوكِّرات، كالجعة، والبِتْعِ، والمِزْر، والسكركةِ ذاتِ الوِزر، وما وُلِدَ من النخيل لكريم يُعْتَرَف أو بخيل، وما صُنع فى أيام «آدمَ» و«شيث» إلى يومِ المبعثِ من مُعَجَّل أو مكيث. إذ كانت تلك النُّطفةُ ملِكَةً، لا تَصْلُحُ أن تكونَ برعاياها مُشتبِكة»[3].

وردت فى هذه الفقرة أن واسمها: «**أن أصنافَ الأشربة**» ولم يتبين لنا خبرها، فعرضنا النص على بعض المختصين فى اللغة للاسترشاد بآرائهم، فكان موقفهم منه لا يخلو من استغراب وحيرة بل اختلاف، ويمكننا أن نلخص آراءهم فى موقفين مختلفين، أحدهما للأستاذ عباس حسن[4] الذى يرى أن الخبر ضاع من أبى العلاء، والآخر للأستاذ عبد الوهاب التازى[5] الذى يرى أن الخبر هو الجملة «**إذا كانت تلك النطفة...**» وعلى فرض أننا نأخذ بالرأى الثانى فإن هذا لا يزيل ما تتميز به الجملة العلائية من طول نفس، كما قلنا، فقد فصل بين طرفى الجملة، المسند والمسند إليه، اثنا عشر معطوفًا مفردًا، منها سبعة معطوفات، عبارة عن اسم

---

(١) أبو ذؤيب الهذلى شاعر مخضرم فحل.

(٢) العبام: الغبى، الغليظ الخلقة فى حمق.

(٣) انظر: رسالة الغفران، ص ١٤٩، إلى ١٥٣.

(٤) عضو فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٥) أستاذ فقه اللغة وعميد كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس.

موصول، هو «ما» ولكل منها جملة صلة، وجملة أو أكثر حال من الموصول، بالإضافة إلى الاستشهاد ببيت شعر لأبى ذؤيب، فى معرض الحديث عن تحريم الخمر، كل ذلك قبل أن يصل المعرى إلى ما يُظن أنه «مسند» إذ لا يخلو موقع الجملة : «إذ كانت تلك النطفة ملكة لا تصلح أن تكون برعاياها مشتبكة» من غموض واضطراب.

هكذا، يؤدى الاستطراد إلى تداخل القول، خصوصًا حين يعمد أبو العلاء إلى شرح المفردات ثم الاستشهاد على ما شرحه من الألفاظ.

لنأخذ مثالاً آخر على استطراد المعرى، هو تعرضه لشرح لفظة «المحظلة» واستشهاده لذلك بقول للعرب، وشعر لأحد الرجاز، قبل أن يعود إلى سياق حديثه، أى إلى وصف عسل الجنة، يقول :

«ولو خالط منا[١] من عسل الجنان، ما خلقهُ الله سبحانه فى هذه الدارِ الخادعة، كالصابِ، والمَقِر، والسَّلَع والجَعْدَةِ، والشيحِ ، والهَبيدِ، لعادَ ذلك كلُّه وغيرُه من المُعقِيات، يُعَدُّ من اللّذائذ المرتقِيات، فآض ما كره من الصّاب، كأنه المعتصر من المصاب. والمصاب : قصب السكر. وأمسى الحدج، وكأنهُ المتَّخَذُ بالأهوازِ، إلا يَكُن السُّكَّرَ، فإنَّه مُوَازٍ، ولصارت الراعيةُ فى الإِبلِ، إذا وجدت الحنظلةَ، أتْحَفَتْ بها السيدةَ المُحْظَلة، وهى التى تعظُمُ عليها الغَيرَةُ، من قولهم : حَظَل نساءَه، إذا أفرط فى الغيرةِ عليهنَّ، قال الراجز :

ولا ترى بعلاً ولاَ حلائلا كَهُ، ولا كهُنَّ إلا حاظِلا

وانقطعت معايشُ أربابِ القَصبِ فى ساحل البحر، وصُنِع من المُرِّ الفالوذُ المُحْكَمُ بلا سِحْرٍ، أى بلا خَدع»[٢].

وكثيرًا ما يبدأ أبو العلاء الجملة، ثم يستطرد إلى غيرها، فى نحو ثلاثة أسطر،

---

(١) أبو العلاء هنا يستأنف حديثه عن عسل الجنة بعد أن قطعه استطرادًا بحكاية بيتى «النمر» والتفريع عليها خلال إحدى عشرة صفحة من ص١٥٣ إلى ١٦٤.

المنا : كيل يكال به السمن وغيره.

(٢) رسالة الغفران من ص ١٦٤ – ١٦٥.

قبل أن يصل إلى نهايتها من ذلك قوله :

« . . . فيهتفُ هاتفٌ :

أتَشْعُرُ أيها العبدُ المغفورُ لهُ، لمنْ هذا الشعرُ؟

فيقول الشيخُ :

نعم، حّدثَنا أهلُ ثِقَتِنا عن أهل ثِقتِهم، يَتَوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى يَصلُوه بأبى عمرو بن العلاء[1]، فيرويهَ لهم عن أشْيَاخ العرَبِ، حرَشةِ الضبَابِ فى البلادِ الكلدَاتِ وجُناةِ الكَمأةِ[2] فى مغانى البُدَاة، الذين لم يأكلوا شِيرازَ الألبان، ولم يجعلوا الثَّمَر فى التّبان، أنَّ هذا الشعرَ لميمونِ ابن قيسِ بنِ جندَل، أخى بنى ربيعةَ ابن ضُبَيْعةَ بن قيس بن ثَعْلَبةَ بن عُكابةَ بنِ صَعبِ بن على بنِ بكْر بن وائل»[3].

وقد تأتى الجملة فلا ندرى أمعطوفة هى على ما قبلها أم مقطوعة عنه، مثلاً، قوله فى نص سقناه سابقًا :

«ينبعُ من أفواهها (أوانى أنهار الجنة) شرابٌ كأنه من الرقة سَرَابٌ، لو جَرعَ جُرْعةً منه « الحَكَمىُّ » لحكم أنه الفوزُ القِدمىُّ، وشَهِدَ له كلُّ وُصّافِ الخمرِ من مُحْدَثٍ فى الزمنِ وعتيق الأمر»[4].

إننا نظل حيارى أمام جملة «وشهد له كل. . » فهل هى معطوفة أم مستأفقة ؟

وإذا كانت معطوفة، فعلام عُطفت ؟، أعلى جملة «لحكم أنه. . . » أم على سواها ؟

ولا شك أن هذا يمزق الفكرة ويفسد وحدة الموضوع، ويعبث بنظم الأسلوب، مما يشتت ذهن القارئ، ويلجئه إلى بذل أقصى جهد فى متابعة الموضوع، وربط أجزائه بعضها ببعض.

---

(١) العالم المشهور فى القراءة واللغة توفى سنة ١٥٤ هـ.

(٢) الكمأة : جمع كمء وقيل اسم جمع، نبات يوجد تحت الأرض لا ساق له ولا عروق، لونه يميل إلى الغبرة.

(٣) رسالة الغفران من ص ١٧٦-١٧٧.

(٤) رسالة الغفران ص ١٤٩.

ورغم كل شيء، فإن القارئ المتفقه الذى يقبل القيام بالجهد اللازم، سيعجب **برسالة الغفران**، مصارعًا العوائق، مثله كمثل «ألْبَنِى»[١] يتحمل الأخطار وهو يتسلق الجبال لأنه يتصور، مسبقًا، أن بعد الصعوبات لذة الفوز بمتعة الوصول إلى القمة. حقًا، وراء صعوبات لغة **رسالة الغفران**، جاذبية خاصة، شيء ما يفرضها كرائعة من روائع الآداب العربية، فمن المفروض لمن يريد اصطياد الحجل أن يتسلح بالبندقية وبالصبر... وعلى القارئ ألا يقف عند مشكلة الأشكال اللغوية، كما يفعل المناطقة الأرسطيون الذين يهتمون بصورة القياس على حساب مضمون النتيجة. عليه أن يذهب إلى أبعد، إلى الشيء السحرى الكامن فى «**الغفران**» فكما يقول محمد كامل حسين:

«أسلوب أبى العلاء شعرًا ونثرًا، فيه كل ما نعيبه على غيره... وفيه كل ما ينبو عنه الذوق الحديث: فى سجعه تكلف بالغ، وصنعة واضحة، وإغراب وشطط، وفى معانيه تكرار كثير، وله تشبيهات غامضة ملتوية واستعارات بعيدة، وكثيرًا ما يكون فيه إسراف فى إظهار علمه باللغة، فترى فيه كثيرًا من الغريب الذى لم يقصد به إلا غرابته، ولا يستساغ ذلك عند غير أبى العلاء، ولأمر ما نرانا نقبل منه ما لا نقبل من غيره. بل إنا لنقرأ أدب غيره من ذوى الأسلوب الجميل والتشبيهات الجيدة والاستعارات البراقة فلا يثير فينا أدبهم الجميل إلا الملل، وهو ما لا نشعر بشيء منه فى أدب أبى العلاء حتى حين يكون خلوًا من الجمال المألوف»[٢].

ويؤكد كامل حسين خلو أسلوب أبى العلاء من الجمال قائلا:

«لا يرجع تعلقنا به إلى أسلوبه، فأسلوبه ليس جميلا»[٣].

فما السبب فى تعلقنا بأدب أبى العلاء، بالرغم مما نعانيه ونحن نستقرئ نصوصه الممتنعة؟

واضح، كما قلنا سابقًا، أن ما يميز لغة **الغفران** إنما يرجع إلى طبيعة الإملاء،

---

(١) Alpiniste وهو الذى يتسلق جبال «الألب» وأصبحت الكلمة تطلق على كل من له هواية تسلق الجبال العالية.

(٢) البحوث والمحاضرات، مجمع اللغة العربية، ص ٢٧، القاهرة، ١٩٦٠-١٩٦١.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٩.

فاللغة المملاة تختلف، حتمًا، عن اللغة المكتوبة. ولعل إعجابنا بهذا الأدب يرجع إلى «ما وراء» النص، إلى البنيات الخاصة بلغة هي «لغة المعرى» الأعمى والفنان الفيلسوف. إن لها صفات خصوصية وأخرى مشتركة، بها يقاس الأدب العالى.

ما هى تلك البنيات الخاصة؟

فى رسالة الغفران قوة غير مرئية (خارج اللغة، تظهر باللغة، بالرغم من صعوبة اللغة)، فيها تكمن براعة أبى العلاء الأدبية. مثلها كمثل القوة المغناطيسية تجذب ولا ترى. كلنا يعرف أن العلوم الطبيعية نفسها تثبت - من بين المسلمات - وجود قوى غير مرئية. حقًا، إن أناقة الأسلوب وسهولة اللغة، ليكونان سحر البيان الذى تنبنى عليه قوة التعبير، وهى الميزة الأساسية لكل أدب، بها يبلغ أحسن المراتب، وبها تتحقق القيم الاتباعية التى تضمن له الخلود.

فالجانب الطريف، فى كل لسان، هو أن يسمح لأى فرد أن يتكلم، وأن يختلف كلامه عن كلام الآخرين، ومع ذلك يحصل تفاهم، كما أن الألسنة تسمح لكل متكلم وصل حدًّا ما من إتقان التراكيب والقدرة على استساغتها، بأن يجعل من كلامه أسلوبًا يميزه، دون أن يخرج عن اللسان وأسسه المتفق عليها[1]. فلغة المعرى ليست لغة ابن المقفع، وإن كانتا معًا من صميم اللسان العربى. ومرجع هذه الظاهرة إلى ما فى اللسان من قوة خلاقة، أو ما يعبر عنه شومسكى «بالقدرة على الإبداع» (La créativité).

إن طبيعة اللغة متصلة بطبيعة المتكلم، بقدر ما هى نابعة عن النظام التركيبى الخاص بهذا اللسان أو بذاك. من هنا، يمكننا أن نؤكد أن لغة أبى العلاء هى نتيجة تلاق بين عبقرية العربية كلسان مع مواهبه الخاصة وتطلعاته. فلا يستغل

---

(١) «الكلام» (Parole) شخصى، أى عمل تعبيرى فردى، إنه غير «اللسان» (Langue) الذى هو نسق مجتمعى، ضمنه ينظم الكلام، فبدون خضوع الكلام لمعايير اللغة، لا يتم التواصل بين المتكلمين، وحينما يصبح الكلام موضوعًا للتفكير العلمى، يسمى «لغة» (Language).

إن اللغة تتعدى ما هو خاص فردى، إنها القانون العام الذى يهيمن على مجموع الألسنة.

أما اللسان فمحدد زمانيًا، ومكانيًا لما يدخل فيه المتكلمون من «اختراعات» شخصية. فى حين تظل اللغة هى الظاهرة الكبرى التى لا تتغير بتغير الأفراد.

انظر: Maurice carvet, Les structuralismes, P 20-21, Aubier, Paris, 1969.

القدرة على الإبداع اللغوى، إلا من كان مهيئًا لاستثار إمكاناته الشخصية، بالإضافة إلى تمكن تامٍّ من قواعد اللغة وضوابطها. فلغة المعرى (أى أسلوبه فى الحديث الملفوظ والمقروء) اختراع شخصى مستمر داخل إطار ما. ومدى الاختراع الشخصى فى اللغة أوسع مما يمكن أن نتخيل، فكما يقول (شومسكى) أنه من المؤكد:

«أن عدد الجمل التى يمكن الفرد أن يفهمها مباشرة فى لسانه القومى دون الشعور بأية صعوبة أو أية غرابة، لا يخطر على بال»[1].

وبالفعل، إن النماذج الكلامية الممكنة تفوق، كما قيل، عدد الثوانى التى مر بها تاريخ اللغات الإنسانية. لأن الكلام ضمنيًّا، لا تنتهى إمكاناته. فالفكر المبدع يلعب على الدوام، بالبنيات الموجودة، وبهذا الاستغلال يثرى اللغة ببنيات جديدة، تميز لغة كاتب عن لغة كتاب آخرين.

بهذا الصدد، نطرح سؤالاً ملحًّا، وهو:

أين نضع **رسالة الغفران** بالنسبة للسان العربى؟

هل فى مستوى لغة مؤلفة مكتوبة، باعتبار النص الذى بين أيدينا؟

أم فى مستوى كلام، باعتبارها، عمليًّا، منطوقة، مملاة؟

يبدو لنا أن **الرسالة** نوع خاص يجمع بين مميزات الكلام المملى، وبين خصائص اللغة المكتوبة.

بالرسالة استطرادات أدت إلى فلتات مخلة بتقنية التركيب العربى السليم، كما بيناه سابقًا. وتبدو، واضحة، أيضًا، هلهلة المنهجية التى سار عليها أبو العلاء، ولا شك أن ذلك ناتج عن ارتجال المؤلف لكثير من الفقرات.

ومن أبرز مظاهر الفوضى، فى المنهج والانسياق مع الارتجال، أن المعرى كان يتذرع بأوهى الأسباب ليبث فى تضاعيف **الرسالة** أكثر ما يمكن من القصص والانتقادات والشروح، مما قد يكون فى كثير من الأحوال، بعيد الصلة بالموضوع

(١) N. Chomsky, **Le langage et la pensée,** Paris, Payot, 1930.

الذى يطرقه، فلنتأمل حوار ابن القارح مع أبى هدرش[١].

يطرح أبو العلاء قضايا تتعلق بالأشعار المنسوبة إلى الجن وأخرى لها اتصال بماهية الجن وماهية آدم، وما اختص به كل منهما، وإذا به ينتقل، فجأة، ليقص على لسان الجن إحدى مغامرات هذا الأخير مع بنى آدم، ثم يذيلها بقصيدة رائعة. إثر ذلك، ينتقل أبو العلاء إلى حديث عن الرجم، ويتبعه بقصيدة فى الموضوع تتألف من ستة وستين بيتًا، يسوقها على لسان الجنى[٢]. هكذا تبتعد شاعرية أبى العلاء عن الكتابة المنهجية، وتتغلب ذاكرته الجبارة على الالتزام بوحدة الموضوع كما تفرضه العقلانية.

وبالمناسبة نُذَكِّرُ بحديث أبى العلاء عن دنانير سرقت من ابن القارح : بعد أن يستقصى كثيرًا مما له اتصال بلفظ «دنانير» يفاجئنا باستطراد طويل عن لفظتى «ثمانين» و«سبعين» لمجرد افتراضه أن عدد دنانير ابن القارح قد يفوق الثمانين[٣].

إن **رسالة الغفران** لتزخر بمثل هذه الوثبات التى تخلق، حتمًا، شبه «فوضى منهجية». وقد كان بإمكان أبى العلاء أن يتلافاها لو كان يعيد قراءة ما يكتب، ويشطب ما لا محل له فى السياق، ويقدم ويؤخر ما يقتضى ذلك. رغم هذا، إننا متيقنون أنه راجع ما أملاه قبل أن تودع **الرسالة** «المعزل» العلائى، إلا أنه قام بمراجعة ربما وحيدة، وقطعًا مراجعة سمعية لا بصرية، إذ لم تكن عاهة العمى لتتيح المجال للبصر كى يتضامن مع القلم فيعملا على المزيد من التنظيم. أليس «القلم لسان اليد» كما يقول ابن القارح[٤] : أليس أبو العلا «مستطيع بغيره»، كما يقول عن نفسه[٥].

ولكى يكون ما قدمناه ملموسًا، نسوق نصًا مقتطفًا من **الرسالة** يصور كيف ينجر أبو العلاء مع الحديث عن شىء إلى استقصاء مختلف معانيه، ومن الحديث

(١) أبو هدرش : جنى صادفه ابن القارح فى جنة العفاريت.

(٢) انظر: **رسالة الغفران** من ص ٢٩١ إلى ٣٠٤.

(٣) انظر: **رسالة الغفران** ص ٥٧١.

(٤) انظر: **رسالة الغفران** ص ٦٢.

(٥) **الرسالة**، ص ٥٨٣.

عن لفظة إلى الحديث عن ضدها، فمقابل ضدها. . . فمثلا من حديث عن «السواد» وما له به أدنى اتصال لفظى أو معنوى، ينتقل أبو العلاء إلى الحديث عن «البياض» كما تقدم أن أشرنا إليه. ثم يندفع من «بياض» إلى «الأبيضين» (= اللبن والماء)، وإلى غير ذلك من المعانى الخاصة بالبياض، وهو مفهوم ساقه عرضًا، إذ لم يكن يقصده أولا، وإنما انساق إليه بطريق تداعى المعانى، ومرة أخرى، ينزلق المعرى من لفظ «الأبيضين» إلى ألفاظ أخرى جانبية، لم تكن لتخطر على بال القارئ، فعندما يذكر صيغة المثنى: «الأبيضين»، يتذكر «الأحامرة» و«الأحمرين». يقول مخاطبًا ابن القارح:

«. . . وأنَّ فى منزلى لأَسْوَدَ[١] هو أعزُّ علَىَّ منْ عنترةَ على «زبيبة» (. . .) وحضر[٢] (الأسود) فى ناد حضرَهُ الأَسودانِ اللذان هما الهَنَمُ والماءُ، والحرَّةُ الغابرةُ والظلماءُ. وإنَّه لَيَنْفِرُ عن الأَبْيَضَيْنِ، إذا كانا فى الرَّهَج[٣] مُعرَّضَين. الأَبيضانِ اللذان ينفِرُ منهما: سيفانِ، أو سيفٌ وسِنانٌ، ويَصبرُ عليهما إذا وَجدهما. قال الراجز:

الأَبْيَضَــانِ أَبَـردا عـظامى   المــاءُ والـفثّ بــلا إدامِ

ويرتاحُ إليهما فى قول الآخر:

ولكنـهُ يمضى لىَ الحـولُ كلُّهُ   ومــالىَ إلا الأَبْيَضَــيِنِ شرابُ

فأَما الأَبيضانِ اللذان هما شحمٌ وشباب، فإنما تفرحُ بهما الرَّبابُ، وقد يُبتَهجُ بهما عند غيرى، فأَما أنا فَيَئِسًا من خيرى. وكذلك الأحامرةُ والأَحمرانِ[٤]، يعجبُ لهما أَسَودُ رانٍ، فيتبعهُ حليفُ سِتْرٍ، ما نزل به حادثُ هِترٍ»[٥].

---

(١) يقصد أبو العلاء بـ «أَسْوَد» قلبه.

(٢) يذكر أبو العلاء بعض الأشخاص ممن سموا بأسود، مثل «أبى الأسود الدؤلى»، و«الأسودان» بصيغة المثنى، وإنْ كان يطلق على رجل واحد، هو نبهان بن عمرو بن طىء، وقد أحصينا أربعة عشر شخصًا ممن يحملون هذا الاسم، وذكرهم أبو العلاء بهذا الصدد. ولطول النص، نحيل على رسالة الغفران، من ص ١٣٣ إلى ص ١٣٨.

(٣) الرهج: بسكون الهاء وفتحها، الغبار.

(٤) الأحمران: الخمر واللحم. والأحامرة (بصيغة الجمع): الخمر واللحم والخلوق، وهو نوع من الطيب.

(٥) الرسالة: انظر من ص ١٣٢ إلى ١٣٩.

أترى صنيع أبى العلاء إلى أين يَصِل؟

إن استطراداته تطول جدًّا لأنه يحيط بأطراف الموضوع الفرعى، الهامشى، ولا يكتفى بذلك، بل كل استطراد يسلمه، بتلقائية أحيانًا، وبتكلف، أحيانًا أخرى، إلى استطراد آخر، فآخر.

***

لعل التزام أبى العلاء بالسجع، كان له أيضًا الأثر الكبير فى ذلك، ولعمرى إن إتقان السجع خاصية لا تتوفر إلا لمن يحظى بذخيرة لغوية تمكنه من إشباع التعلق بالصنعة والتنميق، فقد شغف المعرى بتحدى منافسيه وخصومه، لا يشعر بإحراج فى إحراجهم «لزوم ما لا يلزم». فالاستطرادات، فى الرسالة، تردد صدى لرغبة فى أعماقه، أنها إبراز الثروة اللغوية الهائلة التى يفخر بها والتى تعكس شخصيته كلغوى مشهور، وأستاذٍ يُؤَم.

***

ومن هنا نعود لنؤكد ما قلناه: أين نضع **رسالة الغفران**، ضمن نظام الكلام أم ضمن نظام اللغة العربية؟

لقد أجبنا بأنه أسلوب يجمع بين خصائص كل من المستويين.

غير أنه بالرغم من كل شىء، إن الظواهر الكلامية تظل نادرة إذا قيست بمميزات **رسالة الغفران**، باعتبارها أثرًا «لغويًّا» و«أدبًا فنيًّا» مسطورًا، حرر طبقًا لتقنية التأليف اللغوى الراقى. حقًّا، كان أبو العلاء يملى، ولكن إملاءاته تأتى بعد أن اختمرت فى ذهنه، إنه إملاء بعد تأمل سابق منسق.

وعندما كان المعرى يملى، كان «يتكلم» طبقًا للغة، أى: «لمعايير تراعى».

إن اللغة، بالنسبة لكل متكلم: «ميزان حركة ووسيلة حياة فى المجتمع[1]».

ففى فترة اختمار ما سَيُمْلَى، كان ذهنُ أبى العلاء منشغلا بالقوالب التى سيفرغ

---

(١) تمام حسان، اللغة العربية، مبناها ومعناها، ص ٣٢، القاهرة ١٩٧٣، انظر كذلك كتابيه مناهج البحث فى اللغة واللغة بين المعيارية والوصفية.

فيها المعانى طبقًا لمقاييس اللغة العربية، أى لأنماط معيارية مشتركة سابقة عن الكلام.

ألم يَرُم أبو العلاء، بالإضافة إلى إبداع قصة سماوية، كتابة رسالة فى اللغة والأدب تحديًا لمراسلة، ابن القارح؟

ألم يكن على علم بأن رسالته الكبيرة الحجم المتنوعة المعانى ستسير فى المجالس الأدبية واللغوية، فى المعرة وحلب وغيرهما من المراكز الثقافية المزدهرة آنذاك؟

ألم يكن المعرى على علم بأن له خصومًا يتربصون به الهفوات، وهو المتضلع فى اللغة، المعتز بقيمته وسعة اطلاعه؟

إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لا يعمل صاحبنا جاهدًا على أن تأتى الغفران فى قمة الآثار الأدبية، وأن تتبوأ أعلى مستويات اللغة، تراكيبَ وألفاظًا؟

هكذا جاءت الرسالة تعكس شخص أبى العلاء كأعمى يملى، وكلغوى ماهر يبرع فى الاستعمالات الجيدة، ويعرض مقدرته فى الاطلاع الواسع على المترادفات والألفاظ الغريبة، فجمعت بين فنية الإطار السماوى الروائى، وبين سلامة البنيات اللغوية رغم الارتجال ورغم الشكل الروائى الذى يميزها.

* * *

تحتل الرسالة، إذن، موقعًا خاصًا بين الكلام وبين اللغة، فلا يخرج «كلام» المعرى عن كونه عملا حدوده اللغة، فبرغم ما يوجد من اختلاف بين خصائص اللغة والكلام، كما يؤكد فندريس فيما سقناه سابقًا، فإن الصلة تظل وثيقة بينهما. فالكلام كما يرى الأستاذ تمام حسان «سلوك واللغة معايير هذا السلوك. والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة. والكلام يحس بالسمع نطقًا، والبصر كتابة. واللغة تفهم بالتأمل فى الكلام. فالذى نقوله أو نكتبه كلام، والذى نقول بحسبه ونكتب بحسبه، هو اللغة. فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه

اللغة والمعجم ونحوها»[1].

هكذا تمتزج فى أسلوب الرسالة خصائص الكلام بخصائص اللغة ولذلك امتازت التراكيب العلائية بطابع خاص، طابع الامتداد الداخلى.

إن عاهة العمى، حسب ما يقول علماء النفس، تقوى الذهن وتشحذه، فلا يحول دون الأعمى، كما هو الأمر بالنسبة للمبصر، مشهد يلفت نظره، فيقطع عليه الانسياب فى ما هو منشغل به فكريًا، ذلك الانسياب الذى يصاحبه، حتمًا، امتداد فى التراكيب المعبرة.

فلنقرأ صفحة أو صفحات من مؤلفات طه حسين، مثلا، ألا تبرز ظاهرة الجمل الطويلة فيها واضحة؟ بيد أن الأسلوب العلائى يظل ذا ميزة لا نجدها فى أسلوب طه حسين وهى الالتزام المفرط بالإيقاع المعتمد على تداخل التراكيب والألفاظ الغريبة.

ولا غرابة فى ذلك؛ فأبو العلاء كان شغوفًا بالموسيقى حتى إنه أقام فى جنته، مجالس للغناء والطرب، وجمع لها أشهر المغنين والمغنيات[2]، وقدم لنا مشاهد لرقص الأوز على مختلف الألحان. فالمعرى، كان، يهوى الموسيقى ويتقن ضروبها[3]. فكأنى به وهو يملى رسالته، يهتز لسجع الألفاظ، وينفعل لتوقيعات التراكيب. فجاءت لذلك جل تراكيب الرسالة، مهما كان عدد عناصرها، موقعة

---

(١) انظر: اللغة العربية: مبناها ومعناها، ص ٣٢. إن التفرقة بين اللغة والكلام ناشئة عن فكرة اللغوى الفرنسى الرائد دسوسور الذى فرق بين مصطلحات ثلاثة وهى:

(أ) «Le langage» ويعنى به اللغة كظاهرة إنسانية عامة يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات.

(ب) «La langue» ويعنى بها اللغة المعينة كالعربية أو الفرنسية، مثلا، ويقابلها فى العربية مصطلح «اللسان» حسب اختيار الدكتور الأستاذ عبد الصبور شاهين (انظر كتابه: فى علم اللغة العام، ص ٢٩ وما بعدها. ط ٢، القاهرة ١٩٧٧).

(جـ) «Le Parole» وهو اللغة فى مستوى الممارسة الفردية وتقابل مصطلح «الكلام» انظر:

(F. Saussure, cours de linguistique générale, Paris, 1960).

وبهذا الصدد نشير إلى أنه إذا استخدمنا فى هذا البحث «اللغة» فى مقابل «الكلام» فإننا نعنى بها اللغة المعينة المقصودة بكلمة .Langue

(٢) انظر رسالة الغفران ص ٢٧٢.

(٣) انظر رسالة الغفران من ص ٢١٢ إلى ٢١٤. وانظر: كذلك، كتاب أبى العلاء، الفصول والغايات، حيث يتحدث فى فقرات خاصة عن ضروب الموسيقى ومصطلحاتها.

تسير على أنغام مثيرة ما نظن أبا العلاء قد أجهد نفسه لاتقانها.

إن ما يطبع أساليب الرسالة من قوة تدفق الألفاظ، وانسياب التعابير، ومرونة وصل الكلمات بعضها مع بعض، ليدل على تبحر أبي العلاء في أساليب اللغة وترويضه لها وامتلاكه لزمامها مما جعل الإملاء عنده من أعلى نماذج الكتابة عند المبصرين.

هكذا تظهر لغة المعرى (بالرغم من الصناعة) بعيدة عن التصنع الذى يتجلى عند الكثيرين من المغرمين بالصنعة.

فلنستمع إلى تعقيب أبي العلاء عن براعة «إوزة من أوز الجنة فى الغناء:
«فإذا تَيَقَّنَ [ابن القارح أن] لها حَذاقة، وعَرَف منها بالعوُد لَبَاقة، هَلَّلَ وكَبَّرَ وأطال حمدَ ربِّه واعتبَرَ، وقال:

ويحَك، أَلَم تكوني الساعة إِوَزةً طائرة، والله خَلَقَكِ مَهدِيَّةً لا حائرة؟ فمن أينَ لكِ هذا العِلمُ، كأنك لجَذَلِ النفْسِ خِلْم؟ لو نَشأتِ بينَ مَعْبد وابن سُرَيْج، لما هِجْتِ السامعَ بهذا الهَيْج، فكيفَ نَفَضْتِ بَلَه إوزٍّ، وهزَزت إلى الطربِ أشدَّ الهز؟»[1].

إن ظاهرة الايقاع بين الجمل منتشرة جدًّا، سواء فى «فصل الرحلة» أو فى «فصل الرد على الأسئلة». وإنها كما يبدو، فى النموذج السابق، تقوم على التزام السجع، مهما كلف ذلك أبا العلاء من استعمال للغريب وشرحه.

فمثلا، من حرصه على التلاؤم، قوله «خِلْم» التى تلائم لفظة «علم»، و«سرَيج» و«هَيْج».

ولنستمع إلى نموذج آخر من الفصل الثانى من الرسالة:

«وأما أبو القَطِران الأسَدِى - وأىُّ البشَرِ من الخُطوب مفدِىّ - فصاحبُ غزلٍ وتبطل، وتوفر على الخُرِدِ وتعَطُّل. وما أشُك أن الشيخ، - أقرَّ الله عينَ الأدبِ

---

(١) رسالة الغفران، ص ٢١٤.

بالزيادةِ فى عُمرهِ - أشدُّ شَوْقًا إلى «أحمَدَ بن يحيَى»[١]، مع صَمَمه، «وأبى الحسن الأثْرَم»[٢]، مع ثَرمَه، من «المرارِ بن سَعيد»، عندَ رَجاءِ العدَةِ وخوْف الوعيد، وهو ذلك المتهيِّم إلى «وحشية» وإنْ فَقَدَ لبَيْنِها الحشيّة، وادكَر ثغرًا كالإغْريض، وخدًّا يعدَل بلونِ الإحْريض[٣]، وإنما وُدُّ الغانية خِلابٌ وخدَاع، وللكمدِ فى هَوَاه ابتداعٌ. ولو هَلَكَتْ تلك المرأةُ «والمرارُ» يعيشُ لعَدَّ أنَّه بتَلَفِها نَعِيش، لا سِيَّما بعد السِّنِّ العالية، وقُوةِّ النفسِ الآلية. ولعل «أبا القطران» لو مُتِّع بهذه المذكورة ما يكونُ قَدْره مائةَ حِقْبةٍ، على غَيرِ الجَزَعِ - والرِّقبة، لجازَ أن يَغْرَضِ من الوِصَال، إذَا عَلِمَ أَنَّ حَبْلَه فى اتصال. ولو نَزَل بها شيْءٌ تَتَغيَّرُ به عَن العَهْدِ، لَتمنى أن تُقذَفَ إلى غيرِ المَهْدِ، لأن ابْنَ آدَمَ بخيلٌ مَلولٌ، تَسرى به إلى المَنيَّة أمُونٌ ذلُول، ولو أصابها العَوَرُ، بعد أَنْ سَكَن عينها الحَوَر، لظَنَ أن ذلك نبأٌ لا يُغْفَرُ ولا يُكفَّر، فكيفَ يُعْتَبُ على الفَاهِينَ، وينْتَقَمُ من القَومِ الساهِين؟ والله، سبحانَه، قد رَفَع ذلك عن ساهٍ ما عَلِم، ونائم إذَا أَحَسَّ بالمؤلم أَلِم»[٤].

إن المعرى «فنان» يحترم قواعد اللغة، نحواً وصرفًا وتركيبًا، ولكنه يلتزم بالتعبير ذى النفس الطويل المتسلسل، وكأنه يريد أن يقنع ويبهر بتمكنه من اللغة، ويتحدى اللغويين والمعجميين ويعجزهم. يحترم أبو العلاء اللسان العربى، ويتجاوزه، متصرفًا خلاقًا، فهو يعتبر اللغة معرفة وصناعة، علمًا وفنًّا: يأخذ بالمتفق عليه، بكيفية موضوعية كما هو حال العلماء أمام المعطيات الواقعية، ثم يتصرف كالفنان الذى يأخذ عن الطبيعة الألوان والظلال ليعطى لوحة فيها الطبيعة وفيها شيء آخر، شيء من ذاتيته هو. إننا نلمس طابع أبى العلاء فى جميع مؤلفاته، وعلى رأسها **الغفران**، ذلك الطابع الذى يتجلى واضحاً فى طريقة استعماله للكلمات، وكيفية رصفها، وفى تركيب الجمل ووزنها.

إذن، إن لغة المعرى لغة عالم فنان، ورسالة الغفران كتاب كلاسيكى (اتباعى)

---

(١) تغلب، إمام الكوفيين فى النحو واللغة فى عهده، توفى ببغداد سنة ٢٩١ هـ.

(٢) على بن المغيرة الأثرم، عالم لغوى ونحوى، أخذ عنه ثعلب، توفى سنة ٢٣٢ هـ.

(٣) الإحريض: العصفر عامة، وقيل حب العصفر.

(٤) انظر: الرسالة، ص ٣٩٦-٣٩٧.

من وجهتين، من جانب «علوم» اللغة، ومن الجانب الأدبي، وأعنى فنون القول حيث تتدخل المخيلة، والذوق، والتلميحات اللاذعة، وعنف التعبير، وحنان التعاطف.

إنها للذة كبرى نشعر بها ونحن نردد كثيرًا من فقرات الرسالة ونعيش بين أحضان نسيجها الرائق. يقول أبو العلاء فى وصف جارية بالجنة :

« فيأخذُ [ابن القارح] سَفَرجلةً، أو رُمانةً، أو تُفاحةً، أو ما شاءَ الله من الثمار، فيَكسرها، فتخرج منها جاريَة حوراءُ عيناءُ، تَبْرَقُ لِحُسْنِها حُورِيَّاتُ الجِنانِ، فتقول :

مَنْ أنتَ يا عبدَ الله ؟

فيقول :

أنا فُلان ابنُ فلانٍ.

فتقول :

إنى أُمَنَّى بِلقائِكَ قَبْلَ أن يَخلُق الله الدُّنيا بأربعَةِ آلافِ سنَة.

فعند ذلك يَسْجدُ إعْظَامًا لله القَدير ويقول :

هذا كما جاء فى الحديثِ : «أعْدَدْتُ لِعبادِيَ المؤمنينَ ما لاعَيْنٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعت، بَلَه ما أطلَعتُهم عليه»، وبله فى مَعْنى : دَعْ وكيفَ.

ويَخطِرُ فى نَفسه، وهو ساجدٌ، أن تلك الجارية على حُسْنِها ضاوِية، فيَرْفَعُ رأسَه من السُّجودِ وقد صار من ورائِها رِدْفٌ يُضاهى كثُبان «عالج» وأنقاءَ الدَّهناءِ وأَرْملةَ يَبْرِينَ وبنى سَعْد، فيُهالُ من قُدْرَةِ الله اللطيفِ الخبير، ويقول :

يا رازِقَ المشرِقَةِ سَنَاها، ومبْلِغَ السائِلة مُناها، والذى فعلَ ما أعْجَزَ وهالَ ودَعا إلى الحِلم الجُهَّالَ، أَسْأَلُكَ أن تَقصرَ بُوصَ هذه الحُوريةِ على ميلٍ فى ميل، فقد جازَ بها قدرك حدَّ التَّأمِيل، فيقال له :

أنتَ مخيَّر فى تكوينِ هذه الجاريةِ كما تَشاءُ، فَيقتَصِرُ من ذلك على الإرادة»[١].

ونلحظ، كذلك ظاهرة السخرية فى الأسلوب العلائى وقد امتزجت بتلميحات لاذعة فى مشهد شجار الأعشى مع نابغة بنى جعدة، بالجنان[٢].

* * *

يصف بعضهم الشاعر المجيد بأنه «ذو نفس شعرى طويل». وبما أن جمل أبى العلاء مترامية الأطراف، قد يجوز أن نصف المعرى بأنه «ذو نفس تركيبى طويل». فإذا كان غيره يكتفى، مثلاً، بالنعت المفرد فهو تروقه الجمل الوصفية المتتالية، مثل ما نجده فى النص التالى. يقول:

«وأَجْمع مُلحِدٌ ومُهتَدٍ، وناكبٌ عن المحجّةِ ومُقتَدٍ، أنَّ هذا (الكتابَ) الذِى جاءَ بِه «محمد»، ﷺ، كتابٌ بهر بالإعجاز، ولقى عَدُوَّه بالإرجَاز[٣]، ما حُذِى عَلَى مِثالٍ ولا أشبه غَرِيبَ الأمثالِ، ما هو من القصيد الموزونِ، ولا الرجز من سهْل وحزون. ولا شاكَل خِطابةَ العرب، ولا سجعَ الكهنة ذوى الأرب. وجاء كالشمس اللائحةِ نوراً للمسَّرةِ والبائحة؛ لو فَهِمهُ الهَضْبُ الراكِدُ لتصدَّعَ، أو الوعولُ المعْصِمَةُ لراق الفَادِرة والصدَع «وتلك الأمثال نَضْرِبُها للناس لعلَّهم يتَفكَّرون»! وإن الآية منه أو بعض الآية، لتعترِضُ فى أَفصَح كَلِم يقدِر عليه المخلوقون، فتكونُ فيه كالشهاب المتلألىءِ فى جنْحِ غَسَقٍ والزهْرَةِ الباديةِ فى جُدوبٍ ذات نَسَقٍ»[٤].

هكذا تتعدد الجمل الوصفية للموصوف الواحد، وسنعود إلى دراسة هذه الظاهرة بتفصيل، فى مكان آخر.

كذلك، إذا كان من الكتاب من يميل إلى الحال المفردة، فأبو العلاء يأبى إلا أن تكون «الحال» جملة أو جملاً على العموم، يقول:

---

(١) انظر: الرسالة، من ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) انظر: رسالة الغفران، من ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٤.

(٣) الرجز: ارتعاد يصيب البعير أو الناقة فيعجزها عن القيام.

(٤) انظر: رسالة الغفران من ص ٤٧٢ إلى ص ٤٧٣.

« إنَّه المسكين قال هذه الأبيات، وبنو آدم فى دار المحن والبَلاءِ، يقبضون من الشدائدِ على السُّلاءَ[١]، والوالدةُ تخاف المنيَّة على الولَد، ولا يزالُ رُعْبُها فى الخَلَد، والفقْرُ يرْهَبُ ويُتَّقى، والمال يُطَلَبُ ويُسْتَبْقَى، والشَغَبُ موجودٌ والظَّماءُ، والكَمَهُ معروف والكَماءُ[٢]، ولم يُكفَفْ لِلغِيَرِ عِنانٌ، ولا سُكِنت بالعفو الجنانُ »[٣].

هكذا تتوالى جمل الحال معطوفًا بعضها على بعض.

وكل هذه القيود أو المكملات، تتكرر فى صورة المفرد وفى صورة الجمل، ويتولد بعضها عن بعض، فتتمدد بذلك الجمل والتراكيب عنده.

من هنا، نؤكد أن التراكيب العلائية جديرة بأن تدرس، ولن تتم هذه الدراسة، إلا إذا حددنا مفهوم الجملة وحصرنا أقسامها لنرى أى أنواع الجمل يكثر استعماله عند أبى العلاء، وما السر فى تفضيله لبعض الأنواع، إلى غير ذلك مما سنراه فى موضعه.

---

(١) السلاء: بالضم شوك النخل، واحدته سلاءة.

(٢) كمىء يكمأ: حفى، كمئت اليد من البرد أو العمل، تشققت فصارت كالكمأة.

(٣) انظر: رسالة الغفران ص ٢٢٥-٢٢٦.

ما الجملة ؟

نعنى بدراسة التراكيب إبراز خواصها. أى إحصاء مجموعة من الظاهرات التى يتميز بها البناء الداخلى للجمل، من حيث كونها بسيطة أو مركبة، فعلية أو اسمية، ومن حيث نظام الأجزاء داخلها. وبالتالى معرفة أى الأنواع يطغى على غيره فى النص المدروس.

لذا نرى من المفيد أن نخصص، أولاً : دراسة للجملة وأقسامها عند النحاة القدامى والمحدثين، ثم نعقبه بفصل آخر تطبيقى نتصدى فيه للجمل العلائية وأشكالها.

فما الجملة ؟

أولاً : الجملة فى اللغة :

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وجدنا ابن منظور فى **لسان العرب** يرى أن الجملة واحدة الجمل، وهى جماعة الشىء. ومنه قولهم أجمل الشىء أى جمعه عن تفرقة. وكذلك أجمل له الحساب. فالجملة جماعة كل شىء بكامله، من الحساب وغيره. قال تعالى :

﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. . .﴾[١].

وجاء فى حديث القدر : «كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص».

ويرى ابن منظور أن الحبل الغليظ سمى «جملة» لأنها قوى كثيرة، جمعت فأجملت جملة، ويرجح أن يكون لفظ «جملة» فى اصطلاح النحاة، مشتق من جملة الحبل[٢].

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٢.

(٢) لسان العرب، مادة «جمل».

يتبنى الزبيدى فى تاج العروس هذا التعريف نفسه، ولكنه يضيف تحليلاً بسيطاً للمفهوم الإصطلاحى «الجملة» يقول:

«ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى»[1].

مما تقدم نستنتج أن الجملة فى اللغة تعنى الجمع بين شيئين أو أكثر.

فما مفهوم الجملة فى اصطلاح النحاة؟

للإجابة على هذا السؤال سنعرض آراء بعض النحاة العرب القدامى والمحدثين، وكذا آراء بعض علماء اللغة الأوربيين.

ثانيًا: «الجملة» عند النحاة العرب القدامى:

أول صعوبة صادفتنا فى البحث عن تعريف النحاة للجملة هى أننا لم نوفق، فى استقرائنا للكثير مما اطلعنا عليه من المؤلفات النحوية (سواء ما طبع منها أو ما يزال مخطوطًا) إلى الحصول على دراسة وافية للجملة، رغم ما لها من مكانة أساسية فى التركيب.

إن الجملة قوام التعبير وهيكله على اختلاف الأشكال والصيغ، ورغم ذلك لم تنل حظ التوفر على دراسة منفردة، ورغم الجهد العظيم الذى بذله النحاة فى التعرض إليها تبقى فى حاجة إلى المزيد من الدرس وإلى تصنيف مختص، إذ لا يزيد عمل أولئك النحاة الذين برعوا فى لم قواعد النحو وتصنيفها فى الحديث عن الجملة على لمحات عرضية وسريعة ومتفرقة اقتضاها المقام، فى بعض الأبواب، مثل «باب الكلام» «وباب المبتدأ» «وباب الموصول» «وباب الصفة».

ثانى صعوبة هى أن ما عثرنا عليه من المؤلفات التى عقدت للجملة فصلاً منفردًا لم يهتم بتعريف الجملة، بقدر ما اهتم بتحليل أجزائها وسرد أقسامها وأنواعها، ثم إثارة مشكل الاختلاف القائم بين النحاة، عن معرفة ما إذا كان الكلام مرادفًا للجملة، أم هناك فرق بينهما.

---

(١) تاج العروس، جـ ٧ ص ٢٦٤.

قد عثرنا على مخطوطات جذبتنا عناوينها[1]. لكن، بعد الاطلاع علمنا أن المراد بلفظ «جمل» هو دراسة الأبواب النحوية المعهودة، التى تتخذ الكلام منطلقًا لها، لبحث الاسم وما يعتريه من بناء وإعراب، وجمع وإفراد، وبحث الفعل وأقسامه، والحرف،... دون أن نعثر على دراسة خاصة بالجملة فى حد ذاتها، إلا ما ذكر لمامًا فى بعض الأبواب.

عثرنا كذلك، على مخطوطات متخصصة فى ذكر الحدود النحوية، وهى رسائل مختصرة، بعضها تعرض لذكر حد الجملة[2] وبعضها الآخر لم يتعرض[3] كما سنرى.

كل ذلك جعلنا نضطر، إلى استقراء الأبواب التى عقدت لتعريف الكلام. بل وأكثر من ذلك، أخذنا نتنقل، خلال أوتار متشابكة من الفصول والأبواب النحوية، وبين أقواس متداخلة من الشروح والحواشى التى ورد فيها ذكر الجملة، ولو عرضًا، عسانا نحصل على عناصر تنير لنا السبيل وتساعدنا فى التعرف على الجملة عند النحاة العرب القدامى.

كانت مصادرنا فى ذلك متنوعة، منها **الكتاب** لسيبويه، **والمقرب** لابن عصفور، فمصنفات ابن مالك، وما دار حولها من الشروح والحواشى، وكتاب **المغنى** لابن هشام.

فأما **الكتاب** فقد وردت فيه إشارة إلى الفرق بين الكلام والقول أثناء حديث سيبويه عن الأفعال التى تستعمل وتلغى، يقول:

«واعلم أن «قلت» إنما وقعت فى كلام العرب على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلامًا لا قولاً. نحو قلت زيد منطلق لأنه يحسن أن تقول: زيد

---

(١) مثل: الفاخر فى شرح جمل عبد القاهر الجرجانى، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٢٧ (نحو)، وشرح الجمل الكبيرة للزجاجى، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٩ (نحو)، وشرح الجملة وأقسامها (منظومة)، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢٩٣ (نحو)، إصلاح الخلل الواقع فى الجمل، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١٠ (نحو).

(٢) الأزهرى شرح الحدود فى النحو، دار الكتب، القاهرة رقم ١٩٥١ (نحو). ابن قاسم المالكى، شرح حدود الأبدى، دار الكتب، ١٩٥٠ (نحو). أرجوزة جزئية فى الحدود النحوية، دار الكتب، ١٠٠٤ (نحو).

(٣) حسين القصبجى، ذكر بعض الحقائق النحوية، دار الكتب ١٠٤ (نحو).

منطلق، ولا تدخل قلت»[1].

ومقتضى هذا كما يقول ابن جنى : «أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائمًا برأسه مستقلاً بمعناه، وأن القول عنده بخلاف ذلك، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدم الفصل بينهما ولما أراك فيه أن الكلام هو الجمل المستقلة بنفسها الغانية عن غيرها»[2].

فكان الكلام عند سيبويه طبقًا لاستنباط ابن جنى مكوّنًا من جملة أو جمل ولكن كل جملة تتميز بصفتين هما الاستقلال بحيث تكون (غانية عن غيرها) والإفادة.

وقد نجد عند ابن جنى تحديدًا أكثر لهذا المضمون فى قوله :

«إن الكلام إنما هو فى لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها»[3].

فإذا انتقلنا إلى ابن عصفور نجده يعرف الكلام بقوله :

«الكلام، اصطلاحاً، هو اللفظ المركب وجودًا أو تقديرًا، المعتمد بالوضع»[4].

ولعل السبب فى افتقادنا لدراسة مفصلة عن الجملة فى التآليف التى تلت **الكتاب** هو أن سيبويه الرائد لم يخصص لها فصلاً، وحيث أن جميع من أتوا بعده اكتفوا بالشرح لما جاء فى الكتاب، لذا لم يأتوا بجديد فى الموضوع. كما أن مصنفات ابن مالك التى كانت حدثاً جديدًا، فى تنظيم جديد لأبواب النحو، لم تتعرض فى باب خاص للجملة، وكل ما تلاها من المصنفات نفتقد فيه هو أيضًا هذه الدراسة، ويبدو أن مرجع ذلك إلى أمرين :

- **أولهما** : أن جل النحاة الذين عاصروا ابن مالك، أو جاؤوا بعده لا تخرج

(١) **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، جـ١، ص١٢٢.

(٢) **الخصائص**، تحقيق محمد على النجار، جـ١، ط٢، ص١٨، ١٩، القاهرة ١٩٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص٣٣٢.

(٤) **المقرب**، جـ١. ص٤٥. بغداد، ١٩٧١.

دراساتهم عن كونها، إما شرحًا لكتابيه، **الكافية والألفية**، وإما شرحًا لشروحهما، وإما حاشية أو تعليقًا على الشرح، ومن الطبيعى أن تنهج هذه التآليف النهج الذى خطه المصنف فى منظومته. وبما أن ابن مالك لم يتعرض لتعريف الجملة، فقد أبى الشراح والمعلقون إلا أن يظلوا مقلدين، يحذون حذوه، أوفياء فى تقيدهم بأبواب وفصول **الألفية** **والكافية**.

- **ثانيهما**: أن المواقف التى اتخذها الشراح من تعريف ابن مالك للكلام كانت مواقف متنوعة.

فتعريفه الكلام هو:

«ما تضمن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتى ذلك إلا فى اسمين أو فى فعل واسم». (**الكافية**، باب الكلام وما يتألف منه).

ويضيف فى مستهل **الألفية**:

«كلامنا لفظ مفيد كاستقم».

وفى التسهيل:

«الكلام ما تضمن من الكلم إسنادًا مفيدًا ومقصودًا لذاته»[١].

إن مواقف الشراح متنوعة. لقد انقسموا أصنافًا، يمثل الصنف الأول كل الذين اعتمدوا فى شرح تعريف الكلام على ما ورد فى **الألفية**، متقيدين بذلك، دون التفات إلى التعريفين الآخرين الموجودين فى **الكافية وفى التسهيل**، فشرحوا مدلول «لفظ» ومدلول «مفيد» شرحًا سريعًا، ولم يتعمقوا فى أغوار مدلولى «الإفادة» و«القصد» وما يدخل تحتهما من أنواع التراكيب، وما يخرج بالتقييد بهما من صور المركبات، ومن ثمة لم يتعرضوا لذكر تعريف الجملة مكتفين بتعريف الكلام. من هؤلاء ابن هشام فى **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، حيث يقول:

---

(١) الأشمونى، حاشية الصبان، قد أفرد بابا أسماه «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة»، ط. المدارس الملكية، سنة ١٢٩١ هـ.

«الكلام - فى اصطلاح النحويين - عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والإفادة [. . .] والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه».

ثم ينتقل إلى ذكر أجزاء الكلام:

«وأقل ما يتألف الكلام من اسمين: كـ«زيد قائم» ومن فعل واسم «قام زيد» ومنه «استقم» فإنه من فعل الأمر المنطوق به، ومن ضمير المخاطب المقدر بأنت»[١].

على أن ابن هشام، كما سنرى، قد أفرد بابًا خاصًا بالجملة فى كتابه المغنى. وقد حظى شرح ابن هشام بحاشية للأزهرى، غير أن ما بها من إضافات، فى موضوع تعريف الكلام، يعتبر طفيفاً ولا يتطرق إلى الجملة. يقول الأزهرى معلقًا على شرح ابن هشام لتعريف الكلام.

«الكلام فى نفسه: اللفظ والإفادة. والمراد بالمفيد، هنا، ما دل على معنى يحسن السكوت (من المتكلم) عليه، (أى على ذلك اللفظ بحيث لا يصير السامع منتظرًا لشيء آخر)[٢]. وعلم من تفسير المفيد، بما ذكر أنه لا يحتاج إلى قولهم المركب، لأن المفيد الفائدة المذكورة، يستلزم التركيب. ولا إلى قولهم المقصود، لأن حسن سكوت المتكلم يستدعى أن يكون قاصدًا لما تكلم به».

ثم يذكر الأزهرى مايحترز عنه «بالمفيد» ويجعل منه المركب:

«الإسنادى المسمى به: كبرق نحره، والمعلوم للمخاطب: كالسماء فوقنا».
وصور تأليف الكلام عنده ستة:

«اسمان - فعل واسم - فعل واسمان - فعل وثلاثة أسماء - فعل وأربعة أسماء - جملة القسم وجوابه - أو الشرط وجوابه»[٣].

---

(١) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ٤، جـ ١، ص ١١، القاهرة، ١٩٥٦.

(٢) ما بين الأقواس من إضافات الأزهرى.

(٣) الأزهرى، التصريح على التوضيح، جـ ١ ص ٢٢، ط. القاهرة، ١٣٢٥ هـ.

وقد اعتمد ابن عقيل هذا التقسيم، وجاء بأمثلة لبعض أنواع الصور[١].
ويضيف الأشمونى لما خرج من حد الكلام بقيد الافادة المركب غير المستقل، يقول:

«وخرج باللفظ [. . .] وبالمفيد المفرد، نحو: زيد، والمركب الإضافى، نحو: غلام زيد، والمركب الإسنادى المعلوم مدلوله ضرورة، كالنار حارة، وغير المستقل كجملة الشرط، نحو: إن قام زيد..»[٢].

يمثل الصنف الثانى من الشراح أولئك الذين تناولوا تعريف الكلام فى **الألفية**، على ضوء تعريفى **الكافية والتسهيل**، فذكروا ما يخرج عن حيز الكلام، من الجمل، نتيجة تقييد ابن مالك الإسناد المفيد بكونه «مقصودًا لذاته». وحصروه فى أنواع من الجمل. من هؤلاء الخضرى الذى يرى أن التقييد بـ«المفيد» يغنى عن قوله «المقصود لذاته» لأن هذه الجمل لم تفد لنقص إسنادها بتوقفها على ما هى قيد له»[٣]. كذلك الأشمونى والصبان، إذ يريان أن ابن مالك، فى شرح الكافية، لم يذكر فى حد الكلام «التركيب»، و«القصد» نظراً إلى أن الإفادة تستلزمهما. لكنه، فى **التسهيل**، صرح بهما وزاد فقال:

«لإخراج نحو «قام أبوه» من قولك: «جاءنى الذى قام أبوه»، لأن الإسناد فيه ليس مقصودًا لذاته، بل لتعيين الموصول وتوضيحه. ومثلها الجملة الخبرية والحالية والنعتية»[٤].

ويضيف السيوطى، إلى أنواع الجمل السابقة، جملة الجزاء:

«... ليخرج المقصود لغيره كجملة الصلة والجزاء»[٥].

ويضيف الرضى الجملة القسمية والجملة الشرطية:

---

(١) انظر ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ص٣ ط. القاهرة، ١٢٨١هـ.

(٢) انظر الأشمونى، حاشية الصبان، باب «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة»، ط. المدارس الملكية، ١٢٩١هـ.

(٣) انظر: الخضرى، حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ط٢، مصر، ١٣٠٦هـ.

(٤) انظر: الأشمونى، حاشية الصبان، باب «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة».

(٥) انظر السيوطى، البهجة المرضية فى شرح الألفية، ص٤، ط١، المدارس الملكية ١٢٩١هـ.

«وليخرج بقوله المقصود ما تركب به لذاته الإسناد [...] الذى فى الجملة القسمية، لأنها لتوكيد جواب القسم، والذى فى الشرطية، لأنها قيد فى الجزاء»[1].

لقد رأينا السيوطى يخرج جملة الجزاء من مفهوم الكلام، فى حين نجد الرضى ينص على أنها كلام، فيضيف بأن جزاء الشرط وجواب القسم كلامان، بخلاف الجملة الشرطية والقسمية[2].

لكننا نجد صاحب **الفاخر** ينص على خروج الجملة الشرطية عن مفهوم الكلام:

«فخرج به كل ما لم يحسن السكوت عليه مما ذكر، وخرج الشرط بانفراده، والجواب على انفراده»[3].

الصنف الثالث: هناك فئة أخرى من النحاة، لم تتقيد فى شرح تعريف ابن مالك للكلام بما تقيد به شراح الصنف الثانى، بل طرحوا مشكل تعريف الجملة، فتساءلوا: هل هى والكلام شيء واحد، أم هناك فرق بينهما؟

منهم من يرى أنها تخالف الكلام لكون الإسناد الأصلى فيها قد لا يكون مقصودًا لذاته. ومن هؤلاء الرضى الذى يصرح:

«والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلى، سواء كانت مقصودة لذاتها أولا، كالجملة التى هى خبر المبتدأ [...]، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلى وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»[4].

ومنهم من لا يفرق بين الكلام والجملة، كالزمخشرى الذى يعرف الكلام بأنه:

---

(١) انظر الرضى، شرح الكافية، جـ١، ط. اولنمسدر، ١٣١٠ هـ.

(٢) نفس المصدر

(٣) انظر الفاخر فى شرح جمل عبدالقاهر، مخطوط، دار الكتب، رقم ٢٢٧ (نحو)، ص ٩.

(٤) شرح الكافية.

ملاحظة: عاصر ابن مالك، وفرغ من شرح الكافية فى سنة ٦٧٣ هـ، ويبدو أنه لم يطلع على التسهيل، من ثم أخذ على صاحبه مآخذ منها: إطلاقه «الإسناد» فى تعريف الكلام، من غير قيد كونه «مقصوداً لذاته» كيما يتم التفريق بينه وبين الجملة.

«هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى [. . .] ويسمى الجملة».

ويحصر ابن يعيش الجمل التى تسمى كلامًا فيما كان مفيداً، فيشرح تعريف الزمخشرى للكلام بقوله:

«إنه عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها»[١].

* * *

أما ما اطلعنا عليه من دراسات خاصة بالجملة (خارج نطاق الشروح والحواشى)، فنفتقد فيها، هى كذلك، التعريف الجامع المانع للجملة، كل تلك الدراسات مهتمة، إلى حد بعيد، بالاختلافات القائمة حول جواز تسمية الكلام جملة.

ولعل ابن هشام هو أول من عقد باباً خاصًا بالجملة، وذكر أقسامها وأحكامها. ولقد أعلن، منذ البداية، بل فى عنوان الباب نفسه، عن رأيه فيها:

«شرح الجملة وبيان أن الكلام أخص منها لا مرادف لها»[٢].

فالجملة فى نظره أعم من الكلام.. يقول:

«الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد، ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ «قام زيد»، والمبتدأ وخبره، كـ «زيد قائم»، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو «ضُرِب اللص»، و «أقائم الزيدان»؟، و «كان زيد قائماً»، و «ظننته قائماً». وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين، كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قولِ صاحب المفصل، فإنه، بعد أن فرغ من حد الكلام، قال: ويسمى الجملة، والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام»[٣].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشرى، جـ١، ص١٨.

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، جـ٢، ص٣٧٤، القاهرة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

لقد اكتفى ابن هشام، فى تعريف الجملة، بالنص على ما تتألف منه، مع ضرب أمثلة لبعض صورها، ثم قارن بين تعريف تام ومحدد للكلام، وتعريف شكلى بالأمثلة للجملة، مستخلصاً من ذلك «أنهما ليسا بمترادفين».

لكن، يبدو لنا، أن ما عرف به الجملة لا يحتوى على أى عنصر يميزها، عن الكلام. فكيف بنى حكمه فى التفريق بينهما على مشار إليه مبهم، وهو ما جاء فى العبارة التالية:

وبهذا يظهر لك...

إن ما «يظهر» له من التعريفين غير ما يظهر لنا، فالأمثلة التى ساقها للجملة مفيدة يحسن السكوت عليها، وهى بذلك نماذج للكلام، حسب تعريفه هو نفسه للكلام، وهو لا يخرج عن تعريف النحاة، كما رأينا.

ومن جهة أخرى، إنه تعريف لا يصلح لأن يتخذ حجة للتفريق بين «جملة» و«كلام»، ولا للرد على الزمخشرى فيما ذهب إليه. فهل يمكننا أن نرمى قول ابن هشام هذا بالغموض والاضطراب؟

أورد ابن هشام حديثاً عن عدد الجمل المعترضة، فى الآيات القرآنية:

﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة، حتى عفوا وقالوا: قد مس آباءنا الضراء والسراء، فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا، فأخذناهم بما كانوا يكسبون. أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون﴾[1].

فلنتأمل تعليقه على هذه الآيات، عسانا نتعرف على رأيه فى ما تختلف فيه الجملة عن الكلام.

يروى ابن هشام رأى بعض المعترضين على ابن مالك فهم يرون أنه كان عليه أن يعد الجمل الاعتراضية ثلاثاً، ولكن المعترض على ابن مالك، كما يقول

---

(١) سورة الأعراف، الآيات ٩٥، ٩٧.

ابن هشام : «لا يعد، و«هم لا يشعرون» جملة، لأنها حال مرتبطة بعاملها، وليست مستقلة برأسها، ويعد «لو» وما فى حيزها جملة واحدة [. . .]. ويعد «ولكن كذبوا» جملة و«فأخذناهم بما كانوا يكسبون» كله جملة. وهذا هو التحقيق، ولا ينافى ذلك ما قدمناه فى تفسير الجملة، لأن الكلام هنا ليس فى مطلق الجملة، بل فى الجملة بقيد كونها جملة اعتراض، وتلك لا تكون إلا كلامًا تامًا»[1].

يبدو أن ابن هشام يطلق «جملة» على كل ما توفر فيه الإسناد الأصلى، سواء كان مستقلا بالإفادة لكونه مقصوداً لذاته، (مثل الجمل الاعتراضية الثلاث التى يصفها بأنها ليست مطلق جملة)[2] أو غير مستقل بالإفادة لكونه غير مقصود لذاته، مثل جملة الحال «وهم لا يشعرون». فالنوع الأول هو المسمى كلاماً.

وعليه، فالجملة عند ابن هشام، كما يظهر لنا، نوعان : نوع يسميه «**مطلق جملة**» وهو الذى لا يشترط فيه الاستقلال بالفائدة، ونوع «**ليس مطلق جملة**» وهذا يشترط فيه أن يكون كلاماً تامًا.

ذلك هو رأى ابن هشام فى الجملة، فماذا نجد عند غيره من النحاة؟

يقتصر السيوطى فى «باب الكلام والجملة» على نقل أقوال بعض النحاة، وخاصة ما جاء عند ابن هشام. وسنحاول أن نستخلص رأيه مما فى «باب الألفاظ» حيث يقول :

«تقسيم ما خرج من الفم، إن لم يشتمل على حرف فصوت. وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى، فلفظ. وإن أفاد معنى، فقول، وإن كان مفرداً، فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها، فجملة، أو أفاد ذاك فكلام»[3].

يبدو لنا أن السيوطى يخص الجملة بما لا يكون الإسناد فيه مقصوداً لذاته.

---

(١) ابن هشام، المغنى، جـ٢ ص ٣٧٥.

(٢) نشير هنا إلى رأى الدماميني الذى يعتبر أنه ابتداء من قوله تعالى : «ولو أن [. . .] يكسبون» كلام واحد، لارتباط بعضه ببعض، فالمقصود بالفائدة المجموع، فهو جملة اعتراض واحدة تضمنت جملا (انظر : حاشية الأمير على المغنى).

(٣) السيوطى : الأشباه والنظائر فى النحو، جـ٢ ص٢، حيدر آباد، ١٣١٦ هـ.

وعلى ذلك، فهى عنده ليست أعم من الكلام، إذ لكل منهما خصائص تميزه عن الآخر.

وقد لا نكون مخطئين إذا قلنا إن السيوطى ينفرد بهذا الرأى، فلم نعثر على نحوى غيره يذهب مذهبه، فى حين نجد جماعة من النحاة يحذون حذو ابن هشام. من هؤلاء، نذكر الأزهرى، وعبد القاهر، فكل منهما يشير إلى الخلاف القائم حول ترادف الجملة والكلام، ثم يذكر حدًّا للجملة لا يخرج مؤداه عما جاء عند ابن هشام.

يقول الأزهرى:

«فحدها (الجملة) القول المركب الإسنادى، أفاد أو لم يفد»[1].

ونجد ابن القاسم يصرح بكون الجملة أعم من الكلام. يقول:

«حد الجملة ما تركب من كلمتين فأكثر، بشرط الإسناد، أفاد أو لم يفد. فهى أعم من الكلام إذ يشترط فيه الإفادة بخلافها. ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، وجملة الجواب، وليس ذلك بمفيد، فليس كلاماً»[2].

وقد سلك نفس النهج صاحب **الأرجوزة الجزئية**،[3]، وصاحب **الفاخر فى شرح جمل عبد القاهر**.[4] وهذا الأخير لم يتعرض لحد الجملة، فى باب الكلام وإنما استخلصنا رأيه من حديثه عن خبر المبتدأ، حين قال:

«المسألة الرابعة فى تقسيم الخبر، وهو قسمان، مفرد [. . .] وجملة، وهى ما تضمن جزأين، مسند ومسند إليه».

---

(١) الأزهرى: شرح الحدود فى النحو، مخطوط بدار الكتب، رقم ١٩٥١.

(٢) ابن القاسم، شرح حدود الأبدى، مخطوط بدار الكتب، رقم ١٩٥٠.

ملاحظة: يبدو أن ما جاء عند كل من الأزهرى وابن القاسم يكاد يكون منقولا حرفيًّا عن الدمامينى، فى شرح المغنى، وإن لم يذكر أى واحد منهما أنه نقل عنه. يؤكد هذا تاريخ انتهاء التأليف، فقد أنهى الدمامينى شرحه حوالى سنة ٨١٧هـ، فى حين أن الآخرين أنهيا عملهما سنة ٩٨٠هـ، كما يصرحان بذلك.

(٣) أرجوزة جزئية فى الحدود النحوية، مخطوط بدار الكتب، القاهرة، رقم ١٠٠٤.

(٤) مخطوط بدار الكتب ص ٩١، رقم ٢٢٧ (نحو).

كان بودنا أن نتعرف على رأى الزجاجى فى الجملة[1]، غير أن كل ما عثرنا عليه هو ما جاء عند شارح «الجمل» فى حديثه عن الجملة المحكية، يقول :

«المراد بالجمل هنا، ما عمل بعضه فى بعض، فالمحكى فى هذا الباب هو الجملة المنسوبة، كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر»[2].

كما علمنا من خلال ما يأخذه عليه صاحب **إصلاح الخلل الواقع فى الجمل** إنه يفرق بين الفعل وفاعله وبين الجملة، يقول : «واعلم أن الاسم المبتدأ يخبر عنه بأحد أربعة أشياء، باسم هو هو [. . .] أو بفعل وما اتصل به من فاعل ومفعول كقولك زيد خرج وعبد الله أكرم أخاك وما أشبهه، أو بظرف [. . .]، وبجملة نحو قولك زيد قائم [. . .] هذا التقسيم خطأ لأنه جعل الفعل والفاعل وما اتصل بهما قسماً على حدة وأخرجه من الجمل، وحكمه حكم الجمل»[3].

. تلك هى بعض وجهات النظر التى أدلى بها نحاتنا، منذ بداية استنباط قواعد النحو وضبطها إلى القرن الثانى عشر الهجرى. ومنها نستنتج أن آراءهم فى الجملة ومقارنتها بالكلام تنقسم إلى مذاهب مختلفة، أبرزها أربعة، على أن الاختلاف القائم بينهم اختلاف لا يتعدى أن يكون جزئيًّا، إن لم يكن شكليًّا :

١ - الكلام مكون من جمل مستقلة فهو أعم من الجملة، وهو مذهب ابن جنى القائم على كلام سيبويه.

٢ - الكلام أخص من الجملة، وهو رأى ابن هشام.

٣ - الكلام هو الجملة، والجملة هى الكلام.

٤ - مذهب لا يقطع أصحابه برأى فيدعون الأمر مبهمًا.

* * *

---

(١) يلاحظ أن العنوان «الجمل الكبيرة للزجاجى» رقمه ٤٧٢ بفهرست دار الكتب فى حين نجد أن للمجلد الذى يحمل هذا الرقم عنواناً آخر هو : «شرح التسهيل للمرادى». وفى باب الحكاية، يشير المؤلف إلى أنه سبق له أن تطرق للجملة فى «باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر». ولم نعثر على هذا الباب فى المخطوط الذى تمكنا من الاطلاع عليه.

(٢) انظر، شرح الجمل الكبيرة، مخطوط بدار الكتب، نمرة ١٩ (نحو)، «باب الحكاية» ص ٧٩.

(٣) مخطوط بدار الكتب، رقم ١١١٠ (نحو)، ص ٣٠.

قبل أن نتعرض إلى الحديث عن تعريف الجملة عند النحاة العرب المحدثين نود أن نشير إلى أقسام الجملة كما جاءت عند النحاة العرب المتقدمين.

يبدو أن الدراسات اللغوية والنحوية التى سادت حتى عهود متأخرة كانت ترتكز على المفهوم الإسنادى، ويعتبر ابن هشام أول من أفرد أنواع الجملة بقسم خاص من كتابه المغنى، وبما أن الجملة تتكون من مسند ومسند إليه، أساسًا، وقد تنضاف إليهما متعلقات فهى بهذا الاعتبار، لا تخرج عنده كما عند النحاة قبله عن كونها :

أولاً : فعلية، أو اسمية، أو شبه جملة.

ثانيًا : صغرى، أو كبرى.

لكن ابن هشام لم يقف عند ذلك، بل أضاف تقسيمًا ثالثًا اعتمد فيه على الناحية الوظيفية للجملة. فقسم الجمل حسب موقعها الإعرابى إلى قسمين :

أولاً : الجمل التى لا محل لها من الإعراب، «وهى التى لا تحل محل المفرد»، على حد تعبيره.

ثانيًا : الجمل التى لها محل من الإعراب.

ويدخل تحت كل نوع أصناف شتى من الجمل[1]. ولم يأت النحاة الذين جاءوا بعده بجديد، فى الموضوع، فقد تبنوا كلهم هذا التقسيم.

فما الجملة عند المحدثين؟ ذاك ما ستجيب عنه الصفحات التالية :

ثالثًا : الجملة عند نحاة العربية المحدثين :

أوردنا، فيما سبق، آراء بعض النحاة العرب القدامى حول تعريف الجملة وما تولد عنها من مناقشات، عقيمة فى بعض الأحيان، وحافزة على بث الكثير من الشروح والتعاليق، أحيانًا أخرى، ضمن مصنفات النحو واللغة والبلاغة.

فلنتجه الآن إلى المحدثين من اللغويين، العرب والغربيين، لنطلع على آرائهم فى تعريف الجملة.

---

(١) انظر، المغنى، جـ٢.

إن الدراسات التى ظهرت حديثًا، فى هذا المجال كثيرة، سنقتصر على بعضها، وسوف لا نقف عند الاعتراضات التى أبداها هؤلاء المحدثون حول الخلاف الناشب بين اللغويين والمناطقة فى مفهوم الجملة، كما لن نتعرض للحديث عن انتقاداتهم لآراء النحويين القدامى، بل سنستنير وحسب، بآرائهم فى تعريف الجملة.

من أوائل اللغويين المحدثين الذين تعرضوا لدراسة الجملة العربية المستشرق الألمانى برجشتراسر، فقد خص فصلاً لدراسة التراكيب فى العربية، غير أننا لا نجد عنده تعريفًا متميزًا للجملة، فقد اكتفى ستراشر فى تحديد الجملة بذكر عناصرها، إذ يقول:

«الجملة هى ما تكون من مسند ومسند إليه»[١]، ثم انتقل إلى الحديث عن أنواعها فقسمها إلى بسيطة ومركبة، وفعلية، واسمية.

ومن بين الدراسات الحديثة، فى الموضوع، نشير، كذلك، إلى الفصل الذى عقده الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه من أسرار اللغة، تحت عنوان: «الجملة العربية أجزاؤها ونظامها»[٢]. وفيه يرى المؤلف أن تعريف الجملة فى لغة ما، يجب أن يستقى من الاستعمال، ومما تواضع الناس على استقلاله بالمعنى فى كل كلام، ثم يعرفها بقوله:

«إن الجملة فى أقصر صورها، هى: أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر».

ويرى أن فى كل لغة يمكن تحليل الكلام إلى كتل تفيد معنى يطمئن إليه السامع، وكل كتلة منها تشتمل:

«فى غالب الأحيان، على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما، وتلك هى الجملة القصيرة التى اكتفى فيها بركنيها الأساسيين، مثل قول إبراهيم، حين رأى

---

(١) التطور النحوى للغة العربية، ص ٨١، القاهرة، ١٩٢٩.

(٢) ص ١٩٠، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

القمر بازغًا، «هذا ربى» ثم يضيف : «ولكن الجملة تتضمن فى الأعم الأغلب أمورًا أخرى تطول بها الجملة وتتعقد، مثل قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدًا﴾

فالمسند إليه هنا قوم معينون من الناس، وقد أسند إليه ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها، وقد جاء هذا الإسناد فى صورة من الكلام مطولة معقدة»[١].

هكذا حدد إبراهيم أنيس الجملة وبين أركانها، ثم قسمها، حسب ما تشتمل عليه من عناصر، إلى قصيرة ومطولة معقدة.

نشير إلى دراسة أخرى فى الموضوع قام بها ريمون طحان، فقد عقد، هو أيضًا، فصلا خاصًا بالجملة عنونه بـ«الدراسات الجملية».

يفرق طحان بين الكلام والجملة. فالكلام :

«هو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد».

أما الجملة فهى : «الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهى تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها فى ذهن المتكلم الذى سعى فى نقلها، حسب قواعد معينة وأساليب شائعة، إلى ذهن السامع»[٢]، ولا ينسى طحان أن ينص على توفر عنصر الإفادة، فى كل من الكلام والجملة، فيضيف :

«ولا يكون الكلام تامًا والجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة منها تعود إلى المنطق، ومنها تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها»[٣].

ثم يشير إلى ما يوجد بين الكلمات التى تتألف منها الجملة والكلام المفيد من علاقات صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية. ولذلك فإن الجملة تخضع لقواعد أصولية، ويكفى أن نتتبع قواعد معينة لنستطيع فهم وتكوين عدد لا حصر له من الجمل.

---

(١) نفس المصدر، ص ١٩١.

(٢) انظر : الألسنية العربية، سلسلة الألسنية، رقم ٢، ص ٤٤، بيروت ١٩٧٢.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

بعد ذلك ينتقل إلى تحليل مستويات وعناصر الجملة، ويذكر أقسامها، وهى عنده بسيطة، أو مركبة أو معقدة[١].

من خلال تلك النماذج، نرى أن التعاريف السابقة للجملة لا تخرج عما رأيناه عند النحاة القدامى وبخاصة سيبويه وابن جنى وأنها استقيت من المصنفات العربية القديمة. فالشىء الجديد فى دراسات الباحثين المحدثين هو تأثرهم باللسنيات الحديثة، والعمل على تبسيط التعابير القديمة المستعملة، فى بعض التعاريف، كيما تتماشى ولغة العصر، فتقترب من الأذهان. إنها محاولة إخضاع قواعد اللغة العربية لمناهج البحث الغربية المعاصرة. على أن هناك بعض النظريات، فى اللسنيات الحديثة، لم يتوصل إليها الغرب إلا حديثًا، ولكنها معروفة عند النحاة واللغويين العرب منذ سيبويه.

بعد هذه الوقفة عند تعريف المحدثين للجملة العربية، ننتقل إلى إلقاء نظرة على تعاريف الغربيين للجملة عسانا نصل إلى نظرية متكاملة عن الجملة عمومًا.

رابعًا: الجملة عند النحاة الغربيين:

إن الباحث، فى نحو اللغات الغربية، يجد نفسه أمام تعاريف شتى تختلف فيما بينها. وعلى العموم، إن التعريف الذى يتردد كثيرًا هو أن الجملة:

«مجموعة من الألفاظ، تترتب بطريقة خاصة، وتؤدى معنى يصح السكوت عليه».

وسنكتفى بإيراد بعض تعاريف الجملة، فى اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية.

يرى (مارسيل كرسو) أن:

«الجملة منطوق يعبر عن فعل أو حكم»[٢].

فجملة الفعل، تتطلب لفظًا يمثل فى الذهن موضوع سؤال ما، كما تتطلب لفظًا

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٦.

(٢) Marcel cressot, le style et ses techniques, P. 25 P. U. F. 1969.

آخر يعين ما يراد قوله عن هذا الموضوع، مثل : .«Je me nome le pauvre» (اسمى الفقير).

وفى جملة الحكم يرتبط الموضوع والوصف برابطة (Copule) أى الفعل المساعد، مثل : «Le chien est fidéle» (الكلب مخلص).

ويلاحظ أنه يصرح، دائمًا، بالرابطة فى اللغات الهند - أوربية، فى حين يستغنى عنها فى اللغة العربية. فكما يبدو من الجملة المترجمة «الكلب مخلص» أن «est» التى تحتل مكانًا أساسيًا فى بناء الجملة الفرنسية، لم يحتج إليها فى الجملة العربية، والذى يقوم بدور الربط بين المسند والمسند إليه فيها هو علاقة معنوية ملحوظة غير ملفوظة.

نستنتج من هذا أن الجملة فى اللغات الهند - أوربية لا تستغنى عن الفعل أو ما يقوم مقامه ولا تترك الرابطة إلا إذا احتوت الجملة على فعل منطوق يقوم بدور الربط ودور الوصف معًا مثل : «Paul Travaille» (بول يخدم).

ومن جهة أخرى، تتركب الجملة، فى اللغة الفرنسية، من ألفاظ ثانوية تحدد العناصر الأساسية فتَظهَر ظروفًا للفعل أو الحالة أو ما شابه ذلك، مثل : «Aujourd'hui Paul a écrit une longue Lettre à son Pére» . (كتب بول اليوم رسالة طويلة إلى أبيه)، «Le chien est fidéle a son maître» (الكلب مخلص لسيده).

أما فى اللغة الإنجليزية، فقد ساق (فراين) بعض التعريفات الشائعة للجملة، منها، أن الجملة :

«مجموعة من الكلمات تعبر عن معنى كامل»[1].

وهذا التعريف يتفق مع الرأى السائد بين النحاة العرب القدامى فى شرطهم توفر الفائدة، كما رأينا سابقًا.

أما (بلمفيلد) فيرى أن الجملة : «تركيب أو شكل لا يعد فى الحديث جزءًا من تركيب أو شكل أكبر»[2].

---

(١) Fries, the structure of Anglish, P 9

(٢) Bloom Field ص ٢، من المصدر السابق.

يذكرنا هذا بما سبق أن رأيناه عند ابن جنى من أن الكلام «عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل، على اختلاف تركيبها».

يعطى (روبير) تعريفًا آخر للجملة هو:

«مجموعة من الكلمات تبدأ بحرف كبير وتنتهى بنقطة»[1].

هل يعتبر هذا تعريفاً؟

ما نظن ذلك، لأنه لا يحتوى على العناصر الضرورية التى تتكون منها «الجملة»، فـ(روبير) لم يدخل فى تعريفه ما يجب أن يؤديه التركيب من معنى مفيد، كما لم يذكر مكونات الجملة، ولا العلاقة بين العناصر التى تتألف منها. فدور الحرف الكبير (Majuscule = حرف التاج) هو أن يدل على بداية الجملة، وأن يأتى، كذلك، فى أوائل الأعلام (الأشخاص، والأمكنة..). أما النقطة، فهى وإن أتت فى آخر الجملة، إلا أنها تدل على نهاية أى محتوى؟ فيكفى أن يقع غلط ما فى وضع النقطة ليصبح القارئ فى متاهة. ثم إن للنقطة استعمالات أخرى منفردة (تأتى، مثلا، بعد الحرف المختصر لكلمة مثل: ج. م. ع.).

إن تعريف الجملة بكونها «كلمات تبدأ بحرف كبير وتنتهى بنقطة»، «تعريف» شكلى محض. وحتى لو قبلناه كتعريف، يظل ذا مفعول فى اللغات الغربية وحسب. فهو لا ينطبق بحال على الجملة العربية لانعدام ظاهرة الحروف الكبيرة والصغيرة فيها. بالإضافة إلى أن الجملة فى العربية لا تنتهى بالنقطة. فالتنقيط والفواصل لم تدخل العربية إلا حديثًا بتأثير الغرب.

بهذا الصدد، تبدو أمامنا ظاهرة عرفتها العربية منذ القديم، وهى ظاهرة الوقف، فإذا لم تكن العربية قد عرفت التنقيط، فإنها تميزت بالوقف. وقد عمل النحاة على إبراز ما يصيب الكلمة من تغير فى حالة الوقف وإنهاء الكلام، وشرحوا الطرق المتعددة المتبعة فى الوقف. ثم أضاف القراء إلى عمل النحاة دراسات

---

(١) Robert, English, syntax P L.

تعرضوا فيها لمواضع الوقف فى آيات القرآن الكريم، وميزوا أنواعًا، منها التام، والحسن. . ولضبط مواضع الوقف وحصر أنواعه، اعتمد النحاة والقراء على معانى الجمل والآيات. فعملوا على المحافظة على الوحدة المعنوية، وعلى تلافى البدأ بما يفسد المعنى، ويفصل بين أواصر الكلمات والعناصر الأساسية التى بها تتم تلك الوحدة المعنوية.

هكذا اجتهد القراء فى تخير مواضع الوقف ووضعوا رموزًا وإشارات فى أواخر الآيات ورؤوسها ليهتدى بها المتعلم، فكان اتفاقهم فى اختيار تلك المواضع مسايرًا لا تفاقهم فى فهم وتفسير الآية. وينتج عن اختلافهم فى الفهم اختلافهم فى تخير مواضع الوقف. وقد روى عن أم سلمة أنها قالت:

«إن النبى ﷺ، كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، فيقول:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الحمد لله، رب العالمين﴾ ثم يقف، . . . إلخ»[1].

ولا تهمنا، فى دراستنا هذه طرق الوقف ومصطلحاته كما اتفق عليها النحاة والقراء، ولا ما اختص به أحد الفريقين دون الآخر مما جاء مشروحًا فى مصنفاتهم العديدة، بل الذى يهمنا هو معرفة دور الوقف فى الكلام. أيمكن أن نقارنه بدور النقطة فى اللغات الغربية الحديثة؟

إذا استندنا إلى نظرية من يقول بأن تحريك أواخر الكلمات كان علامة من علامات الوصل فى الكلام، شعرًا ونثرًا، فيكون سقوط الحركة الإعرابية والتزام السكون للوقف علامة على انتهاء الكلام، من ثم قالوا: «العرب لا تقف على متحرك».

أيمكن أن نعتبر وقف المتكلم فى حديثه دليلا على انتهاء جملة؟

أيمكن أن نعتبر سقوط الحركة الإعرابية من آخر كلمة فى عدد ما من الكلمات المرصوفة علامة على انتهاء جملة، وبالتالى نتخذ من ذلك تعريفًا للجملة؟

(١) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، من ص ١٤٢ إلى ص ١٦٦.

إذا قارنا بين هذه النتيجة وبين تعريف (روبير) للجملة، نستطيع أن نؤكد : إذا كنا لا نتبين الحرف الكبير ولا النقطة إلا فى النصوص المكتوبة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، مثلا، كذلك لا يمكن أن نتبين مواضع الوقف إلا فى اللغة العربية المنطوقة.

أمن الممكن أن نستخلص، من استقصاء الآى المبدوءة برموز الوقف وإشاراته، تعريفًا للجملة يستند إلى ظاهرة الوقف؟ إذا كان ذلك ممكنًا يصبح تعريف «الجملة» هو أنها «الكلام المنتهى بعلامة الوقف» أو بعبارة أخرى، «الكلام الذى تسقط منه حركة الإعراب».

نرى أن هذا تعريف ناقص، وذلك لأن الوقف ظاهرة خاصة باللغة العربية المنطوقة، ولا توجد له إشارات فى العربية المكتوبة، سوى فى القرآن الكريم، فإن كان من الممكن أن نقابل تلك الإشارات بالنقط الموجودة فى النصوص المكتوبة، بلغة غربية حديثة لنتخذها منطلقًا لتحديد الجملة، سوف نكون عاجزين، لأن تلك الإشارات لا يتوفر وجودها فى كل النصوص العربية المكتوبة عمومًا.

* * *

يبدو، كخلاصة لما سبق، أنه لا يمكن أن يتخذ التنقيط أو الوقف عمدة فى تعريف الجملة لقصور كليهما عن الإيفاء بتعريف جامع مانع.

يبقى أن نختار تعريفًا للجملة يفى بما تتوخاه هذه الدراسة المتواضعة.

إبداء رأينا فى تعريف الجملـة

على ضوء التعاريف التى أوردناها للجملة، سواء ما كان منها للعرب أوللغربيين، نستطيع أن نقول إن اللغة، كوسيلة للتواصل، تخضع، حتماً، لعادات البيئة التى تنتمى إليها، كما تخضع وسائل التواصل الأخرى من إشارات ورموز للبيئة التى نشأت فيها[١]. هكذا فإن العادات اللغوية، فى بيئة ما، هى وحدها التى تحدد معنى الجملة حسب استعمالها لها[٢].

كما نستخلص أن تحديد أركان « الجملة » يختلف من فصيلة لغوية إلى فصيلة أخرى. فبينما رأينا أن العربية (وهى تنتمى إلى الفصيلة السامية) تكتفى بالمسند والمسند إليه لتمام الفائدة فى الجملة، علمنا أن الفرنسية والإنجليزية (وهما من الفصيلة الهندية الأوربية) تشترطان، لتمام الفائدة، اشتمال الجملة على مسند ومسند إليه، ثم على « رابطة »، أى فعل مساعد يدل على « العندية » أو « الكينونة » يربط بينهما، إلا أن يكون المسند فعلا، كما بينا فى المثال الفرنسى : (Paul travaille).

بيد أنه بالمقارنة بين تلك التعاريف، نلاحظ أنها جميعاً، تشترك فى اشتراط توفر الجملة على ثلاثة عناصر هى :

١ - التركيب أو الإسناد.
٢ - الاستقلال.
٣ - الإفـادة.

---

(١) نذكر بهذا الصدد حادثة جرت لنا ببلغاريا حيث سألنا أحد المارة عن شيء، فأجاب بكلمة تدل على الإيجاب، وصاحبها بإشارة إذ حرك رأسه من اليمين إلى الشمال، فأختلط علينا الأمر، حيث فهمنا أن هناك تناقضاً بين الكلمة وبين الإشارة، فقد اعتدنا فى المغرب، وفى البلاد العربية عموماً، أن حركة هز الرأس هاته، تعنى النفى، وأن هز الرأس من أعلى إلى أسفل يعنى الإيجاب، فلما استوضحنا ذلك علمنا أن مدلول الإشارة عند البلغاريين هو عكس ما عندنا.

(٢) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩١.

بناء على ذلك، يمكننا أن نستقى من مجموع تلك التعاريف، تعريفاً للجملة، سيعتمده هذا البحث:

إن الجملة بناء لغوى يعبر عن معنى كامل، ومستقل، ولا يعتبر جزءاً داخلا فى تركيب لغوى أكبر، وقد تأتى الجملة، كلمة، أو عبارة، أو تركيباً، أو تراكيب.

انطلاقاً من هذا التحديد، نرى لزاماً علينا أن نتعرض لتعريف كل من الكلمة والعبارة والتركيب.

١ - الكلمة:

قام جدل حاد بين اللغويين المحدثين، حين حاولوا تعريف الكلمة، فـ(بلمفيلد) يحددها بقوله:

«أصغر صيغة حرة»، ونلاحظ أن ليس فى ذلك جدة عما جاء عند النحاة العرب القدامى حين عرفها بعضهم بأنها «القول المفرد»، وأضاف آخرون بأنها «لفظ مفرد دل على معنى مفرد».

ويعرفها عباس حسن:

«اللفظة الواحدة التى تتركب من بعض الحروف الهجائية وتدل على معنى جزئى، أى مفرد»[1].

ويعترض تمام حسان على من عرف الكلمة بأنها «لفظ مفرد» أو «قول مفرد»، وذلك لأنه يرى أن هذا التعريف يغفل عن حقيقة الفرق بين الكلمة وبين اللفظ فالفرق بينهما: «هو فرق ما بين اللغة والكلام». كما يرى أن «القول ربما يكون مركبا من أكثر من لفظ واحد وتقاليد التحليل فى اللغة العربية تجعل مقول القول دائماً فى صورة جملة»[2].

من هذه التعاريف، نستخلص المميزات التى تحدد الكلمة. فالكلمة، على حد تعبير إبراهيم أنيس:

(١) النحو الوافى، جـ ١، ص ١٥، ط ٤. القاهرة.

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٣١٧.

«يمكن إفرادها بالنطق، وحذفها من الكلام، وإقحامها فيه، أو الاستعاضة عنها بأخرى»[١].

وهذا ما لا يتوفر مجموعاً، فى الضمير، مثلا.

البناء الداخلى للكلمة.

تعتبر الكلمة من حيث البناء الداخلى أصغر الوحدات البنائية التى تتألف منها اللغة، إذ لا يمكن تحليلها إلى أجزاء تنطق بمفردها.

وتنقسم الكلمة، بحسب ما بها من لواصق، إلى :

(أ) بسيطة : ما تجردت من اللواحق والسوابق، مثل «ولد».

(ب) مركبة : ما تكونت بزيادة لاصقة واحدة، على الأقل، لاحقة كانت أوسابقة. مثل «السيف» إذ تعتبر أداة التعريف سابقة يراد منها التعيين، رغم أنها أضيق اللواصق مجال تطبيق، ومثل «عبدت» لأن تاء التأنيث لاحقة لبيان النوع. وهى من اللواحق المتصلة التى تعتبر أوسع اللواصق مجالا[٢].

التوزيع الموقعى للكلمة (الانفصال والاتصال)

تنقسم الكلمة، حسب الموقع الذى يمكن أن تشغله، إلى قسمين :

(أ) مستقلة، وتسمى أيضاً حرة، وغير مستقلة، وتسمى أيضاً مقيدة.

ويتميز القسم الأول بخصائص، منها أن الكلمة يمكن أن تكون بمفردها جملة، متى وقعت بين سكتتين. يقول حنا ترزى :

«الكلمة الواحدة قد تكون جملة مختزلة نحو «أنا»، جواباً لمن قال : «من ذهب؟»»[٣].

---

(١) دلالة الألفاظ، ص ٣٩، ط ١. القاهرة، ١٩٥٨.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ١٥٩.

(٣) فى أصول اللغة والنحو، ص ١٩٦، بيروت.

ويطلق عليها (بلمفيلد) : «الجملة الكلمة»، وتلك هى أصغر أشكال الجملة. وعلى حد تعبير إبراهيم أنيس[1] «أقصر صورها».

فإذا سألت الأم أحد أولادها : «من أكل التفاحة»، فأجيب : «عمر» كانت كلمة «عمر»، فى المثال، أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه. ويشيع هذا النوع من الكلمات التى تعد جملا، بمعونة القرائن، فى التراكيب اللغوية الحديثة، وخاصة فى عناوين الصحف والمجلات وبعض اللافتات[2].

٢ - العبـارة :

بناء لغوى يتألف من كلمتين فأكثر، يوجد بينهما ترابط يجعل منهما وحدة متماسكة يمكن التعويض عنها بكلمة[3].

وتختلف العبارة، عن التركيب، بكونها لا تستلزم قيام علاقة الإسناد بين طرفيها، الشىء الذى يجب توفره فى التركيب، سواء كان التركيب عبارة عن فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، أو فعل ونائب فاعل.

ويدخل، تحت العبارة، أصناف شتى منها :

١ - المضاف والمضاف إليه مثل : غلام محمد.

٢ - الاسم وتوابعه من :

(أ) نعت، مثل : الرسالة التى توصلت بها.
(ب) توكيد، مثل : الكاتب نفسه.
(جـ) عطف، مثل : محمد وعلى.
(د) بدل، مثل : الخليفة عمر.

---

(١) من أسرار اللغة، ص ١٩٦.

(٢) انظر : الخواص التركيبية للجملة فى اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة (مخطوط رسالة قدمها بكلية دار العلوم محمد حسن عبد العزيز، ١٩٧٥) القاهرة.

(٣) انظر : الخواص التركيبية للهجة أم درمان العربية (مخطوط رسالة قدمها بكلية دار العلوم، القاهرة، كمال إبراهيم بدرى).

البناء الداخلى للعبارة :

تنقسم العبارة إلى قسمين :

١ - العبارة غير الفعلية : وهى كل بناء مركب يمكن استبداله بكلمة اسمية. وتشمل :

(أ) العبارة الإسمية. مثل : كتاب سيبويه.
(ب) العبارة الظرفية. مثل : فوق الكرسى.
(جـ) شبه الجملة. مثل : على الطاولة.

٢ - العبارة الفعلية : وهى كل بناء مركب يمكن استبداله بكلمة فعلية.

يسمى الجزء الأول فى العبارة، الرأس، والجزء الآخر، الضميمة.

التوزيع الموقعى للعبارة

- تشغل العبارة الاسمية المواقع التى تشغلها الكلمة الاسمية.
- تشغل العبارة الظرفية المواقع التى يشغلها الظرف.
- تشغل شبه الجملة مواقع الصفة.
- تشغل العبارة الفعلية المواقع التى تشغلها الكلمة الفعلية.

وإن ما يهمنا فى الوقوف عند العبارة هو النص على أنها قد تأتى جملة، نحو : «سبحان الله». فهذه عبارة تفيد السامع معنى مستقلا بالفهم[1]، وكذا نحو «وأسفاه !». **ولقد قدر القدماء لأمثال هذه التعابير ما يستقيم به قيام مسند ومسند إليه، كتقديرهم لذلك مثلا «أقول»...**

٣ - التركيب :

بناء لغوى يتألف من مسند ومسند إليه تقوم بينهما علاقة تسمى رابطة الإسناد.

(١) انظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩٠.

أقسام التركيب :

يمكن أن نقسم، التركيب على ضوء البناء الداخلى، والتوزيع الموقعى. إلى ما يلى :

البناء الداخلى :

ينقسم التركيب، بحسب المسند، إلى :

(أ) التركيب الفعلى : ومسنده وحدة فعلية : «يعمل المجد».

(ب) التركيب الاسمى : ومسنده وحدة اسمية : «الحكاية معروفة».

التوزيع الموقعى :

وينقسم من حيث التوزيع الموقعى، إلى :

(أ) التركيب المستقل، وهو الذى يمكن أن يستعمل منفرداً، جملة بسيطة. ويتميز بأنه لا يمكن استبداله بوحدة أقل منه مثل : تسود الأمم برجالها.

(ب) التركيب غير المستقل : وهو الذى لا يمكن أن يستعمل منفرداً جملة بسيطة، ولكنه يمكن أن تتكون منه، منفرداً، جملة صغرى تكميلية، أو كما يسميها تمام حسان «جملة فرعية»[1].

مثل التركيب : «يتحادثان» و«كلٌّ واحدٍ منهما على بابِ قَصرٍ من در» و«قد أعِفى من البؤس والضر» (من قول أبى العلاء) :

«ويَمضى فى نُزهتِهِ تلك، بشابَّينِ/يتَحادثان/كلٌّ واحدٍ منهما على بابِ قصرٍ من دُرٍّ/قد أعفِى من البُؤسِ والضرٌّ»[2].

ويتميز التركيب غير المستقل بأنه يمكن استبداله بوحدة أصغر، كلمة أو عبارة.

---

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٢١٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٠١.

وهو يختلف عن العبارة فى كونه يتركب من مسند ومسند إليه، أما هى فتتكون من كلمتين، على الأقل، ولا يتوفر فيهما الإسناد، (كما رأينا).

من بين المواقع التى يمكن أن يشغلها التركيب غير المستقل المواقع التالية.

(أ) موقع المفعول به من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: زعم اليهود **أنهم برآء من حريق دير ياسين**.

(ب) موقع الصفة من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: جاء ولد **يجرى**.

(جـ) موقع الحال من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: جاء التلميذ **والكتاب بيده**.

(د) موقع المفعول لأجله من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: ذهبت إلى المسجد **لأصلى**.

(هـ) موقع فعل الشرط من التركيب المستقل المستعمل معه مثل: **إن تتق الله** تفز برضاه.

بعد التعرف على أنواع التراكيب وذكر مواقع كل منها فى الجملة، ننتقل إلى دراسة أشكال الجملة وخصائصها فى **الغفران**.

الفصل الثانى

أشكال الجملة فى رسالة الغفران

(تطبيقيًّا وإحصائيًّا)

خصائص الجمل العلائية تطبيقيًّا

إن هدفنا من تحديد مفهوم الجملة وحصر أقسامها، كما ذكرنا سابقاً، هو إيجاد خطة يتبناها هذا البحث لدراسة الجمل والتراكيب العلائية. وقد أتينا، فى بداية هذا الفصل، بتعاريف شتى للجملة، تنوعت مشاربها ما بين عربية وفرنسية وانجليزية، ثم استخلصنا منها جميعاً تعريفاً أشرنا إلى أن هذه الدراسة ستعتمده وهو: **الجملة بناء لغوى يعبر عن معنى كامل ومستقل، أى وحدة دلالية تامة، يعبر عنها بوحدات بنيوية مختلفة، ولا تعتبر فى بنائها جزءًا داخلا فى تركيب لغوى أكبر، وقد تأتى هذه الوحدة البنيوية كلمة أو عبارة أو تركيباً أو تراكيب.**

انطلاقاً من هذا التحديد تعرضنا للحديث عن كل من الكملة والعبارة والتركيب. ويبدو لنا، من خلال ذلك، أن العلاقة القائمة بين الجملة وبين الكلمة والعبارة والتركيب هى علاقة الشىء بنفسه، فقد رأينا أن الكلمة قد تكون جملة وأن العبارة قد تأتى، هى أيضاً، جملة، وأن التركيب، كما يكون جملة مستقلة بنفسها، يقع جزءًا من جملة. فما تعدد أنواع الجمل سوى مظهر لما تحتويه الجملة من أصناف التراكيب.

من الجمل ما تتم الفائدة فيه بتركيب واحد مستقل عما قبله وبعده، استقلالا تامًّا، ومنها ما لا تتوفر فيه الفائدة إلا بتركيبين أوثلاثة مستقلة، أوغير مستقلة، أوهما معاً، ترتبط فيما بينها بأداة، وقد يكتفى فيها بالربط السياقى.

ونحن، إذ نرغب عن تقسيم الجمل الذى ذكرناه، سابقاً، مماجاء عند

ابن هشام، نرمى إلى تلافى تداخل بعض أنواع الجمل فيه ونرغب فى تبنى تقسيم يبدو لنا سهل التطبيق. فهاته الدراسة، كما قلنا، تحليلية تطبيقية، أكثر منها نظرية، وإن كنا قد حاولنا وضع تعريف نظرى للجملة ليكون منطلقاً إلى التطبيق.

وهذا يقتضى منا أن نتبنى تقسيماً جديداً لأنواع الجمل يعتمد بناءها التركيبى الداخلى.

فما هى تلك الأقسام؟

يمكن، على أساس البناء الداخلى، تقسيم الجملة إلى قسمين كبيرين :

١ - الجملة الكبرى : تتكون من تركيب مستقل.

٢ - الجملة الصغرى : تتكون من تركيب غير مستقل، وقد تأتى كلمة، أوعبارة أو جملة، ولا تظهر فى شكلها الراهن إلا إذا اعتمدت على نطق سابق أوموقف معين، وبذلك تختلف الجملة الصغرى عن الجملة الكبرى لأن هذه الأخيرة يمكن أن تظهر دون أن تتوقف على نطق سابق.

إن الجملة الكبرى لا تتكون دائماً من تركيب واحد مستقل، بل تتنوع محتوياتها. ومن ثم يمكن تقسيمها على ضوء البناء الداخلى إلى ثلاثة أقسام :

(أ) الجملة البسيطة.
(ب) الجملة المركبة.
(جـ) الجملة التركيبية.

وفيما يلى نعمل على دراسة نماذج علائية لكل نوع من أنواع الجمل تلك، محاولين تبيان خصائص كل منها فى رسالة الغفران.

نماذج الجمل البسيطة :

تعتبر الجملة البسيطة الصنف الأول من أقسام الجمل الكبرى، وهى ما تكونت على الأقل من تركيب مستقل. وتتميز بخواص من جملتها :

١ - تتكون من تركيب مستقل واحد فعلى، وتسمى الجملة « الفعلية »، أو من

تركيب مستقل واحد غير فعلى، وتسمى الجملة «الاسمية».

٢ - يمكن أن تظهر بشكلها الراهن، دون الاعتماد على نطق سابق أو موقف معين.

٣ - وكما تأتى الجملة البسيطة مثبتة، تأتى منفية، وتكون تقريرية واستفهامية.

٤ - تخلو من أدوات العطف ومن أدوات الربط التركيبية.

وفيما يلى سنسوق أمثلة، مما ورد فى **رسالة الغفران**، لكل نوع من أنواعها.

أولا - الجمل الفعلية: وهى إما أن تكون:

(أ) مثبتة، مثل قول أبى العلاء المعرى:

- «وما زال اليمنُ منذ كان، مَعْدِناً لِلْمُتكسبينَ بالتديُّنِ والُمحتالِين على السُّحْتِ بالتَّزَيُّنِ»[١].

(ب) أو منفية، مثل:

- «ولست آمناً فى العاقِبةِ فضيحةً غيرَ مُصاقِبَة»[٢].

ثانيًا - الجمل الاسمية: وهى إما:

(أ) مثبتة، مثل:

- «والعلومُ تفتقرُ إلى مراس، ودارسٍ للكُتبِ أخِى دِرَاس»[٣].
- «وهذا تناقُض فى الحديث»[٤].

(ب) منفية، مثل:

- «وأما ابنُ الراوندى، فلم يَكن إلى المصجلة بمهدى»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٢ - السحت: الحرام أو ماخبث من المكاسب فلزم عنه العار.

(٢) الرسالة، ص ٣٩١.

(٣) الرسالة، ص ٣٩٠.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٨.

(٥) الرسالة، ص ٤٦٩ - أحمد بن يحيى شهر بتآليفه الجريئة الكافرة، توفى ببغداد سنة ٣٠٠ هـ.

ثالثاً - الجمل الاستفهامية مثل :

- «هل أردتَ ببعض معنى كلٍّ؟»[١].
- «فهل ما حُكِي صحيحٌ عنك؟»[٢].

نماذج الجمل المركبة :

ما تكونت، على الأقل، من تركيبين مستقلين، لا يعتمد أى واحد منهما على الآخر، وقد يتم الربط بين التركيبين بأداة من أدوات العطف أو الاستدراك، وقد يكتفى بالربط السياقى وتعتبر الجملة المركبة القسم الثانى من أقسام الجملة الكبرى. ومن خواصها أنها :

١ - تتكون من تركيبين أو أكثر من التراكيب المستقلة.

٢ - قد يكتفى فى الربط بين تراكيبها بالربط السياقى.

٣ - يتم الربط بين تراكيبها بأداة من روابط التسوية.

إن الخاصية الأخيرة تقتضى منا وقفة قصيرة، ماذا نعنى بروابط التسوية؟ إنها أدوات تقوم بوظيفة الربط بين تركيبين مستقلين. وهى على صنفين :

(أ) أدوات العطف، مثل : الواو، الفاء، ثم، أو، ...

(ب) أدوات الاستدراك، مثل : لكن، بل، ...

والفرق بين أدوات العطف وأدوات الاستدراك هو أن الأولى تستعمل للربط بين :

---

(١) الرسالة، ص ٢١٦.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٦.

(أ) كلمتين، مثل قول أبي العلاء :

- «وفي تلك الأنهارِ، أوانٍ على هيئةِ الطيرِ السابحةِ، /و/ الغانيةِ عن الماءِ السائحةِ»[١].

- «فيأخُذُ سَفَرْجلةً، /أو/ رُمَّانةً، /أو/ تُفَّاحةً، /أَوْ/ مَا شَاءَ اللهُ من الثِّمار»[٢].

(ب) عبارتين، مثل :

«فهل لك أن نركَبَ فرَسَين من خيل الجنَّةِ فَنَبْعَثَهُما على صيرانها/ و/ خِيطَان نَعَامِها / و / أسْرَابِ ظِبائِها / و / عَانَاتِ حُمُرِها»[٣].

(جـ) تركيبين، أو أكثر، نحو :

«وينظُر الشيْخُ في رياضِ الجنةِ/ فـ/ يَرَى قَصْرين مُنِيفَين/ فـ/ يَقُول في نفسه ...»[٤].

وفيما يخص أدوات الاستدراك فإنها لا تستعمل إلا للربط بين تركيبين مستقلين. ويعد ظهورها، في أى شكل لغوى، دليلا على أن هذا الشكل جملة مركبة.

ونعود الآن إلى التراكيب التي تربط بينها أداة من روابط التسوية.

إنها تتميز بالخواص التالية :

(أ) انها تراكيب مستقلة، فلا يربط بأداة التسوية بين تركيب مستقل وآخر غير مستقل، أو تركيبين غير مستقلين.

---

(١) الرسالة، ص ١٤٩.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٣) الرسالة، ص ١٩٥.

- الصيران : جمع صوار، بضم الصاد وكسرها، قطيع البقر.

- الخيطان : جمع خيط، الجماعة من النعام أو الجراد.

- عانات : جمع عانة، القطيع من بقر الوحش.

(٤) الرسالة، ص ١٨١.

(ب) الغالب أن تكون التراكيب متجانسة فى الشكل، أى يربط التركيب الفعلى بالفعلى، والاسمى بالاسمى.

(جـ) من غير الغالب أن تكون التراكيب المربوطة غير متجانسة فى الشكل، أى أن أحدها فعلى والآخر اسمى.

تلك مجمل خصائص الجمل المركبة.

وقد لاحظنا أن أبا العلاء، كما يربط بين التراكيب المستقلة فى الجمل المركبة بأداة، يكتفى بالربط السياقى فى جمل أخرى، ويجمع بين نوعى الربط فى الجملة المركبة الواحدة.

وكما يربط بين التركيبين المتجانسين، يربط بين التركيبين غير المتجانسين.

بناء على ذلك، يمكن تقسيم الجمل المركبة فى الاستعمال العلائى إلى ما يلى:

١ – ما ربط بين تراكيبها بأداة من روابط التسوية.

٢ – الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب متجانسة.

٣ – الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة.

٤ – ما ربط بين تراكيبها بالربط السياقى، أى دون أداة.

٥ – ما ربط بين بعض تراكيبها بأداة وبين بعضها الآخر بدون أداة.

وفيما يلى، نسوق لكل نوع منها شواهد من رسالة الغفران:

النوع الأول:

الجمل المركبة التى ربطت بين تراكيبها أداة من روابط التسوية.

يمكن تقسيم هذا النوع حسب صنف الأداة الرابطة إلى ما تم الربط فيه بأداة من أدوات العطف وما تم الربط فيه بأداة من أدوات الاستدراك.

١ - الربط بالعطف :

كثيرًا ما يستعمل أبو العلاء، للربط بين تركيبين مستقلين أو أكثر، فى الجملة المركبة، أداة عطف واحدة كما قد يجمع بين عاطفين أو أكثر، كالتالى :

(أ) ما جاء فيه الربط بـ« الواو» الجمل التى تتكون من :

- تركيبين مستقلين، مثل :

« أأُلفيتَ حُكمًا للمغفرةِ مُوجِبًا، /و/لم يكنْ عن الرحمةِ محجَّبًا ؟ »[1].

« ولقد كنتَ تأخُذُ جوائزَ الملوكِ، بغير استِحقَاقٍ / و / إنَّ غيرَكَ أَوْلى بالأَعطيَةِ والصِّلاتِ »[2].

« وإنَّ الصابرَ مأجورٌ محمودٌ / و / لا رَيبَ أَنْ سَيُقْدَرُ لِمن ظَعَنَ شِرْبٌ مَثْمُود »[3].

- ثلاثة تراكيب مستقلة، مثل :

« ولا ريَب أَنَّه قد جَالسَ بقايـاهم/و/اخْتَبَر فى المُعـاشَرَةِ سجاياهم/و/عَاطَوْهُ الأَكْؤُسَ أُلاتِ التصاوِيرِ، على عادِ المرَازِبةِ الأساوِير، كما قال الحكمى »[4].

- أربعة تراكيب مستقلة، مثل :

« فُتطرِبَانِ من سمِعٍ/و/تَسْتَفِزَّان الأَفئِدَة بالسرُّور/و/يكثُرُ حمدُ اللهِ سبحانَه، كما أنعمَ على المؤمنين والتائِبين/و/خلصهم من دارِ الشِّقْوَة إلى مَحَلِّ النَّعيم »[5].

(ب) ومما جاء فيه الربط بـ« الفاء» الجمل التى تتكون من :

- تركيبين مستقلين، مثل :

---

(١) الرسالة، ص ١٨٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٦.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٩٩.

(٥) الرسالة، ص ٢٧٥.

«ويَسأَلُ عن امرئِ القيسِ بنِ حُجْرٍ / فـ / يُقَالُ ها هو ذَا بحيثُ يسمَعُكَ»[١].

- ثلاثة تراكيب مستقلة، مثل :

«فيدعوه الشَّيخُ إلى المُنادمةِ / فـ / يَجِدُه من ظِرافِ الندَمَاء / فـ / يسأله عن أَخْبَارِ القَدَماءِ»[٢].

«ويجوز أن يقذفنى السابحُ على صخورِ زُمرُّدٍ / فـ / يكسرَ لى عَضدًا أو ساقًا / فـ / أصيرَ ضحكة فى أهل الجنانِ»[٣].

- «فوجدتُه خاليًا لا عريبَ عندَه / فـ / بَلَوتُ نفسى فى العبورِ / فـ / وجدْتُنِي لا أستَمسِكُ»[٤].

(جـ) ومن الجمل المركبة التى تم الربط فيها بأدوات متنوعة ما نجد فيه :

- الواو والفاء مثل :

«وإنها لأحسنُ من الوجوهِ التى ذكرها الجَعْدِيُّ / و / زعم أَنَّ حُسْنَها بَدِى / فـ / قال. . . »[٥].

«قال : فأخذتُ بطيخةً / و / سأَلتُ عن ذلك القطارِ / فـ / وجدتُ فيه جملا أعورَ / فـ / دنوت منه بالبطيخةِ / فـ / أخذَهَا أخذ مريدٍ مُشْتَهٍ»[٦].

- الفاء والواو، مثل :

«ويعرضُ لهم لبيدُ بنُ ربيعةَ / فـ / يدعوهم إلى مَنزلِه بالقَيْسيةِ / و / يُقسِمُ عَليهم لَيَذْهبُنَّ معه»[٧].

(١) الرسالة، ص ٣١٣.

(٢) الرسالة، ص ١٨٤.

(٣) الرسالة، ص ١٩٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٦٠.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٠ - الجعدى : النابغة.

(٦) الرسالة، ص ٤٦٩.

(٧) الرسالة، ص ٢٦٧ لبيد بن ربيعة من فحول الشعراء أدرك الإسلام فأسلم.

- **الفاء وثم، مثل :**

«وهَممتُ بالحَوْض / فـ / كدتُ لا أصِل إليهِ / ثم / نغبتُ منه نغبَات لاَ ظمأ بَعْدَها»[1].

- **ثم والفاء، مثل :**

«فيقولُ، خَلد اللهُ ألفاظَه فى دِيوانِ الأدبِ : كَأَنَّكَ زَعمْتَ أَنَّ فِعْلاً أُخِذَ من الزَّبَرْجَدِ / ثَمَّ / بُنِى منهُ الزِّبْرجُ / فَـ / قد لزمك على هذا أَنْ تكونَ الأفعالُ قبلَ الأسماءِ»[2].

«فَأَخذَنى الهَلَعُ والقِلُّ أى الرِّعدةُ / ثم / هَتَفَ الثانيةَ / فـ / لم يُجِبْه مُجيب»[3].

- **الواو وثم، مثل :**

«والشيعةُ يزعمون أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ ميمون القَدَّاحِ، وهو من باهلةَ، كان من عِلْيَةِ أَصحَابِ «جعفرِ بنِ محمدٍ» عليه السلامُ / و / رَوَى عنه شيئًا كثيرًا / ثم / ارْتدَّ بعد ذلك»[4].

- **ثم والواو، مثل :**

«ولعله يَوَدُّ فى الآخرةِ أَنهُ ذُبحَ عن كُلِّ من قُتِلَ فى عِدانِه مائةَ مَرةٍ فى نهلِ مِدَّانِه / ثم / خلصَ من العذابِ المطبَق / و / استَنْقَدَ عُنُقَه من الرِّبَق»[5].

٢ - الربط بالاستدراك :

يلاحظ أن أبا العلاء، قليلا ما يستعمل أداة الاستدراك لكن، فى الربط بين التراكيب المستقلة، بالجملة المركبة. إن كل الأمثلة التى عثرنا عليها فى الرسالة ترد

(١) الرسالة، ص ٢٥٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٦.

(٣) الرسالة، ص ٢٥٦.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٧، - القداح ادعى النبوة، مات حوالى سنة ٢٦٠هـ.

(٥) الرسالة، ص ٤٩٠. النهل : أول الشراب - المدان : الماء الملح - الربق : جمع ربقة : العروة فى الحبل.

فيها «لكن» وهى مصحوبة دائماً بـ «الواو». ولعل أبا العلاء يؤيد بذلك مذهب من يرى أن «لكن»، متى استعملت لعطف جملة على جملة وجب اقترانها بالواو، وينقل لنا ابن هشام أن «لكن»، حين تقترن بالواو، تكون عاطفةً، جملة على جملة، وأن هذا هو ما يذهب إليه سيبويه[١].

وفيما يلى نسوق لذلك بعض الأمثلة الواردة فى الرسالة، يقول أبو العلاء:

«وأما الظَّبْيةُ، فإنَّها لا توصفُ بحنِينٍ / ولكِن / تبتقلُ بلُبِّ منينٍ»[٢].

- «سَتَرْنَ الأنفُسَ فما تَبَرَّجْن / ولكنْ / بالرَّغمِ خَرَجنَ»[٣].

- «وما يحفِل ربهُ بالعبيدِ صائِمينَ للخِيفةِ ولا مفطِرين / ولكِنَّ / الإِنْسَ غدَوْا مُخطرين»[٤].

وقد يجمع أبو العلاء، فى الجملة المركبة الواحدة، بين الربط بأداة العطف والربط بأداة الاستدراك، وذلك فى مثل قوله:

«ولا ملامةَ عليه، إنما هى عادةٌ صارت كالطَّبْعِ / فـ / ما حَسُنَ بها مَأْلوف الرِيْعِ / لكن / ها تُغْتَفَرُ مع المحاسِنِ / و / الشامُ قد يظهَرُ على المراسِنِ»[٥].

ومثل:

«وكذلك أنا أفترسُ ما شاءَ الله / فـ / لا تأذَى الفريسةُ بظفرٍ ولا نابٍ / ولكن / تَجدُ من اللذةِ ما أجد بلُطف ربها العَزِيزِ»[٦].

---

(١) المغنى، جـ ١، ص٢٩٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٦.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٦.

(٥) الرسالة، ص ٤١٥. – الشام: الخال، واحدته شامة – المراسن: جمع مرسن وهو موضع الرسن من الدابة، الخد..

(٦) الرسالة، ص ٣٠٥.

النوع الثانى :

ننتقل الآن إلى الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب متجانسة.

جل الجمل المركبة العلائية جاءت تراكيبها متجانسة. وإن كل الأمثلة التى سقناها للنوع الأول، فيما عدا المثال الأخير جاءت متجانسة الجهة، أى أن التراكيب ذات الفعل الماضى معطوفة على مثيلاتها، وكذلك ذات الفعل المضارع والأمر. كما أنها متجانسة من حيث الفعلية والاسمية. وفيما يلى سنسوق أمثلة أخرى لكل منها :

١ - جمل مركبة، تراكيبها فعلية متجانسة فى الجهة، وقد جاءت أفعالها كالتالى :

(أ) ماضية، مثل :

- «نَقَل هؤلاء المُسْمعاتِ من زىِّ ربّات الأجنِحةِ إلى زىِّ ربّاتِ الأكفَالِ المترجِّحة / ثم / ألهمهُنَّ بالحكمة حفظ أشعار لم تمْرُرْ قبل بمسامِعِهنَّ / فَجِئْنَ بها متقنةً محمولةً على الطرائِق مُلحَّنة مُصيبةً فى لحنِ الغِناءِ مُنَزَّهةً عن لحنِ الهُجَناءِ»[1].

- «والتفتَ «إبراهيم» صلى الله عليهِ فرآنِي وقد تخلَّفْت عنه / فَرَجع إلىَّ / فجذَبَنِي جذْبةً حَصَّلَنى بها فى الجنَّةِ»[2].

(ب) مضارعية، مثل :

- «ويَخطِرُ لهُ، جعلَ الله الإحسانَ إليه مربوبًا ووُدَّه فى الأفئدةِ مَشْبُوبًا، غِناءُ القِيانِ، «بالفُسطاطِ» فى «مدينة السلام» / ويَذْكُرُ ترجيعَهنَّ بميمية المخَبَّلِ السَّعْدىِّ / فتندفعُ تلك الجوارى التى نقلتهُنَّ القدرةُ من خِلق الطيْرِ اللاقطة إلى خِلقِ حُورٍ غيرِ مُتساقطة، تُلَحِّنُ قولَ المخبَّلِ السَّعدىِّ»[3].

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٦.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٢٤. - المخبل السعدى ربيعة بن مالك السعدى، كنيته أبو زيد، شاعر مقدم، هاجر إلى البصرة.

- «ويثب «نابغةُ بنى جعدَة» على «أبى بصيرٍ» / فَيَضربُه بكوزٍ من ذَهَبٍ»[١].

٢ - جمل مركبة، تراكيبها اسمية متجانسة، مثل :

«أما المَطِيَّةُ فآلِيَةٌ / وأمّا المزادةُ فخالِيَةٌ/والركبُ يفْتَقرُ إلى الحَصاةِ /وكلُّهم بَهَش للوَصاةِ»[٢].

«أنا بحمدِ اللهِ فى عَيش قَصَّرَ أن يَصِفَه الواصفون / ولَدَىَّ نواصِفُ ونَاصِفُون لا هرم ولا برم»[٣].

النوع الثالث :

الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة :

هذا النوع قليل الورود فى الرسالة وما وجدناه من الجمل المركبة غير المتجانسة عبارة عن :

١ - جمل مركبة فعلية غير متجانسة من حيث الجهة.

٢ - جمل مركبة غير متجانسة من حيث الاسمية والفعلية.

١ - جاءت أفعال شواهد الجمل المركبة الفعلية غير المتجانسة فى الجهة كما يلى :

- أمر + ماض، مثل :

«فامض لِطيتِك / ، فقد أَخَذْتَ بكَلَامنا ما شاءَ اللهِ»[٤].

«فيقول : أخبرْنى عن أشعار الجِنِّ / فقد جَمَعَ منها المعروفُ بالمرْزُبانى قطعة صالِحة»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٢٣١.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٩، بهش إليه : أقبل عليه مسرورًا، حن إليه - الوَصاة، كحصاة، واحدته الوَصَى : جريدة النخل.

(٣) الرسالة، ص ٢١٥. نصف فلانًا : خدمه.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٩١.

٢ – شواهد الجمل المركبة غير المتجانسة من حيث الاسمية والفعلية :

(أ) تركيب فعلى + تركيب اسمى :

«فيذهب (. . .) فإذَا هو بِبَيْتٍ فى أقْصَى الجنَّةِ. . »[١].

وقد يأتى المسند إليه فى التركيب الأسمى شبه جملة، مثل :

«فيقول «نابغةُ بنى جَعْدة»، ما جَعَلتُ الشينَ قط رويًّا، وفى هذا الشعر ألفاظٌ لم أسمع بها قَطُّ : رَبَش، وسمَّهة، وخُشش»[٢].

ونجد بعض النحاة، ممن لا يجيزون عطف التركيب الفعلى على الاسمى والعكس، يقدرون، فى أمثال هذا التركيب، متعلقًا للجار والمجرور فعلا «يستقر» «ويوجد»، ليستقيم عطف التركيب الفعلى المقدر على التركيب الفعلى الظاهر.

(ب) تركيب اسمى + تركيب فعلى، مثل :

«وهذه غَريزةٌ خُصَّ بها الشيخُ دون غيرِه/ وتعايشَ العالَمُ بخِداع /وأضْحَوا من الكذب فى إبداع»[٣].

«وأما الظَّبْيةُ فإنها لا توصف بحنينٍ / ولكِن تبْتقِل بلُبٍّ منينٍ»[٤].

«وهذا البيتُ يتداولهُ النحويون / وزعم بعضُ المتأخرين من أهْلِ العلم أنه مصنوعٌ / وما أجدرهُ بذلك»[٥].

(جـ) تراكيب فعلية وتراكيب اسمية، وذلك كقوله :

– «وما يلحقُنى الشَّكُّ فى أنَّ «دِعْبلَ بنَ علىٍّ» لم يكنْ له دِينٌ /، وكان يتظاهر بالتّشَيُّع /، وإنما غَرَضُهُ التكسب / وكم أثبتَ نسباً بتنسُّب ! / ولا أرتابُ أن

---

(١) الرسالة، ص ٣٠٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٠٩.

(٣) الرسالة، ص ٣٨١.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٦.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٨.

«دعبلا» كان على رأى «الحَكَمِيِّ» وطبقَتِه/والزَّندقةُ فيهم فاشيَةٌ/ومن ديارهم ناشيةٌ»[١].

- «ثم نادى الثالثةَ، فأجابَهُ قائل يقول: نعم قد شهِدتُ توبةَ «على بن منصور» وذلك بأخَرةٍ من الوقت/وحضرت متابَهُ عِندى جماعةٌ من العُدُولِ، وأنا يومئذٍ قاض حَلَب وأعمالِها/. والله المُستعان»[٢].

يلاحظ أن أمثلة الجمل المركبة التى لا تتجانس تراكيبها قليلة جدًّا، فى رسالة الغفران، وهذا يبين لنا حرص أبى العلاء على أن تأتى تراكيب جمله المركبة متجانسة، وهو بذلك يسير طبقا لما هو شائع فى اللغة العربية.

النوع الرابع:

نتنقل، الآن، إلى الحديث عن الجمل المركبة التى ربط بين تراكيبها الربط السياقى.

إن الشواهد من هذا النوع قليلة الورود **بالرسالة**، هى أيضًا، فنادرًا ما يستغنى أبو العلاء، فى مجموع تراكيب الجملة المركبة عن الأداة. إنه يميل إلى الربط بين بعض تراكيب الجملة المركبة بأداة وبين بعضها الآخر يكتفى بالربط السياقى، كما سنراه فيما بعد.

ومن أمثلة الربط السياقى قوله:

- «فتقول: لقد خَطِئتَ فى أفْكارِك / ما خِيرَ لك فى ابتكارِك»[٣].
- «فقال أميرُ المؤمنين: لا عليك / ألَكَ شاهدٌ بالتَّوبة؟»[٤].
- «ودنانِيرُه بإذنِ الله مُقدَّساتٌ / ما هُنَّ بالحرج ملدَّسات»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٤٢٠. - دعبل بن على: شاعر عباسى، كان يحضر مجالس اللهو مع أبى نواس توفى سنة ٢٤٦ هـ.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٦. - على بن منصور: ابن القارح مراسل أبى العلاء.
(٣) الرسالة، ص ٣٠٦.
(٤) الرسالة، ص ٢٥٦.
(٥) الرسالة، ص ٥٦٥.

- «على أنه لابد من أمانةٍ مُفْتَرِقَة فى البلاد / تكونُ للخَيِّر من التِّلاد»[١].

يلاحظ أن الجمل المركبة التى يكتفى فيها أبو العلاء بالربط السياقى تتكون، غالبًا، من تركيبين مستقلين، لا أكثر، كما يبدو من الأمثلة المعروضة. ولعل ذلك يؤكد ما قلناه من أن أبا العلاء يميل أكثر إلى الربط بنوعيه بين تراكيب الجمل المركبة الطوال.

النوع الخامس:

الجمل المركبة التى ربط بين بعض تراكيبها بأداة، وبين بعضها الآخر بدون أداة.

تعتبر أغلبية الجمل المركبة فى رسالةالغفران من هذا النوع. فأبو العلاء لا يكاد يستغنى، فى مجموع تراكيب الجملة المركبة، عن الأداة ويكتفى فيها بالربط السياقى، وإنما يميل، غالبًا، إلى الربط بين بعض التراكيب المستقلة بالأداة وبين بعضها الآخر بالربط السياقى. ومن أمثلة ذلك ما يلى:

- «فقالوا نحن بخيرٍ إنا نلتذ بتحف أهل الجنةِ/غير أنَّا مَحْبُوسُون للكلمةِ السابقِة/ ولا نُريدُ أن نَتَسرَّعَ إلى الجنةِ قبل الميقاتِ/، إذ كنا آمنينَ ناعمين، بدليلِ قوله تعالى: »[٢].
- «فقال الحكيم قولاً معناه: أخطأ ذلك الشابُّ المقتَبلُ/له ولأمِّه يَحِقُّ الهبلُ/هلَّا صَبَر على صُروفِ الزمانِ/حتى يمْنو لهُ القدَرُ مان؟/فإنَّهُ لا يشعرُ علام يقدَمُ/ ولكل بيت هَدَم»[٣].
- فيقول الهاتفُ: أنا ذلك الرَّجلْ/منَّ الله عليَّ بَعدَ ما صِرْتُ من جهنمَ على شَفِير/ويَئِستُ من المغفرة والتكْفير»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٥٦٦.

(٢) الرسالة، ص ٢٥٨.

(٣) الرسالة، ص ٣٩٥. - مناه الله بكذا: يمنيه ويمنوه منياً ومنوًا: ابتلاه.

(٤) الرسالة، ص ١٧٧.

- «كم شابٍّ في بني كلابٍ ماتَ عبطَةً/وما بلَغ من الدنيا غبطة/رماهُ بسحاف قاتلٍ، إدْمانُ المُعَتَّقَةِ ذاتِ المخاتل»(١).

تلك أمثلة الجمل المركبة التى جمع فيها أبو العلاء بين الربط بالأداة وبين الربط السياقى. ونلاحظ أن تراكيب بعض تلك الجمل تصل، أحيانًا، إلى سبعة أو ثمانية تراكيب، كما يتجلى ذلك من خلال الأمثلة التى سقناها.

الخلاصـــة :

من دراستنا لنماذج الجمل المركبة، نستنتج أن هذه الجمل غالبًا ما تأتى مركبة من ثلاثة تراكيب فأكثر، وأن أبا العلاء يميل إلى الربط بالأداة وأن أكثر تلك الأدوات انتشارًا، فى الرسالة، هى : الواو والفاء، وتليهما ثم، ولكن. كما نستخلص أن أبا العلاء يختار تراكيب جمله المركبة متجانسة فى الجهة وفى الفعلية وفى الاسمية باستثناء جمل قليلة جاءت تراكيبها غير متجانسة.

وكما يستعمل المعرى الربط بأدوات التسوية وحدها، كذلك يختار الجمع بين نوعى الربط، أى يستعمل فى الجملة المركبة الواحدة الربط بالأداة بين بعض تراكيبها والربط السياقى فى البعض الآخر. ونلاحظ أيضًا، أن الجمل المركبة التى استغنى فيها أبو العلاء عن الأداة قليلة لا تتألف غالبًا من أكثر من تركيبين.

وفيما يلى ننتقل إلى دراسة نماذج للجمل التركيبية الواردة فى الغفران.

نماذج الجمل التركيبية

هى ما تكونت من تركيب مستقل، وتركيب أو أكثر غير مستقل. وقد يتم الربط بين تراكيبها بأداة ربط تركيبية، وقد يكتفى بالربط السياقى. وتعتبر الجمل التركيبية القسم الثالث من أقسام الجملة الكبرى وتتميز بأنها :

١ - تتكون من تركيب واحد مستقل، ومن تركيب أو أكثر غير مستقل.

(١) الرسالة، ص ٥٥٧. - مات عبطة : أى شابًا صحيحًا.

٢ – يرتبط التركيب المستقل مع التركيب غير المستقل بأداة من أدوات الربط التركيبية.

٣ – قد يكون الربط بين التركيب المستقل والتركيب غير المستقل ربطًا سياقيًا.
ونشير إلى أن أدوات الربط التركيبية على نوعين:

– مفردة، مثل:
إن – لو – إذا – من – لولا – لام التعليل – اللام الواقعة فى جواب الشرط – لما – بينما – واو الحال.

– مركبة، مثل:
إما + ... وإما
لا + ... الا
لا + ... حتى.

تتميز التراكيب التى تربط بينها أدوات الربط التركيبية بالخواص التالية:

كونها تركيبًا مستقلا مع تركيب غير مستقل، فلا يربط بأدوات الربط التركيبية بين تراكيب مستقلة.

وكما تكون التراكيب متجانسة، فى الجهة والشكل، قد تأتى غير متجانسة.

يلاحظ أن أبا العلاء يربط بين تراكيب بعض الجمل التركيبية بأداة وفى بعضها الآخر يكتفى بالربط السياقى. وكما تأتى تراكيب تلك الجمل متجانسة تأتى أيضًا غير متجانسة.

بناء على ذلك، يمكن تقسيم الجمل التركيبية، كما جاءت فى **الغفران** إلى ستة أنواع:

١ – الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها بأداة من أدوات الربط التركيبية المفردة.

٢ - الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها بأداة من أدوات الربط التركيبية المركبة.

٣ - ما ربط بين تراكيبها بالربط السياقى.

٤ - الجمل التركيبية التى تحتوى على تراكيب متجانسة.

٥ - الجمل التركيبية التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة.

٦ - الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها بأداتين من أدوات الربط التركيبية.

هذه هى أنواع الجمل التركيبية العلائية. ونسوق، الآن، أمثلة لكل منها.

النوع الأول:

أغلب الجمل التركيبية، الواردة فى رسالة **الغفران**، يربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط المفردة، وقد تنوعت أدوات الربط التركيبية المفردة، فى **الغفران**، تنوعًا كثيرًا.

يستعمل أبو العلاء من تلك الأدوات:

إن، لو، إذا، لما، لولا، من، لام التعليل، الفاء واللام الواقعتان فى جواب الشرط، بينا، واو الحال.

ونشير إلى أن الأداتين، «الفاء» و«اللام» تأتيان دائمًا مع أداة من أدوات الشرط حيث تتصدر هذه الأخيرة صدر الجملة التركيبية، أما الفاء أو اللام فتتصدران جواب الشرط لتربط التركيب غير المستقل بالتركيب المستقل. فتأتى الجمل التركيبية على النحو التالى:

الأداة + تركيب غير مستقل + أداة + تركيب مستقل.

وفيما يلى أمثلة لنماذج جمل هذا الصنف:

إن :

«فإن / قال من أُمٍّ لَقْطٍ / جاز أن يقولَ : حُوارى بأَقْطٍ»[١].

ونجد هذا التركيب نفسه يتردد ٢٥ مرة فى فقرات متوالية[٢].

إنْ + الفَاء :

«/ إنْ / ظهَرَ منى تَحَرُّز فى بعضِ المواطِن / فـ / إنَّما ذلك على طريقةِ الحزْمِ، كما جاءَ فِي الكتاب العزيز»[٣].

لو + اللام :

«/ لَوْ / أدركتُ محمدًا / لَـ / كنْتُ أولَ المؤمنين»[٤].

إذَا :

«/ إذا / قَضَوْا الأَرَبَ من الطعام / جاءت السُّقاةُ بأَصنافِ الأشرِبَةِ والمسمعاتُ بالأصواتِ المطربة»[٥].

لَّمـا :

«/ لما / عَلِموا ذَلك كشفوهُ عنِّى»[٦].

لَوْلَا :

«/ لَولَا / أنَّهُ ضرىَ بالحبر ما افتقرَ إلى ضِرْوٍ مطلوبٍ أو غصنٍ من العتمِ مجْلوب»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ١٦٢. – الأقط : الجبن.

(٢) الرسالة، من ص ١٥٧ إلى ص ١٦٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٤) الرسالة، ص ١٨٣.

(٥) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٦) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٧) الرسالة، ص ٢٢١-٢٢٢. – ضرى : تلطخ – الحبر : وسخ الأسنان، – الضرو : شجرة الكَمْكَام.

مَنْ + الفَاء :

«/ مَن / رَضى بصحبةِ العُقَار / فـ / قَد خلعَ ثوب الوقَار»[١].

لام التعليل :

«فيقول أبو عُثمان : لَيس ذَلك بدليلٍ على أنَّ الهمزةَ زائدةٌ /لِـ/ أنَّهُمْ قد قالوا ناسٌ وأصلُه أناس، وميْهَةٌ لجُدِرى الغَنم، وإنما هو أَمِيهة»[٢].

بينا :

«/ بينا / هم كذلك / إذْ مرَّ شابٌّ فى يَده مِحْجَنٌ ياقوتٍ مَلَكهُ بالحُكم الموقوتِ»[٣].

واو الحال :

«ولقد بلغتُ بعدَدِ البيوتِ مَا لَمْ يبلغْهُ أحدٌ من العربِ قَبلى / و / أنت لاهٍ بعَفارتِكَ تفتِرى على كرائم قومكَ»[٤].

وننتقل الآن إلى الحديث عن الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط المركبة.

النوع الثانى :

من أدوات الربط التركيبية المركبة فى الغفران نذكر :

إما + . . . وإما، لا + . . . إلا، لا + . . . حتى.

وها هى ذى بعض الأمثلة لكل منها.

---

(١) الرسالة، ص ٥٥٦.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٣) الرسالة، ص ٢١٥. – المحجن : العصا المنعطفة الرأس.

(٤) الرسالة، ص ٢٢٩. – العفارة : الخبث والمكر.

إما + ... وإما :

«/ إمَّا / أنْ يكونَ قالهُ تحسينًا للكلام على مذهبِ الشُّعَراءِ، / وإمَّا / أَنْ يكونَ فعلَه فَغُفِرَ لهُ»[١].

لا + ... إلا :

«/ لَا / تَتِمُّ الكلمةُ / إلَّا / وأبو بَصيرٍ قد خَمَسَهُم»[٢].

لا + ... حتى :

«ف / لا / تكْمُل هذه المقالُة / حتى / يجمَعَ الله كلَّ فُقَّاعِيّ فى الجنةِ، من أهَلِ العِرَاقِ والشام وغيرهما من البلادِ، بين أيديهم الولدان المُخلَّدُون يَحْمِلُونَ السِّلَالَ إلى أَهل ذلك المَجْلِس»[٣].

ما + ... إلا :

مازُجرتُم عن شيْءٍ / إلا / وَركبتمُوه»[٤].

النوع الثالث :

الجمل التركيبية التى تم الربط بين تراكيبها بالربط السياقى.

يكتفى أبو العلاء، أحيانًا، بالسياق كرابط بين التركيب المستقل والتركيب غير المستقل. إنه لا يستخدم أداة الربط التركيبية، حينما يقع، مثلا التركيب غير المستقل نعتًا أو عندما يقع حالا فى بعض أنواع التراكيب الفعلية التى لا تستدعى واوا ليربط بين الحال وصاحبه.

---

(١) الرسالة، ص ٢١٩.
(٢) الرسالة، ص ٢٠٤. انظر مثالا آخر فى ص ٢٠٦.
(٣) الرسالة، ص ٢٨٠.
(٤) الرسالة، ص ٣٥٠.

- مثال للنعت :

«إنَّ فى هذِه المَنزلةِ لَنَشْرًا / لَا يزيدُ على نشرِ الفانيةِ عشْرًا ولكن يشفُّ بعدَدٍ لا يُدْرَكُ ليس وراءهُ مترَك»[١].

وسنعقد فصلاً خِاصًا بالنعت فى رسالة الغفران، نفصل القول فيه على الجمل الواقعة نعتًا.

- مثال الحال :

«كنتُ أُقيمُ عشرَ ليالٍ أو أكثر / لا أَقدر على العكرشَةِ ولَا القُواع»[٢].

النوع الرابع :

أغلب الجمل التركيبية، فى الغفران، يتجانس فيها التركيب المستقل والتركيب غير المستقل. وجل الأمثلة التى سقناها، سابقًا، من هذا النوع.

يجيئ التركيب المستقل والتركيب غير المستقل معًا، فى شكل فعلى، وفى شكل غير فعلى، كما يلى :

(أ) تركيب مستقل فعلى + تركيب غير مستقل فعلى، مثل :
«ولو حَضر أخْوِنَةً حَضرَها الشيخُ / لعادَ كما قالَ القائلُ»[٣].
«وقدْماً طلبَ النَدامى مَطْبُوخاً، شبَّاناً فى العُمْرِ وشيوخا/يُنافقونَ بالصفةِ ويُوارون وعن الصهباءِ العاتقِة يُدارون»[٤].

(ب) تركيب مستقل اسمى + تركيب غير مستقل اسمى، مثل :
«ومع المِنْصَفِ باطيَة من الزُّمردِ/فيها من الرَّحِيقِ المختوم شيءٌ يُمْزَجُ بزَنْجَبِيلٍ والماءِ أُخِذَ من سَلْسَبيلٍ»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٣.
(٢) الرسالة، ص ٣٠٦.
(٣) الرسالة، ص ٣٩٩.
(٤) الرسالة، ص ٥١٥.
(٥) الرسالة، ص ١٨٥.

النوع الخامس :

الجمل التركيبية التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة. أمثلة هذا النوع جاءت على الشكلين التاليين :

(أ) تركيب مستقل فعلى + تركيب غير مستقل اسمى، مثل :

«وقد تزوَّجَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم خديجةً بنة خُوَيلدٍ / وهو شابٌّ / وهى طاعِنةٌ فى السِّن»[١].

(ب) تركيب مستقل اسمى + تركيب غير مستقل فعلى، مثل :

«فإذَا هى خَرَجتْ كالعادة / فـ / اسألوا فى أَمرى بأَجمعِكم فلَعلَّها تسألُ أَبَاها فِيَّ»[٢].

«والصِّدقُ لَديهِ كالحصاةِ / تُوطَأ بأقدامِ عُصاةٍ»[٣].

النوع السادس :

الجمل التركيبية التى ربطت تراكيبها أداتان من أدوات الربط التركيبية.

لا يكتفى أبو العلاء، أحياناً، بأداة ربط تركيبية واحدة بل يتعداها إلى اثنتين أو ثلاث. ومن ذلك قوله :

«ولو / نَزل بها شىءٌ تتغيَّرُ به عن العهدِ / لـ / تمنَّى أَنْ تُقذفَ إلى غيرِ المَهْدِ / لِـ / أَنَّ ابنَ آدمَ بخيلٌ ملولٌ تسرِى به إلى المنيَّةِ أمونٌ ذَلُول»[٤].

«/ لو / أَنه أحدُ لصوصِ العَربِ الذِين رُويتْ لهم الأمثالُ السائِرةُ، وتحدَّثَتْ بِهم المُنجدَةُ والغائرةُ / لَـ / مَا اغتفرتُ ما صَنعَ بما نَظَم / لِـ / أَنَّه أفرطَ وأَعْظَمَ، أى

---

(١) الرسالة، ص ٥٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٢٥٧.

(٣) الرسالة، ص ٤٤٨.

(٤) الرسالة، ص ٣٩٧. – المهد : الموضع، والأرض السهلة المنخفضة.

أَتَى عظيمةً وبَتَكَ مِنَ القَلائِدِ نظيمةً »[1].

* * *

تلك بعض نماذج الجمل التركيبية الواردة فى الغفران ومن خلال دراستنا لها استخلصنا الملاحظات التالية :

(أ) أغلب الجمل التركيبية هى الجملة التى يربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط التركيبية.

(ب) تعتبر : أَنْ، لَوْ، إِذَا، لَمَّا، أكثر أدوات الربط التركيبية انتشاراً فى الرسالة.

ومما تجدر الإشارة إليه، بهذا الصدد، هو أننا نجد بالرسالة فقرات متتالية، بل أحياناً صفحتين أو أكثر تتوالى فيها جمل تركيبية تربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط التركيبية، وتتكرر تلك الأداة نفسها مع كل الجمل مرات عديدة.

وهذه بعض النماذج :

– فى الصفحات، من ١٥٧ إلى ١٦٤، تتردد الجمل التركيبية ذات الأداة «إن» ٢٥ مرة كما أشرنا، منذ قليل.

نفس الأداة تتردد فى جمل تركيبية متوالية، فى الصفحات، من ٤٧٩ إلى ٤٨١. ويتحدث فيها أبو العلاء عن الطيرة وعواقبها. ومن ذلك قوله :

«و/إنْ/عَرَضَتْ لهُ خَنْساءُ من البشرِ، فإنهُ لا يأمنُ من الشرِّ، يقولُ : أخافُ من رفيقٍ يَخْنِسُ[2] وأمرٍ يُدنِسُ/وإن/كانت الخنساءُ من الوحوش نَفَر قلبُه من الحُوش، /إن/رآها سانحةً هزَّت من رُعْبِه جانحةً، يقولُ قد ذهبَ أهلُ عقْلٍ وافرٍ، من أربابِ المناسِم وصحبِ الحافر، يتطيَّرونَ بالسنيحِ، ويرهبون معه ذهابَ

---

(١) الرسالة، ص ٤٠٤ – البتك : القطع، وبتك الحبل قطعه.

(٢) خنس يخنس، خنساً وخنوساً، تأخر، تنحى.

السانح والسنيح : ما أتاك عن يمينك من طائر أو ظبى، وكان بعضهم يتطير به.

المنيح بالفتح : قدح من قداح الشراب يؤثر بفوزه، يتيمن به ويتبرك.

المنيح / وإنْ / أَتَتْهُ بقَدَرٍ بارحَة، عايَنَ بها النَّجْلاءَ الجارحةَ، يقولُ: ألم يكُ ذوُو خيل وسرُوج، يَخشَونَ الغائلةَ من البرُوج؟/وإنْ/لَقِيَ رجلاً يُدعى أخنَسَ فكأنما لَقِي هِزَبْراً تبَهْنَس... »[1].

– تتردد فى الصفحتين ٢٩٣، ٢٩٤، حيث يقص أبو العلاء إحدى مغامرات جنى، الأداة التركيبية «لما» كقوله:

«دخلتُ مرَّةً دارَ أُناسٍ أُريد أن أصْرعَ فتاةً لهم، فَتَصَوَّرْتُ فى صورةِ عَضَلٍ، أى جُرَذ، فدَعَوا لى الضَّيَاوِنَ[2]/لمَّا/أرهقَتْنى تَحَوَّلتُ صِلاً أَرْقَم، ودخلتُ فى قَطِيلٍ[3] هناك. فـ/لمَّا/عَلموا ذلك كَشَفوهُ عنِّي فـ/لمَّا/خِفْتُ القتل صِرْتُ رِيحاً هَفَّافَةً فلحِقتُ بالرَّوافِدِ[4] وَنَقضوا تلك الخُشُبَ والأجذَال[5] فلم يَرَوْا شيئاً. فجَعَلوا يَتَفَكَّنُون ويقولونَ: ليسَ ها هنا مكانٌ يُمْكِنُ أنْ يَسْتِتِرَ فيه فـ/بينا/ هُم يتذاكرون ذلك، عَمَدتُ لِكَعابِهم فى الكِلَّةِ[6] فـ/لمَّا/رأَتْنِى أصابَها الصَّرَعُ...»

– مثال آخر نجده فى الصفحات من ٥٦٠ إلى ٥٧٤. يستطرد أبو العلاء من الحديث عن دنانير ابن القارح إلى ذكر أخبار لها تعلُّقٌ بالدينار وعُشَّاق الدينار. إن ما يلاحظ فى أسلوب هذه الصفحات هو أن الجمل التركيبية ذات الأداة «لَوْ» تكتسح جل الفقرات وإن لم تتوال فيها، كما توالت الأدوات المشار إليها سابقاً.

– تتردد الجمل التركيبية ذات الأداة التركيبية المفردة «مَنْ» فى الصفحة ٥٥٦، وفيها يتحدث أبو العلاء عن مدمنى الخمر وما يعتريهم من سوء العاقبة، ومن ذلك قوله:

«/من/اصطبحَ فَيْهجاً فقد سَلكَ إلى الداهيةِ منهجاً/مَنْ/اغتبق أمَّ ليلى، فقد سَحَب فى الباطِل ذَيلا/من/غَرِى بأم زَنْبَق فقد سمَح بالعقل الموبَق/من/حَمل

---

(١) الرسالة، ص ٤٨٠.

(٢) الضياون: جمع ضيون وهو السنور الذكر.

(٣) القطيل، والمقطول: المقطوع من أصل جذع.

(٤) الروافد: جمع رافدة وهى خشبة السقف، الوَصْلة.

(٥) الجذل من الشجرة: أصلها الباقى بعد ذهاب فروعها.

(٦) الكلة غشاء رقيق يتقى به من البعوض.

بالراحة راحاً فقد أسرعَ للرَّشَدِ سَراحاً/من/رضىَ بصُحْبَةِ العُقارِ فقد خلعَ ثوبَ الوقار/من/أدمنَ قَرقَفا فليس على الواضحةِ موقفا/من/سَدِكَ بالخُرطوم رجع إلى حالِ المفطوم».

إن أمثال هذه الجمل تتكرر مع الأداة التركيبية المفردة «إذَا» فى الصفحات ٥١٧ إلى ٥٢١ وفيها يستطرد أبو العلاء من الحديث عن توبة ابن القارح إلى قص قصة خيالية تتعلق بموضوع التوبة، ويختم القصة بقوله :

«و/إذا/صحَّت الأخبارُ المنقولةُ بأن أهلَ الآخرة يعلمون أخبارَ أهلِ العاجلةِ، فلعلّ حواريَّهُ المعَدَّاتِ لهُ فى الخُلْدِ، يسألنَ عن أخبارِه منِ يَرِدُ عليهن من الصُّلحاءِ فيَسمعْنَ مرَّةً أنه «بالفُسطاطِ» وتارةً أنه «بالبصْرة» ومرةً أنه «ببغداد» وخطرةً أنه «بحلبَ» ، فـ/إذَا/شاعَ أمرُ التوبةِ وماتَ ناسكُ من أهلِ «حلبَ»، أخبرهنَّ بذلك فَسُرِرْنَ وابتهجنَ وهنَّأْهُنَّ جاراتُهنَّ»(١).

هكذا تتردد أمثال تلك الجمل التركيبية ذات الأداة الواحدة، والنغم المتناسق مرات كثيرة. وكأنى بأبى العلاء، وهو يمليها، يرتاح لها كامل الارتياح، الشىء الذى قد لا يستسيغه المبصرون. فهل يعزى ذلك إلى عماه، أو إلى طبيعة الإملاء؟ قد يكون الاثنان، معاً، أثرا على الأسلوب، على أن العمى يقتضى الإملاء حتماً.

إن العمى عاهة، بيد أن شخصية أبى العلاء المتحدية قد استطاعت أن تملى، وتبرع فى الإملاء، فتميزت عن كثير من الكتاب العمى، كما تميزت عن كثير من الكتاب المبصرين. فللغة المعرى خاصيات تركيبية ينفرد بها نثره. أليس للإملاء فنية خاصة؟ إن الذى تعود التأليف كتابة يعجز عنه إملاءاً، ولعل هذا ما يعانيه سارتر بعد أن فقد بصره.

سئل سارتر أخيراً لماذا توقف عن الكتابة، وعما إذا كان فقدان البصر هو السبب، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يملى؟ أجاب، إن الكتابة لا تتحقق عنده إلا بقلمه وأصابعه هو، لا بأصابع مستعارة، ثم لكى تكون كلماته مسبوكة سبكاً

(١) الرسالة، ص ٥٢١.

تامًا، وأسلوبه منسجماً ودقيقاً، يجب أن يعيد كتابة الجمل مرات عديدة. فيحرر الفكرة فى أشكال متنوعة.

* * *

هذه هى بعض الملاحظات التى استنتجناها من دراسة أنواع الجمل التركيبية. وفى الصفحات التالية سنعمل على إبراز أهم خصائص الجمل العلائية ومميزاتها.

خصائص الجمل العلائية إحصائيًّا

قلنا سابقًا إننا نجيز لأنفسنا أن نصف أبا العلاء بأنه كاتب ذو نفس تركيبى طويل، وذلك لما لاحظنا فى تراكيبه وجمله من امتداد داخلى، أى ترابط تراكيب عديدة مستقلة وغير مستقلة داخل الجملة الواحدة. وقد كانت تلك الملاحظة الدافع الأول الذى جعلنا نعير اهتمامًا خاصًّا للجمل العلائية. وهكذا خصصنا لها هذا الباب. وبعد أن درسنا أنواع الجمل الواردة فى **رسالة الغفران**، وحاولنا الكشف، من خلال الشواهد المتعددة، عن خصائص كل من الجمل البسيطة، والمركبة، والتركيبية استخلصنا أن بعض الأنواع قليل الورود، وبعضها الآخر شائع مطرد.

ونحن إذ نتعرض لدراسة الجمل والتراكيب، نود أن نتعرف على ميل أبى العلاء فى اختيار نوع خاص من تلك الجمل، ونرغب فى معرفة أيها أكثر تواتراً فى **الغفران**، وبالتالى ماهو الطابع العام الذى يطبع التراكيب العلائية ويميزها. لذا سنقوم بتجربة إحصائية، تحدد لنا نسبة كل نوع من الجمل لنرى فيها إذا كانت المركبة والتركيبية أعلى نسبة من الجمل البسيطة، كما يبدو لأول وهلة فى لغة **الرسالة**، أم أن الواقع عكس ذلك. ولتحقيق هذا اخترنا المنهج التالى:

(أ) استقراء عام لجمل الرسالة.
(ب) إحصاء عدد جمل كل نوع.

(أ) التجربة الاستقرائية:

لقد بدا لنا، من خلال استقراء جمل **رسالة الغفران**، أن الجمل البسيطة أقل أنواع الجمل وروداً بها، فقليلا ما نعثر على تركيب واحد مستقل بنفسه، ما عدا الجمل التى يستخدمها أبو العلاء فى شرح بعض المفردات، مثل قوله:

«والفَرْضُ ضربٌ من التمر»[١].

«وأما المُسفَّةُ الدَّهماء فإنها القِدْر»[٢].

«أعظم أى أتى عظيمة»[٣]

«وهى (شِقْذ) فراخُ الحجل»[٤].

«وهى (العماريس) الجداء»[٥].

«وهو البرق الكاذِب»[٦].

ويمكن أن نعتبر هذه الجمل وأمثالها بسيطة إذا نظرنا إليها مستقلة عما قبلها، رغم أنها تأتى مفسرة لكلمة ترد فى تركيب سابق. ومسبوقة فى غالب الأحيان، بالأداة المفسرة «أى» كما سنرى ذلك فى فصل قادم.

هناك نوع آخر من الجمل التى قد تعتبر بسيطة، هو الجمل الدعائية، مثل قول أبى العلاء:

«حَسَّنَ الله الأيامَ بطُول عُمره»[٧].

«أَصلحَ الله بهِ وعلى يَدَيْه»[٨].

«عَرَّفهُ الله الغبطةَ فى كلِّ سَبِيل»[٩].

مما لا شك فيه أن الجمل الدعائية ترتبط ارتباطاً دلاليًّا بما قبلها. وإن كانت هذه الجمل الدعائية والجمل المفسرة، تدخل ضمن الجمل التى لا محل لها من الإعراب فى الجملة التى توجد بها، كما يقرر ابن هشام. إلا أنه يبدو لنا أن استقلالها بالفائدة عما قبلها ليس استقلالا تامًّا، وهى بذلك، كما يظهر، تظل نوعاً خاصًّا من الجمل، سواء جاءت بسيطة أم مركبة.

---

(١) رسالة الغفران، ص ١٦٢.
(٢) رسالة الغفران، ص ٢٤٥.
(٣) رسالة الغفران، ص ٤٠٤.
(٤) رسالة الغفران، ص ١٦٠.
(٥) رسالة الغفران، ص ٢٧١.
(٦) رسالة الغفران، ص ٣٩١.
(٧) رسالة الغفران، ص ١٧٥.
(٨) رسالة الغفران، ص ٢٣١.
(٩) رسالة الغفران، ص ٣٠٧.

بصرف النظر عن هذين النوعين من الجمل البسيطة الواردة فى الغفران فإن نتائج الاستقراء الإجمالية أبدت لنا أن أقل أنواع الجمل التى يستخدمها أبو العلاء هو الجمل البسيطة، وسنحاول أن نضبط هذا الاستنتاج بعَملية الإحصاء التالية :

(ب) التجربة الاحصائية :

وقع اختيارنا فى هذه التجربة على نموذجين للإحصاء :

١ - صفحات اخترناها اعتباطيًّا.

٢ - خمس صفحات متوالية من القسم الأول من الرسالة، وخمس صفحات أخرى من القسم الثانى.

فيما يلى نورد حصيلة العمل فى كل نموذج.

النموذج الأول :

إحصاء عدد الجمل البسيطة والمركبة والتركيبية فى الصفحات التالية : ١٩٨ - ٢٣٣ - ٤٢٤ - ٥٧١ - ٢٨٠.

(أ) صفحة ١٩٨، وفيها يصف أبو العلاء مشهد صيد ابن القارح لوحوش الجنة. بها من أنواع الجمل ما يعرضه الجدول التالى مع بعض الأمثلة :

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
بسيطة	١	«فيكف عَنْهُ مولاى الشيخُ الجليل».
مركبة	٢	- «فيقولُ الشيخُ : فَيَنبَغِى أن تَتَميَّزْنَ/فَما كان مِنكنَّ قد دَخلَ الفانيةَ فما يَجبُ أنْ يَخْتَلِطَ بِوُحُوشِ الجنَّةِ».
	٣	- «فيقولُ ذلك الوحشىُّ : لقد نَصَحْتَنا نُصْحَ الشفيق / وسوف نمتثِلُ ما أمَرْتَ».

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
تركيبية	٤	- «فإذَا نَظر إلى صِوَار تَرتَعُ فى دَقَارِىّ الفِرْدَوس، والدَّقارِىُّ : الرياضُ / صَوَّبَ مولاى الشيخُ المِطْرَدَ، وهو الرمحُ القصيرُ، لأخنَسَ ذَيَّالٍ / قد رتَع طويلَ أيامٍ وليال». - «فإذَا لَمْ يبق بينَ السِّنانِ وبينه إلاَّ قَيْدُ ظُفْرٍ / قال : «أمْسَكَ / رحمَكَ اللهُ فإنى لستُ من وحشِ الجَنَّةِ التى أنشأهَا اللهُ سبحانه / ولَمْ تَكُنْ فى الدار الزائلةِ / ولكِنِّى كنتُ فى مَحلَّةِ الغُرُور / أرودُ فى بعضِ القِفار / فمرَّ بِى ركبٌ مؤمنونَ / قد كَرَى[1] زادُهم / فصرَعُونى / واستعانوا بِى على السَّفَر / فعَوَّضَنى اللهُ / جَلَّت كلمَتُه / بأنْ أسْكَنَنِى فى الخُلُودِ». - «فإذا صَارَ الخرصُ[2] منه بِقْدر أنملةٍ / قال : «أمْسِكْ يا عبدَالله / فإنَّ الله أنْعَمَ علىَّ / ورَفَع عنِّى البُؤسَ / وذلكَ أنى صادَنِى صائِدٌ بمِخْلَبٍ / وكَانَ إهابِى لَهُ كالسَّلَب / فباعَهُ فى بعضِ الأمْصَار / وصَرَاه لِلسَّانية صَار / فاتُّخِذَ منه غَرْبٌ / شُفِىَ بمائه الكَرْبُ / وتطهَّر بنزيعِه الصالِحون / فشملتنى بركة من أولئك / فدخلت الجنة / أرْزَقُ فيها بِغيرِ حِسَاب».

يلاحظ أن الجملة التركيبية الثانية تتكون من :

الأداة + تركيب مستقل + تركيب غير مستقل (يتكون من ستة تراكيب مستقلة تربط بينها الواو مرة، والفاء مرة أخرى).

---

(١) كرى زاده : نقص.

(٢) الخرص، مثلثة الخاء : نصف السنان الأعلى، وقيل هو الرمح. وبالكسر وحده : الرمح اللطيف القصير.

ومما يلفت النظر هو أنه فى التراكيب الثلاثة المستقلة الأولى من هذه الستة، تركيب غير مستقل يقع حالاً، يرتبط بالتركيب المستقل بالربط السياقى. فجاءت ثلاثتها مرصوفة على نفس الوتيرة:

«فإنى لستُ من وحشِ الجنةِ التى أنشأها اللهُ سبحانه / ولم تكنْ فى الدارِ الزائلة».

«ولكنى كنتُ فى محلةِ الغُرور / أرودُ فى بعض القِفار».

«فمر بِي ركْبُ مؤمنون / قد كَرى زادُهم».

ويلاحظ، كذلك، أن الجملة التركيبية الثالثة تتكون من:

- الأداة + تركيب مستقل + تركيب غير مستقل يتكون من عشرة تراكيب مستقلة يربط بينها الواو، أحيانًا، والفاء أحيانًا أخرى، وأحد هذه التراكيب العشر به تركيب غير مستقل معطوف عليه آخر مستقل وهو:

«فاتَّخِذَ منهُ غرْبٌ شُفىَ بمائه الكَرْبُ / وتطهَّر بنزيعهِ الصالحون».

(ب) صفحة ٢٣٣، يصف أبو العلاء نهاية مشهد شجار قام بين «الأعشى» و«النابغة الذبيانى». بهذه الصفحة من أنواع الجمل ما يلى:

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	«وقيلَ لِبَعضهم: متى يُخافُ شَرُّبَنِي فُلان؟».
مركبة	٧	«فيريدُ - بلَّغه الله إرادَته - أن يُصْلِح بين الندَماءِ / فيقولُ: يجبُ أن يُحْذَر من مَلكٍ يعبرُ/فَيَرى هذا المجلِسَ/ فيرفعِ حديثَه إلى الجبار الأعظم / فلا يَجُرُّ ذلكَ إلا إلى ما تَكْرهَان».

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
تركيبية	١	«فيقول نابغةُ بنى جعدةَ : قد كان الناسُ فى أيام الخادِعَةِ يظهرُ عنهم السَّفَهُ بشُرْبِ اللبنِ، لا سِيما إذَا كانُوا أرقَّاءَ لِئامًا كما قال الراجز. . »

(جـ) صفحة ٤٢٤، وموضوعها حديث عن «القطربلى». نجد بهذه الصفحة من أنواع الجمل :

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
بسيطة	١	«والخِربَقُ سُمُّ الكلابِ مَعْرُوفٌ».
مركبة	٤	«فأمَّا أن يَعْمَلَ الرجلُ شيئاً من كتابٍ / ثم يُتَمِّمُه الآخرُ فَهو أسوَغُ فى المعقولِ من أن يَجْتَمِعَه عليه الرجُلان».
تركيبية	٢	«ونحوٌ منهُ قصَّةُ الخالدِيينْ اللذين كانا فى «المَوْصِلِ» / وهُمَا شاعِرَان / وقد كانا عند سيفِ الدَّوْلَة / وانصرَفا على حَدٍّ مُغاضَبةٍ / ولهما ديوانٌ / يُنسَب إليهما / لا ينفردُ فيه أحدُهما بشيءٍ دُونَ الآخرَ إلا فى أشياءَ قليلة / وهذا مُتَعَذِّر فى وَلَدِ «آدمَ» إذ كانت الجِبِلَّةُ على الخِلافِ وقلةِ الموافَقةِ».

(د) صفحة ٥٧١ وفيها طرف من حديث أبى العلاء عن دنانير ابن القارح. بهذه الصفحة من الجمل ما يلى :

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
بسيطة	١	«وإنما ذَكَرْتُ ذَلك لِقَولِ الأعْشىَ. . . »
مركبة	٠	
تركيبية	٣	«ولو كان الإنسانُ فى قَليب عُمقُه ثمانون قامةً لجازَ أن تَسْتَنْقِذَه هذه المصفرَّةُ من غير مرضٍ ، والزائلةُ بما يعترِضُ من الجَرَضِ »(١).

(هـ) صفحة ٢٨٠ يصف أبو العلاء الولدان المخلدين يحملون سلال الفقاع. بهذه الصفحة نجد :

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
بسيطة	١	«فيقول قائلٌ من الحاضرين : من ذكرَ هذا من أهْلِ اللغَةِ ؟».
مركبة	٢	«فيقولُ فى نفسه : قد علمتُ أنَّ الله قديرٌ / والذى أريدُ نحوُ ما كُنت أراهُ مَعَ الطوَّافينَ فى الدارِ الذاهِبة».
تركيبية	٣	«ويَخْطِرُ له ذِكر الفقاع الذى كان يُعْمَل فى الدارِ الخادعةِ / فيجرِى الله بقدرته أنهارًا من فقاع / الجرعةُ منها لو عُدِلت بلذاتِ الفانيةِ منذ خَلَقَ الله السموَاتِ والأرضَ إلى يوم / تَطوِى الأُمَمَ الآخرةُ / لكانت أفضلَ وأشَفَّ».

(١) الجرض : الريق يغص به.

ماذا نستخلص من إحصاء أنواع الجمل فى صفحات هذا النموذج؟

يبدو جليًّا أن نسبة ورود الجمل البسيطة أقل بكثير من نسبة كل من الجمل المركبة والتركيبية إذ تساوى سُدُس مجموع الجمل. والجدول التالى يعطينا نتائج إحصاء الجمل فى الصفحات المتقدمة:

نوع الجمل	العـدد
البسيطة	٥
المركّبة	١٥
التركيبية	١٣

ننتقل الآن إلى إحصاء أنواع الجمل فى النموذج الثانى.

النموذج الثانى :

صفحات متتالية منتقاة من الفصل الأول من **رسالة الغفران** وأخرى من الفصل الثانى.

وقع اختيارنا على الصفحات التالية :

(أ) من صفحة ٢٤٩ إلى صفحة ٢٦٢ من الفصل الأول.
(ب) من صفحة ٤٤٩ إلى صفحة ٤٦٢ من الفصل الثانى.

(أ) صفحات الفصل الأول (من ٢٤٩-٢٦٢).

يحكى ابن القارح فى هذه الصفحات قصة حشره وما لقيَه من مشاق قبل دخول الجنة. وقد استخلصنا من إحصاء جمل هذه الصفحات أن عدد جمل كل نوع هو ما يلى :

نوع الجمل	العدد	أمثلـة
بسيطة	٢٤	«فأيكم راعِى الإِبل»؟[١].
مركبة	٢٦	«وشُغِلْتُ بِخطابِهم والنظرِ فى حَوِيرهم فسقطَ مِنِّى الكتابُ الذى فيهِ ذِكر التوْبة»[٢].
تركيبية	٤٥	«فلما عَظُم الزِحامُ طَارتْ فى الهواء وأنا متعلِّقٌ بالركاب، فوقفتْ عندَ مُحمد صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ هَذا الأتاوى؟ أى الغريب، فقالتْ له: هذا رجل سألَ فيه فلان وفلانٌ/وسمت جماعة من الأئمةِ الطاهرين/فقال: حتّى يُنْظَر فِى عمله»[٣].

(ب) صفحات الفصل الثانى: (من ٤٤٩ إلى ٤٦٢).

يتحدث فيها أبو العلاء عن الحلاج، ومذهبى الحلولية والتناسخ:

نوع الجمل	العدد	أمثلـة
بسيطة	١٤	«وأصحابُ العربيةِ مُجْمِعوُن على كراهةِ قراءةِ حمزةَ: (وما أنْتم بِمُصْرِخىِّ)، بِكسر الياء»[٤].
مركبة	٢٤	«ويُصوِّر لهم الرأىُ الفاسدُ أَبا جِير ومشبَّهاتٍ/فيَسلكُون فى تُغلسٍّ وفى التُّرَّهات»[٥].

(١) الرسالة، ص ٢٦٢.

(٢) الرسالة، ص ٢٥٦. – الحوير: الجواب، والاسم من المحاورة.

(٣) الرسالة، ص ٢٥٩–٢٦٠.

(٤) الرسالة، ص ٤٥٥.

(٥) الرسالة، ص ٤٥٩.

نوع الجمل	العدد	أمثلـــة
تركيبية	٦	«وحدَّثنى قَومٌ مِنَ الفُقهَاء / ما هم فى الحكايةِ بكاذبين / ولا فى أسبابِ النَّحل جاذِبين أنَّهم كانوا فى بلادِ مَحمودٍ / وكانَ معهُ جماعةٌ من الهندِ / قد وَثِقَ بِصفائِهم / يُفيض عليهم الأعطيةَ لِوفائِهم / ويكونون أقربَ الجندِ إليه إذا حَلَّ وإذا ارتحلَ / وأنَّ رجلًا منهم سافرَ فى جيش / جَهَّزَه «محمودٌ» / فجاءَ خبرُه أنَّه قد هلَك بموتٍ أو قَتلٍ / فجمَعت امرأتُه لها حطبًا كثيرًا / وأوقدت نارًا عظيمةً / واقتحمتْها / والناسُ ينظرُون»[٢].

ويمكن أن نلخص مجموع نتائج صفحات النموذج الثانى فى الجدول التالى :

نوع الجمل	العدد
بسيطة	٣٨
مركبة	٥٠
تركيبية	٦٩

خلاصة الإحصاء :

تؤكد لنا التجربة الإحصائية فى نموذجيها السابقين النتيجة التى استخلصناها من التجربة الاستقرائية إذ تسجل أرقام الإحصاء فيها أن عدد الجمل البسيطة أقل من عدد الجمل المركبة والتركيبية، فهى على أكبر تقدير لا تتعدى الربع من مجموع.

(١) الرسالة، ص ٤٦٠.

الجمل العلائية. والجدول التالى يعطينا النتائج الإجمالية لإحصاء أنواع الجمل فى النموذجين السابقين :

نوع الجمل	العدد
البسيطة	٤٣
المركبة	٦٥
التركيبية	٨٢

تلك هى الخاصية الأولى التى تتميز بها الجمل العلائية فى لغة رسالة الغفران. وفيما يلى نتناول تحليل خاصية أخرى تتعلق بتقنية تركيب أبى العلاء لجمله المركبة والتركيبية.

* * *

من الملاحظ أن التفرقة بين الجمل التركيبية والجمل المركبة فى لغة الرسالة صعبة جدًّا، ذلك أن بين النوعين تداخلاً كبيرًا، حيث أننا كثيرًا ما نجد أبا العلاء يبدأ جمله مركبة (تركيب مستقل + تركيب مستقل) ثم يفرع عن الجملة كلها أو عن تركيب من تراكيبها المستقلة تركيبًا أو تراكيب أخرى غير مستقلة تكون صفة أو حالا لأحد أركان التركيب السابق، فتجدنا أمام جملة تبدأ مركبة وتنتهى تركيبية.

وبالمثل، غالبًا ما نجد جملا أخرى تبدأ تركيبية (تركيب مستقل + تركيب غير مستقل) ثم يتفرع عنها كلها أو عن أحد تراكيبها تركيب أو تراكيب أخرى مستقلة معطوفة على سابقها، بأداة أحيانًا، وبدون أداة أحيانًا أخرى. وبذلك تنتهى الجملة التركيبية بالجمع بين عناصر الجملة المركبة.

كل ما تقدم يجعل الجمل «المركبة» و «التركيبية» تجمع بين خصائص النوعين معًا، فيصعب التمييز بينهما، وبالتالى، يصعب إخضاع التراكيب العلائيه لمقاييس

مضبوطة مدققة تميز كل نوع من الجمل على حدة.

التطبيق :

الجمل التى تبتدئ مركبة وتتحول، لما بها من تراكيب غير مستقلة، إلى جمل ذات خصائص الجمل المركبة والتركيبية. من ذلك قول أبى العلاء :

- «فبعثَ(أ) معِى رجُلاً / فلَمَّا قصَّ(ب) قِصَّتى على أُمير المؤمنينَ قال : أين بَيِّنَتُك؟ يعنى(جـ) صحيفةَ حَسَناتِي»(١).

تتكون الجملة من ثلاث تراكيب مستقلة : (أ، ب، جـ).

ويربط بين التركيب (أ) و (ب) «الفاء» وبين التركيب (ب) و(جـ) الربط السياقى.

بالتركيب (ب) أداة شرط «لما» (أداة ربط تركيبية) تتطلب بدورها تركيبين أحدهما غير مستقل :

«قَصَّ قصتى على أمير المؤمنين».

والآخر مستقل :

«قالَ : أين بَينتُك؟».

مثال آخر :

«وأخذَ(أ) اليهوديَّ / وذهب(ب) إلى حديقته / فوجد فيها(جـ) امرأته وأبناءَه وهُم يأكلون من جَنَاها / فجَعلَ يُدخِلُ إصبعه (د) فى أفواهِهم فيُخرجُ ما فيها من التمرِ»(٢).

تتكون هذه الجملة المركبة من أربعة تراكيب مستقلة هى المشار إليها بالحروف (أ - ب - جـ - د). يربط بين التركيبين (أ) و(ب) رابط التسوية «الواو» وبين التركيبين (ب) و(جـ) ثم (جـ) و(د) «الفاء».

---

(١) الرسالة، ص ٢٥٤.

(٢) الرسالة، ص ٥٢٧.

ويلاحظ أن التركيب (جـ) يتكون بدوره من تركيب مستقل:

«فوجد فيها امرأته».

وتركيب غير مستقل:

«وهم يأكلون مِن جَناها»

ويربط بينهما «واو الحال».

ويتكون التركيب (د) من تركيبين مستقلين عطف ثانيهما على الأول بأداة العطف (الفاء) فـ / يُخرج ما فِيها من التمرِ»

مثال آخر:

«فيبتدئ[أ] بزهير/فيجدُه شَابًّا[ب] كالزَّهْرَةِ الجَنِيَّة/قد وهبَ[جـ] له قَصرٌ من ونية كأنَّه ما لبس[د] جلباب هَرم ولا تأفَّفَ من البَرَمِ»[(1)].

تتألف الجملة من أربعة تراكيب: (أ - ب - جـ - د) وهى تتوالى كما يلى:

التركيب (ب): مستقل معطوف على التركيب (أ).

التركيب (جـ): غير مستقل، حالٍ من «زهير» فى التركيب المستقل (أ).

التركيب (د): تركيب مستقل حال من «زهير» فى التركيب المستقل (أ)، أيضًا، ويحتوى على تركيب مستقل آخر، هو:

«ولا تأفَّفَ من البَرَمِ»، معطوف «بالواو» على التركيب: «ما لَبِسَ جِلبَابَ هَرَمٍ».

مثال آخر:

«فيقول مولاى الشيخُ الأديبُ المُغْرَم بالعِلْم: يا أبا ليلى[أ]/لقد طال[ب] عهدُك بألفاظ الفُصحاء/وشَغَلك[جـ] شرابٌ/ما جاءتك[د] بمِثله بابلٌ ولا أذْرِعات/وثَنتكَ لُحوم[هـ] الطيرِ الراتعةِ فى رياضِ الجنَّةِ / فَنَسِيتَ[و] ما كُنتَ عَرَفْتَ»[(2)].

---

(١) الرسالة، ص ١٨٢.　　(٢) الرسالة، ص ٢٠٩.

مثال آخر :

«وأما القَصَّارُ فجهلٌ يُجْمَعُ ويُصَارُ / ولَوْ تَبِعَ حِقًّا مَقروبًا / لَكُفِىَ سُمًّا مشروبًا»[١].

تلك بعض أمثلة الجمل التى تبدأ مركبة ثم نجد فى بعض تراكيبها المستقلة، تراكيب غير مستقلة تجعل الجملة تجمع بين خصائص الجملة المركبة والجملة التركيبية. . .

وفيما يلى نسوق أمثلة للشكل الثانى.

الجمل التى تبتدئ تركيبية ثم تتحول لما تحتوى عليه من تراكيب مستقلة، إلى جمل تجمع بين خصائص الجمل التركيبية والجمل المركبة. ومن ذلك قول أبى العلاء :

- «فإذَا رأى[أ] قلَّة الفَوائِد لَدَيْهم / تركَهم[ب] فى الشَّقَاءِ السَّرْمَدِ / وعمد[جـ] لمحلِّهِ فى الجنانِ / فَيلْقَى آدمَ، عليه السلام[د]، فى الطريق / فيقول : يا أبانا[هـ]، صلى الله عَليك قَدْ رُوى لَنَا عَنْكَ شِعر منه قَوْلُك»[٢].

تتكون الجملة من خمسة تراكيب : (أ - ب - جـ - د - هـ) وقد جاءت كما يلى :

التركيب (أ) غير مستقل.

التركيب (ب) مستقل.

التركيب (جـ) مستقل معطوف بالوار على التركيب المستقل (ب).

التركيب (د) مستقل معطوف بالفاء على التركيب المستقل (جـ)، ويحتوى التركيب على جملة دعائية : «عليه السلام».

التركيب (هـ) تركيب مستقل معطوف «بالفاء» على التركيب (جـ) ويتكون من

(١) الرسالة، ص ٤٣٧. الحق من الإبل : الطاعن فى السن للذكر والأنثى - المقروب المصاب بالقرب أى الخاصرة.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٠.

مقول القول الذى يتألف من ثلاثة تراكيب مستقلة يربطها رابط سياقى، وهى :
«يا أبانا»، «صلى الله عليك»، «قد روى لنا عنك شعر منه قولك».

مثال آخر :

- «تَهدِر فيهِ الصهباءُ[أ] المُعتصرةُ/وهى فى قُربِ نِتاج[ب]، كالسِّقابِ المَوْضوعةِ بغَيرِ إخْدَاج/فإذا وصلتْ[جـ] سنَّ البَازل/بطل الهديرُ[د]/وأَدَارها[هـ] فى الكأسِ مُدِيرٌ»[١].

تتركب الجملة من خمسة تراكيب : (أ - ب - جـ - د - هـ). جاءت كما يلى :

التركيب (أ) مستقل.

التركيب (ب) غير مستقل يربطه بالتركيب المستقل (أ) «واو الحال»

التركيب (جـ) غير مستقل يرتبط مع التركيب (ب) بأداة التسوية «الفاء»

التركيب (د) مستقل يرتبط مع التركيب غير المستقل (جـ) بأداة الربط التركيبية «إذا».

التركيب (هـ) تركيب مستقل معطوف «بالواو» على التركيب (د).

مثال آخر :

«ونحو منه قِصَّة الخَالِديين اللذيْن كَانَا فِي المَوصْل/وهُمَا شَاعران/وقَد كَانا عندَ سَيْفِ الدولةِ/وانْصَرَفَا علَى حَدٍّ مُغَاضَبَة/ولهمَا دِيوانٌ/يُنسب إليهما/لاَ يَنْفردُ فِيه أَحَدُهما بِشَيءٍ دونَ الآخر، إلاَّ فى أشياء قليلة/وهذا مُتعذِّر فى وَلَدِ آدمَ إذْ كانت الجِبِلةُ علَى الخِلاَفِ وقلة المُوافقة»[٢].

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٣. السقاب : جمع سقب وهو ولد الناقة ساعة يولد. - إخداج : من أخدجت الدابة، ألقت ولدها ناقص الخلق، أو قبل تمام أيامه. - البازل : جمع بوازل يطلق على البعير حين يظهر نابه.

(٢) الرسالة، ص ٤٢٤.

مثال آخر :

- «وكان لَهُ غُلامٌ / يعدُ نفسَهُ التوبة / فسقطتْ عليهِ آجُرَّةٌ فَقَتلْته / والدنيا الغرارةُ خَتَلَتْه»(١).

الخلاصة :

من تحليل الشواهد السابقة ونماذج التطبيقات كلها يتبين لنا إلى أى مدى، تتداخل أنواع التراكيب فى الجملة الواحدة، حيث أغلب جمل الرسالة تجمع بين شتى التراكيب المستقلة المعطوفة، والتراكيب غير المستقلة التى تجىء حالا أو صفة . . . وإن ما سقناه من الشواهد هو قليل من كثير، فالغفران تزخر بأمثال هذه النماذج.

نستنتج مما تقدم أن الجمل العلائية فى مجموعها جمل مركبة أو تركيبية وأن كثيرًا منها. إن لم نقل جلها، يجمع بين خصائص النوعين، الشىء الذى يميز تقنية التركيب فى لغة رسالة الغفران، ويضفى عليها طابعًا علائيًا له خصائص الامتداد الداخلى، وتشابك التراكيب تشابكًا متسلسلا يعكس شخصية أبى العلاء الأعمى الذى يملى ولا يكتب، فينساب فى سرد التراكيب المتوالية داخل الجملة الواحدة.

هكذا جاءت جمله تعبر، بصدق، عن عالم الأعمى، المظلم - المضىء، الذى لا تظهر فيه المرئيات لتقطع نفس التخيل والوصف، والتعبير فى ارتباط وتسلسل. ولعل هذا هو أكبر ما يطبع لغة الغفران ويميزها ويؤكـــد ما قلناه سابقًا، من أن أبا العلاء يتميز بالنفس التركيبى الطويل، كما يتجلى من لغة الغفران.

وإذا كانت طبيعة أبى العلاء الأعمى وطبيعة الغفران مضمونًا ومنهجًا قد فرضا نوعًا من التراكيب الممتدة المتداخلة، فإن مما يفيدنا أن نتعرف على أنواع الجمل لديه : الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

وهذا ما سنتناول الحديث عنه فى الفصل الذى يلى.

---

(١) الرسالة، ص ٥٢٩.

الفصل الثالث

الجمل الفعلية والجمل الاسمية
فى رسالة الغفران

بعد أن درسنا أنواع الجمل، من حيث كونها بسيطة أو مركبة أو تركيبية، وأتينا بنماذج لكل منها فى **رسالة الغفران**، سنعمل الآن على دراسة الجمل العلائية من وجهة نظر أخرى، أى حيث مجيئها فعلية أو اسمية، للكشف عن ميل أبى العلاء ومدى تفضيله لإحداهما على الأخرى، محاولين تعليل هذا، قدر المستطاع.

لن يتسنى لنا ذلك قبل أن نحدد مفهوم الجملتين الفعلية والاسمية، ونعرف دور كل من الفعل والاسم فى تركيب الجملة، ونتعرف على مدى شيوع الجمل الفعلية والجمل الاسمية، فى اللغة العربية، عموماً، ثم وجهة نظر بعض اللغويين القدامى والمحدثين فى الموضوع.

تتركب الجملة العربية، كما رأينا، من مسند ومسند إليه، ولا يخلو أن يكون المسند فعلا، أو اسماً، أو صفة، أو جاراً ومجروراً، أو ظرفاً. وفى كل، إما أن يتقدم المسند على المسند إليه وإما أن يتأخر. ويتولد عن كل حالة نوعٌ من الجمل يختلف عن الآخر، اختلاف الفعل عن الاسم، وعن الصفة وعن شبه الجملة. وسنقف قليلا لتعريف كل منها.

الاسـم :

هو «مادل على مسمى وليس الزمان جزءاً منه».

ولم يكتف بعض اللغويين المحدثين بهذا التعريف، بل جعلوا الاسم خمسة أقسام :

١ - الاسم المعين، كالأعلام.

٢ - اسم الحدث بما فى ذلك المصدر.

٣ - اسم الجنس الجمعى، واسم الجمع.

٤ - مجموعة من الأسماء ذات الصيغ المشتقة كاسم الزمان، واسم المكان . . .

٥ - الاسم المبهم، كتحت وفوق. . .[1]

ويقوم الاسم فى الجملة، بدور المسند إليه.

الفعـل :

هو «مادل على حدث وزمن».

ولا نريد هنا أن نتعرض للحديث عن كيفية دلالة الفعل على الحدث والزمن وتضافر كل من المستوى الصرفى والمستوى النحوى لتحميل الفعل معنى الزمن فقد فصل ذلك بكامل العناية الدكتور تمام حسان[2]. إن الذى يهم موضوعنا، هو الفعل كركن من الأركان الأساسية فى تكوين الجملة.

والفعل فى الجملة يقوم بدور المسند، وقد لا يحتاج إلى مفعول به فيكون لازماً، وقد يحتاج إلى مفعول به واحد، كما قد يتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة.

الصـفة :

تدل على الموصوف بالحدث وتأتى مسنداً، أى خبراً لمبتدا، كما تأتى مسنداً إليه، فتكون مخبراً عنه، وتكون فاعلا أو مفعولا به، أو قيداً من القيود المكملة فى جملة، كالنعت والمجرور[3].

---

(١) انظر تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

الجار والمجرور، والظرف :

متى جَاء أحدهما مسنداً فى جملة احتيج إلى تقدير متعلق به مثل تقدير كلمة «مستقر» أو «يستقر» أو «كائن» ليستقيم الكلام وتتم الفائدة المتوخاة.
وهكذا، نرى أن الاسم لا يأتى إلا مسنداً إليه، وأن الفعل، والجار والمجرور، والظرف كلها تختص بدور المسند، وأن الصفة تمتاز بإمكان مجيئها مسنداً أو مسنداً إليه.

تلك هى بعض نقط الفرق بين العناصر المكونة للجملة.

فما هى أنواع الجمل التى تنشأ عن تركيب هذه العناصر، وعن اختلاف موقعها فى الجملة؟

تنقسم الجمل، على ضوء نوع المسند وموضعه فى التركيب، إلى نوعين :

١ - الجملة الفعلية : هى ما صدرت بفعل، مثل : «نجح المجد». أو «أكل محمد الخبزَ».

٢ - الجملة الاسمية : ما صدرت باسم سواء كان المسند صفة أم فعلا أم جاراً ومجروراً، أم ظرفاً نحو: «التلميذ مجتهد»، «الرياضة تقوى العضلات»، «الله مع الصابرين».
والمعتبر فى صدر الجملة المسند والمسند إليه، ولا يدخل فى الاعتبار ما قد يتقدمها من حروف، فالجملة فى «قد جاء أخوك» فعلية. وفى «أزيد قائم؟» اسمية.

كما أن المعتبر فى صدر الجملة هو ما جاء صدراً فى الأصل، وإن تقدم عليه ما هو فى نية التأخير، فمثلا، الجمل فى قولنا :
كيف بات المريض؟ أو وأىَّ النساء استدعيتم؟ أو «وفريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون».

كلها فعلية، لأن: «كيف» و«أى» «وفريقاً» فى نية التأخير[١].

ولا يدخل فى الاعتبار، أيضاً، ما قد يتقدم صدر الجملة الاسمية من أفعال ناسخة مثل «كان» وأخواتها، لأن هذه عندما تدخل على الجملة الاسمية تصبح قيداً فيها ولا تحولها إلى جملة فعلية، إذ لا تمثل عنصراً أساسيًّا فيها. فالفعل الناسخ ليس مقصوداً لذاته، وهو بذلك ليس جزءاً فى الجملة التى يدخل عليها، وإنما هو قيد مثلما يكون الظرف قيداً فى جملته، فقولنا:

«كان محمد مريضا» يساوى «محمد مريض أمس»

على هذا، لا يمكن أن تعد «كان» ركناً فى الاسناد، فهى قيد فى الجملة الاسنادية التى لا تحتوى على فعل، ويكون دوره فيها، حينئذ، هو إدخال عنصر الزمنية فى الجملة مثل قولنا:

«محمد مجتهد» فإذا أردنا أن نخبر بأن اجتهاد محمد هو فى وقت معين قلنا: «كان محمد مجتهدا» «سيكون محمد مجتهداً» «ليكن محمد مجتهداً».

كما يكون دورها فى الجملة التى تحتوى على فعل تخصيص مفهوم الزمن فى وقت معين، مثل: «كان محمد يمشى».

وهكذا تظل الجملة الاسمية التى تدخل عليها «كان» أو إحدى أخواتها جملة اسمية لا تتحول إلى الفعلية أبداً.

ومثل هذه الجمل فى احتفاظها باسميتها الجمل الاسمية التى تدخل عليها أداة من الأدوات النواسخ «إن» أو إحدى أخواتها، فهذه الأدوات عملت النصب فى المبتدأ والرفع فى الخبر لأنها «أشبهت الأفعال المتعدية إلى مفعول به واحد، من نحو ضرب زيد عمراً، بكونها طلبت اسمين تطلبها لهما وتضمنتهما كتضمنها، وإن اختلفا فيه، فعملت ذلك العمل لشبهها له فيما ذكر»[٢]. إلا أنها ليست جزءاً من

---

(١) انظر هذا التقسيم عند ابن هشام: المغنى، جـ٢، ص ٢٧٦. أخذ بهذا التقسيم، على الجارم. انظر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، جـ٧، ص٣١٧، سنة ١٩٥٣.

(٢) رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، تحقيق أحمد محمد الخراط، ص١١٨، دمشق ١٩٧٥.

الجملة ولا تمثل عنصراً أساسيًّا فيها، وإنما يكون دخولها فى الجملة لإفادة معنى معين لا ينتج عنه تحويل الجملة من الاسمية إلى الفعلية.

* * *

من اللغويين المحدثين من يرى أنه، متى اشتملت الجملة على فعل، فهى فعلية، سواء تقدم الفعل أم تأخر، وهذا ما نجده عند إبراهيم السامرائى يقول:

«حين أنصُّ على الجملة الفعلية فى هذا النص، أريد منها ما كان الفعل طرفاً فى الإسناد فهو مسند أبداً، وعلى هذا فقولنا «جاء محمد»، جملة فعلية، مؤلفة من مسند ومسند إليه، ثم إذا قلنا «محمد جاء» لم يتبدل شيء من حقيقة الإسناد فطرفا الإسناد هما كما كانا فى الجملة الأولى، وهى بهذا جملة فعلية أيضاً، مؤلفة من مسند ومسند إليه، والمسند اليه هو الفاعل فى كلتا الجملتين»[1].

وقد حاولنا التعرف على رأى الدكتور إبراهيم أنيس فى التفرقة بين الجمل الفعلية، والجمل الاسمية فوجدناه يقسم الجمل إلى قسمين:

١ - ما يشتمل على «فعل»، يقوم فيها بعمل المسند.

٢ - ما لا يشتمل على فعل، ويقول عنها إنها: «التى جرى عرف النحاة والبلاغيين على تسميتها بالجمل الاسمية، والتى يغلب أن يكون المسند إليه فيها اسماً، والمسند وصفاً مشتقاً، فإذا كان المسند فيها اسماً جامداً أوَّلوه بمشتق، ليتحقق فيها ركنا الإسناد، وإذا كان المسند جاراً أو مجروراً، أولوه بكلمة (مستقر) وهكذا»[2].

فهل يحصر، هو أيضًا الجمل الاسمية فى الجمل التى لا تشتمل على فعل؟ أيعتبر جمل النوع الأول، من قبيل الجمل الفعلية، وإن لم يصرح بذلك؟ ما نظن ذلك، لأننا نجده يطلق على بعض أصناف الجمل التى تشتمل على فعل اسم جملة اسمية، وتلك هى الجمل التى يكون فيها المسند فعلا مضارعًا متأخرًا عن المسند إليه، سواء كان مثبتًا أو منفيًّا بأداة النفى.

(١) دراسات فى فقه اللغة، ص ٤٥.

(٢) من أسرار اللغة: ص ٢١٨، ٢٢٠.

يقول الدكتور أنيس، بصدد حديثه عن الجملة المضارعة المثبتة:

« فإذا تقدم المسند إليه وأصبحت الجملة مثل (والله يدعو إلى دار السلام) وجب أن نعد الجملة جملة اسمية، ولا فرق بينها، حينئذ، وبين أن نقول: (والله الداعى إلى دار السلام) فالمضارع هنا ليس فى الحقيقة فعلا، وإنما هو «وصف» يجوز عليه ما يجوز على الوصف، من وجوب مطابقته لموصوفه فى كل شيء »[1] ثم يضيف:

« فإذا كان نظام الجملة المضارعة على الصورة الآتية:

المسند إليه + أداة النفى + المسند.

فإن مثل هذه الجملة، لا تعد من الناحية اللغوية جملة منفية، بل هى كالمثبتة تمامًا، وهى كذلك تعد فى جملة اسمية، وتعبر عما تعبر عنه الاسمية التى يكون فيها «المسند» وصفًا مشتقًا[2] ومثل لذلك بقوله تعالى:

﴿والله لا يحب الفساد﴾.

فى حين نجده لا يدلى برأى فى جمل جاء المسند فيها فعلا ماضيًا وقد تقدم عليه المسند إليه[3] مثل قوله تعالى:

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾.

فهل نعمم تصريح الدكتور إبراهيم أنيس باسمية الجمل التى يتقدم فيها المسند إليه على الفعل المضارع، على جميع الجمل التى يتأخر فيها الفعل عن المسند إليه، وإن كان ماضيًا؟

يبدو أن ذاك هو رأيه.

إذا كان موقف إبراهيم أنيس لا يخلو من غموض، فإننا نجد، من هؤلاء المحدثين، من يضرب صفحًا عن تقسيم الجمل إلى فعلية واسمية، بدعوى توفر

---

(١) من أسرار اللغة: ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

الإسناد فى جميع الجمل، على اختلاف أنواعها فالإسناد أو العلاقة الضمنية التى تربط المسند بالمسند إليه يقوم بها فى نظرهم، الفعل أو شبهه، حين يكون أحدهما طرفًا فى الجملة. وحين لا تحتوى الجملة على فعل أو شبهه فإن عملية الإسناد تلك تتم بالرابط الإسنادى الضمنى. إنهم يعترضون على النحاة اعتبارهم ما صدر من الجمل بفعل، جملة فعلية، وما صدر منها باسم، جملة اسمية. هذا ما يراه ريمون طحان إذ يقول:

«وقد اعتبر البعض (زيد مسافر) كجملة اسمية، ولكننا نرى فيها جملة إسنادية فقط. ولا فرق، من وجهة حركة المسند إليه، بين (زيد مسافر) و(سافر زيد)»[1].

ثم يضيف فى نفس المعنى:

«بما أن الجملة هى عملية إسنادية، فلا فائدة من تقسيم الجملة إلى فعلية واسمية»[2].

* * *

هذه هى آراء بعض النحاة العرب، القدامى والمحدثين، حول مفهوم الجملة الفعلية والجملة الاسمية. ونحن فى دراستنا، لنماذج كلا الصنفين فى رسالة الغفران، سنعتمد التعريف الذى أوردناه فى صدر هذا الفصل لكل من الجملتين آخذين بعين الاعتبار ما هو صدر، فى الأصل، للجملة.

قبل أن ننتقل إلى دراسة الاستعمال العلائقى لكل من الجملة الفعلية والجملة الاسمية، نود أن نشير إلى مدى تواتر كل من الجملتين فى لغة العرب محاولين تبيان سر تفضيلهم لإحداهما على الأخرى.

الجملة الفعلية والجملة الاسمية فى تأليف القدماء:

يبدأ العربى بما يهتم به، أى أن الجملة تقدم ما ارتأى المتكلم أن للسامع حاجة فى تقديمه. لكن وبصفة عامة، يبدو أن الحدث يستحوذ على اهتمام المتكلم والسامع

(١) الألسنية العربية، رقم ٢، ص ٢٦.
(٢) نفس المصدر، ص ٥٥.

أكثر ممن وقع منه وممن وقع عليه الحدث. من ثمة يكون غرض المتكلم أن يخبر، أى أن يتحدث عن حدث، فيبدأ بـ« الفعل ».

ولا يلتجئُ العربى إلى الجملة الاسمية، إلا إذا قصد التنبيه على « الفاعل »، والفاعل فى الواقع هو من « يقوم » بالحدث، قدَّرنا الفعل أو لم نقدره، لأن لكل « فاعل » بالضرورة، فعلاً ضمنيًا.

فى غالب الأحيان ينصب الاهتمام على الحدث أولا، ثم على من قام به أو وقع عليه ثانيًا، فيكون الحدث هو الأساس فى الإخبار، ثم من هو المُحدِثُ له. حينذاك يستعمل المتكلم الجملة الفعلية. فمثلا فى الجملة : اندلعت الحرب. لفظ « حرب » فى حد ذاته دالٌّ على مسماه فقط، وهو لا يهمنا إلا عندما يدخل فى حيز الفعل، إن التعبير أولا بـ« اندلعت »، فى الجملة السابقة، هو الذى يزعجنا. فنتساءل عمن شن الحرب، وكيف كان ذلك؟ ومتى وأين حصل؟.

« فالجملة الفعلية » تبرز الحدث قبل أن تخبر عن الفاعل.

فأهمية الحدث أنها تمنح الفعل مكان الصدارة فى الجملة حيث يقوم الفعل، بدوره، ببيان العلاقات المعجمية، فيحدد جنس ونوع الفاعل ونوع المفعول به إذا وجد. فمثلا، عندما يقول أبو العلاء :

- « فَيبتَسِم عَدى ويقولُ : وَيْحَكَ ! »[1].
- « وروم لا يفهمون عن العرب »[2].
- « ضَرْبٌ خَلَقَه اللهُ فى الجنةِ لَمْ يَعْرِف غَيْرَها »[3].

يتبادر لذهن سامع الألفاظ : « يبتسم »، و« يقول »، و« يفهمون »، و« خلق »، بقطع النظر عن النسق العام للجمل، أن الفاعل فى كل الجمل :

(أ) من جنس « الحيوان »، خلافًا لأفعال كـ« تضبطرم » و« تمطر » فى الجملتين :

- « تَضْطَرِمُ النارُ فى رأْسِه ».

---

(١) رسالة الغفران، ص ١٩٧. (٢) رسالة الغفران، ص ٢٩٦. (٣) رسالة الغفران، ص ٢٨٧.

- «تُمطِر بماءِ وَرْدِ الجنة».

(ب) من جنس الحيوان «العاقل»، خلافا لأفعال كـ«اجتر» و«عوى» و«افترس» من الجمل:

- «وكذلك أنا أفتَرسُ ما شَاء الله».

- «عَوَى الذئب».

- «إجْتَر البَقَرُ».

فالفعل، إذن، يقيد ارتباط أجزاء الجملة أى يحدد الإسناد، ويعين نوع الفاعل[١].

* * *

يقول الأستاذ إبراهيم السامرائى إن «من اهتمام العرب بالفعل، غلبة الجملة الفعلية على كلام العرب [. . .] ذلك أننا لو نظرنا إلى كتاب من كتبهم فأحصينا على طريقة الإحصاء فى أيامنا هذه، لاهتدينا إلى صدق هذه الدعوى»[٢]. غير أن الأستاذ السامرائى لا يبدى تعليلا لذلك!

لعلنا إن تأملنا وضع الإنسان إزاء الطبيعة، وحاولنا الكشف عن العلاقات التى ربطته وتربطه بمظاهرها، تبين لنا سر اهتمام الإنسان عامة، والعربى خاصة، بالأحداث.

إن الإنسان حيوان تاريخى، أى مرتبط بزمان ومكان، حيث يتفاعل مع الموجودات كلها، إنه دَوْمًا فى صراع مع الطبيعة، لأنه «حيوان»، ومع الزمان، لأنه «عاقل» يصنع التاريخ، ويعيش فى تاريخ[٣]. والفعل وحده هو الذى «يدل على حدث وعلى زمن»، أى أن الفعل يتوفر على عنصرين: عنصر الحدث الذى يعكس علاقة صراع الإنسان مع الطبيعة، وعنصر الزمن الذى يعبر عن تاريخية

---

(١) هذه العلاقات التى يحددها الفعل فى الجملة هى ما يسمى فى عرف تشومسكى بالعلاقات المعجمية.

(٢) دراسات فى فقه اللغة: ص ٤٥. نُذَكر بأن مقصود المؤلف بالجملة الفعلية هو ما احتوت على فعل، كما بينا سابقًا.

(٣) LAHBABI (M.A), De L'être à la personne P.U.F., Paris.

الإنسان فى هذا الصراع. بخلاف الاسم، الذى يدل على معنى وليس الزمان جزءًا منه.

ويبدو أن الوضع الجغرافى، والحالة المجتمعية والسيكولوجية للعربى فى صحرائه كونت لديه اهتمامًا متزايدًا بالأحداث، وجعلته يترقب، عن كثب، ما يجد منها: غروب الشمس، طلوع النجم، هجوم القبائل المجاورة، انتظار القوافل.. فانعكس اهتمامه بتلك الأحداث على تعابيره، فجاءت الأفعال تحتل مكان الصدارة فى جمله، وبالتالى شاعت الجملة الفعلية فى لغته أكثر من الجمل الاسمية. ولم يستعمل الجمل الاسمية سوى للتعبير عن الحكم والأمثال القارة الثابتة.

وتكون الصدارة للاسم، فى مواضيع خاصة، كأن يكون قصد المتكلم إبراز الفاعل والنص على من قام بالفعل، دون أن يلتزم بنمط من أنماط الزمان، كما هو الحال فى التعاريف، مثلا: قول المهندسين:

«الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين».

وقول أبى العلاء، فى حد الزمان:

«الزَّمَانُ شيءٌ أقلُّ جُزْءٍ مِنْهُ يَشْتَمل على جميعِ المُدْركَاتِ، وَهُو فى ذَلك ضدُّ المكانِ، لأن أَقلَّ جُزْءٍ منه، لاَ يُمكِن أن يشتَمِلَ عَلى شيْءٍ، كما تَشْتَملُ عليه الظروفُ»[1].

فهذا تعريف منطقى وهو كما نلاحظ يعتمد الجملة الاسمية فى الصياغة:

الزمان / شىء / أقل..».

مثال آخر هو قول أبى العلاء فى تعريف مذهب الحلولية:

«والحلولية قريبة من مذهبِ التناسُخِ»[2]

ومثل تعريفه للشعر:

(١) الرسالة، ص ٤٢٦.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٨.

«والشعرُ كلامٌ موْزُون تقْبلُهُ الغريزةُ على شَرائِط، إنْ زاد أو نقص أبانَهُ الحِسُّ»[١].

وتشيع الجمل الاسمية، كذلك، فى البديهيات، كقولنا:

«الشمس حارة».

والافتراضات مثل قول أبى العلاء:

«أَهْلُ كلمةُ أصلُ وَضْعِها لِلْجَمَاعَةِ»[٢]

والحِكم كقوله:

«فالمقِيمُ كَأَخِى ارْتِحَالٍ»[٣].

تتركب الجملة فى هذه الأمثلة من موضوع ومحمول (مبتدأ وخبر)، بلا «فعل» منطوق. وتفسير ذلك أن القوانين العلمية، وما شابهها تتجرد عن كل معانى الزمان، إذ الحكم فيها يتعلق بإثبات مسند لمسند إليه، لأننا فى ميدان المبادئ العامة التى تبقى قارة على مر الأزمان. وكلما كان القرار ينصب على الشمول، اقتربنا من الحقيقة. فالجملة الاسمية، فى هذا النطاق، جملة تدل على تطور ذهنى، لأنها ترفع الألفاظ من لفظيتها العينية إلى مدركات مجردة وشمولية، أى إلى مفاهيم.

ويقوم بدور الربط بين أطراف الجملة فى اللغة العربية رابط معنوى غير ملفوظ يسمى العلاقة، فالعربية تستغنى عن الرمز الملفوظ للدلالة على العلاقة القائمة

بين: الفعل ← الفاعل

وبين: الفعل ← الفاعل ← المفعول

وبين: المبتدأ ← الخبر

أى بين المسند والمسند إليه. وتقوم القرينة بالدلالة على تلك العلاقة، فلا نجد لها لفظًا فى الجملة العربية، وهى بذلك عكس اللغات الهند أوربية، حيث يعبر

---

(١) الرسالة، ص ٢٥١.

(٢) الرسالة، ص ٤١٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٨.

عنها، كما، فى اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية. ويتجلى هذا، واضحًا، عندما نترجم بعض الجمل الاسمية من اللغة العربية.

كجملة: هذا أعشى قيس، نقول فى:

الإنجليزية: This is A'cha øays.

أو الفرنسية: Celui - ci est A'cha øays.

ففى الجملتين معًا يوجد الرابط (To be (E), être (F)) (copula / copule) الذى استغنى عنه فى الجملة العربية بالعلاقة التى هى أمر معنوى غير ملفوظ.

قد نستخلص مما سبق، أن ترقب السامع أو القارئ للفعل أولا، بسبب الحدث الذى يحمل، والزمان الذى يميز الحدث ويؤطر الحركة لأن الحركة، كما قدمنا، كالزمان، من أبعاد الإنسان الحيوان التاريخى، هو ما جعل الجمل الفعلية تحظى بمكان الصدارة فى اللغة حتى أن بعض اللغات لم تستغن عنه فى جميع أصناف جملها.

وإن المستقرئ للغة بعض التآليف العربية، خصوصًا منها القديمة، يمكن أن يستخلص أن الجمل الفعلية أشمل وأعم استعمالا، وأن الجمل الاسمية تكثر فى الاستعمال العلمى، فهى أكثر تداولا لدى المناطقة والعلماء.

فلنأخذ مثلا رسالة ابن القارح إلى أبى العلاء. إننا نجد الجمل الفعلية تحتل المركز الأول فى لغة ابن القارح وعلى سبيل التجربة سنحصى عدد الجمل الواردة فى ص ٣٢ لنحدد النسبة بين الصنفين من الجمل.

إننا نجد أن عدد الجمل الفعلية، ٢٩ مثل:

«فأنفذ المهدى إليه»

«فأحِيط بِه وبقلعته»

«وجمع كل من فى البلد وسَقَاهم شرابًا سمومًا»

الجمل الاسمية، ٤، هى:

« ارتفاعه فراسخ »

« هو القائل »

« والصناديقى فى اليمن كانت جيوشُه بالمَدْجِرة وسفنه »

« والوليد بن يزيد أقامَ فى المُلْكِ سنة وشهرين وأياما »

نلاحظ أن المسند فى الجملة الأخيرة جاء جملة فعلية. وبتكرار التجربة فى ص ٤٤ مثلا، نجد أن عدد الجمل: الفعلية ٢٨ منها:

« لم يخترق ذكر الوفاء مَسَامِعَه »

« قد ذممت شَيْئًا وَوَقَعتُ فيه أنا »

والاسمية ٦ منها:

« شيمته اصْطِفاءُ اللئامِ والتَّحَامُل عَلى الكرام »

« وهِمَّتُه رفعُ الخَامِلِ الوضيع وَوَضْعُ الفَاضل الرفيع »

« ظَاهِرُه يَسُرُّ وَيونس »

« وبَاطِنُه يَسُوءُ ويوئِس »

نفس الملاحظة المتقدمة، نجد المسند فى الجملتين الأخيرتين يأتى جملة فعلية.

هكذا طغت الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، مما فرض اهتمام اللغويين بها اهتمامًا خاصًا. وقد علل بعض الباحثين المحدثين هذه الظاهرة **بكون العقلية العربية تقتضى أن تكون الجملة الفعلية هى الأصل**، والغالب الكثير فى التعبير. بيد أننا نتساءل. بماذا يعللون هذا الاقتضاء الذى ينسبونه إلى العقلية العربية؟ إن أحكامهم تلك لا تخلو من إبهام وتعمية، وتظل كلامًا لا دليل عليه لا من التاريخ ولا من تجريدات النحاة.

ونشير هنا بأن سيادة الجملة الفعلية فى العربية ذاك، هو عكس ما هى عليه

الحال اليوم، فى لغة الصحافة والقصة. نعم بدأت الجملة الفعلية تفقد مكانتها فى الكثير من الإنتاج الأدبى المعاصر.

بعد هذه اللمحة عن مفهوم كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية ومكانتهما فى الاستعمال العربى، ننتقل إلى الحديث عن موقعهما فى رسالة الغفران.

فماذا نحن واجدون عند أبى العلاء؟

ذكرنا فيما سبق أن رسالة الغفران تنقسم إلى فصلين رئيسيين، وقلنا إن الفصل الأول هو فصل الرحلة القارحية إلى الآخرة، وإن القسم الثانى هو أجوبة أبى العلاء على أسئلة ابن القارح، من ثم كانت مضامين القسمين تختلف اختلافًا كبيرًا، وهذا يقتضى اختلافًا فى الأسلوب.

يعتبر القسم الأول نسيجًا من الخيال، ومن تصورات أبى العلاء الجامحة التى لم تسعها الدنيا بمافيها، وإنما تجاوزتها إلى عالم لم تطأه بعدُ قدمه، هكذا جاء الأسلوب المعبِّر عن تلك المشاهد، مزيجًا من العاطفة والخيال.

أما القسم الثانى، فيقرر فيه أبو العلاء حقائق متنوعة ويتخذ مواقف حازمة من آراء مراسله يدعمها بالحجج والأدلة. فطبيعى إذن، أن يكون أسلوب هذا الفصل أسلوبًا علميًّا خاضعًا للمنطق.

غير أننا كما أشرنا سابقًا نلاحظ أن ظاهرة الاستطرادات منتشرة جدًّا فى الرسالة بفصليها. فأبو العلاء يثب متذرعًا، بوسيلة أو بأخرى، ليصب شروحًا لغوية وانتقادات نحوية وعروضية.. خلال جميع مراحل الرحلة القارحية. ويستطرد فى الفصل الثانى إلى قص حكايات ممزوجة بكثير من الخيال، كما فى الحديث، عن أبى تمام، وموقف قصائده منه الذى نقلناه فى حديثنا عن استطرادات أبى العلاء[1].

ولا شك أن كل مقام يقتضى أسلوبًا ملائمًا. فأسلوب الرحلة، فى الفصل الأول، هو غير أسلوب الأجوبة فى الفصل الثانى. ثم إن لغة الاستطرادات فى

---

(١) انظر، الفصل الثانى من الباب الأول فى هذه الدراسة.

الفصل الأول هى غيرها فى استطرادات الفصل الثانى.

إن المتتبع للرحلة القارحية يرى عن كثب، أن الرحلة تمضى فى مراحل متتالية، فهى عبارة عن أحداث تمر فى أزمنة متعاقبة، مليئة بالحركة والتجديد. ولا شك أن الأسلوب الذى يعبر بأمان عن مضامين هذا الفصل، هو النثر المعتمد على الجمل الفعلية.

فالفعل، وحده، هو الكفيل بأن يصور، بصدق، اللونيات أو الظلال المعنوية والزمنية، لتنقلات ابن القارح فى الآخرة. إن الرحلة القارحية ليست حقيقة علمية يقررها أبو العلاء، وإنما هى تحفة خيالية، تسلمك كل مرحلة فيها إلى أخرى. ولن يعبر عن تلك الحركة الدائبة التى أرادت الطاقة الخيالية المعرية أن تنفخها فى هذا النسيج، سوى الفعل. أضف إلى ذلك أننا نرى ابن القارح فى عمل متواصل ونشاط مستمر. فهو فى كل مرحلة يختلق مشهدًا كاملا : ها هو ذا يصنع مأدبة فى الجنان، مرة، ويقيم جلسة خمر، مرة أخرى، ثم ها هو ذا يقف لمشاهدة شجار الأعشى والنابغة، وبعد ذلك ينتقل إلى حفل غناء ورقص وموسيقى، قبل أن يأخذ فى قص وتصوير أهوال الحشر ويوم القيامة. فلَمْ يَعْرِف ابنُ القارح دقيقة انقطاع عن الحركة، يقضيها نائمًا أو. . فتفصل بينه وبين الأحداث التى تمر فى ظروف زمنية ماضيه أو حاضره.

إننا نشعر ونحن نقرأ هذا الفصل، وكأننا أمام شاشة أو خشبة مسرح، نعيش مع الأحداث التى يقدمها أبطال المسرحية، لحظة لحظة، ونحس فى كل مكان بمفهوم زمانى معين، يمضى لتخلفه فتراتٌ زمانية أخرى، فى مشهد ثان فثالث. بل نعيش داخل كل مشهد، أحداث وتنقلات لا تتأتى إلا بتعاقب الفترات. أليس الزمان أحد العناصر الأساسية فى الإنتاج الأدبى بجميع أصنافه؟

إذن، لا غرابة أن ترد الأفعال على اختلاف أزمنتها أكثر تواترًا فى لغة الفصل الأول منها فى لغة الفصل الثانى. إن ألفاظ أبى العلاء فى الفصل الأول موحية تثير فى الذهن صورًا وأخيلة، وتؤثر فى نفس القارئ فيستنتج منها ما تحتمله تلك الألفاظ والعبارات، وفوق ما تحتمله.

فلنستمع إلى أبى العلاء فى تصويره لحور الجنان :

« فيأخذُ [ابن القارح] سَفَرجلةً ، أو رمَّانة ، أو تُفاحةً أو ما شاءَ الله من الثمار فَيَكِسرَها ، فتخرجُ منها جاريةٌ حوراءُ عيناءُ تَبْرقُ لِحسْنِها حوريات الجنان »[١].

إن « سفرجلة » و« رمانة » ، و« تفاحة » المعرى ليست هى ما نعرفه فى دنيانا . إنها تفاحة وشىء آخر ، شىء لا يخطر على بال آدمى ، إنها التفاحة الجارية الحوراء - العيناء ، وإنها الرمانة الجارية .

ولننصت إليه فى وصف جنة العفاريت :

« فَيَركبُ [ابن القارح] بعضَ دوابِّ الجَنةِ ويسيرُ ، فإذا هُو بمَدَائن ليست كَمَدائِن الجنةِ ، ولا عَلَيْها النوُر الشَّعْشعانى ، وهى ذاتُ أَدْحال وغَمَاليلَ . فيقولُ لِبعض الملائكة : ما هذِه يا عبدَ الله ؟ فيقولُ : هذه جنةُ العفاريتِ الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم »[٢].

إن لفظة « الشعْشَعَانى » توحى بنور ملأ الفضاء ، ليس له مثيل ولا يمكن تصوره فى دنيانا هاته . إنها أنوار جنة البشر . أما جنةُ العفاريت فهى ذاتُ « أَدْحال » و « غَمَالِيل » .

بِم تُوحِى « أدحال » و« غماليل » ؟ إن الظلمة والضنك والتوتر وما شئت من الأوصاف التى تبعث على القلق هو ما يتصور لسامع اللفظين . لقد وفق أبو العلاء فى اختيارهما للتعبير عن وصف تلك البقعة من الجنة ، جنة العفاريت ، أليس مأوى الجن كما نتصوره فى دنيانا هو الدهاليز المظلمة والمغاور المخيفة . فلو استعمل أبو العلاء ألفاظًا مثل مظلمة ، وضيقة ، لما أثار فينا ذلك الشعور الذى يثيره الوصف بلفظتى « ادحال » و« غماليل » .

* * *

---

(١) الرسالة ، ص ٢٨٨ .

(٢) الرسالة ، ص ٢٩٠ .

إذا كان أبو العلاء قد تخير للغة الفصل الأول من الألفاظ ما يناسبها، فكيف لا يتخير لها من الجمل الفعلية والاسمية ما يلائم الأسلوب؟! وحيث أن هذا الفصل يزخر بالمشاهد وتتزاحم فيه الأحداث، كما بينا، فإن الجمل الفعلية تشيع فى الجمل العلائية، ويتجلى هذا بوضوح، فى تعبير أبى العلاء عن تنقلات ابن القارح فى الآخرة، واتصاله بمحاوريه. إذ نجده فى سؤاله عن الشعراء يستعمل ٦٥ مرة الجملة الفعلية المضارعة وثلاث مرات فقط الجملة الاسمية وهذه الأخيرة هى قوله :

- «فأَيْنَ عمرو بن أَحْمر؟»[١].
- «أيكم تَمِيمُ بن أُبَىّ؟[٢]».
- «فأيكم رَاعِى الإِبِل؟»[٣].

ونشير إلى أن أبا العلاء يستعمل هذه الجمل الاسمية فى اتصالات متتالية، بأولئك الشعراء والسؤال عنهم.

إذا نحن استقرأنا الجمل الفعلية التى أشرنا إليها وجدنا أفعالها تتنوع تنوعًا كبيرًا يلائم الخطوات القارحية فى الجنة والنار. من ذلك قول أبى العلاء :

- «... فيركبُ نجيبا من نُجُبِ الجنَّةِ»[٤]».
- «فيَبْتَدِئُ بِزهير، فَيَجِده»[٥].
- ويُثْنِي إلى أَعْشَى قَيْسٍ»[٦].
- «ويَفْتَرِق أهلُ ذلك المجْلِس»[٧].
- «وَيَخْلوُ لا أَخْلاَهُ الله من الإحْسانِ، بِحُورِيَّتيْن»[٨].

---

(١) الرسالة، ص ٢٤٠.
(٢) الرسالة، ص ٢٤٦.
(٣) الرسالة، ص ٢٦٢.
(٤) الرسالة، ص ١٧٥.
(٥) الرسالة، ص ١٨٢.
(٦) الرسالة، ص ٢١١.
(٧) الرسالة، ص ٢٣٧.
(٨) الرسالة، ص ٢٨٤.

- «فيَتْبَعُه، فَيَجِىءُ بِه إلى حَدائق...»[١]
- «فيأْخُذُ سَفَرْجَلَةً»[٢].
- «وَيُحِم فإِذَا هُو بِأَسَدٍ يَفْتَرِسُ»[٣].
- «فيذهبُ [...] فإذَا هو بِبَيْت في أَقصى الجَنَّةِ»[٤].
- «ويلفت عنقهُ يتأَمَّلُ فإذَا هُو بِأوس بن حَجر»[٥].
- «ويمل من خطاب أهلِ النارِ فَيَنْصَرِفُ إلى قَصْرِهِ»[٦].

أحيانًا قد يتكرر الفعل مرتين مثل: «يبدو» فى قوله:

- «وَيَبْدُو له أن يَصْنع مأدبةً»[٧].
- «ويبدو له أن يطَّلع إلى أَهلِ النارِ»[٨].

وقد يتكرر ثلاث مرات أو أكثر، مثل تكرار فعل «يخطر».

- «يَخْطِر له [...] غناءُ القيان ويذكر تَرْجِيعَهُنَّ»[٩].
- «ويخطِر له ذِكرُ الفُقَّاع»[١٠].
- ويَخْطِرُ فى نَفْسِه وهو سَاجِدٌ»[١١].

ومثل تكرار فعل «يعرض» أربع مرات، وذلك فى قوله:

- «ويعرِضُ لهَم لَبيد فَيَدْعُوهم إلى مَنِزِلِه»[١٢].
- «ويعرِضُ له الشَّوقُ إلَى نَظَرِ سَحَابٍ»[١٣].

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٨.
(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.
(٣) الرسالة، ص ٣٠٤.
(٤) الرسالة، ص ٣٠٧.
(٥) الرسالة، ص ٣٣٩.
(٦) الرسالة، ص ٣٥١.
(٧) الرسالة، ص ٢٦٨.
(٨) الرسالة، ص ٢٨٩.
(٩) الرسالة، ص ٢٢٤.
(١٠) الرسالة، ص ٢٨٠.
(١١) الرسالة، ص ٢٨٨.
(١٢) الرسالة، ص ٢٦٧.
(١٣) الرسالة، ص ٢٧٥.

- «ويعرض له رؤية فيقول»[1].
- «فيختارُ أنْ يَعرضَ لهُ ذَلك»[2].

ومثل تكرار الفعل «يمر»[3] ست مرات، وفعل «ينظر» خمس مرات[4].

هكذا تبتدئ الرحلة القارحية بفعل مضارع وتنتهى بفعل مضارع، إذ يخطر لابن القارح أن يقوم بنزهة فى الجنان.

«فيركبُ نجيبًا من نُجُبِ الجنَّةِ [. . .] فيسيرُ فى الجنة على غير منهجٍ » متجولا فى أرجاء العالم الأخروى إلى أن يتم رحلته فيعود:

«ويتكئَ عَلَى مَفْرش من السنْدُسِ [. . .] فَيُحْمَل على تِلك الحالِ إلى مَحَلِّه المشيد بدَارِ الخُلود»[5].

لقد كان أبو العلاء بارعا فى اختيار أفعاله وتنويعها، فهى وإن دلت جميعها على حدث وحركة «يمر»، «يذهب»، «يطلع»، «يرى» إلا أن دلالتها على ذلك تختلف عمليًّا «فالرؤية» غير «الاطلاع»، «ولفت العنق» غير «الركوب»، ثم إن المقام يستدعى المرور والالتفات، والتطلع، والنظر، والسؤال. . لأن ابن القارح ينتقل متنزهًا فى الجنة مستفسرًا عما فيها، من أقصاها إلى أقصاها.

تلك نظرة مجملة على تعابير الفصل الأول، وسنعمل الآن على التعرف على جمل الفصل الثانى مُرجئينَ دراسة بعض النماذج المفصلة إلى ما بعد.

قلنا إن الفصل الثانى من الرسالة خاص بالرد على أسئلة ابن القارح. يعنى أن أبا العلاء فى هذا الفصل مُقيَّدٌ بمواضيع، على الأقل، تحدد مُنْطلق حديثه، وتُجبره على واقعية عقلانية، بعيدة عن الخيال والابتكار. إنها مواقف منطق، يعمل على

---

(١) الرسالة، ص ٣٧٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٣) انظر الصفحات ٢١٢، ٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٠٦، ٣٧٣.

(٤) انظر صفحات الرسالة: ١٨١، ١٨٥، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٣٢.

(٥) انظر الرسالة: من ص ١٧٥ إلى ٣٧٩.

تقرير حقائق سيحاسب عليها أبو العلاء حسابين، حساب ضمير، وحساب مجتمع. فلتكن حقائق ثابتة مدعمة بالحجة والحكمة. ولعل الأسلوب المناسب للتعبير عن ذلك هو المعتمد على الجمل الاسمية. فكما قلنا فى بداية هذا الفصل، إن الجمل الاسمية تدل على الثبوت والدوام، وتتجرد من مفهوم الزمنية الذى يؤطر الحدث فى زمن معين. فهل نجد مصداق ذلك فى هذا الفصل الثانى من الرسالة؟ وهل يسخر أبو العلاء الجمل الاسمية لتفى بتلك الأغراض؟

من عملية إحصاء الجمل التى يستهل بها أبو العلاء أجوبته، علمنا أن عدد الجمل الاسمية ستون، وعدد الجمل الفعلية تسع فقط، يبدو أن أبا العلاء كان يقصد فيها الإخبار عن حدث متجدد بمرور السنين، والأيام مثل كلامه على شيوع الضلالة:

«وافْتَنَّ الناسُ فى الضلالةِ حتّى اسْتَجَازُوا دَعْوى الربوبيّةِ»[1].

وكذلك حديثه فى التعبير عن شعوره نحو رجوع دنانير ابن القارح إليه:

«وسَّرتْنِي فيئةُ الدنانِير إليه»[2].

أما الجمل الاسمية فمَنها خمسون جملة مفتتحة بـ«وأمَّا» يليها اسم، أو اسم موصول (ما) وصلته، أو مصدر. وكلها ذات صلة وثيقة بموضوع السؤال إذ تأتى كعنوان للموضوع الذى سيطرقه، ويليها الخبر الذى يأتى افتتاح الجواب وذلك كقوله:

«وأما «صالحُ بن عبد القدوس»، فقد شُهر بالزندقة»[3].

«وأما ما ذكره من حِكاية «القطر بَلى» و«ابن أبِي الازهرِ» فقد يجوزُ مثله»[4].

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٥.

(٢) الرسالة ص ٥٥٩ انظر الجمل الباقية فى ص: ٣٨١، ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٥٢.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٦.

(٤) الرسالة، ص ٤١٨.

«وأما وُرُودهُ حلب، حرسها الله، فلو كانت تَعْقِلُ لَفرحتْ به فرح الشمطاء المنهبلة»[١].

والتسع جمل الاسمية الباقية تتركب من مبتدأ وخبر دون أن تسبق بـ «ما» ومنها قوله: «وبابك فتح باب الطغيان»[٢].

«وأنا أعتذر إلى مولاى الشيخ الجليل من تأخير الإجابة»[٣].

من خلال هاتين الملاحظتين يبدو أن أسلوب أبى العلاء فى الفصل الأول يختلف عنه فى الفصل الثانى، وذلك تبعاً لطبيعة مضمون كل من الفصلين.

ولكى لا نجازف فى تعميم هاته الملاحظة التى استخلصناها من التجربتين، وحتى نكشف، بحق، عن ميل أبى العلاء ومدى ملاءمة أسلوبه للموضوع الذى يتناوله، سنعمل على تحليل بعض النماذج، لنحدد النسبة بين عدد الجمل الفعلية، والجمل الاسمية، فى رسالة الغفران.

إن تحديد النسبة بين تلك الجمل يقتضى، فى الواقع، إحصاءاً تامًّا لكل جمل الرسالة، غير أن ذلك ليس سهل الإنجاز فى تأليف عدد صفحاته ٥٨٤. وقد حاولنا أن نستعين على تحقيق ذلك، بمركز العقل الألكترونى الموجود فى القاهرة، وبآخر فى الجزائر فلقينا من بعض المسئولين بالمركزين كامل الترحيب بالفكرة وأعطونا وعوداً للإنجاز. بيد أننا مازلنا ننتظر النتيجة إلى اليوم!

وحيث إننا لم نتمكن من إحصاء كل جمل وتراكيب الرسالة، فقد قمنا باستقراء مجموع الغفران، وألقينا نظرة متفحصة، كما فصلنا ذلك فى الصفحات السابقة،

---

(١) الرسالة، ص ٣٩٣.

انظر، الأمثلة الباقية فى ص. ص ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٨٣، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، ٥٧٨، ٥٨٢.

(سبق أن أوردنا بعض هذه الشواهد فى الفصل الثانى من الباب الأول فى هذه الدارسة).

(٢) الرسالة، ص ٤٩٠.

(٣) الرسالة، ص ٥٨٣.

واخترنا أن نقوم بدراسة ثلاثة نماذج إحصائية، عسى أن نحقق الهدف المتوخى.

وهذه النماذج هى على التوالى:

١ - صفحات متنوعة.

٢ - الجمل الدعائية.

٣ - الجمل النعتية.

ولن يقتصر إحصاؤنا لنماذج الجمل الفعلية والجمل الاسمية على نوع من أنواع التراكيب. بل سيتناول كل تركيب فعلى وغير فعلى تتوفر فيه شروط الإسناد، سواء كان جملة أو تركيباً مستقلا، أو تركيباً غير مستقل، طبقاً لما ذكرناه فى الفصل السابق. هكذا سننهج فى تناولنا إحصاء ودراسة الجمل المنهج التالى:

١ - إحصاء عدد الجمل «الأساسية»، ونعنى بها كل جملة ينطبق عليها المفهوم الذى حددنا قبل، أى متى توفرت فى التركيب شروط الوحدة البنائية التامة المدلول، جملة بسيطة كانت أو مركبة أو تركيبية.

٢ - إحصاء عدد التراكيب المستقلة.

٣ - إحصاء عدد التراكيب غير المستقلة.

النموذج الأول

إحصاء الجمل والتراكيب الفعلية والاسمية
فى صفحات من الغفران

من خلال استقراء مستهل الفقرات فى فصلى الرسالة معاً، بدا لنا، كما قلنا، سابقاً، أن الجمل الفعلية تفتح كل مرحلة من مراحل تنقل ابن القارح فى العالم الأخروى، وأن الجمل الاسمية تحظى بالنسبة الكبيرة فى مستهل أجوبة أبى العلاء لمراسله. بيد أنه، إذا كان المقام، فى كل مرة، يقتضى ما يناسبه، فهل يصح أن نقول إن جمل الفصل الأول تطغى عليها الفعلية، وجمل الفصل الثانى تسودها الاسمية فنخرج بنتيجة هى أن الجملتين متعادلتين فى الرسالة؟

لن نكون مصيبين إذا وقفنا عند الأبواب، ولم ندخل البيوت، واكتفينا بإطلاق حكم الجزء على الكل، من غير استقراء علمى يفى الموضوع حقه. لذلك سنقوم بدراسة إحصائية مقارنة فى نموذجين:

١ - صفحات اعتباطية متنوعة.
٢ - صفحات منتقاة من الفصل الأول، وأخرى من الفصل الثانى.

النوع الأول:

سنأخذ الصفحات: ١٤٠ - ٢٠٥ - ٢٨٣ - ٤٢٣.

(أ) صفحة ١٤٠: يصف أبو العلاء رسالة ابن القارح التى توصل بها، ويذكر ما أعد لكاتبها، فى الجنة، ابتداء من قوله: «قد وصلت الرسالة» (آخر صفحة ١٣٩).

والجدول التالى يعطينا نتائج الإحصاء فى هذه الصفحة.

جدول ١

النوع	العدد	الفعلية (شواهد)	العدد	الاسمية (شواهد)
الجمل الأساسية	٧	«يَسْتغفر لمن / أنْشأها إلى يوم الدِّين».	٥	«وِمثلُها شَفع ونَفَع، وقَرَّبَ عِند الله وَرَفَع» «وفى تلك السُّطور كلمٌ كَثير، كلُّه عِنْدَ البارى - تقدس - أثير»
التراكيب المستقلة	١٦	«ويذكُره ذِكْرَ مُحَبٍّ خَدِين»	٤	«ومَنْ قَرأهَا مَأْجُور»
التراكيب غير المستقلة	١١	«تَرَكَ أَصْلاً إِلَى فَرْع»	١	«بَحْرُها بِالحِكَمِ مَسْجُورٌ»(١).

يلاحظ أننا كررنا أمثلة الجمل الأساسية الاسمية، ذلك أن جملتين منها جاء الخبر فيهما مفرداً. أما فى الجمل الثلاث الأخرى فجاء الخبر تركيباً فعليًّا. لذا ضربنا لكل نوع مثالا.

(ب) صفحة ٢٠٥، يقيم أبو العلاء حواراً بين ابن القارح والنابغة، الشاعر الجاهلى، حول قصيدته فى النعمان بن المنذر، بها من الجمل ما يلى:

(١) صلة موصول فى الجملة الأساسية: «وقد وصلت الرسالةُ التى بحرها بالحِكم مسجورٌ ومَنْ قرأها مأجورٌ».

جدول ٢

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الأسمية (أمثلة)
الجمل الأساسية	٦	«فيقولُ النابغة بذَكاءٍ وفَهْم : لَقَدْ ظَلَمني مَنْ عابَ عَليَّ».	٣	«وذلكَ أن النعمانَ كان مُسْتهْتِراً بِتلكِ المرأة فأَمرَنى أن أذكُرها فى شِعرى فأَدَرْتُ ذَلِكَ فِي خَلَدِى فقلتُ : إنْ وَصَفْتُها وصفاً مُطلقاً، جَازَ أَنْ يَكونَ بِغَيْرِهَا مُعلَّقاً»
التراكيب المستقلة	١٦	«ولو أنْصَفَ، لَعَلِم أننى احْتَرْزتُ أَشَدَّ احتراز»	٣	«فهذا أسلم»
التراكيب غير المستقلة	١٨	«عاب عَلَيَّ»	٠	

(جـ) صفحة ٣٨٢ : يصف أبو العلاء جلسة أكل فى الجنان، ويتناول أثناء ذلك تحليلا لغويًا :

جدول ٣

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجمل الأساسية	٨	«فإذا تَكرَّرتْ بَيْنهمُ، قال أبو عُثمان المازنى لعبدِ الملكِ بن قريب الأصمعى : يا أَبَا سَعيد، ماوزنُ إوزه؟»	٣	«وزن إوزَّة فى الموجودِ إِفَعْلَة ووزنُها فى الأصلِ، إِفْعَلَة وهى تكُونُ عَلى ما يُريدون».
التراكيب المستقلة	١٠	«فَيَتَمنَّاها بَعضُ القَوْمِ شِواءً».	٤	«وزنُها فى الأصلِ أَفْعَلة».
التراكيب غير المستقلة	١٥	«فإِذَا قُضِيت منها الحاجةُ»[1].	٤	«وأصلُه أُنَاسٌ».

يلاحظ أن الخبر فى خمس جمل اسمية جاء تركيباً فعليًّا.

٤ - صفحة ٤٢٣، يتعرض فيها أبو العلاء للإجابة عن سؤال ابن القارح حول «المتنبى».

(١) ذكرنا فيما سبق أن جملة الشرط تركيب غير مستقل، وهذه واقعة جملة شرط فى الجملة: «فإذا قُضِيت منها الحاجةُ عَادتْ، بإذن الله، إلى هَيْئَةِ ذَواتِ الجَنَاح».

جدول ٤

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجمل الأساسية	١٩	«ولا يَمْتَنِع أن يكونَ أعَدَّ لَـهُ شيئاً من الـطعام مسموم، وألقاهُ له، وهو يُخْفِى عن صاحبه فعله»	٣	«والخِرْبَقُ سُمُّ الكِلَابِ مَعْرُوفٌ».
التراكيب المستقلة	١٤	«ثم سكن نفارها»[1]	٣	«وأنه وَرَدَ بها الخِلَّة وهو رَاكِبٌ».
التراكيب غير المستقلة	١٦	«ألح عليها فى النباح»	٦	«وهو راكبٌ عَليها»[2] «وهى رائحة فى الإبل»

يمكننا أن نلخص نتائج الإحصاء فى هذا النوع الأول (أى الصفحات الاعتباطية) فى الجدول التالى :

(١) وظيفة التركيب المستقل معطوف على التركيب المستقل «وتنكرت برهة».

(٢) وظيفة التركيب غير المستقل حال من اسم «إن» فى الجملة الأساسية : «وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها».

جدول ٥

النـوع	عدد الفعلية	عدد الاسمية
الجمل الأساسية	٣٠	١٤
التراكيب المستقلة	٥٦	١٤
التراكيب غير المستقلة	٦٠	١١

يبدو أن عدد الجمل الفعلية يفوق بكثير عدد الجمل الاسمية وكذلك عدد التراكيب الفعلية المستقلة وغير المستقلة.

وننتقل الآن إلى إحصاء جمل النوع الثانى من النموذج الأول.

النوع الثانى :

صفحات مختارة من رسالة الغفران.

أخذنا عددًا من الصفحات، من الفصل الأول ونفس العدد من الفصل الثانى. وراعينا فى اختيار هذه الصفحات المتوالية، اشتمال كل مجموعة على موضوعين مختلفين. فمثلاً، تحتوى صفحات الفصل الأول، حيث الموضوع العام هو وصف الرحلة ومسرحها، على استطراد لغوى أو ما يشبهه. وتحتوى صفحات الفصل الثانى حيث الموضوع العام الإجابة على أسئلة ابن القارح، على استطراد وصفى لا يخلو من خيال. لنرى هل تتنوع جمل أبى العلاء بتنوع المواضيع التى يطرقها؟ وما نسبة شيوع كل نوع فى فصلى الرسالة؟ وقد وقع اختيارنا على الصفحات التالية :

(أ) فى الفصل الأول : من ص ٣٤٥ إلى ص ٣٦٢.

(ب) فى الفصل الثانى : من ص ٥٠٨ إلى ص ٥٢٥.

* * *

(أ) نتائج إحصاء جمل صفحات الفصل الأول: من ص ٣٤٥ إلى ص ٣٦٢.

يقيم أبو العلاء من ص ٣٤٥ إلى ٣٦٠، حوارًا على مسرح جهنم، بين ابن القارح والشاعر الأخطل التغلبى وهو يتضور ويقاسى عذاب النار، فيذكره ابن القارح، بأخطائه فى الدنيا: لم يدخل الإسلام، وعاشر يزيد بن معاوية الخليفة الأموى الذى اشتهر بالسفه والاستهتار، ثم يتدخل إبليس، فى هذا الحوار، ليشمت به ويُبدىَ رأيه فى بنى آدم عامة.

يسأل ابن القارح عن المهلهل التغلبى ويناقش معه سبب تسميته بـ «المهلهل» فيكذب بعض التفاسير الشائعة.

وبعده، يقف عند المرقشين، الأكبر والأصغر فينتقد بعض المعانى الواردة فى أشعارهما.

ثم اتصل بالشنفرى وتأبط شرًّا، وهما آخر من حاور ابن القارح فى النار، قبل أن يعود لمحله فى الجنان.

أما فى الصفحات الثلاث الأخيرة (من ص ٣٦٠ إلى ٣٦٢) فيصادف ابن القارح فى طريق عودته إلى الجنة «آدم»، فيسأله عن رأيه فيما روى له من أشعار، ويستطرد إلى الحديث عن سبب تسمية «الإنسان» بـ«إنسان». تحلل هذه الصفحات الثلاث الأخيرة، أصل لفظة «إنسان» وممَّ اشتقت، وينتقد أبو العلاء رأى البصريين فيما ذهبوا إليه، كما ينتقد من يقول بأن العربية كانت لغة آدم.

تلك هى المباحث التى تتحدث عنها هذه الصفحات.

فما هى نسبة الجمل الفعلية والجمل الاسمية فيها؟

الجدول التالى يعطينا نتائج الإحصاء.

جدول ٦

من ص ٣٤٥ ← ٣٦٢		
النوع	فعلية	اسمية
الجمل الأساسية	٤٧	١٢
التراكيب المستقلة	٧٥	٢٦
التراكيب غير المستقلة	١٤٠	٤٣

ونثبت هنا ملاحظة، هى أن نسبة الجمل والتراكيب الاسمية، فى الصفحات الأخيرة، تفوق نسبتها فى الصفحات الأولى. فمن مجموع عددها الذى ذكرناه، نجد أن :

جدول ٧

النوع (الاسمية)	ص ٣٤٥-٣٥٩	ص ٣٦٠-٣٦٢
الجمل الأساسية	٦	٦
التراكيب المستقلة	١٦	١٠
التراكيب غير المستقلة	٢٠	٢٣

هذا يعنى أن المناقشات اللغوية والنقدية فى الصفحات الأخيرة، (٣٦٠-٣٦٢)

اقتضت من الجمل والتراكيب الاسمية أكثر مما اقتضته مواضع الوصف فى الصفحات الأولى (٣٤٥- ٣٥٩). من ثم علت نسبتها، وإن ظلت أقل بكثير من عدد الجمل والتراكيب الفعلية فى كلا الموضوعين.

(ب) نتائج إحصاء جمل صفحات الفصل الثانى (من ٥٠٨- ٥٢٥). يجيب أبو العلاء فى الصفحات الأولى منها (من ٥٠٧- ٥١٦) على قول ابن القارح:

«وأنَا أستعينُ بعصَمةِ اللهِ وتوفيقهِ، واجعلُهما معُينَيَّ على دفعِ شهَواتِى، وأشكو إليه عُكُوفى على الأمانى، وأسألهُ فَهماً لِمواعِظِ عِبَرِ الدنيا فقد.عَمِيت عن كُلُوم غيرِها بما جَثَم على خواطرى من الشغَف بها ولستُ أجِد منى مُنصفًا لِى منها، ولا حاجزًا لرَغبتى فيها عنها»[1].

وقد جاءت هذه الصفحات ملأى بالمواعظ وضرب الأمثال وسرد الحكم، خصوصاً ما يتعلق منها بالحث على تجنب الخمر وعواقبها، والكف عما لا يرتضيه الخالق سبحانه.

يعنى أن أبا العلاء، هنا، يقرر حقائق ويرغب فى مبادئ أخلاق قارة وثابتة لا تتغير بسرعة وبتغير الظروف والأحوال. وتبعًا لذلك، جاءت نسبة الجمل الاسمية الأساسية أكبر من نظيرتها الفعلية، أى أن الاسمية تبلغ ثلثى مجموع الجمل الأساسية. بيد أن نسبة التراكيب الاسمية المستقلة وغير المستقلة أقل من نظيرتها الفعلية، كما تظهره الأرقام التالية:

---

(١) الرسالة، ص ٥٠.

جدول ٨

من ص ٥٠٨ ← ٥١٦		
النوع	الفعلية	الاسمية
الجمل الأساسية	٦	١٦
التراكيب المستقلة	١٦	٩
التراكيب غير المستقلة	٢٥	٩

أما فى الصفحات الأخيرة (من ٥١٧ إلى ٥٢٥) فيُذَيِّلُ أبو العلاء جوابه على كلام ابن القارح منتقلاً بنا إلى جو الخيال المبدع الذى عهدناه فى الفصل الأول من الرسالة. ويتصور مراسله (ابن القارح) وقد تاب ورغب عن الميل إلى شهوات النفس، والاستسلام إلى مظاهر الدنيا الخداعة. وهكذا، يقبل عليه الأدباء، وكل من سمع بتوبته، فيجالسهم فى مسجد بحلب، ويأخذ فى وعظهم وهم يصغون إلى خطابه، ويوجد بجانبه خنجر ليجأ به زق خمر أحد المارين بمجلسه. فإذا ما تم ذلك، ذهب صاحب الزق ليشكو أمره إلى السلطان.

ولم ينس أبو العلاء أن يجعلنا، من جديد، نعيش فى الجنة مع الحور العين المعدات لابن القارح، فيصف فرحهن لتوبته واستقبالهن له.

ماذا نجد من الجمل بهذه الصفحات؟

إن نسبة الجمل والتراكيب المستقلة وغير المستقلة الاسمية تنخفض جدًّا، فى حين ترتفع نسبة نظيرتها الفعلية. والجدول التالى يعطينا نتائج الإحصاء.

جدول ٩

من ص ٥١٧ ← ٥٢٥		
النوع	الفعلية	الاسمية
الجمل الأساسية	٣٨	٤
التراكيب المستقلة	٥٥	١٠
التراكيب غير المستقلة	١٠٩	١٥

تلك هى نتائج الصفحات (٥١٧ إلى ٥٢٥). وفيما يلى نرسم جدولا يجمل نتائج إحصاء الجمل فى صفحات الفصل الثانى:

جدول ١٠

من ص ٥٠٨ ← ٥٢٥		
النوع	فعلية	اسمية
الجمل الأساسية	٤٣	٢٠
التراكيب المستقلة	٧١	١٩
التراكيب غير المستقلة	١٣٤	٢٤

استنتاجات من إحصاء جمل وتراكيب النموذج الأول:

بالمقارنة بين الجداول المتقدمة يظهر جليًا أن:

١ - عدد الجمل الفعلية والتراكيب الفعلية، بنوعيها، المستقلة وغير المستقلة، في النموذج الأول الذى درسته الصفحات السابقة يفوق عدد نظيراتها الأسمية.

٢ - الحكم الذى استخلصناه من إلقاء نظرة عامة على الرسالة (وهو أن الجمل الفعلية تسود الفصل الأول، فى حين تسود الاسمية الفصل الثانى) حكم غير دقيق فإن كان يبدو، لأول وهلة، من إحصاء الجمل التى يفتتح بها أبو العلاء أجوبته، أن عدد الاسمية أكبر من عدد الفعلية، فإن ذلك لا يعكس النسبة الحقيقية بين نوعى الجمل والتراكيب فى الفصل الثانى، بدليل النتائج الإجمالية لعدد الجمل الأساسية فى كل من الفصلين.

جدول ١١

النـوع	الفصل الأول ٣٤٥-٣٦٢	الفصل الثانى ٥٠٨-٥٢٥
الجمل الأساسية	١٢	٢٠
التراكيب المستقلة	٢٦	١٩
التراكيب غير المستقلة	٤٣	٢٤

٣ - النسبة بين نوعى الجمل والتراكيب (الفعلية والاسمية) تختلف، حسب المواضيع التى يتناولها أبو العلاء، سواء فى الفصل الأول أم فى الفصل الثانى من الرسالة. فعندما يخضع الموضوع للوصف والخيال تكون نسبة الجمل الاسمية

قليلة جدًّا، وعندما يكون الموضوع لغويًّا أو نقديًّا أو فلسفيًّا ترتفع نسبتها، ويمكننا أن نتبين هذا بالمقارنة بين الجداول :

(أ) ١، ٢ من جهة، و٣، ٤ من جهة أخرى.
(ب) ٦، ٩ من جهة، و٧، ٨ من جهة أخرى.

٤ - عدد الجمل والتراكيب الفعلية، فى النموذج الإحصائى الأول، أى فى مجموع الصفحات التى حللناها، يفوق عدد الجمل والتراكيب الاسمية، كما يلخصه الجدول الآتى :

جدول ١٢

النوع	فعلية	اسمية
الجمل الأساسية	١٢٠	٤٦
التراكيب المستقلة	٢٠٢	٥٩
التراكيب غير المستقلة	٣٣٤	٧٨

يلاحظ أننا أثبتنا نتائج إحصاء جمل وتراكيب الصنف الثانى، من هذا النموذج، دون أن نورد أمثلة لكل نوع، واكتفينا بالإحالة على النصوص، فى الصفحات المشار إليها، وذلك خشية الإطالة فيما قد يستغنى عنه. وسننتقل الآن إلى إحصاء جمل النموذج الثانى وهى الجمل الدعائية.

النموذج الثانى

إحصاء الجمل الفعلية والاسمية
فى الجمل الدعائية

سنعمل فى هذا النموذج على إثبات نتائج إحصاء الجمل والتراكيب وتحديد نسبة الفعلية والاسمية تاركين تفصيل الحديث عن الجمل الدعائية وخصائصها إلى فصل خاص.

* * *

يبلغ عدد الجمل الدعائية الواردة فى رسالة **الغفران** ١١٩ جملة، منها:

١٠٤ فعلية.

١٥ اسمية.

فتكون نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية هى $\frac{١}{٨}$ (تقريبًا).

والجدول التالى يجمل نتائج الإحصاء.

جدول ١٣

الجمل الدعائية	
الاسمية	١٥
الفعلية	١٠٤
النسبة بينهما	$\frac{١}{٨}$

سنحاول فى الفصل الخاص بالجمل الدعائية تعليل هاته الظاهرة مع إثبات بعض الأمثلة.

النموذج الثالث
إحصاء نسبة الجمل الفعلية والاسمية
فى الجمل النعتية

بعد عملية إحصاء راعينا فيها، الدقة بقدر المستطاع، علمنا أن عدد النعوت التى جاءت جملا هو ٣١٠ نعتا وأن نصيب الجمل الاسمية فيها قليل :

١ - الجمل الفعلية ٢٥٠.

٢ - الجمل الاسمية ٦٠.

فتكون النسبة هى $\frac{١}{٥}$ تقريبًا. ونلخص ذلك فى الجدول التالى :

جدول ١٤

الجمل النعتية	
جمل اسمية	٦٠
جملة فعلية	٢٥٠
النسبة بينهما	$\frac{١}{٥}$

سنكتفى بإثبات هذه النتائج على أن نعمل، فى فصل خاص، بالجمل الواقعة نعتًا على تفصيل القول فى كل نوع منها.

الخلاصـة :

من هذه النماذج الثلاثة السابقة ومن نظرة تحليلية لأسلوب الرسالة عامة، نستخلص أن الجمل والتراكيب الفعلية تشيع أكثر من الجمل والتراكيب الاسمية فى الأسلوب العلائى. فالاسمية التى بالرسالة تبدو أكثر عددًا فى الفقرات التى يتناول فيها أبو العلاء تحليلا نحويًا أو نقديًا أو شرحًا لغويًا، فى استطراداته بالفصل الأول، كما تبدو كثيرة فى مستهل إجابته عن أسئلة ابن القارح، وفى الصفحات التى يتعرض فيها للنصح، وسرد الحكم، واستخلاص العبر من حوادث الدهر بالفصل الثانى. ورغم ذلك، تظل الجمل والتراكيب الاسمية (بالنسبة للجمل والتراكيب الفعلية) قليلة الاستعمال، فى الرسالة عمومًا، فكما أظهرت لنا نتائج الإحصاء السابقة، إن الجمل والتراكيب الفعلية تحتل المركز الأول، حتى فى الفصل الثانى من الرسالة، وإن كان يختلف موضوعه عن الرحلة القارحية التى نسجها الفصل الأول. لقد كان من المتوقع أن تتساوى النسبة بين نوعى الجمل والتراكيب. ولعل ما به من استطرادات متنوعة، لا تخلو من خيال وقص، هو ما رفع نسبة الفعلية به.

وباختصار يظهر بوضوح أن الأسلوب العلائى يتغير حسب المواضيع التى يتناولها. هكذا جاءت جمله وتراكيبه ملائمة للمحتويات، تعكس ما يقتضيه كل مقام. ففى الفصل الأول يصور أبو العلاء رحلة ابن القارح، عبر الجنة والنار، فتسود مواقف التصوير والابتكار والوصف، ويسود معها تعاقب الأحداث المختلفة التى تمضى فى ظروف متوالية، وفترات حالية ومستقبلية، الشيء الذى جعل الجمل والتراكيب الفعلية المضارعة تسود قسم الرحلة عمومًا (حكاية الحال) وهذا يتناسب، ولا شك، مع ما كان يهدف إليه أبو العلاء حيث أراد أن يجعلنا نسير مع ابن القارح خطوة خطوة، فنحيا وإياه تلك المغامرات، ونشعر، فى نفس اللحظة، بما يشعر به. فقليلا ما كان أبو العلاء يكتفى بإخبارنا بما قام به ابن القارح أو غيره من أبطال الرحلة، بل كان يأبى إلا أن نكون له ولهم، شركاء فعلا، ورفقاء فى جولات الجنة والنار.

لذا، جاءت نسبة الجمل والتراكيب الفعلية الماضوية فى فصل الرحلة أقل من نظيراتها المضارعية، فالأحداث التى كانت تحصل فى زمان مضى، ويذكرها صاحبنا على سبيل الحكاية، هى ما جاءت، مثلا فى قصة الحشر التى ساقها على لسان ابن القارح حين أخذ يحكى كيف تم خلاصه من أهوال الصراط والحشر[١]، وكذلك فى قصة مغامرات إبليس التى عاشها فى الدنيا مع بنى آدم[٢]. هناك سادت الجمل والتراكيب الفعلية ذات الفعل الماضى.

أما فى الفصل الثانى من **الرسالة** حيث يرد أبو العلاء على أسئلة ابن القارح، فإن الأسلوب يأخذ طابعًا آخر، إذ يصبح تقريريًا فى مجمله، ومن ثم يستعمل، غالبًا، فى **بداية تناوله الرد** على كل سؤال جملة اسمية كما يستعمل الجمل الاسمية فى التعبير عن الحكم والمواعظ التى يسوقها. وهذا يسير طبقًا للنظرية التى سقناها فى أول الفصل، من أنه يَلْجَأ إلى الجمل والتراكيب الاسمية حينما يراد إعطاء المسند إليه الاهتمام الأساسى فى الخبر ليحتل المركز الأول، وهذا يتجلى واضحًا فى الفصل الثانى من الرسالة إذ ينصب الحديث عن بعض رجالات الأدب واللغة والفقه الذين جعلهم ابن القارح موضوع تساؤلاته، كما رأينا. ورغم ذلك، تظل الجمل والتراكيب الفعلية ذات النسبة الكبرى حتى فى هذا الفصل.

وإن التلاءم بين القوالب والمحتوى لما يعكس قوة الإبداع والخلق عند أبى العلاء. هذا، بالإضافة إلى ما فى أسلوبه من سحر ورونق لا يخضع لمقاييس الإحصاء والضبط، الشيء الذى يؤكد أن خصائص العبقرية العلائية هى أنها استطاعت أن تتميز بأسلوب خاص، ينجح، إلى حد كبير، فى انتزاع القارئ وجعله يحيا كليًا، ويُساير عن كثب جزئيات **الرسالة**، دون ملل أو كلل. وأكثر من ذلك، إن أسلوب الرسالة يرغب فى قراءتها مرة ومرات، وكلما تكررت القراءة، ازداد الشعور بسر خفى يجذب إلى المزيد من التأمل والدرس، وتتكشف ألوان من

(١) رسالة الغفران، من ص ٢٤٨ إلى ٢٦٢.
(٢) رسالة الغفران، من ص ٢٩٣ إلى ٢٩٦.

المفاهيم والتعابير يقل ورود أمثالها فى تآليف غيره من الكتاب. قد لا نجازف إذا قلنا إن ما رمى به ويرمى به أسلوب أبى العلاء من تعقيد يعكس نفسيته المعقدة المحرومة، ليس فى الحقيقة سوى قصور عن الكفاح والصبر من أجل الوصول إلى التذوق والانفعال لفن جديد من فنون الأدب، ذى أسلوب متميز عال.

الفصل الرابع

النعت فى رسالة الغفران

تناول الفصل السابق دراسة الجملة بأنواعها المختلفة، البسيطة، والمركبة، والتركيبية، وذلك فى الشكلين الأساسيين، الجملة الاسمية، والجملة الفعلية.

ولكن الجمل فى اللغة لا تقوم بعناصرها الأساسية وحدها، بل إنها تضم بعض المكملات التى تعتبر عناصر ضرورية فى بنائها.

وقد لاحظنا من خلال دراسة أشكال الجمل العلائية أن امتداد الجمل التركيبية يرجع لما تضمه من تراكيب غير مستقلة، تقع فى غالب الأحيان صفة. إذ أن استخدام الوصف بأنواعه المختلفة هو من أكثر الأساليب شيوعًا فى **رسالة الغفران**، فرأينا أن نقوم بدراسة استقرائية شاملة لهذه الظاهرة تتبعًا لأشكال جملها، وصيغ مفردها، وما جاء من الجوامد مؤولا بالمشتق، لنرى إلى أى حد كان أبو العلاء يستخدم اللغة بمرونة فائقة، واقتدار عجيب.

لدراسة النعت فى **رسالة الغفران**، نهجنا منهج النحاة فى تقسيم النعوت باعتبار معناها، أى نوع المنعوت الذى تتعلق به دلالتها. بعد الاستقراء، تبين لنا أنها تخضع لنوعى النعت المعروفة فى بابه، فهى إما دالة على معنى فى نفس متبوعها الأصلى وهو ما يطلقون عليه النعت الحقيقى وإما دالة على معنى فى ما هو من سببه وهو ما يسمونه النعت السببى.

النعت الحقيقى :

تيسيرًا لمهمة دراسة النعوت الحقيقية الواردة فى **الرسالة**، بدأنا بإحصاء شواهدها، ونقل كل واحدة منها على جذاذة خاصة، ثم عمدنا إلى تقسيمها حسب المستوى التركيبى، أى نوعية مبناها الذى تؤدى به وظيفتها، فوجدنا أن من تلك

النعوت ما ينتمى إلى المستوى البسيط، فجاء مفردًا، ومنها ما يدخل فى المستوى المركب فجاء جملة أو شبه جملة.

وفيما يلى سنعمل على دراسة النعت الجملة.

أولاً: النعت الجملة

تتجلى ثقافة أبى العلاء وعمق اطلاعه فيما تزخر به **رسالة الغفران** من استطرادات متنوعة المشارب: أدبية ولغوية ونحوية وفقهية. أما ثروته الخيالية وتضلعه اللغوى فيظهران بوضوح فيما له من باع طويل وقدرة على تجاوز النعوت المفردة إلى النعت جملة واحدة، أو جملاً متتالية، الشيء الذى يجعل التعبير العلائى يمتاز بالنفس الوصفى الطويل. ويسدل عليه رونقًا خاصًا.

وقبل أن نتصدى لدراسة أحوال الجمل النعتة فى الرسالة، نشير إلى أن أبا العلاء كما يستعمل من الصفات الجمل وحدها، قد يجمع بين النعت الجملة والنعت المفرد للمنعوت الواحد، أو بينها وبين شبه الجملة، وقد يجمع بين الأنواع الثلاثة، المفرد، وشبه الجملة، والجملة. لذلك نرتئى أن نقسم الجمل الواقعة نعتًا فى الاستعمال العلائى إلى الأقسام التالية:

١ - الجملة منفردة.
٢ - الجملة مع نعت مفرد.
٣ - الجملة مع نعت شبه جملة.
٤ - الجملة مع نعت مفرد وآخر شبه الجملة.

وسنتولى دراسة كل قسم، من هذه الأقسام، على حدة، عاملين فى دراسة الجمل، على الكشف عن بنيتها التركيبية، وعن نظام أجزائها المختلفة. ولتحقيق ذلك عمدنا إلى تحليل كل جملة إلى العناصر التى تتألف منها، آخذين بعين الاعتبار موضع ونوع كل من المسند، والمسند إليه، وما قد تحتويه الجملة من مفاعيل ومكملات، كالجار والمجرور، والعطف والنعت، والحال. إثر، ذلك، جمعنا

المتشابهات تحت مجموعة واحدة. ثم حصرنا أنواع جمل كل مجموعة، فى صنفين كبيرين هما :

- الجمل الفعلية.
- الجمل الاسمية.

كل ذلك رغبة منا فى معرفة أى أشكال الجمل الوصفية يطرد وروده فى رسالة الغفران.

القسم الأول

النعت الجملة (منفردة)

استخلصنا من عمليتى الإحصاء والتصنيف أن عدد النعوت التى جاءت جملة منفردة عن النعت المفرد، والنعت شبه الجملة يبلغ حوالى ٣١٠ جملة. وتبين لنا، كما ذكرنا فى الفصل المتعلق بدراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية فى **الغفران**، أن عدد الجمل الفعلية التى جاءت نعتًا، يفوق بكثير عدد الجمل الاسمية. وسنبدأ، أولاً، بالجمل الفعلية محاولين استخلاص ميزات الاستعمال العلائى فيها.

الجمل الفعلية الواقعة نعتًا

يبلغ عدد الجمل الفعلية الواقعة نعتًا منفردًا عن غيره من أنواع النعوت الأخرى ٢٥٠ جملة، وسنحاول دراسة تركيبها ونظام الكلمات داخلها.

يمكن على أساس البناء الداخلى تقسيم الجمل الفعلية إلى : جمل بسيطة، وجمل مركبة، وجمل تركيبية.

وفى كل واحدة من هذه الجمل، إما أن يكون المسند فعلاً لازمًا أو متعديا إلى مفعول به واحد أو أكثر.

بناء على ذلك، يمكن أن نقسم كل نوع من أنواع الجمل، حسب نوع الفعل فيها إلى :

(أ) الجمل التى جاء فيها الفعل لازمًا.

(ب) الجمل التى جاء فيها الفعل متعديا.

النوع الأول :

الجمل الفعلية البسيطة :

أولاً : الجمل ذات الفعل اللازم :

يبلغ عدد الجمل التى جاء فيها الفعل لازمًا ٨٢ جملة. وقد جاء الفاعل فيها إما :

- ضميرًا متصلا، وذلك كقول أبى العلاء :

«فخرجَ مع قومٍ يتنزهون»[١].

- أو ضميرًا مستترًا، مثل :

«فمروا بثورٍ يكْربُ، فقال لأصحابه»[٢].

وقد يأتى الفعل مبنيًا للمجهول، ونائب الفاعل ظاهرًا كقوله :

«ومع المنصَفِ باطيةٌ من الزمرد، فيها من الرَّحيقِ المخْتُوم شىءٌ يُمزَجُ بزنجبِيل»[٣] أو ضميرًا مستترًا كقوله :

«فأينَ مَهْرَب العَاقِل من شَقاءٍ رتبَ»[٤].

ويلاحظ أن أبا العلاء :

١ - اكتفى فى ٢٥ جملة بالمسند والمسند إليه، كما هو واضح فى الأمثلة السابقة فأتت الجمل على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه

٢ - فى ٣٥ جملة يلى المسند إليه، سواء كان ظاهرًا أو مستترًا :

---

(١) الرسالة، ص ٤٦٨، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢١٥، ٢٩٤.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٨، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٦٤، ١٧٦، ٣٤٥، ٣٩٧، ٤٣١، ٤٨٠.

(٣) الرسالة، ص ١٨٥، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٧٦، ٢١٥، ٣٥٩، ٤٥١، ٤٦٢، ٤٧١، ٤٧٤.

(٤) الرسالة، ص ٤٩٥، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٥٢، ٣٨٦، ٤٨٠، ٤٩٠، ٥٤٥.

(أ) جار ومجرور على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور.

كقوله :

«أيكُون فيكمُ عَرَبٌ لا يَفْهَمُون عن الروم؟»[١].

«ورأيتُ فيما يرى النائمُ حَبْلاً نَزَلَ منَ السماءِ»[٢]

وقد يكون المجرور اسم موصول يحتاج إلى صلة مثل :

«يجوزُ أَنْ يَرى الرجلُ رجلاً قد فَتكَ بمن اسمهُ حسَّانُ أَوْ عطَارِدُ أَوْ غير ذَلك، فيَتمثل بهذَا البيت. كما قد يتعدد الجار والمجرور مثل :

«فإنَّ للقنَيصِ لذةً قد تَنَغَّضْتُ لكَ بِها»[٣]. [تنغضت : نهضت]

(ب) مضاف إليه على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه + مضاف إليه :

«وحُقَّ لك أَنْ تَنْسَاه كما ذُهِل وَحْشِىٌّ دَمِىَ نَسَاه»[٤].

(جـ) جار ومجرور مع مضاف إليه :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه :

«فَإذَا نظرَ إلى صَوَارٍ تَرتَعُ فى دَقَارِىِّ الفِرْدَوس [. . .] صوَّب مولاىَ الشيخُ المِطْرَد»[٥].

(د) جار ومجرور مع اسم معطوف على المجرور :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + معطوف :

---

(١) الرسالة، ص ٢٩٦، انظر مثالا آخر فى نفس الصفحة.

(٢) الرسالة، ص ١٨٣، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف فى ص ٢٥٦، ٢٧٠، ٤٤٩، ٥٢٠، ٥٥٧.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٧، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف ص ٣٧٨، ٣٩٧.

(٤) الرسالة، ص ١٩٥.

(٥) الرسالة، ص ١٩٧، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف ص ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٩، ٣٢٧، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٩٩.

«فى سَجسَجٍ بَعُدَ عَن الحَرِّ والقَرِّ»[١].

(هـ) جار ومجرور مع نعت مفرد للمجرور:

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + نعت.

«أو قطرة تَسْبِقْ من السحابِ المرِىِّ»[٢].

هذا وقد يجمع أبو العلاء بين الجار والمجرور والمضاف إليه والمعطوف كقوله:

«فإذا هو بأسدٍ يَفْتَرِس من صِيرَان الجنَّة وحَسِيلها»[٣].

٣ - ومن الملاحظ، أيضًا فى جمل هذا النوع أنه:

(أ) قد يفصل بين المسند والمسند إليه جار ومجرور، وقد تردد ذلكِ فى ٢٢ جملة، أتت على الشكل التالى:

المسند + جار ومجرور + المسند إليه.

نحو:

«كلما كُشِفتْ القدرَة بَدتْ لها عَجَائبُ لاَ تَثْبُتُ لَهَا النَّجَائِبُ»[٤].

«وكان قَدْ طَمِعَ فى شىءٍ قد طمعَ فيه مَنْ هُو دُونه»[٥].

وقد جاء الفاعل اسمًا ظاهرًا فى إحدى عشرة جملة كما فى المثالين[٦].

أما الأمثلة الباقية فجاء فيها الفعل مبنيًا للمجهول كقوله:

«إنكَ على سِيفِ بحر لا يُدْرَكُ له عِبْرٌ»[٧].

(ب) بالإضافة إلى الجار والمجرور الذى يفصل بين طرفى الجملة، يلى المسند إليه:

---

(١) الرسالة، ص ١٧٥.

(٢) الرسالة، ص ٥٤٧، انظر مثالاً آخر فى ص ١٤٠.

(٣) الرسالة، ص ٣٠٤، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف فى ص ٢٢٦، ٢٤٣، ٤١٩،.

(٤) الرسالة، ص ٢١٤.

(٥) الرسالة ص ٤١٨.

(٦) الرسالة ص ٢٢١، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣٤٧، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٧٣، ٥٥٩،.

(٧) الرسالة، ص ٢١٥، وكذلك ص ٣٥٣، ٤٢٢، ٤٧٠، ٤٧٥،.

- معطوف على المسند إليه :

المسند + جار ومجرور + المسند إليه + معطوف.

«فَيَرد عليه [. . .] زَوْل تَعْجِزُ عنه الحِيَلُ والحَوْل»[1].

- أو مضاف إليه :

المسند + جار ومجرور + المسند إليه + مضاف إليه.

«ثُم جُعِل فى خَلخال تختالُ بلبْسِه ذاتُ الخالِ»[2].

هذه هى أحوال بناء الجمل البسيطة الواقعة نعتًا مما جاء الفعل فيها لازمًا.

ثانيًا: الجمل البسيطة ذات الفعل المتعدى:

تنقسم هذه الجمل بحسب موضع المفعول به من الفاعل إلى:

١ - ما حافظ فيها المفعول به على رتبته.

٢ - ما تقدم فيها المفعول به على الفاعل.

وسندرس كل نوع على حدة.

١ - الجمل البسيطة التى حافظ فيها المفعول على رتبته بعد الفاعل.

تأتى هذه الجمل عمومًا على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه + المفعول به.

مثل :

«ولَمْ يُقْتَل [. . .] حتَّى ظَهَرت عنهُ مقالاتٌ تُوجبُ ذَلك»[3].

«وتَزوجنى رجلٌ يبيعُ السقْطَ»[4] السقط : ما لا قيمة له من كل شىء أو هو ردىء المتاع.

---

(١) الرسالة، ص ٢١٣.

(٢) الرسالة، ص ٥٧٧، انظر: مثال آخر، فى ص ٣٨١.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٦، انظرأمثلة أخرى فى ص ٢٦٩، ٥٠٠، ٥٥٥.

(٤) الرسالة، ص ٢٨٦-٢٨٧.

وغالبًا ما يأتى المفعول به ضميرًا متصلا بالفعل الذى به ضمير مستتر هو الفاعل، وقد تكرر ذلك إحدى عشرة مرة، مثل قول أبى العلاء:

«ولم يَجِد عَن ذلكِ لشِقاءٍ يشْقَاهُ»[١].

«حَطَبَ لنار أَكَلتْه»[٢].

ومما يلاحظ، أيضًا، أن المفعول به يأتى متلواً بـ:

(أ) جار ومجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + جار ومجرور + معطوف

«وإنَّما نشَأتِ فى ثمرَّة تُبعدُك من جنٍّ وأَنِيس»[٣].

(ب) جار ومجرور ومضاف إلى المجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + جار ومجرور + مضاف إليه.

«إن قام قائم يَدعوكم إلَى عبادَةِ الله فأَطِيعُوه»[٤].

«أراد بالعَبْدِية دنَانيرَ نَسَبَها إلى عبد الملك بن مَروان»[٥].

(جـ) جار ومجرور ونعت للمجرور:

«فى يده محجَن ياقُوتِ ملكه بالحكم الموْقُوت»[٦].

(د) أو يلى المفعول به مضاف إليه وحده:

المسند + المسند إليه + المفعول به + المضاف إليه.

«ما أقربنى من إذالة تُبطِلُ كلام العذَّالَة»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ١٣٣.

(٢) الرسالة، ص ٤٩١، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٧٩، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٥٠، ٣٠٩، ٣٩٣، ٤٠٨، ٤٩٤.

(٣) الرسالة، ص ٣٧٣، انظر مثالا آخر فى ٣٤٧.

(٤) الرسالة، ص ١٨٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢٦٩، ٢٨٧، ٥١١.

(٥) الرسالة، ص ٥٦١، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢٦٢، ٣٩٣.

(٦) الرسالة، ص ٢١٥، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٩٩، ٤٣٧.

(٧) الرسالة، ص ٤٨١، انظر مثالين آخرين فى ص ٣٣٩، ٥٥٨.

(هـ) قد تتكرر المعطوفات على المفعول به كما فى قوله:

«وقد صَار من ورائِها رِدفٌ يضَاهى كُثبانَ عالج وأنقاءَ الدهناء وأرملة تبْرين»[1].

(و) من الجمل ما يسد فيها مسد المفعول به جملة أن واسمها وخبرها،

«ولَهُ امرأةٌ تَزعم أَنها منْ طىء»[2].

(ز) قد يتعدى الفعل فى بعض الجمل إلى مفعولين كقوله:

«وكان لَهُ غلامٌ يَعدُ نَفْسَهُ التوبةَ»[3].

٢ - الجمل البسيطة التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل:

يبلغ عدد جمل هذا الصنف ٥٣ جملة، من مفاعيلها ما جاء:

(أ) اسمًا ظاهرًا مقدمًا على الفاعل. كالشكل التالى:

المسند + المفعول به (اسم ظاهر) + المسند إليه.

مثل: «ولكنها مقاديرُ تَغْشَى الناظِرَ بها سَمادِير»[4]. سمادير: شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره، أو عن سكر أو دوار أو نعاس.

(ب) ضميرًا متصلا بالفعل.

المسند + المفعول به (ضمير متصل) + المسند إليه.

كقوله: «ولو حَضَرَ أَخْونةً حضَرَهَا الشيخ لعادَ كما قال القائل»[5]

وقد يلى المسند إليه نعت، عبارة عن اسم موصول وصلته كقوله:

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٩.

(٢) الرسالة، ص ٥٨١، انظر أمثلة أخرى ١٥٣، ٤٦٦، ٤٩٥.

(٣) الرسالة، ص ٥٢٩، انظر مثالا آخر فى ص ٤٩٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٥٣.

(٥) الرسالة، ص ٣٩٩، انظر أمثلة أخرى للنوعين (أ،ب) فى، ص ١٦٨، ٢٠٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٦٨، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٩٧، ٥٧٣.

«ومن كلِّ ريق ضَمِنَتْهُ هذه الدارُ الخادعةُ التى هى لكل شَمَمٍ جادعةٌ»[١].

تلك هى أحوال الجمل التى يأتى فعلها لازمًا أو متعديًا. وننتقل الآن إلى دراسة النوع الثانى، من أنواع الجمل التى تقع نعتًا وهو الجمل المركبة.

النوع الثانى:

الجمل الفعلية المركبة الواقعة نعتًا:

عرفنا الجملة المركبة بأنها الجملة التى تتألفُ من تركيبين مستقلين أو أكثر، وقد يتم الربط بين تراكيبها بأداة كما يتم بدون أداة. وبناء على ذلك سنقسم الجمل المركبة الواقعة نعتًا إلى:

- ما تم الربط بين تراكيبه المستقلة بأداة.
- ما تم الربط بين تراكيبه المستقلة من غير أداة.
- ما تم الربط بين بعض تراكيبه بأداة وبين بعضها الآخر بدون أداة.

وفيما يلى نورد أمثلة لكل نوع.

أولاً: الجمل الفعلية المركبة التى تم الربط بين تراكيبها بأداة.

تعتبر أمثلة هذا النوع، أكثر ورودًا من أمثلة الأنواع الأخرى إذ تبلغ عشرين مثالا، وهى تتألف من تركيبين أو ثلاثة تراكيب أو أربعة كالتالى:

(أ) الجملة المؤلفة من تركيبين تربط بينهما أداة من أدوات العطف: الواو - الفاء - بل - ثم.

- الربط بـ«الواو»، مثل قوله:

---

(١) الرسالة، ص ١٤٥-١٤٦، انظر مثالين آخرين، فى ص ١٣٨، ١٤٤.

«سلامٌ يَتْبعُ قُرومَه إفَالُهُ / و / تَلْحَقُ بِعُوذِه أَطْفاله»[١].

- الربط بـ «الفاء»، مثل :

«إنَّ هذا الشعرَ لرجلٍ أُسِر /فـ/ كَتَبَ إلى قَوْمه بذلك»[٢]

- الربط بـ «بل»، مثل :

«وبِمِسْكٍ مَا جُنِي مِنْ دِماءِ الفُور /بَل/ هو بتقديرِ الله الكَريم»[٣]

يلاحظ أن أبا العلاء فى هذا المثال جمع بين تركيب فعلى وتركيب اسمى.

- الربط بـ «ثم»، مثل :

«ولَقِيَهما كلبٌ أَلَحَّ عليهما فى النباح / ثم / انصَرف»[٤]

(ب) الجمل المؤلفة من ثلاثة تراكيب :

مثل :

«وحُكِيَ لِي أَنَّ لِلْقرامِطَةِ «بالأحساء» بيتًا يَزْعُمون أَنَّ إمَامَهم يخرُج منه / و / يُقيمون على بابِ ذلك البيتِ فَرساً بسَرْج ولجام / و / يقولون لِلْهَمج والطغَام. . . »[٥]

(جـ) الجمل المؤلفة من أربعة تراكيب، مثل :

«يجبُ أَنْ يُحْذَر من مَلَكٍ يَعْبُر / فـ / يَرَى هذَا المجلس / فـ / يَرْفَعَ حديثه إلى الجَبَّار الأعظم / فـ / لاَ يُجُرُّ ذلِك إلا إلى ما تَكْرَهَان»[٦]

---

(١) الرسالة، ص ٥٨٤، انظر أمثلة أخرى، من هذا الصنف، فى ص ١٩٨، ٢٢٣، ٢٥٤، ٣٢١، ٣٩٧، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٦١، ٥٠٤.

القروم : جمع قرم : السيد العظيم وأيضًا الفحل إذا ترك عن الركوب والعمل.

الإفال : صغار الإبل.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٠، انظر، مثالا آخر، فى ص ٥٠٠.

(٣) الرسالة، ص ٣٧٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٢٣.

(٥) الرسالة، ص ٤٤٢، انظر مثالا آخر، فى ص ٢٣٦.

(٦) الرسالة، ص ٢٣٣، انظر، أمثلة أخرى من هذا الصنف، فى ص ٣٠٦، ٤١٥، ٥٤٤.

ثانيًا : الجمل المركبة التى تم الربط بين تراكيبها بالربط السياقى ، أى من غير أداة .

وقد تتألف من تركيبين مثل :

«ولعلهُ فى نَار لاَ تَغِيرُ، مَاؤُها للشارب وَغيرُ»[١]

«وصارت الفخارة خَزَفًا لاَ يُرادَ، يُلْغيه النسكةُ والمرَّادُ»[٢]

يلاحظ أن الفعل فى التركيب الأول جاء مبنيًا للمجهول وقد جاء نفس هذا التركيب ونفس نظام الكلمات فى خمس جمل.

ومما جاء الربط فيه بالسياق فحسب، قوله أيضا :

« . . . وأباريق خُلِقَتْ من الزبرجَد يَنْظُر منها الناظرُ إلى بَدىٍّ مَا حَلَمَ به أبو الهندى »[٣]

فى هذا المثال يأتى أبو العلاء للمجرور فى التركيب الثانى بنعت جملة :

« إلى بدى مَا حَلَمَ به أبُو الهندى »

وكثيرًا ما نجد المعرى يستعمل نعتًا مفردًا، أو شبه جملة، أو جملة لمنعوت داخل جملة وقعت نعتًا كما فى المثال السابق وكما فى قوله :

« ومع المِنْصَفِ بَاطية من الزُمُردِّ، فِيها من الرَّحِيق المَخْتُوم شىءُ يُمْزَجُ بِزَنْجَبِيل والماءِ أخِذَ من سَلْسَبيل »[٤].

وقد تأتى الجملة مركبة من ثلاثة تراكيب مستقلة، ترتبط فيما بينها بالربط السياقى :

«ويَمْضى فى نُزْهَتِه تِلك بشابين يَتَحادَثَانِ كلُّ واحد مِنْهُمَا على باب قَصْر من درّ قَدْ أعفِى مِنَ البُؤس والضر»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ١٤٥، انظر مثالاً آخر ص ٥٨١.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٦، انظر، أمثلة أخرى، فى ص ٢٢٣، ٤٩٦، ٥٥٠.

(٣) الرسالة، ص ١٤٢. انظر مثالين آخرين فى ص ٢٧٩، ١٦٧.

«أبو الهندى» (شاعر مشهور أدرك الدولتين واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس. كما يذكر أبو العلاء فى ص١٤٣).

(٤) الرسالة، ص ١٨٥.

(٥) الرسالة، ص ٢٠١.

يلاحظ أن التركيب الثانى جاء اسميًّا.

ثالثًا: الجمل المركبة التى ربطت بين بعض تراكيبها أداة وبين بعضها الآخر الربط السياقى.

أمثلة هذا النوع قليلة جدًّا، ومنها قول أبى العلاء:

- «وإنَّمَا هِىَ مقاديرُ يُديرُهَا فى العلُوِّ مديرٌ يَظْفرُ بِهَا مَنْ وُفِّقَ / و لا يُرَاع بالمجتهد أن يُخْفِق»[1]
- «وإذا هو بحياتٍ يَلْعَبْنَ / و / يَتَماقَلْنَ يخافقن / و / يَتَثَاقَلْن»[2].

بعد إيراد هذه النماذج للجمل الفعلية المركبة الواقعة نعتًا ننتقل إلى دراسة الجمل التركيبية.

النوع الثالث:

الجمل الفعلية التركيبية التى جاءت نعتًا منفردًا:

- جمل هذا النوع قليلة، تبلغ ثلاث عشرة جملة، وقد جاءت أداة الربط التركيبية فيها إما «لو» وإما «إذا» وفيما يلى أمثلة لكل منها.

(أ) «لو»:

«فيَجْرعان من ذَلك المِحْلَبِ جُرَعًا لَوْ فُرِّقتْ علَى أهل سقرَ لَفازُوا بالخُلْد شَرَعًا»[3]

«... إلَّا وَقَّعَ مسرَّةً لو عُدِلَتْ بمَسَرَّاتٍ أهل العاجلةِ، منذُ خَلَقَ اللهُ آدمَ إلى أنْ طَوَى ذُرِيتَه من الأرض، لكانت الزائدةَ على ذَلك زيادة اللَّج المتموِّج على دَمْعةِ الطفل، والهَضْب الشامخِ على الهَبَاءَةِ المنتفِضَةِ من الكفل»[4]

---

(١) الرسالة، ص ٤١٩، انظر، مثالين آخرين، فى ص١٤٠، ٥٤٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٠٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٤٥.

لقد أوردنا هذا المثال الأخير لنعطى صورة على بعض الجمل التى تطول كثيرًا، لما تضمه من تراكيب داخلية مثل:

الجملة المضافة إلى «منذ»:

«خَلَقَ اللهُ آدم»

ومثل الجملة المؤولة بمصدر:

«أنْ طَوَى اللهُ الأرضَ»

وكذلك طالت الجملة، بوجود معطوفات ذات نعت مفرد لمناسبة الفواصل، وجار ومجرور اقتضاهما تعادل العبارتين:

«زيادة اللجِّ المتَموِّج على دَمْعَةِ الطفل»

«والهضب الشامخِ على الهَبَاءَةِ المتنفضة من الكفل»[1].

فى أمثلة هذا النوع يوجد رابط آخر بالإضافة إلى «لو»، هو «لام» واقعة فى جواب الشرط أى داخلة على التركيب الثانى.

(ب) «إذا»:

«... ونَائم إذَا أَحَسَّ بِالمؤْلِم أَلِم»[2]

هناك نوع آخر من الجمل الفعلية الواقعة نعتًا هو:

جملتان إحداهما بسيطة والثانية تركيبية، وأداة الربط التركيبية فيها هى «لو» مثل:

«وَاهًا لِذَلِك عَسَلاً، لم يَكُن بالنار مُبْسَلاً، لَوْ جعله الشاربُ المحرورُ غذاءَه طولَ الأبَدِ مَا قُدِرَ له عارضُ مُومٍ ولا لَبِسَ ثَوب المحموم»[3].

---

(١) الرسالة، انظر، أمثلة أخرى من هذا النوع، فى ص١٦٨، ٢١٣، ٣٩٨.

(٢) الرسالة، ص ٣٩٧.

(٣) الرسالة، ص ١٥٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٤٩، ١٦٧.

المبسل: المطبوخ.

جملتان إحداهما مركبة والثانية تركيبية، والرابط بين تركيبى الجملة المركبة هو «الواو»، وأداة الربط فى الجملة التركيبية هى «مَنْ»، كقوله :

«وتَجْرِى فى أصول ذلِكَ الشجرِ أنهارٌ تُخْتَلَجُ من ماءِ الحيوان، والكوثرُ يمدهَا فى كل أَوَانٍ، مَنْ شربَ مِنها النغْبَةَ فلا موتَ، قد أمن هنالك الفَوْتَ»[1].

الخلاصــة :

من خلال هذا التحليل لأحوال الجمل الفعلية الواقعة نعتًا نستخلص ما يلى :

١ - أن أبا العلاء، حقًّا، ذو نفس تركيبى طويل، حيث أن الجملة الواقعة نعتًا هى فى الواقع تركيب غير مستقل داخل الجملة، ورغم ذلك فهى تتنوع ما بين بسيطة، ومركبة، وتركيبية، وفى كل نوع من هذه الجمل لا يكتفى أبو العلاء كما رأينا بركنى الإسناد الأساسيين : المسند والمسند إليه، بل، غالبًا ما تحتوى الجملة على مكملات وقيود مختلفة، من جار ومجرور، ومضاف إليه، ونعت، وحال، ومعطوف. . .

٢ - يميل أبو العلاء فى جمله المركبة إلى الربط بأداة، وأغلب تلك الروابط هى «الواو» وتليها الفاء.

٣ - أكثر أدوات الربط التركيبية شيوعًا فى الجمل الفعلية التركيبية الواقعة نعتًا هى «لو» و «اللام».

٤ - قد تحتوى الجمل المركبة على تركيبين مختلفين أحدهما فعلى والآخر اسمى.

٥ - لا يكتفى أبو العلاء - أحيانًا - بالنعت جملة واحدة بل يتعداها إلى جملتين أو أكثر.

تلك هى بعض الملاحظات التى استخلصناها من دراسة الصنف الأول من صنفى الجمل الواقعة نعتًا منفردًا. وننتقل الآن إلى دراسة الصنف الثانى، وهى الجمل الاسمية.

---

(١) الرسالة، ص ١٤١، انظر مثالا آخر فى ص ١٢٩. النغبة : الجرعة.

الجمل الاسمية الواقعة نعتًا

أشرنا فيما سبق إلى أن عدد الجمل الاسمية الواقعة نعتًا فى رسالة الغفران أقل بكثير من عدد الجمل الفعلية، فهى تبلغ ٦٠ جملة. وسنقف عندها لنعطى نظرة عن تراكيبها ونظام الكلمات داخلها.

يمكن على أساس البناء الداخلى تقسيم جمل هذا الصنف إلى: جمل بسيطة، جمل مركبة، جمل تركيبية.

النوع الأول:

الجمل البسيطة:

تتألف الجمل الاسمية عمومًا من مبتدأ وخبر، ومما هو مقرر فى قواعد اللغة أن الخبر كما يجىء مفردًا يجىء جملة أو شبه جملة، وأن رتبته فى الجملة غير محفوظة إذ يجوز أن يتقدم على المبتدأ متى أمن اللبس، بل فى بعض الأحوال يجب أن يتقدم عليه. كما إذا كان المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة أو ظرفًا.

ومن الجمل الاسمية ما يدخل عليه ناسخ، فيحول المبتدأ فيه إلى «اسم» للناسخ ويصبح الخبر خبرًا له.

فماذا نجد عند أبى العلاء؟ من الجمل البسيطة:

١ - ما جاءت خالية من النواسخ.

٢ - ما جاء بها ناسخ من أخوات كان.

١ - الجمل الاسمية البسيطة الخالية من النواسخ:

تتنوع أحوال الخبر، فيها ما بين مفرد، وجملة، وشبه جملة.

(أ) الخبر المفرد.

وقد جاءت أمثلة هذا الصنف على الأشكال الآتية : المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند + تمييز.

«ولو كَانَ الإِنْسَانُ فى قَليبٍ عمقُه ثمانون قامةً لَجَازَ أن تَسْتَنْقِذَهُ»[1]

المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند + مضاف إليه، مثل :

«فيقولُ أَجل إذَا خُفِّفَتْ صارتْ على حرفَيْنِ أحدُهما حرفُ عِلَّة»[2].

أداة نفى + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير) + المسند، مثل :

«... على أن الصوفيّةَ تُعَظِّمُه مِنهم طائفةٌ مَا هِى لأَمره شَائِفة»[3].

(ب) الخبر الجملة :

كثيرًا ما تأتى الجملة الواقعة خبرًا فعلية على الشكل التالى :

المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند [المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جملة فعلية سدت مسد المفعول به (أن + المسند إليه (ضمير مستتر) + المسند + صفة المسند)].

مثل :

«وحدَّثنى مَنْ سافَر إلى تلك الناحيةِ، أَنَّ بِه اليومَ جماعةً، كلهم يزعم أَنه القائمُ المنتظرُ»[4].

---

(١) الرسالة، ص ٥٧١.

(٢) الرسالة، ص ٣١٨.

(٣) الرسالة، ص ٤٦٣.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٢.

ملاحظة :

في المثال الأخير نجد الضمير في قول أبي العلاء : « به » لا يعود على متأخر مذكور، وإنما يعود على متقدم عليه وهو « اليمن » في قوله : « ومازال « اليمن » منذ كان، معدِنًا للمُتكسبينَ بالتدينِ، والمُحتالين على السحتِ بالتَّزَين. وحدَّثني مَن سافرَ إلى تلك الناحية أن بِه اليومَ جماعةً. . . »[1]

فإذا نحن أعدنا الضمير على « الناحية » اختلت المطابقة بين الضمير، وما يعود عليه، فلو كان معاده « الناحية » لكان حقه التأنيث، أي لا ستعمل ضمير الغائبة المفردة « ها ».

(جـ) الخبر شبه جملة مقدمًا على المبتدأ، كما يلي :

المسند (جار ومجرور) + المسند إليه.

« وكان يحضُر مع نَدَاماه وبين يَدَيْه خُرْدَاذِيٌّ فيه مطبخةٌ »[2]

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + أداة عطف + اسم معطوف على المسند + نعت مفرد (المنعوت هو الاسم المعطوف على المبتدأ).

- « وكَان في ذلك العصرِ رجلٌ له أصدقاءُ من الشيعةِ وصديقٌ زنديقٌ »[3]

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه (اسم موصول) + صلة الموصول (جملة فعلية).

« وكانت لَهُ قُرعة فيها أشعار كَنَحو مَا يَكُون في القُرَعِ »[4].

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + جار ومجرور (صفة للمجرور) :

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٢.

(٢) الرسالة، ص ٥٢٥.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٣.

(٤) الرسالة، ص ٥٨٠.

«وقد شاهدتُ عندَ أبي أحمدَ عبدِ السلام بن الحسين [. . .] كُتُبًا عليها سمَاعُ لِرَجل من أَهلِ حَلب»(١)

٢ - الجمل الاسمية البسيطة التى دخل عليها ناسخ: يبلغ عددها تسعة عشر، وجل أفعالها الناسخة هى «ليس» مثل:

- «فإنَّ لَهُ عِنْدِى يدًا ليست لغَيْره مِن وَلدِ آدمَ»(٢).

- «والشر يزيدُ عليه بأجزاءٍ ليست بالمحصَاة»(٣)

ويلاحظ أنه كثيرًا ما يأتى خبر ليس مقترنًا بالباء الزائدة.

النوع الثانى:

الجمل الاسمية المركبة:

كل الجمل الاسمية المركبة التى جاءت نعتًا تتكون من تركيبين مستقلين فقط. وغالبًا ما يتمَ الربط بينهما بأداة العطف «الواو» نحو:

- «كيف يُرْكَنُ إلى حيةٍ شَرفُها السمُّ / و / لَهَا بالفتكَةِ هَمٌّ»(٤)

- «فإذَا أنا برجُل عليه نوريتَلالأ / وَ / حَوالَيه رجال تأتَلِقُ منهم أنوار»(٥)

- يلاحظ فى المثال الأخير أنه بالتركيبين الواقعين صفة لِـ«رجل» نعت داخلى للمسند إليه فى كل منهما:

«نورٌ يتلألأ».

«رجال تأتَلقُ منهم أنوارٌ».

هكذا تطول عند أبى العلاء الجمل بتداخل أنواع التراكيب فيها.

---

(١) الرسالة، ص ٥٢٩.

(٢) الرسالة، ص ٣١٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٧٧، وانظر أمثلة أخرى فى ص ١٣٠، ١٣١، ٢٤٦، ٣٧٣، ٤٠٣، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٩٨.

(٤) الرسالة، ص ٣٧١.

(٥) الرسالة، ص ٢٥٢.

تلك هى أحوال النعوت الواقعة جملة اسمية، وقبل أن ننتقل إلى القسم الثانى للحديث عن النعت بمفرد وجملة نعطى خلاصة ما تقدم.

الخلاصـــة :

من خلال التحليل الذى بسطناه لأحوال الجمل الفعلية والجمل الاسمية الواقعة نعتًا فى الغفران نستخلص ما يلى :

١ - ميل أبى العلاء إلى الجمل الفعلية، إذ يبلغ عددها ٢٥٠ جملة فى حين لا يتعدى عدد الجمل الاسمية ٦٠ جملة.

٢ - تشتمل جلُّ الجمل، بالإضافة إلى المسند والمسند إليه على قيد أو قيود، مختلفة من مضاف إليه ونعت وحال وتمييز وغيرها.

٣ - من الجمل الفعلية ما جاء بسيطًا، ومنها ما جاء مركبًا أو تركيبياً، أما الجمل الاسمية فلم تأت إلا بسيطة أو مركبة.

القسم الثانى
النعت المفرد والجملة

إن عدد مرات ورود النعت يجمع بين المفرد والجملة يبلغ ٣٨ مرة، وهى من حيث موضع المفرد من الجملة تنقسم إلى:

- ما تقدم فيه النعت المفرد على النعت الجملة.
- ما تقدم فيه النعت الجملة على النعت المفرد.

وسنعمل على دراسة صيغ المفردات ونظام تركيب الجمل ونوعها فى كل منها.

النوع الأول:

ما تقدم فيه النعت المفرد على النعت الجملة:

تنقسم الجمل إلى فعلية واسمية، وعلى أساس البناء الداخلى للجملة يمكن أن نقسم كلا منها إلى:

بسيطة، ومركبة، وتركيبية.

أولاً: مفرد + جملة فعلية.

مفرد + جملة فعلية بسيطة.

من الجمل الفعلية هذه ما جاء بسيطًا والفعل فيه لازما، ومنها ما جاء فيه الفعل متعديا.

١ - الجمل البسيطة ذات الفعل اللازم، تحتوى هذه الجمل بالإضافة إلى المسند والمسند إليه على جار ومجرور، أو مضاف إليه، أو هما معاً، وذلك حسب الأشكال التالية:

(أ) أداة نفى + المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور.

مثل :

« وهذَا قولٌ ينتقضُ ، لأن فى هذه (الطائية) أبياتًا كثيرةً لا تخلو من زِحَاف »[١].

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن « فَعِيل » (مؤنثة) : كثير، كثيرة.

(ب) أداة نفى + المسند + جار ومجرور + المسند إليه.

مثل :

« ولقد أرَانِى فى دارِ الشِّقوَةِ أجهدُ أخلاف شياهٍ لجباتٍ لا يمتلئ منهنَّ القَعْبُ »[٢].
(القعب : القدح الغليظ).

صيغة النعت المفرد صفة مشبهة على وزن « فَعِل » (مجموعة جمع مؤنث سالم).
لجب، لجبات.

(جـ) المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إليه.

مثال :

« فيصِرْن جَوارِىَ كَواعِبَ يَرفُلْنَ فِى وَشى الجنَّة »[٣].

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن « فَاعل » (مجموعة جمع تكسير).
كاعب، كواعب.

(د) المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إلى المجرور + نعت للمضاف (اسم موصول صلته جملة فعلية [فعل ناسخ + اسمه (ضمير مستتر) + حرف جر زائد + الخبر].

---

(١) الرسالة، ص ٣٦٩.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٠، انظر، أمثلة أخرى من هذا النوع، فى ص ٢٥١، ٣٩٠، ٤١٣، ٥٢٨.

(٣) الرسالة، ص ٢١٢.

مثل :

«وقد جَاءتْ عن النبىِّ ﷺ أخبار كثيرة تدلُّ على كَراهةِ الاسمِ الذِى ليسَ بِحَسَن»[١].

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن «فَعِيل» (مؤنثة) كثير، كثيرة.

٢ - الجمل البسيطة ذات الفعل المتعدى.

فى هذه الجمل، إما أن يتقدم المفعول على الفاعل وإما أن يتأخر وسنأتى لكل نوع بأمثلة.

(أ) الجمل التى حافظ فيها المفعول به على رتبته.

جاءت جل جمل هذا الصنف على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه (ضمير متصل) + المفعول الأول + مضاف إليه + مضاف إليه (ضمير متصل) + جملة فعلية سدت مسد المفعول الثانى.

«ولا ملَّةَ إلا ولهَا قَوْمٌ ملحِدُون يرون أصحابَ شرعهم أنَّهم مُوَالِفون»[٢].

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل من الرباعى (مجموعة جمع مذكر سالم) : ملحد، ملحدون.

«أنَّهُ كانَ وهو شابٌّ له امرأة مُقِينَةٌ تُزيِّنُ النساءَ فى الأعراسِ»[٣].

صيغة النعت المفرد، اسم فاعل من الرباعى (مؤنث).

قَيَّنَ : مُقَيِّن.

نجد من أمثلة الأفعال المتعدية هاته، ما جاء فيها الفعل مبنيًّا للمجهول مثل :

«فتركتُه وانصرفتُ بأملى إلى خَازنٍ آخر يُقال لَهُ زفَر»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٤٧٨، انظر مثالاً آخر، فى ص ١٧٧.

(٢) الرسالة، ص ٤٢٩.

(٣) الرسالة، ص ٥٨٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٥١، انظر مثالاً آخر فى ص ٥٢٨.

تتكرر أمثلة هذا الصنف خمس مرات[1].

(ب) الجمل التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل:

إن نظام كلمات الجمل، غالباً، على الشكل الذى يلى:

المسند + المفعول به (ضمير متصل للغائب) + المسند إليه + مضاف إليه.

مثل:

«وما عَلِمتُ أنَّهُ جاءَ عنِ الفُصحاءِ هذَا الوزنُ مُقَيَّدًا إلاَّ فى بيتٍ واحدٍ يَتَداولهُ رواةُ اللغة»[2].

«وهى لغةٌ رديئةٌ يستعملُها أهلُ اليمن»[3].

صيغة النعت المفرد: صفة مشبهة على وزن فَعِيل (مؤنثة): ردىء، رديئة.

مفرد + جملة فعلية مركبة.

تتألف الجمل هنا من تركيبين مستقلين فأكثر. ويمكن على أساس عدد التراكيب المستقلة التى تدخل فى تكوين جملة النعت أن نقسم هذا النوع إلى قسمين، ما جاء جملة تتألف من تركيبين، وما جاء جملة تتألف من ثلاثة تراكيب.

وسنعطى نماذج لكل منهما:

١ - الجمل المؤلفة من تركيبين:

ترتبط تراكيب الجمل فيما بينها بأداة «الفاء» على الشكل التالى:

تركيب مستقل + الفاء + تركيب مستقل

المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إلى المجرور + الأداة + المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + حال مفرد من المسند إليه.

---

(١) انظر أمثلة أخرى فى ص ٢٥٥، ٢٥٩، ٣٨٤، ٣٩٢، ٥٠٠.

(٢) الرسالة، ص ١٨٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٠١.

«وما يُؤمِنُنى إذَا ركبتُ طِرفًا زَعِلًا رَتع فى رياض الجنة فآضَ من الأشَرِ مُستسعِلًا»[١].

صيغة النعت المفرد: صفة مشبهة على وزن فَعِل: زَعِل.

٢ - الجمل المؤلفة من ثلاثة تراكيب مستقلة.

أمثلة هذا الشكل قليلة جدًّا وفى مثال منها يتم الربط بين تراكيبه المستقلة الثلاثة بأداة عطف (الواو) وذلك فى قول أبى العلاء:

«... أنهار من عسل مُصَفًّى ما كَسبته النحلُ الغَاديةُ إلى الأنوَار، / و/لاَ هو فى مُوم متوارٍ / و / لكن قال لَهُ العزيزُ القادرُ: كنْ فَكانَ»[٢].

صيغة النعت المفرد، اسم مفعول من فعل زائد على ثلاثة:

صَفَّى، مُصَفًّى.

نلاحظ بهذا المثال ما يلى:

التركيب المستقل الثانى اسمى يتكون من مبتدأ وخبر.

نجد بالتركيب الأول والثالث نعتًا مفردًا داخليًّا، وفى كليهما جاء نعتًا للمسند إليه، وصيغة النعتين معًا اسم فاعل:

ففى التركيب الأول جاء «الغادية» نعتًا «للنحل».

وفى «الثالث» «القادر» نعتًا «للعزيز».

ثانيًا: مفرد + جملة فعلية تركيبية.

تتألف الجملة فى هذا النوع من تركيب غير مستقل وآخر مستقل وأداة الربط

---

(١) الرسالة، ص ١٩٥، انظر، أمثلة أخرى، فى ص ٣٧٦، ٤٥٨.

- الزِعلُ: النشيط.

- الأشَر: اشير، كفرح بطَر ومرح.

- استسعل: صار صَخِباً.

(٢) الرسالة، ص ١٥٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ٤٦٦. الموم: الشمع.

التركيبية التى تربطها هى «إن» الشرطية. وتأتى هذه الجملة التركيبية نعتًا ثالثًا لمنعوت بمفرد وبجملة بسيطة فعلية، وهذا نجده فى قوله:

«والشعر كلامٌ مَوْزونٌ تَقْبلُه الغريزةُ علَى شرائطَ، إنْ زَاد أوْ نَقَص أبانَهُ الحِسُّ»[١].

بعد تفصيل القول فى النعت بمفرد وجملة فعلية، ننتقل إلى الحديث عن النعت بمفرد وجملة اسمية.

ثالثًا: مفرد + جملة اسمية.

من الجمل الاسمية الواقعة نعتًا مع نعت مفرد، ما جاء مكونًا من مبتدأ وخبر، ومنها ما دخل عليه ناسخ، وسنورد لكل نوع منها أمثلة.

١ - الجمل المكونة من مبتدأ وخبر:

جمل هذا النوع قليلة جدًّا، وهى من حيث بناؤها الداخلى جميعها بسيطة، وتترتب الكلمات داخلها كالتالى:

(أ) المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + شبه جملة (ظرف ومضاف إليه) + جملة معترضة + المسند.

وذلك فى قوله:

«وفِى تِلكَ السُّطُورِ كَلِم كثيرٌ كلهُّ عندَ البارِى - تقدس - أثيرٌ»[٢].

صيغة النعت المفرد فى هذا المثال، صفة مشبهة على وزن «فعيل»: كثير.

(ب) المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + المسند (جملة فعلية) + فعل ناسخ + المسند إليه (ضمير مستتر) + حرف جر زائد + الخبر.

---

(١) الرسالة، ص ٢٥١.

(٢) الرسالة، ص ١٤٠.

مثل :

«وعندهُ شجرة قميئةٌ ثَمرُها لَيسَ بزاكٍ»[١].

صيغة النعت المفرد صفة مشبهة على وزن فعيل (مؤنث : قَمِيء : قَمِيئة.

٢ - الجمل الاسمية التى دخل عليها ناسخ :

تتكرر جمل هذا النوع مرات كثيرة، وقد جاء نظام كلمات بعضها على الشكل الآتى :

الفعل الناسخ + الخبر (شبه جملة، جار ومجرور) + الاسم + مضاف إليه.

وذلك كقوله :

«لو شفعتْ لأحدٍ أبياتٌ صادقةٌ ليسَ فيها ذكرُ الله سبحانَه لَشفعتْ لكَ أبْيَاتُك»[٢].

صيغة النعت المفرد، اسم فاعل من الفعل الثلاثى مؤنث : صادق، صادقة.

«فَيمشُون قليلاً، فَإذا هم بأبياتٍ ثلاَثة ليسَ فى الجنةِ نظيرها بهاءً وحُسْنًا»[٣].

صيغة النعت المفرد : عدد، ثلاثة.

«وإنَّما أفْرَقُ من وُقوعِ هذه الرسالةِ فى يد غُلامٍ مترعرع، ليسَ إلى الفهمِ بِمتسرِّع»[٤].

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل من الفعل الخماسى : ترعرع : مترعرع.

«ولَمْ تَكُنْ [الدنانير] كَذَهبٍ مَخزون صارَ إلى الخمارةِ معَ الموزُون»[٥]

صيغة النعت المفرد : اسم مفعول من الفعل الثلاثى :

(١) الرسالة، ص ٣٠٧.

(٢) الرسالة، ص ٣٢٨.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٦.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٢.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٠، انظر مثالاً آخر، فى ص ٥٦٦.

خزن، مخزون.

ومن الأمثلة ما نجد به حرفًا مشبهًا بـ«ليس» مثل :

«ويعْمَدُ لِعلجٍ وحشيٍّ ما التلفُ عندَهُ بمخْشيّ»[١].

صيغة النعت المفرد : اسم منسوب : وحش، وحشي.

ومن الأمثلة ما نجد به أحد أخوات «إن» :

«ويحضُرُ المجالسَ أناسٌ طاغون كأنَّهُم للرشَدِ باغُون»[٢].

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل (فى صيغة الجمع) : طاغ.

لم يكتف أبو العلاء فى بعض الأحيان، بالنعت المفرد مع الجملة، بل رأيناه يأتى بنعتين مفردين تتلوهما جملة. وكما جاءت الجملة فعلية بسيطة جاءت اسمية مركبة من تركيب اسمى وآخر فعلى، أو تركيبية، وسنسوق لكل منها أمثلة :

(أ) مفرد + مفرد + جملة فعلية بسيطة.

نظام كلمات الجملة الفعلية على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير) + المفعول به + مضاف إليه (اسم ظاهر).

ومنه قول أبى العلاء :

«فتخرجُ منها جاريةٌ حَوْراءُ عَيناءُ تبْرَقُ لحسنها حوريّات الجِنان»[٣].

صيغة النعتين المفردين : صفة مشبهة على وزن «فعلاء» (للمؤنث)

أحور : حوراء.

أعين : عَيناء.

---

(١) الرسالة، ص ١٩٨.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٥.

(٣) الرسالة، ص ٢٨٨.

(ب) مفرد + مفرد + جملة فعلية مركبة.

الرابط بين تركيبى الجملة هو السياق على الشكل التالى:

[المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + المسند + مضاف إليه (اسم إشارة) + بدل] + [قد + المسند + نائب الفاعل (ضمير مستتر) + جار ومجرور].

كقوله:

«وأنشدَنِي بعضُهم أبياتًا قافيةً طويلةَ الوزن / و / قافيتها مثلُ هذه القافية قد نُسِبَتْ إلَى عَضُدِ الدولةِ»[1].

صيغة النعت المفرد الأول اسم منسوب:

قاف، قافية.

وصيغة الثانى، صفة مشبهة على وزن «فعيل» (مؤنث): طويل: طويلة.

النوع الثانى:

ما تقدم فيه النعت الجملة على النعت المفرد:

رأينا فى نعوت القسم الثانى هذا، أن أبا العلاء يجمع بين النعت المفرد والنعت الجملة للمنعوت الواحد، فيأتى بالنعت المفرد أولاً، ثم بالنعت الجملة ثانيًا، مرتبة حسب الأشكال التى سقناها سابقًا، وتتلخص فى:

المنعوت + النعت المفرد (أو النعتين المفردين) + النعت الجملة. وهذا الترتيب يسير طبقًا لما تنص عليه قواعد اللغة، وما يقرره النحاة، إذ ينصون على أن الأغلب فى حالة تعدد النعوت مع اختلافها، أن يتقدم النعت المفرد على شبه الجملة، وشبه الجملة على الجملة، أى أن المفرد يتقدم شبه الجملة والجملة معًا. ويستشهدون لذلك بآية اجتمعت بها أنواع النعت الثلاثة وهى قوله تعالى:

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٩.

﴿وقال رجلٌ مؤمنٌ منْ آلِ فرعونَ يَكتم إيمانَه أتقتلون رجلاً أن يقول ربِّى الله﴾[1].

بيد أننا نجد أبا العلاء أحيانًا، يقدم النعت الجملة على النعت المفرد، على الشكل التالى :

المنعوت + النعت الجملة + النعت المفرد.

وذلك كقوله :

«ولم تَكُنْ صَاحِبَ مثل مذكورٍ، ولا لَفْظٍ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٍ»[2].

«فَتَلْعَبُ فيها أسماكٌ هى على صُوَرِ السَّمكِ بحريَّة ونهرية وما يسكنُ منه فى العيونِ النبعيةِ»[3].

وهناك أمثلة أخرى يتقدم فيها النعت شبه جملة على النعت المفرد، مثل قول أبى العلاء :

- «وثوبًا من الدعَةِ ضَافياً»[4].
- «وإنَّما كانت تَخْطِر بهم أطَيفَالٌ مِنَّا عَارِمُون»[5].
- «والحوف أزَيِّرٌ من أدَمٍ مشَقَّقُ الأطرافِ السافلة تتزر به الجارية وهى صغيرةٌ»[6].

ونعثر بالرسالة على مثال اجتمعت فيه أنواع النعوت الثلاثة، وقد تقدم شبه الجملة على الجملة الفعلية التى تقدمت بدورها على نعت مفرد وآخر جملة فعلية وهو قوله :

---

(١) سورة غافر الآية ٢٨.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٥.

(٣) الرسالة، ص ١٦٨٢.

(٤) الرسالة، ص ٥٧٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٩١.

(٦) الرسالة، ٤٩٦ انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف فى ص١٤١، ٢٥٨، ٣٠٨، ٣٦٩، ٤٢٤، ٤٣٩.

«فَينشِئُ الله [. . .] سحابةً كأحسن ما يكُونُ من السُّحُب مَنْ نَظَرَ إليْهَا شَهِدَ أنَّه لَمْ يرَ قَطّ شيئاً أحْسنَ مِنْهَا محلاةً بالبَرقِ في وَسطِها وأطْرَافِها تمْطرُ بِمَاءِ ورْد الجنة من طَلٍ وطشٍ وتَنْشُرُ حَصَى الكَافورِ كَأنَّه صِغَارُ البرَد».

فهل نعد استعماله هذا خروجًا عن القياس؟ لا. إنه ليس خروجًا عن القياس. فهذا النوع من التقدم - وإن كان نادراً - فصيح لوروده فى القرآن، وذلك فى قوله تعالى:

﴿هذا كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ﴾[1].

فأبو العلاء لم يخالف الكثرة الشائعة، وإنَّ الأمثلةَ التى جاء فيها النعت المفرد متَأخرًا عن النعت الجملة أو شبه الجملة، قليلة جدًّا.

الخلاصــة:

من التحليل الذى قمنا به للجمل الواقعة نعتًا فى الرسالة سواء وحدها أو مع نعت آخر مفرد، يبدو لنا أن أغلب الجمل الوصفية جاءت فعلية بسيطة ومركبة وتركيبية، وأغلب أنواع الأدوات المستعملة فى الجمل المركبة هى «الواو». أما أدوات الربط التركيبية فأكثرها انتشارًا فى الجمل التى وقعت نعتًا هى «لو».

أما النعوت المفردة التى جاءت معها فقد تنوعت صيغها، ما بين اسم فاعل، واسم مفعول ونسب وعدد وصفة مشبهة. وأكثر الصيغ استعمالاً عند أبى العلاء فى هذه النعوت هى الصفة المشبهة. ففى الأمثلة التى سقناها كنماذج فى هذا القسم نجد ٥٠٪ من صيغ المفردات جاءت صفة مشبهة موزعة على الأوزان التالية:

فَعْل - فَعِيل - فَاعل - فَعْلاء - فَعِل.

فلعل أبا العلاء وهو يصف حور الجنة وأوانيها كان يصف بما هو ثابت دائم، لن يتغير على الدوام فالجنة هى المقر الدائم كما هو الأمر بالنسبة للمقيمين فى النار.

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٢.

فلا غرابة أن يختار صاحبنا من الصيغ ما يدل على الثبوت والالتصاق الدائم، وهو الصفة المشبهة، لكن قد نكون مخطئين إذا قلنا إن أغلب صيغ النعوت المفردة فى الغفران، جاءت صفة مشبهة، لذا سنعمل فى الصفحات التالية على دراسة أحوال النعت المفرد.

النعت المفرد

تقرر القواعد النحوية أن منعوت المفرد كما يكون نكرة، يكون معرفة بشرط المطابقة بين النعت ومنعوته فى كل من التعريف والتنكير.

وعلى ضوء ذلك، وبعد عملية إحصاء وفرز، علمنا أن نسبة ورود المفرد نعتاً للمعرفة فى رسالة الغفران، أعلى بكثير من مجيئه صفة للنكرة، فلقد استعمل أبو العلاء :

٤٤٨ مرة النعت المفرد للمنعوت المعرفة.

و ١٥٥ مرة فقط للمنعوت النكرة.

ولعل لأبى العلاء العذر فى ذلك، إذ ليس للمعارف من الصفات إلا ما كان منها مفرداً، أما النكرات، فلها بالإضافة إلى النعت المفرد، مزية الاختصاص بالنعوت الواقعة جملة وشبه جملة.

وقد حاولنا الكشف عن ميل أبى العلاء فى اختياره لأنواع وصيغ النعوت المفردة، وأيها أكثر وروداً مع المنعوت النكرة، ومع نظيره المعرفة، فاستخلصنا من ذلك بعض الخصائص التى تميز الاستعمال العلائى للنعت المفرد فى الرسالة، واستطعنا أن نحصل من الجذاذات التى توفرت لدينا لأمثلة هذا الصنف، على الملاحظات التالية :

- يربى عدد النعوت المفردة على ٥٠٠ نعت، بعضها من الأسماء المشتقة العاملة (اسم الفاعل - صيغ المبالغة - الصفة المشبهة - اسم المفعول - أفعال التفضيل)، وبعضها الآخر من الأسماء المشتقة تأويلا، أى الأسماء الجامدة التى تشبه المشتق فى دلالتها على معناه (أسماء الإشارة غير المكانية - ذو المضافة - الاسم الدال على النسب قصداً - المصدر - العدد - بعض الألفاظ الجامدة المؤولة بالمشتق).

وقد شكلنا جداول إحصائية تبين نسبة ورود كل صيغة من صيغ النعت هذه، مع كل من المنعوت النكرة، ومع المنعوت المعرفة كما يلى :

الصنف الأول :

أحوال النعت المفرد مع المنعوت النكرة.

نوع النعت	العدد	شواهـد
اسم فاعل - من الفعل الثلاثى	٢٣	« فقد رَزَقها البارئُ صِيتاً شائِعاً »[١] « ثم اجتَرأَتَ على تَصْبِيرِهَا ألفًا خالصةً »[٢] « أَلَمْ تَكُونِي السَّاعَةَ إوزَّةً طائرة »[٣]
- من الزائد على ثلاثة أحرف	١٨	« فقد كان أسلم وَرَوى حديثاً مُنْفرداً »[٤] « فيقول سمعْتُ أنكم جنٌّ مؤمِنون »[٥] « ثم يضربُ سَائراً فِي الفِرْدوْس فإذا هُو بروضةٍ مُونقة »[٦]
صيغة مبالغة على وزن : - فَعُول	٥	« وكم أَعمل مِنْ مَطيةٍ أَمُون »[٧] « فصادفتُ مَلكا غَفُوراً »[٨] « وهلْ جعدةُ إلاَّ رائدةُ ظليمٍ نَفُور؟ »[٩]

---

(١) الرسالة، ص ١٩٠.

(٢) الرسالة، ص ٢١٤.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٥، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٣٩، ١٤٧، ١٦٨، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٧، ٣٢٧، ٣٥٠، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٩٢، ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٦٠، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٥٤، ٥٧٤.

(٤) الرسالة، ص ١٥٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٩٠.

(٦) الرسالة، ص ٣٦٤، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٨١، ١٨٥، ٢٩٧، ٣١٨، ٣٤١، ٣٤٤، ٤٢٣، ٤٦٩، ٤٩٦، ٥٣٦.

(٧) الرسالة، ص ١٧٢.

(٨) الرسالة، ص ١٨٣.

(٩) الرسالة، ص ٢٢٩، انظر كذلك، ص ٣٩٧، ٤٨٥.

نوع النعت	العدد	شواهــد
- فَعِل	٤	«لقَدْ رضيتَ بحقير شَقِن»[١] «ليس هُوَ كتاج المنْذِر ولكن مُندية غوىٍّ حَذِر»[٢] «وثبَ إليه وثبةَ نمِر، إلى متخلفةِ وَقيرٍ أمِر»[٣]
- فَعَّال	١	«فلمَّا خِفْتُ القتلَ صِرتُ ريحاً هفَّافة»[٤]
صفة مشبهة على وزن : - فَعِيل	٣٥	«أما علِمتُما أن آدم خَرَج مِن الجَنةِ بذنبٍ حَقِير»[٥] «وذَلك أَنِّي حُوسِبْتُ حِسَاباً شَديداً»[٦] «فيقول لَقَدْ قلت أشياءَ كثيرةً منها ما نُقِل إليكم ومنها ما لَمْ يُنْقل»[٧]
- فَعْلة (مؤنث فعل)	١	«هَا هُنا ناقةٌ صَعْبةٌ»[٨]
- فَعَل	٣	«ولِكُلٍّ وَجْهٌ حَسَنٌ»[٩]

(١) الرسالة، ص ٣٠٧ الشقن : القليل.

(٢) الرسالة، ص ٤٧١.

(٣) الرسالة، ص ٥١٩، انظر، كذلك ص ٣٤٤ - الوقير: القطيع - الأمر : الكثير

(٤) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٥) الرسالة، ص ٢٣٣

(٦) الرسالة، ص ٢٤٧، انظر كذلك : ١٦٣، ١٨٠، ٣٣١، ٣٤٢، ٣٦٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٧٥، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٣١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٨٣.

(٧) الرسالة، ص ٣٥٦

نلاحظ أن أبا العلاء استعمل ١٠ مرات اللفظة «كثير» صفة للمفرد النكرة وها هى أرقام الصفحات التى وردت فيها أمثلتها: ٢٣٧، ٢٧١، ٤٢٠، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٩٤، ٥٨٣.

(٨) رسالة الغفران، ص ٤٢٣.

(٩) رسالة الغفران، ص ٣٢٨.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
اسم المفعول		« . . . لكُنْتَ قَد أبقيت أثراً حَسَناً »[١] « يُحْسِن لها حُبًّا قَبْلاً »[٢]
- من الفعل الثلاثى	١٩	« وكَمْ علَى تِلك الأنهارِ من آنيةِ زَبَرجَد محفُور »[٣] « وقد صَارَ عَشَاهُ حَوَراً معْرُوفاً »[٤]
- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	١٦	« إن وَصَفْتُها وَصْفاً مُطْلَقاً »[٥] « لَوْ سُبِكَ رَجَزُك ورجزُ أبِيك لَمْ تَخرج منه قصيدةٌ مُستحسَنةٌ »[٦]
اسم تفضيل	٨	« فَتُقْبِلان على نَجيبينِ أَسْرَعَ من البرق اللامع »[٧] « ثم يَنْصَرِف إلى شخصٍ آخر »[٨] « ولو فَعلنَ ذلك لبَارتهُنّ البَائيات بمأْتَم أعظَمَ رَنيناً وأشدَّ فى الحِنْدِس حَنيناً »[٩]

(١) رسالة الغفران، ص ٣٣٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٨٤.

(٣) الرسالة، ص ١٤٩.

(٤) الرسالة، ص ١٧٨، ٣٧٥، انظر، الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٩٢، ٣٦٥، ٣٧٦، ٣٨٧، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٧، ٥٣٧، ٥٥٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٠٥.

(٦) الرسالة، ص ٣٧٥، انظر كذلك ص : ١٥٤، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٦٥، ٤١٠، ٤١٣، ٤٦٣، ٤٧٧، ٤٨٨، ٥٢٥، ٥١٧.

(٧) الرسالة، ص ٢٧٤.

(٨) الرسالة، ص ٣٥٧.

(٩) الرسالة ص ٤٨٥، انظر ص ٤٨٧.

نوع النعت	العدد	شواهــد
		ملاحظة : (أ) فى المثال الأخير، لم يذكر أبو العلاء، بعد اسم التفضيل المجرد من « الـ» والإضافة «من» ومجرورها المفضل عليه، لكن حذفهما سائغ عند النحاة ما داما ملحوظين فى النية والتقدير. فالمأتم الذى تقيمه «الباْئيات» أعظم من المأتم الذى تقيمه سواها، فمن والمفضل عليه بمنزلة المذكورين، إذن فلا خلل، فى ذلك بقواعد اللغة. (ب) استعمل أبو العلاء لفظ «آخر» أربع مرات[1] وصفا للمفرد النكرة، ونعلم أن أصله (أأخر) أى اسم تفضيل مجرد من أل والإضافة فيكون واجب الإفراد والتذكير مهما كانت حال المنعوت، غير أن أبا العلاء جاء به مطابقا للمنعوت فى التأْنيث، فى قوله : «وتقول حَيَّةٌ أُخْرَى»[2] لعل أبا العلاء سلك مسلك من تقدموه. فقد جاءت كذلك، فى الفصيح من كلام العرب، وكثرت تعاليل النحاة لهذا الاستعمال الخارج عن القياس، ومن جملة

(١) انظر الصفحات : ٣٥٧، ٣٦٧، ٥١١.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٧.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
		ما قالوه أن « أخرى » فى استعمالاتها المختلفة لا تدل على التفضيل، وإنما تدل على المغايرة والمخالفة فقط، وأنها لا تقع بعدها « من » الجارة للمفضل عليه، لا لفظاً ولا تقديراً، فما دامت لا تفيد التفضيل فلا ضرر أن لا تنطبق عليها أحكامه.
صفة على وزن : أفعل	٣	« فلمّا أرهقَتنى تَحولت صلًّا أرقم »[١] « والكذِب كثيرٌ جمٌّ كأنه فى النظر طُودٌ أَشَم »[٢] « وسألتُ عن ذَلِك القِطار فوجدت فيه جملا أَعْوَر »[٣]
صفة على وزن : فَعْلاء : (مؤنث أفعل)	٣	« فكان أحَدُنا إنْ شَاءَ صَارَ حَيَّةً رقْشاء »[٤] « فكأنّى أُخَاطِبُ رَكُودًا صَمَّاء »[٥]
اسم إشارة	٢	« ودَخلتُ فى قَطِيل هُناك »[٦] فى المثال الأخير اسمٍ الإشارة جاء للمكان، ونعلم أنه لا يقع نعتاً بنفسه ولكنه يتعلق بمحذوف هو النعت يقدر « بموجود » أو « كائن » ونحوهما وللاختصار نقول « الظرف نعت ».

(١) الرسالة، ص ٢٩٣.
(٢) الرسالة، ص ٤٤٨.
(٣) الرسالة، ص ٤٦٩.
(٤) الرسالة، ص ٢٩٣.
(٥) الرسالة، ص ٢٥١.
(٦) الرسالة، ص ٢٩٣.

نوع النعت	العدد	شواهـد
ذو المضافة بمعنى صاحب وفرعها ذات	٤	«أَعْطِ لَبِنَةً ذاتَ قَضَّة»[١] «لَشَهِدَ أنّها حينَ تبرزُ، أجَلُّ مِن تلك القَسَماتِ وإنْ كانت فى أَوْجُهٍ ذى سِمَات»[٢] ملاحظة : استعمال أبى العلاء لكلمة «ذى» فى المثال الأخير يثير الانتباه، فقد وقعت صفة لكلمة «أوجه» الواقعة جمعاً فى حين أن «ذى» جاءت مفردة وبذا تكون المطابقة بين النعت ومنعوته منعدمة فى هذا المثال. فما سبب ذلك؟ هل لأبى العلاء استعمال خاص لكلمة «ذى»؟ الملاحظ أنه لم يتكرر مثل هذا الاستعمال فى الرسالة، إذ جاء هذا المثال منفرداً، فقد يكون ذلك غلطاً من الناسخ، فإذا كان الأمر كذلك، لِمَ لَمْ ينتبه إليه المحققون، فهل ياترى لهم رأى خاص فى هذا الاستعمال؟
الاسم الجامد الدال على نسب قصداً	٤	«وكَيفَ لَهُ أَنْ يَجَدَّعَ بِقَضِيب هِندىّ»[٣] «.. كان له قردٌ يحمله على أتانٍ وَحشيّةٍ»[٤]
المصـدر	٢	«أُحِبُّكَ حُبًّا صَرْدًا»[٥]

(١) الرسالة، ص ٥٢٧ - القِضّة بكسر فتشديد : الحصى الصغير.

(٢) الرسالة، ص ٥٦٣.

(٣) الرسالة، ص ٤٧٤، انظر شاهدين آخرين ٢٧٢، ٥٥١.

(٤) الرسالة، ص ٤٥٤.

(٥) الرسالة، ص ٣١٢.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
عـــدد	٧	« فيه لغاتٌ ستٌّ »[١] **ملاحظة :** إن أبا العلاء جعل العدد « واحد » صفة ست مرات مذكراً، ومؤنثاً، وكلها جاءت لتأكيد الوحدة مثل قوله « وقد يجوز أنْ يكونَ سَبقك لأنكما فى عصر واحد »[٢] « والزَّمنُ كُلُّه على سجيَّة واحدةٍ »[٣]
صفة على وزن : فَعْلَليل (وزن قليل فى العربية)	١	« قبلَ أن يُلَقَّنَ كَذباً حَنْبَرِيتاً »[٤]
بعض ألفاظ جامـدة مؤولة بالمشتق :		
– مثل	٢	« لو أَنَّ للأمير « أبى المرجَّى » خازناً مثلَكَ ما وصلت أنا ولا غيرى إلى قرقوف من خزانته »[٥] « وتَمْرٌ إوزَّةٌ مثلُ البُخْتيَّةِ »[٦]
– سوى	١	« أَمْ قالَها كذلك عربىٌّ سواك »[٧]

(١) الرسالة، ص ١٦٠.
(٢) الرسالة، ص ٢٦٥.
(٣) الرسالة، ص ٣٥٩، انظر، الشواهد الباقية، بالصفحات ١٩٠، ٤٣٦، ٥٢٥، ٥٢٧
(٤) الرسالة، ص ٢٢٦.
(٥) الرسالة، ص ٢٦٢.
(٦) الرسالة، ص ٢٨٣.
(٧) الرسالة، ص ٣٢٩.

نوع النعت	العدد	شواهـد
- غير	٥	«وما اعتصِر بـ«صَرْخَدَ» أو أرض «شبام» لِكلٍّ ملك غير عبام»(١) «ولستُ آمناً فى العاقِبَة فَضِيحةً غيرَ مُصَاقِبة»(٢)

تلك هى أحوال النعت المفرد وصيغه، حينما يكون المنعوت نكرة. وسنتناول الآن دراسة الصنف الثانى من النعوت المفردة.

* * *

الصنف الثانى:

أحوال النعت المفرد مع المنعوت المعرفة.

رغبة فى تيسير العمل، وفى مزيد الوضوح، قسمنا أمثلة هذا الصنف، حسب ما يعرف المنعوت، إلى ما جاء معرفة بالأصل، سواء كان علمًا أم معرفًا بالالف واللام، وإلى ما ورد نكرة واكتسب التعريف بالإضافة إلى معرفة.

والجدول التالى يعطينا نظرة مفصلة عن أحوال النعت وصيغه مع المنعوت المعرفة العلم والمعرف «بأل»:

(١) الرسالة، ص ١٥٢، العَبام: الثقيل الغبى

(٢) الرسالة، ص ٣٩١، انظر الشواهد الباقية، فى الصفحات ٢٢٤، ٢٢٦، ٤١١.

شواهـد	العدد	نوع النعت
«ما كَسبتْهُ النحلُ الغادية إلى الأنوار»[١] «زَيَّنَتْ لِي النفسُ الكاذِبة»[٢] **ملاحظة :** (أ) استعمل أبو العلا : لفظة : «القادر» ٥ مرات، نعتًا «لله» و«للعزيز»، يقول : «ولكنْ قالَ له العزيز القادر : كُنْ فكانَ»[٣] «فينشئُ الله القادر بلطفِ حكمته»[٤] (ب) لفظة «راكد» ٤ مرات : «تعرج بها الملائكة من الأرض الراكدة إلى السماء»[٥] (جـ) صيغة اسم الفاعل من الثلاثى نعتًا للدنيا ١٧ مرة، وقد تنوعت الألفاظ ما بين «دانية»[٦] «ساخرة» «خالبة»، «ماكرة»، «عاجلة». ولم يستعمل لفظة «دنيا» فى هذه الأمثلة إلاّ مرة واحدةً «إذ كان يسميها «بالدار».	٩٢	اسم الفاعل من الفعل الثلاثى

(١) الرسالة، ص ١٥٣.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٩، ٢٧١ أرقام الصفحات التى بها الشواهد الباقية : ١٣٨، ١٤٤، ١٥٧، ١٦٨، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٧، ٣٣١، ٣٤٧، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٤، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٦٩، ٥٧٤.

(٣) الرسالة، ص ١٥٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر، كذلك، ص ٢٦٣، ٢٤٥.

(٥) الرسالة، ص ١٤٠، انظر كذلك، ١٨٩، ٤٦٦، ٤٧٢.

(٦) الرسالة، ص ١٤٣، انظر كذلك ١٨١، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٩٥.

نوع النعت	العدد	شواهـد
		(١٥ مرة) يكرر فى نعوت هذه الأمثلة بعض الألفاظ بعينها :
		* ٣ مرات لفظة «الذاهبة» «كنا فى الدَّار الذَّاهبة»[1]
		* ٣ مرات «الخادعة» : «إنى قلت بيتًا فى الدار الخَادعة»[2]
		* ٦ مرات «الفانية» : «ولكنى كنتُ فى الدار الفانية صاحبَ قَنْصٍ»[3]
		* ٩ مرات «العاجلة» : «إن أردتِ سَلامتِى فاستعملِى مَعِى قَوْلَ القائل فى الدار العَاجلة»[4]
اسم الفاعل من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	٣٤	«الاسود بنَ يعفرُ ذا المقال المطرب»[5]
		«لكانت الزائدة على ذلك زيادة اللجِّ المتموج على دمعةِ الطِّفل»[6]
		«وكيفَ يقولُ الخليل المخلص»[7]

(١) الرسالة، ص ٢٥١، انظر كذلك ٢٥٧، ٢٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٨، انظر كذلك، ١٦٤، ٢٨٠.

(٣) الرسالة، ص ١٩١، انظر كذلك، ٢١٥، ٢٨٨، ٣٣٠، ٣٣٥، ٤٦١.

(٤) الرسالة، ص ٢٦٠، انظر كذلك، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣١٠، ٣٥٥، ٣٧٢.

(٥) الرسالة، ص ١٣٤.

(٦) الرسالة، ص ٢٢٥.

(٧) الرسالة، ص ٣٨٥، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٥٢، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٨ ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٩١، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٣٤، ٥٥٦، ٥٧١، ٥٧٤.

نوع النعت	العدد	الأمثلة
– اسم مفعول : – من الفعل الثلاثى	٤٠	« والولدَان المخلدون فى ظِلال تلك الشجرِ قيام وقعود »[١] « أتشعُر أيُّها العبدُ المغفوُر له لمنْ هذا الشِّعر »[٢]
– من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	٣٢	« إنها لَتَفضُل على تلك فضل الدرةِ المختَزنةِ على الحَصاةِ الملْقاة »[٣] « خَفَّفَ الله عنكَ أيُّها الشَّابُّ المغتَصَبُ »[٤]
اسم مفعول (سماعى) على وزن فَعِيل النائبة على صيغة اسم المفعول من الثلاثى ومما زاد على الثلاثة	٣	« لأن ابليسَ اللعينَ نَفَثةُ فى إقليم العربِ »[٥] « فكيف يُطمَعُ له بالحظ المشِيد »[٦] « دونَ من نُسِب إلى القرآن البَجِيل »[٧]
عدد	١٩	« والرواية الأولى إنشادُ النحويين »[٨] **ملاحظة :** (أ) استعمل أبو العلاء ٨ مرات العدد اثنين على وزن اسم الفاعل :

(١) الرسالة، ص ١٤١.

(٢) الرسالة، ص ١٧٦، انظر، الشواهد الأخرى، فى الصفحات ١٣٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٧٦، ١٨٥، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٩٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٩٦، ٥٣٤، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٧.

(٣) الرسالة، ص ٢٢١.

(٤) الرسالة، ص ٣٥٥، انظر، الشواهد الأخرى، فى الصفحات : ١٦٥، ١٦٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٣٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٨٧، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٧، ٤٩١، ٥٤٧، ٥٥٥، ٥٧٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٥٢.

(٦) الرسالة، ص ٤١١.

(٧) الرسالة، ص ٥٦٦.

(٨) الرسالة، ص ١٤٣، انظر، الأمثلة الباقية فى الصفحات : ٢١٣، ٢٣٨، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٦٣، ٣٤٢.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
اسم الموصول :	١٠٣	- أربع مرات للمؤنث. «وقد كان بعضُ عُلماءِ الدَّولة الثانية»[١] - أربع مرات للمذكر. «ما كان يَقُولُ فى البيت الثانى»[٢] (ب) كـرر النعت بلفـظة «الأول»[٣] ٥ مرات «هلمَّ خفيف الثقيل الأول»[٤]. أكثر ما يجىء من الأسماء الموصولة نعتًا للمفرد هى «الذى» و«التى». * الذى ٤٤ مرة. «وقـد علِم الجبرُ الـذى نُسِب إليه جَبرئيل»[٥] * التى ٤٤ مرة. «ولم تكن فى النسخَة التى فى دار العلم»[٦] ومن الأسـماء الموصـولة، كذلك، ما يلى :

(١) الرسالة، ص ٣٢٠، انظر، أمثلة أخرى، فى الصفحات ٣٣٢، ٥٤٨،. ٢١٤.

(٢) الرسالة، ص ١٥٥، انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات ١٨٠، ٢١٣، ٢١٤.

(٣) الرسالة، ص ٢١٣، انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات ٢١٧، ٢٤٤، ٣٦١، ٤٢٥.

(٤) الرسالة، ص ٢١٣ انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات ٢١٧، ٢٤٤، ٣١١، ٤٢٥.

(٥) الرسالة، ص ١٢٩، انظر، أمثلة أخرى، فى الصفحات ١٣٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤١٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٧، ٥٤٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٨.

(٦) الرسالة، ص ١٤٧، انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات : ١٣٠، ١٣٩، ١٦٢، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٩٤، ٥٤٠، ٥٥٢، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٨٣.

نوع النعت	العدد	شواهــد
		* اللذان، ٨ مرات : « . . حضره الأسْوَدَانِ اللذان هُمَا الهَنَمُ والماء والحرةُ الغابرة والظلماء »[(١)] * اللتان، مرة واحدة : « ولو أنَّ القصائدَ لها علمٌ [. . .] لأَقَامتْ عليه (الممدودتان) اللتان فى أوَّلِ ديوانِه مَأْتَمًا »[(٢)]. * الذين، ٧ مرات : « نحنُ الرُّواة الذين شِئت إحضارَهم آنفا »[(٣)]
صيغ المبالغة على وزن :		
- فعَّال	٣	« تَبارك العزيزُ الوَهَّاب »[(٤)]
- فَعَّالة (مؤنث)	٣	« زَهِدْتُ فى الدُّنيا الغَرَّارَة »[(٥)] ويلاحظ أن أبا العلاء استعمل ٣ مرات صيغة فعالة نعتًا « للدنيا » بنفس اللفظة « الغرارة »
- فَعُـول	٢	« يَترُكُنِي كالطَّرِيدَةِ العَذُوب »[(٦)]. « وهوأشهرُ من الأبلقِ العَقوقِ »[(٧)].

(١) الرسالة، ص ١٣٨، انظر، الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ٤٢٤، ٤٨٢، ٥٢٤، ٥٣٧، ٤٨٤.

(٢) الرسالة، ص ٤٨٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٠٦، انظر، الأمثلة الأخرى فى الصفحات: ٢٠٩، ٢٩١، ٤٠٧، ٥٣١، ٥٦٢، ٥٧١.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٥، ٤٨١.

(٥) الرسالة، ص ٢٨٧، انظر الأمثلة الأخرى فى الصفحات: ٣٥٨، ٥٢٩.

(٦) الرسالة، ص ٣٩٢.

(٧) الرسالة، ص ٥٣٠.

الشواهـــد	العدد	نوع النعت
		اسم تفضيل على وزن :
«وأنا أعْتَلُ كَىْ ألقىَ فِى الدركِ الأسْفَلِ من النارِ»[١]. «فسأل عَنْ عَملى فَوجِدَ فى الديوان الأعظمَ»[٢].	١٠	- أفعل (مفرد مذكر)
«وذلك أن يَأخُذَ الشفَةَ العُليَا بيَدِهِ»[٣].	٢	- فُعْلى (مفرد مؤنث)
يلاحظ أن الصفة المشبهة فى جل الأمثلة جاءت نعتاً «للكتاب»، وقد تكررت لفظة «العزيز» فى ثلاثة أمثلة : «وأن البشرَ لَكَما جَاء فى الكتابِ العزيز»[٤]. وفى ٤ أمثلة وقعت الصفة المشبهة نعتاً لله : «وكنتُ مؤمناً بالله العظيم»[٥].	٢١	صفة مشبهة على وزن : - فعيل
«وهو فى هذا أحدُ الكَفرةِ لا يُحْسَب من الكِرامِ البَرَرة»[٦].	٢	- فَـاعِـل (صيغـة الجمع)
«وما بُنِى على الحروفِ الذُّلُلِ»[٧].	١	- فَعُول (صيغة الجمع)

(١) الرسالة، ص ١٧٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٠، انظر الشواهد الأخرى، فى الصفحات : ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٢، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٣١.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٢، انظر كذلك ٣١٧.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٥، انظر الأمثلة الباقية، فى الصفحات ٣٥٨، ٥٢٩.

(٥) الرسالة، ص ١٨٣.

(٦) الرسالة، ص .

(٧) الرسالة، ص ٤٨١.

نوع النعت	العدد	الشواهد
- فَعْل	٣	« وكالأرض السبخَةِ ما تَحفل . . »[١] .
- فَعَل (فى صيغة الجمع)	١	« لقد ضيَّقَ الله عَلىَّ مَرَاشفَ الحُورِ الحِسَان »[٢] .
- فَيْعَل	١	« وهـذه الكلمةُ الـطيبةُ كـأنها المعنيَّةُ بقوله »[٣] .
اسم إشارة	٤	« هذه » وردت مرتان : « أفَتَظُنُّ أن « الرباب » هذه هى التى ذكرها القائل »؟[٤] . « هذا » مرتان : « قد جاء رَجُلٌ لغوِى يعنى أبَا الطيب هذا »[٥] .
صفة على وزن فعلليل	١	« فإنهُ المَينُ الحَنْبَريتُ »[٦] . ويلاحظ أن نفس الكلمة جاءت مرة نعتاً للمعرفة ومرة نعتاً للنكرة .
لفظ جامد مؤول بالمشتق : غير	٢	« فَرُوِىَ : يَهدِى بالدالِ غير المُعْجَمة »[٧] . « ولم تكن العربُ فى الجاهليةِ تُقَدِمُ على هذه العظائِم والأمور غير النظائِم »[٨]

(١) الرسالة، ص ٣٩١، انظر الباقى فى ص ٤٠٧، ٥٦٢.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٢.
(٣) الرسالة، ص ١٤٠.
(٤) الرسالة، ص ٢٢٧ انظر مثالاً آخر، فى ص ٣٢١.
(٥) الرسالة، ص ٥٥١، انظر مثالاً آخر فى ص ٥٦٨.
(٦) الرسالة، ص ٤٥٣.
(٧) الرسالة، ص ٣٢٩.
(٨) الرسالة، ص ٤٤٠.

الشواهـد	العدد	نوع النعت
ملاحظة: نعلم أن «غير» نكرة وتظل كذلك وإن أضيفت إلى معرفة لشدة إبهامها، وإنما جاز لأبى العلاء أن يجعلها وصفاً للمعرفة فى هذين المثالين، لأن «أل» التى فى المنعوتين «الدال» و«الأمور» أل «الجنسية»، ونعلم أن المعرف الجنسى قريب من النكرة، من ثم جاز له أن يصف «بغير» هاتين الكلمتين.		
«الأسود بن يَعْفر ذا المقال المطرب»[1] «ثم تداركهم المقتدرُ ذو الجلال»[2].	٤	«ذو» المضافة بمعنى صاحب وفروعها: ذو
«وأصْبِرُ على إدلاجِ المظلمة ذات الأريز»[3].	٧	ذَات
«والنِّسْوَةُ ذواتُ التيجان يُصَرْنَ بألسِنةٍ من الوَقُود»[4].	٢	ذوَات
«وعاطَوْهُ الأكؤسَ ألاتِ التصاوِيرِ»[5].	١	ألات

٢ - أحوال النعت المفرد مع النكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف.

يبلغ عدد أمثلة هذا النوع ٧٣ مثالاً: وقد تنوعت صيغ النعت فيها تنوعًا كبيرًا كما يظهر من الجدول التالى:

(١) الرسالة، ص ١٣٣.
(٢) الرسالة، ص ٥١٠، انظر مثالين آخرين فى ص ١٩٥، ٥٦٦.
(٣) الرسالة، ص ٢٣١، انظر الباقى فى ص ١٥٢، ٣٩٣، ٥٠٣، ٥٥٧.
(٤) الرسالة، ص ٢٤٧، انظر مثالاً آخر، ١٥٠.
(٥) الرسالة، ص ٣٩٩.

نوع النعت	العدد	الشواهد
اسم الفاعل : - من الفعل الثلاثى	٨	«وغَرِقتُ فى أمواج بدعها الزاخرة»[١]. «فيقولُ، وهو يَسْمَعُ خِطَابَها الرائقَ»[٢].
- من الفعل الزائد على ثلاث أحرف	٥	«قد نَصَب لسُطورِها المُنْجيةِ من اللهب معاريجَ»[٣]. «الذى خَزَنه الله لعباده المتَّقِين»[٤].
اسم المفعول : - من الفعل الثلاثى	٣	«أن أصناف الأشْربةِ المَنْسُوبةِ إلى الدارِ الفانيةِ . . »[٥]. « . . فلا تُعْنِتُوا هذا الشيخَ فإنهُ يمُتُّ بكتابِهِ فى (القرآن) المعروف بـ(كتابِ الحجة)»[٦].
- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	٧	« . . . وما يُعْلَم أنه حَقيقىُّ التذكير ولا تأنيثُه المعتمدُ بنكير»[٧]. « . . . فَيَنْصَرِفُ إلى قصره المشِيدِ»[٨].
صيغ المبالغة على وزن : فَعُول	٢	«فقُلتُ لنفسىَ الكَذُوب»[٩].

(١) الرسالة، ص ١٤٠.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٢، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات ١٤٠، ١٦٨، ١٧٩، ٤٣٧، ٣٩٠، ٥٥٤، ٥٨١.
(٣) الرسالة، ص ١٤٠.
(٤) الرسالة، ص ٢٠٤، انظر مثالين آخرين فى ص ٤٦١، ٥٠٦.
(٥) الرسالة، ص ١٥٠.
(٦) الرسالة، ص ٢٥٥، انظر مثالاً آخر فى ص ٢٢٢.
(٧) الرسالة، ص ١٣٣.
(٨) الرسالة، ص ٣٥١، انظر أمثلة آخر فى ص ٢٢١، ٣٥٣، ٤٠٠، ٥٢١.
(٩) الرسالة، ص ٢٥٣، انظر مثالا آخر فى ص ٤٤٧.

نوع النعت	العدد	الشواهد
	٣	«فقد جَدَّدَ عَهْدَه الأوَّل بـ«قُوَيْق»[١]. «وأما حِجَجُهُ الخَمْسُ..»[٢].
ذو بمعنى صاحب	١	«عَدَّ أنَّ تَحَطُّمَ الغَضَارةِ فناءُ عيشه، ذى الغَضَارةِ»[٣].
الاسم الجامد الدال على نسب قصدًا	١	«خير من بنتِ الكرمة العَاجِليّة»[٤]. «ويسْتَشهدُون على ذلك بقصِيدته الجيمية»[٥].
صفة مشبهة على وزن : - فَعِيل	٦	«لقد شُغِلتُ عن زُبْدٍ وطَرْد النافِرَة من الزُّبْدِ بمَا وَهَبَ ربِّى الكريمُ»[٦]. «وعلى حضْرَتِه الجليلةِ سلام»[٧].
- فَعِل	١	«لعُدَّ فى تُرابها الذَّفِر كَصِيقِ المقتولِ»[٨].
اسم الموصول	٣٢	يستخدم أبو العلاء من أسماء الموصول ما يلى : الذى : ثمان مرات مثل : «إنِّى سألتُ ربى عَزَّ سلطانه ألاَّ يَحرِمنى فى الجنة تلذذًا بأدبى الذى كنت أتلذذ به فى عاجلتى»[٩]

(١) الرسالة، ص ٤٠٥، انظر مثالاً آخر فى ص ٣٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٥٣٤، انظر مثالاً آخر فى ص٣٩٣.

(٣) الرسالة، ص ٥٠٦.

(٤) الرسالة، ص ١٤٥.

(٥) الرسالة، ص ٤٠٧.

(٦) الرسالة، ص ٢٦٧ الزبد : النعام.

(٧) الرسالة، ص ٥٨٤ انظر كذلك ص ٣٠٥، ٣٣٠، ٤٤٧، ٤٩٩.

(٨) الرسالة، ص ٢٢٢ ذفر الشىء : ظهرت رائحته واشتدت، طيبة كانت أو خبيثة، فهو ذفر. الصيق الريح المنتنة من الدواب.

(٩) الرسالة، ص ٢٠١، انظر الباقى فى ص ٢٠٤، ١٦٨، ٥١٩، ٥٤٦، ٥٦٩.

نوع النعت	العدد	الشواهد
		التى : ٢١ مرة، مثل : « فشاهدت بعض الوراقينَ يسألُ عن قَافيَّةِ « عدى بن زيد » التى أولها »[١]. « فإنه فى قصيدتِك التى أوَّلُها »[٢]. يلاحظ أن الأمثلة متشابهة التركيب والبنية إذ جاء اسم الموصول « التى » وصفاً « لبيت » أو « قصيدة » منسوبة إلى ضمير المخاطب يعود على الشاعر الذى يحاوره ابن القارح. **الذين** : مرتان، مثل : « فإذا أَتَتْ الأطعِمةُ، افترَقَ غِلمانُه الذين كأنهم اللؤلؤ المكْنُون »[٣]. « لو أنه أَحَدُ لصوصِ العَرَبِ الذين رُوِيَتْ لهم الأمثالُ السائرة »[٤]. **اللواتى**، مرة واحدة : « أنتِ من حُور الجنان اللواتى خَلَقَكُنَّ الله جزاءً لِلمُتَّقِين »[٥].
اسم الإشارة	١	« ويَمضى فى نُزهتِه تلك بشابَّين يَتَحادثان »[٦].

(١) الرسالة، ص ١٤٦.
(٢) الرسالة، ص ٣٣٩، انظر الشواهد الباقية فى ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٥٣، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٣، ٥١٥، ٥٦٩.
(٣) الرسالة، ص ٢٧٢.
(٤) الرسالة، ص ٤٠٤.
(٥) الرسالة، ص ٢٨٦.
(٦) الرسالة، ص ٢٠١.

تلك هى أحوال النعت المفرد وصيغه مع المنعوت النكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف. ويمكن أن نسجل هنا أن أغلب النعوت المفردة فى هذه المجموعة جاء اسمًا موصولاً إذ يحظى بنسبة ١/٢ تقريبا (٣٢/٧٣) وأن أقلها استعمالا هو اسم الإشارة ١/٧٣ . فلم يرد إلا مرة واحدة.

* * *

لم يكتف أبو العلاء، بالنعت المفرد الواحد للمنعوت، بل نجده، أحيانًا، يخص المنعوت بـ :

١ - نعتين مفردين : (مفرد + مفرد).

٢ - ثلاثة نعوت مفردة : (مفرد + مفرد + مفرد).

٣ - نعتين أحدهما مفرد والآخر جملة، أو شبه جملة.

وقد يتقدم المفرد على الجملة أوشبه الجملة، وقد يتأخر عنهما.

فأشكال النعوت التى تقدم فيها المفرد هى :

(أ) مفرد + جملة فعلية.

(ب) مفرد + جملة اسمية.

(جـ) مفرد + شبه جملة.

وصور الجمل التى تأخر فيها النعت المفرد على النعت جملة أوشبهها هى ما يلى :

(أ) جملة فعلية + مفرد.

(ب) جملة اسمية + مفرد.

(جـ) شبه جملة + مفرد.

٤ - ثلاثة نعوت : وقد جاءت كالتالى :

(أ) النعت الأول والثانى مفردان، والثالث جملة فعلية :

مفرد + مفرد + جملة فعلية.

(ب) الأول مفرد، والآخران شبها جملة:
مفرد + شبه جملة + شبه جملة.

(جـ) الأول شبه جملة، والثانى مفرد، والثالث جملة فعلية:
شبه جملة + مفرد + جملة فعلية.

(د) الأول شبه جملة، والثانى مفرد، والثالث جملة اسمية:
شبه جملة + مفرد + جملة اسمية.

٥ - أربعة نعوت مرتبة كالتالى:

(أ) الثانى مفرد، والباقى أشباه جمل:
شبه جملة + مفرد + شبه جملة + شبه جملة.

(ب) الأول شبه جملة والثانى جملة فعلية، والثالث مفرد والرابع جملة فعلية.
شبه جملة + جملة فعلية + مفرد + جملة فعلية.

وسنعمل، الآن، على دراسة أحوال وصيغ النعوت المفردة فى هذه الأنواع بعد أن تحدثنا عن أحوال الجمل الواقعة نعتًا مع النعت المفرد للمنعوت الواحد.

١ - مفرد + مفرد. عدد شواهد النعتين المفردين للمنعوت الواحد ١٤ وقد جاءت صيغ كل من المنعوت والنعتين، كما يلى:

المنعوت	نوع النعتين	العدد	الشواهد
نكرة	اسما موصول	١	«أنشِدْنَا كَلِمَتك التى على الشِّين التى تقولُ فيها»[١]
	صفة مشبهة على وزن فعيل + اسم فاعل من الثلاثى (مؤنث).	١	«وعَلِىٌّ له سابقةٌ ومحاسنُ كثيرةٌ رائقةٌ»[٢]
نكرة	صفة مشبهة على وزن فَعِيل + غير	١	«وإنَّ فى الجنَّةِ لأَشْرِبةً كثِيرةً غيرَ الخمرِ»[٣]
معرفة	صِفة مشبهة على وزن أَفْعَل (جمع) + اسم مفعول مما زاد على ثلاثة أحرف.	١	«وكل هِبْرِزىّ من هذهِ الصفْرِ المبارَكةِ»[٤]
	اسم مفعول من الثلاثى + اسم فَاعِل مما زاد على ثلاثة.	١	«وقد ظهر فى الضيعة المعروفةِ بالنَّيْرَبِ المقاربةِ لـ«سرْمينَ» رَجُلٌ»[٥]
معرفة	اسم جامد دال على نسب قصدًا + اسم موصول.	٣	«.. كما قال «عدىُّ بنُ زيد» فى الأبيات الصاديةِ التى مضت»[٦] «.. أحق ما روِّى عنك «سِيبَويه» فى قصيدتِكَ اللاميةِ التى تمدَحُ بها عبدَ الملكِ بنَ مروَانَ»[٧]

(١) الرسالة، ص ٢٠٨.

(٢) الرسالة، ص ٤٩٤.

(٣) الرسالة، ص ٣١٠.

(٤) الرسالة، ص ٥٦٨.

(٥) الرسالة، ص ٤٩٦.

(٦) الرسالة، ص ٥٥٢.

(٧) الرسالة، ص ٢٦٢، انظر مثالا آخر فى ص ٣٥٦.

المنعوت	نوع النعتين	العدد	الشواهـــد
نكرة مضافة إلى معرفة	صفة مشبهة على وزن فعِيل + اسم موصول.	١	«فعزَّ إلهُنَا القديمُ الذى لا يُعْجِزُه تصويرُ الأمانِى وتكـوينُ الهـواجِسِ فى الظُّنونِ»[1]
	صفتان مشبهتان على وزن فَيْعِل (جمع) + فَاعل (جمع).	١	«وآله الطيبين الطاهرين وسلم»[2]
	فَعْل + فَيْعِل (كلاهما جمعا).	١	«وعـلى عِتْرتِـهِ الأَخْيَـارِ الطيبين»[3]
	فَعِيل + فَعِيل	٢	«صـيَّرهـا ربى اللطيفُ الخَبيرُ»[4]

هناك مثال آخر به نعتان مفردان، أيضًا، لكنه يتميز عن الأمثلة السابقة بكون النعت الأول قد عطف عليه مفرد آخر، قبل وُرود النعت الثانى كما يلى:

(١) الرسالة، ص ٢٧٦.
(٢) الرسالة، ص ٥٨٤.
(٣) الرسالة، ص ٢٥٧.
(٤) الرسالة، ص ٢٥٧.

الشاهد	العدد	نوع النعتين	المنعوت
«فيرويه لهم عن أَشْيَاخِ العربِ حَرَشَةِ الضبَابِ فى البِلادِ الكلدَاتِ وجُنَاةِ الكمأةِ فى مغانى البُدَاة الذين لم يأكلوا شِيرازَ الألبان ولم يجعلوا الثَّمرَ فى الثِّبان»[1]	١	اسم فاعل (جمع) + (مفرد، اسم فاعل معطوف على النعت الأول) + اسم موصول.	نكرة مضافة إلى معرفة

يلاحظ أن أغلب النعوت المفردة فى هذا النوع جاءت صفة مشبهة ١٣/٢٨ .

وأكثرها جاء مع المنعوت النكرة المضافة إلى معرفة ١٣٪ .

وفيما يلى ننتقل إلى دراسة شواهد النعوت الثلاثة المفردة للمنعوت الواحد.

٢ - مفرد + مفرد + مفرد.

لم ترد فى الرسالة ثلاثة نعوت مفردة للمنعوت الواحد، إلا مرة فقط على الصورة التالية :

الشاهد	العدد	نوع النعوت	المنعوت
«أَوْ نشرُ مُدَامٍ خَوَّارةٍ، سيَّارةٍ فى القُلَلٍ، سَوَّارَة»[2]	١	ثلاث صيغ مبالغة على وزن فَعَّال	نكرة

(١) الرسالة، ص ١٧٧.

(٢) الرسالة، ص ١٦٨. سارت الخمر فى الرأس: دارت وارتفعت فيه.

٣ - ننتقل الآن إلى الحديث عن النعتين للمنعوت الواحد، أحدهما مفرد والآخر جملة أو شبه جملة. كما قلنا سابقا، قد يتقدم فى هذه الأمثلة النعت المفرد وقد يتأخر، ويبلغ عدد أمثلة كلا الصنفين ٣٤ مثالا.

(أ) أحوال النعتين أولهما مفرد والثانى جملة فعلية:
مفرد + جملة فعلية.

له ١٨ مثالا فى رسالة الغفران، ومن الواضح أن المنعوت فى هذه الأمثلة يأتى نكرة، لأن الجمل لا تقع وصفًا إلا للنكرات:

النعت المفرد	العدد	الشواهد
اسم فاعل: - من الفعل الثلاثى	١	«لو شفعتْ لأحدٍ أبياتٌ صادقةٌ ليس فيها ذِكْرُ اللهِ سُبحانَه لشَفَعَت لك أبياتُك»[(١)]
- مما زاد على ثلاثة	٣	«وإنَّما أَفْرَقُ من وُقُوع هذه الرسالةِ فى يد غُلام مترَعْرِع ليسَ إلى الفهم بمتسرِّع»[(٢)]
اسم مفعول: - من الفعل الثلاثى	٢	«أنَّ تَغريدَه فى السَّحَرِ أشعارٌ موزونةٌ تأْذَنُ لنظيرِها المحزونةُ»[(٣)]
- مما زاد على ثلاثة	١	«ولم أترُكْ وزنًا مقيَّدًا ولا مُطْلَقًا يجوزُ أن يوسَم بـ«زُفَر» إلا وسمتُه بِه»[(٤)]
صفة مشبهة على وزن:	٢	
- فَعِل		«وما يُؤْمننى إذا ركبت طِرْفا زَعِلاً رتَع فى رياض الجنةِ فآض من الأشَرِ مُستسعِلا»[(٥)]
- فَعِيل	٢	«وهذا قولٌ يَنْتَقِضُ لأن فى هذه (الطائيَّةِ)

(١) رسالة الغفران، ص ٣٢٨.
(٢) رسالة الغفران، ص ٣٨٢ انظر، المثالين الآخرين، فى ص ١٩٨، ٤٢٩.
(٣) رسالة الغفران، ص ٣٩٠، المثال الآخر فى ص ٥٦٠.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٥١.
(٥) رسالة الغفران، ص ١٩٥ انظر المثال الآخر فى ص ٢٤٠.

النعت المفرد	العدد	الشواهـــد
(مؤنثة)		أبياتًا كثيرةً لا تخلو من زحافٍ»[١]
- فَعْلَاء	٢	«ولو سُئِل أمةً عَوراءَ، يُعَوَّضْ منها فى الآخرة بِحَوراء، لَمَا فَعَل»[٢]
(مؤنث أفعل)		
اسم تفضيل: لفظ آخر	٣	«وانصرفتُ بأَمَلِي إلى خَازن آخَرَ يُقالُ له زُفَر»[٣]
	٢	«فإذا هم بأبياتٍ ثلاثةٍ، ليس فى الجنةِ نظيرُها بهاءً وحسنًا»[٤]

(ب) النعتان أولهما مفرد، والثانى جملة اسمية:
مفرد + جملة اسمية.

وردت له ٤ شواهد.

النعت المفرد	العدد	الشواهد
اسم فاعل مِن الثلاثى	١	«ويحضُر المجالسَ أُناسٌ طَاغُون كأنَّهم للرشَدِ باغون»[٥]
صفة مشبهة على وزن فَعِيل (مؤنث)	٢	«وعندَهُ شجرةٌ قميئةٌ ثمرُها ليس بِزَاكٍ»[٦]

(١) رسالة الغفران، ص ٣٦٩ انظر المثال الآخر فى ص ٤٧٦.
(٢) رسالة الغفران، ص ٥٢٨، انظر المثال الآخر فى ص ٣٧٣.
(٣) رسالة الغفران، ص ٢٥١، انظر الأمثلة الأخرى فى ص ٢٥٥.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٦٧، انظر مثالاً آخر فى ص ٤٨٣.
(٥) رسالة الغفران، ص ٤٦٥.
(٦) رسالة الغفران، ص ٣٠٧، انظر مثالاً آخر فى ص ١٤٠.

النعت المفرد	العدد	الشواهـــد
اسم جامد دال على نسب قصدًا	١	«ويَعمِدُ لِعلجٍ وحْشيٍّ ما التَّلَفُ عِنده بمخشى»[1]

(جـ) النعتان أولهما مفرد والثانى شبه جملة :

مفرد + شبه جملة

جاءت لهذا النوع ٤ أمثلة :

النعت المفرد	العدد	الشواهـــد
صفة مشبهة على وزن :		
– فَعِيل	١	«فتحْضرُ جَماعةٌ كثيرةٌ من رجالٍ ونساء»[2]
– أفْعَل	١	«إنَّ رُوحِى قد نُقِلَتْ إلى جملٍ أعورَ فى قِطار فُلان»[3].
اسم تفضيل : لفظ آخر	١	«وحُكِىَ لِى عن رجلٍ آخرَ ممن يَقُول بالتناسِخ أنَّهُ قال»[4]

وفيما يلى الأمثلة التى تأخر فيها النعت المفرد عن الجملة أو شبه الجملة :

(أ) نعتان أولهما جملة فعلية والثانى مفرد :

جملة فعلية + مفرد

له مثال واحد فقط :

(١) رسالة الغفران، ص ١٩٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٧٢.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.

(٤) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
صفة مشبهة على وزن فَعْل	١	«ولا لفظٍ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٍ»[١]

(ب) نعتان أولهما جملة اسمية والثانى مفرد :

جملة اسمية + مفرد

وله مثال واحد فقط :

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
اسم جامد دال على نسب قصدًا	١	«فتلعبُ فيها أسماكٌ هي على صُور السَّمَكِ بحرِّية ونَهرية وما يسكُنُ منه فى العيون النَّبْعِيةِ»[٢]

(جـ) نعتان أولهما شبه جملة والثانى مفرد :

شبه جملة + مفرد

وله ٦ أمثلة :

(١) رسالة الغفران، ص ٣٧٥.

(٢) رسالة الغفران، ص ١٦٨.

النعت المفرد	العدد	الشواهد
اسم فاعل من الفعل الثلاثى	٢	« .. وثوبًا من الدعةِ ضافيًا »[١].
اسم مفعول من الفعل الثلاثى	١	«ولا يَمتنعُ أن يكون أعَدَّ له شيئًا من المطاعمِ مسمومًا »[٢].
صفة مشبهة على وزن :		
- فَاعِل (جمع)	١	« وإنَّما كانتْ تَخْطِرُ بهم أطيفال منَّا عارِمُون »[٣]
- فَعِيل (مؤنث)	١	« فإذا هو بامرأةٍ فى أقصى الجنة قريبةٌ من المطَّلع إلى النارِ»[٤].
لَفظ شبيه بالمشتق : غير	١	« وكلّ قصيدةٍ لِلْعَرَبِ غيرها على هذَا القَرِى »[٥]

من التحليل السابق نعلم أن أغلب صيغ النعت المفرد، فى شواهد النعت بمفرد وجملة أو شبه جملة للمنعوت الواحد، جاءت صفة مشبهة، إذ يبلغ عددها ١١/٣٤ .

وفيما يلى نتطرق للحديث عن شواهد النعوت الثلاثة للمنعوت الواحد.

٤ - قلنا إن أبا العلاء قد يأتى للمنعوت الواحد بثلاثة نعوت تتنوع ما بين مفرد، وجملة، وشبه جملة، مرتبة حسب الأشكال التالية :

(أ) النعتان : الأول والثانى مفردان، والثالث جملة فعلية :

مفرد + مفرد + جملة فعلية

له مثال واحد فقط :

(١) رسالة الغفران، ص ٥٧٤، انظر مثالا آخر فى ص ٣٧٧.

(٢) رسالة الغفران، ٤٢٤.

(٣) رسالة الغفران، ص ٢٩١.

(٤) رسالة الغفران، ص ٣٠٨.

(٥) رسالة الغفران، ص ٣٦٩.

النعتان المفردان	العدد	الشاهـد
صفتان مشبهتان على وزن فعلاء	١	«فتخرجُ منها جارية حوراءُ عَيْناءُ تَبْرُقُ لِحُسنِها حوريّات الجِنَان»[١]

(ب) ثلاثة نعوت، أولها مفرد، والثانى والثالث شبها جملة:

مفرد + شبه جملة + شبه جملة

له مثال واحد:

النعت المفرد	العدد	الشاهد
صفة مشبهة على وزن فَعِيل	١	«اجتمع من آل أَبى طالب خَلقٌ كثيرٌ من ذكور وإناثٍ ممن لم يَشْرَبْ خمرًا ولا عَرف قَط منكرًا»[٢].

(جـ) ثلاثة نعوت، أولها شبه جملة، وثانيها مفرد، والثالث جملة فعلية:

شبه جملة + مفرد + جملة فعلية

تردد مجىء ذلك فى ٤ شواهد:

(١) رسالة الغفران، ص ٢٨٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٥٨.

النعت المفرد	العدد	الشواهـد
اسم فاعل من الفعل الزائد على ثلاثة	٢	«وسعُدٌ من اللبن متخَرِّقات لا تُغيرُ بأَنْ تطولَ الأوقاتُ»[1].
اسم مفعول مما زاد على ثلاثة	١	«والحوف أُزيرٌ من أدم مشققُ الأطراف السافلة تتَّزِرُ به الجاريةُ وهى صغيرة»[2].
صفة مشبهة على وزن أَفْعَل	١	«ويكونُ الواسطةُ بَيْنَهُ وبينَ الناسِ خادمًا له أَسْوَدَ قد سماهُ جبريل»[3].

(د) ثلاثة نعوت، أولها شبه جملة، والثانى مفرد، والثالث جملة اسمية:

شبه جملة + مفرد + جملة اسمية

له شاهد واحد:

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
صفة مشبهة على وزن فَعِيل	١	«غُرِسَ [...] بذلك الثناءِ شجرٌ فى الجنةِ لذيذُ اجتناء كل شجرةٍ منه تأخذ ما بين المشرقِ إلى المغرب بظل غاط»[4]

ومن الملاحظ فى هذه الشواهد:

١ - أن أغلب صيغ النعوت المفردة جاءت صفة مشبهة إذ تبلغ ٧٪ من مجموع النعوت المفردة فى هذا الصنف.

(١) رسالة الغفران، ص ١٤١، انظر مثالاً آخر فى ص ٤٨٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٤٩٦.

(٣) رسالة الغفران، ص ٤٣٩.

(٤) رسالة الغفران، ص ١٤٠.

٢ - أن النعت المفرد قد تأخر عن النعت شبه الجملة فى مثالين.

وفيما يلى نسوق شواهد من الرسالة جاءت فيها أربعة نعوت للمنعوت الواحد.

(هـ) أربعة نعوت للمنعوت الواحد، جاء أحد هذه النعوت مفردًا، ورتبته بالنسبة للنعوت الأخرى كما يلى:

(أ) أربعة نعوت ثانيها مفرد، والباقى كله أشباه جمل:

شبه جملة + مفرد + شبه جملة + شبه جملة

له مثال واحد فقط:

النعت المفرد	العدد	الشاهد
صفة مشبهة على وزن: فَعِيل	١	«وأبو الطيب اللغوى [...] له كتابٌ فى (الاتباع) صغيرٌ على حروف المعجمِ فى أيدى البغداديين»[1]

(ب) أربعة نعوت، أولها شبه جملة والثانى جملة شرطية والثالث مفرد، والرابع جملة فعلية:

شبه جملة + جملة شرطية + مفرد + جملة فعلية

جاء له مثال واحد:

النعت المفرد	العدد	الشاهد
اسم مفعول من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	١	«.. سحابةً كَأَحْسَنِ ما يَكونُ من السحُبِ مَنْ نَظَر إليها شَهِد أنه لَمْ يَرَ قط شيئًا أحسَنَ مِنها مُحلاةً بالبرق فى وسَطِها وأطرافِها، تُمطر بماءِ وردِ الجنة من طلٍّ وطشٍّ وتنشُرُ حصى الكافورِ كأنهُ صِغارُ البَرَدِ»[2].

(١) رسالة الغفران، ص ٥٥٠.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٧٦.

الخلاصـــة :

من دراستنا لأحوال النعت الحقيقى وصيغه نستطيع أن نرسم جدولاً يلخص النتائج الإجمالية لصيغ النعت المفرد، سواء كان منفردا عن غيره من النعوت، أم كان مع نعت أو نعوت أخرى، وذلك مع كل من المنعوت النكرة والمنعوت المعرفة، والنكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف، وهدفنا من ذلك أن نكشف عن ميل أبى العلاء إلى نوع أو أنواع خاصة من الصيغ التى يجعلها صفات.

النعت	المنعـــوت		نكرة مضافة إلى مايكسبها التعريف	النتائج العامة
	النكرة	المعرفة		
اسم فاعل	١٢	١٢٨	١٤	١٥٤
اسم مفعول	٥	٧٧	١٠	٨٢
صفة مشبهة	١٨	٣١	١٦	٦٥
صيغة مبالغة	٣	٨	٢	١٣
اسم تفضيل	٤	١٢	٢	١٨
اسم موصول	٢	١٠٥	٣٤	١٤١
اسم إشارة	٠	٤	١	٥
عـــدد	٢	١٩	٣	٢٤
ذو المضافة	٠	١٤	١	١٥
غـــير	٢	٢	٠	٤
فعلليل	١	١	٠	٢
اسم جامد	٢	٣	٢	٧

نستنتج من الجدول السابق أن صيغة اسم الفاعل تحظى بأكبر نسبة. فعدد مرات ورودها نعتاً يزيد على ثلث مجموع النعوت المفردة (١٥٤/٥٣٠)، ويليها فى ذلك اسم الموصول (١٤١)، ثم اسم المفعول (٨٢)، فالصفة المشبهة (٦٥).

محاولة تعليل ذلك.

اسم الفاعل:

يمكن أن نَعزو كثرة ورود الصفات المفردة فى صيغة اسم الفاعل إلى طبيعة مضمونِ رسالة الغفران التى اقتضت ذلك. فأبو العلاء أكثر ما يصف من الأشياء هو الفاعل منها، يعنى المتلبس بالقيام بالفعل، ثم إنه يصفه فى لحظة تلبسه بهذا الفعل العرضى الذى قد يزول بانقضاء فترة الوصف أو بعدها بقليل، أو على الأقل يكون وصفه ذاك غير ثابت بثبوت الذات الصادر عنها.

وقد نجد مصداق قولنا هذا فى ما سقناه من شواهد النعت الواقع اسم فاعل، ويكفى أن نلقى نظرة متفحصة على تلك الشواهد لنجد مثلا:

«إوزة طائرة» و«النحل الغادية» و«النفس الكاذبة» و«الخليل المخلص» و«المقال المطريب» و«الخطاب الرائق» و«أناس طاغون» و«غلام مترعرع».

إن الطيران، والغدو، والكذب، والإخلاص، والطرب، والصدق، والطغيان، والترعرع، كلها صفات تلزم موصوفاتها تلك، لحظات، أو زمناً معيناً، ثم تزول عنها، وليس لها من الدوام والاستمرار، ما يطالب صاحبنا بأن يختار لها من الصيغ ما يفيد ذلك.

وحيث إن جل ما جاء من موصوفات عالم الغفران، ينبنى أساساً على الخيال، وأن المقام مقام خلق وابتكار، فإن أبا العلاء اختار لأغلب موصوفاته من الصيغ صيغ اسم الفاعل، إذ كان يعلم مسبقاً أن أوصافه تلك عرضية ليست راسخة، لأن جنته خيالية ونفسها عرضية اختارها لتناسب المشاهد التى ينسقها لروايته.

اسم المفعول:

قد نعلل ظاهرة انتشار صيغ اسم المفعول بالتعليل السابق، مع فرق أن المقام فى الوصف بصيغة اسم المفعول يختلف عن الوصف بصيغة اسم الفاعل فى كون المنعوت هنا لم يكن هو الفاعل وإنما اكتسب صفة كان تحقيقُها خارجاً عن إرادته

أى لم تصدر عنهُ هو، وهذه الصفات، هى أيضاً عرضية ليست ثابتة مثل :

«أشعارٌ موزونة»، «وزناً مُطلقا ولا مقيدا» و«كتاب معروف» و«القصر المشيد» و«سحابة محلاة» و«الأشربة المنسوبة إلى. . ».

ولا شك أن هذه الصفات مما يمكن أن يستمر زمنًا ثم يزول.

اسم الموصول :

لعل اعتماد أبى العلاء على اسم الموصول فى ١٤١ مثالا، كان طريقاً آخر للوصول إلى الوصف بما يدل عليه اسم الفاعل كما فى قوله :

«ولم تكُن فى النسخة التى فى دار العلم» (أى، الموجودة فى دار العلم).

أو لما يدل عليه اسم المفعول نحوه :

«قد علم الجبرُ الذى نسب إليه جبرئيل» (أى المنسوب إليه).

«ولو أن أحدَ لصوص العرب الذين رويت لهم الأمثالُ السائرة» (أى المروى لهم).

ويبدو لنا أن تواتر مجىء اسم الموصول، صفة فى الرسالة، هو من ميزات لغة أبى العلاء كأعمى، فكأنه يتخذ اسم الموصول سنداً أوَّليًّا يستريح إليه، قبل أن يأتى بالصفة التى يريد إثباتها للموصوف، وإلا فله من صيغ اسم الفاعل واسم المفعول، والأسماء المنسوبة والمصادر. . مجالاً رَحْباً، خصوصاً وهو الفقيه المتضلع فى اللغة.

الصفة المشبهة :

إذا أمعنا النظر فى شواهد النعت المفرد الواقع صفة مشبهة وهى كما نطقت الأرقام تحتل الدرجة الرابعة (عدد مرات ورودها ٦٥)، فإننا نسجل أن أبا العلاء يستعمل الصفة المشبهة نعتاً :

١ – لله سبحانه، كقوله : الله العزيز، القادر، العظيم، اللطيف، الخبير.

٢ – لمرافق الجنة وحورها :

«شجرة قميئة» و «الحُور الحسان» و «طِرفا زَعلا» و «جارية حوراء عيناء».

فالمقام فى الجنة مقام الأشياء الثابتة القارة، التى جاء بها القرآن ولا شك فى قيامها وثبوتها.

٣ – للرسل والصحابة :

«آله الأخيار الطيبين»

٤ – للكائنات الدنيوية التى يعتبر تلبسها بتلك الصفات دائماً ومستمرا لا يزول إلا بزوال الذوات نفسها كما فى قوله :

«جمل أعور» و «أمة عوراء» و «طُود أشم» «صلا أرقم» «ركودا صماء» «حية رقشاء».

فالعور والشمم بالنسبة للجبل، والرقم للصل، والصمم كلها صفات ثابتة غالباً.

ماذا نستخلص؟

من خلال هذا التحليل يبدو، واضحاً أن أبا العلاء فى اختيار صيغ نعوته المفردة لم يخرج عما وضعت له تلك الصيغ فى الاستعمال العربى الفصيح كما أن ورود صيغ متواترة، أكثر من غيرها شيء اقتضته مضامين الغفران ومشاهد القص والحوار فى عالم خاص من نوعه عالم أخروى، وهو بذلك لم يأت بجديد فى تلك الاستعمالات. وإن كنا نُسجل قدرته على حسن الاختيار وتوفيقه فى أن يجعل لكل مقام ما يناسبه من الصيغ.

تلك خلاصة تحليل شواهد النعت المفرد الحقيقى، فى رسالة الغفران، ولا يفوتنا فى نهاية هذا الفصل أن نثبت ملاحظة تخص النعت السببى وموقف أبى العلاء منه.

النعت السببى فى الغفران :

من الإحصاء الدقيق الذى قمنا به للنعوت الواردة فى الرسالة ظهر لنا أن النعت

السببى حظى بنسبة ١٪ فقط من مجموع النعوت. إذ لم نعثر إلا على شاهد واحد، فى جملة بها أربعة نعوت سببية لمنعوت واحد. يقول أبو العلاء :

«إذْ كَان كالشَّجَرَةِ الوارفِ ظلالُها فى الهواجِرِ، والبارِد هواؤها فى ناجر، والطيبِ ثَمرُها للذائق، والأرجِ نسميها للناشِق»[1].

إن ندرة مجىء هذا النوع من النعوت فى الرسالة، ليست غريبة في الأسلوب العربى، فالنعت السببى عموماً، أقل استعمالا من النعت الحقيقى. لكن هل يمكن أن نستنتج من ورود هذا المثال فريداً استثقال أبي العلاء لهذا النوع ونفور ذوقه منه، أم أن ذلك وليد الصدفة فحسب؟

ذاك خلاصة ما توصل إليه البحث فى دراسة النعت فى رسالة الغفران. وحيث إن الجمل العلائية، تمتد داخليًا بما تضمه من بعض القيود والتراكيب غير المستقلة كالنعت كما رأينا من خلال هذا الفصل، وكذلك ببعض التراكيب المستقلة وعلى رأسها الجمل الدعائية، لذا سيتصدى الفصل التالى لهذا النوع من الجمل فى الغفران وتبيان خصائص الاستعمال العلائى له.

---

(١) الرسالة، ص ٥٠٠-٥٠١.

الفصل الخامس

الجمل الدعائية

مما يثير انتباه الدارس لرسالة **الغفران**، أيضًا، ظاهرة انتشار الجمل الدعائية فيها، وقد لفت ذلك نظر بعض الدارسين[1]، غير أنهم اكتفوا بالإشارة إلى كثرتها وتنوعها.

سبق أن تعرضنا لهذه الجمل، فى الفصل المتعلق بدراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

ونظراً لما تستحقه من اهتمام ها نحن نعود إليها من جديد لنفصل القول.

إن كثرة الجمل الدعائية فى رسالة **الغفران**، تجعلنا نتساءل عن السبب الذى دعا أبا العلاء إلى المبالغة فى إيرادها.

فهل كان المعرى، وهو يتفنن فى اختيار جمله وتدفقها، يرمى إلى إظهار طواعية اللغة العربية له، وإلى المبالغة فى التطاول على ابن القارح، وتحديه؟

قد يكون، فكما لاحظنا، لم يجد أبو العلاء فرصة للتفاخر بثروته اللغوية إلا استغلها. بل كثيرًا ما كان يختلق الفرص لذلك.

فلا غرابة، إذن، أن تشيع الجمل الدعائية فى رسالة **الغفران**، وألّا تمر صفحة أو صفحتان دون أن نجد جملة دعائية أو أكثر، خصوصًا فى الفصل الأول. ولا غرابة، كذلك، أن يحمل أبو العلاء جمله الدعائية شتى المعانى ومختلف المتمنيات.

هذا ما جعلنا نعير هذه الجمل اهتمامنا، ونحاول دراسة مضامينها وهندسة

---

(١) من هؤلاء نذكر أمجد الطرابلسى فى كتابه، «النقد واللغة فى رسالة الغفران»، انظر، ص ٣١.

كلماتها، علنا نستخلص من خلال ذلك، بعض ميزات الأسلوب العلائى فى الرسالة.

أولاً : مضامين الجمل الدعائية :

أشرنا سابقًا إلى أن عدد الجمل الدعائية فى الغفران، يبلغ ١١٩ ، وقد تنوعت مضامينها تنوعًا كبيرًا، وخاصة فى الجمل التى يدعو فيها أبو العلاء لابن القارح، وعددها ٩٥ .

يتمنى صاحبنا لمراسله دوام السرور :

«لا زالَ فى الغبطة والسرور»[١].

«عمَّرهُ الله بِالسرور»[٢].

ويدعو له ببلوغ الأمانى :

«بلَّغهُ الله الأمَانِى»[٣].

كما يتمنى للآداب أن تأنس، وللعلم أن يثبت، وللمحافل أن تزدهر، كل ذلك بحضور ابن القارح وطول عمره، فيقول :

«آنسَ الله الآدابَ ببَقائِه»[٤].

«ثبَّتَ الله أرْكَانَ العِلم بِحَياتِه»[٥].

«أكملَ الله زِينةَ المَحَافِل بحُضُوره»[٦].

ولعل حب أبى العلاء للآداب وغرامه باللغة، جعلاه يدعو ويكرر أمانيه فى الرفع من شأنهما، خلال دعواته لابن القارح. ولسنا ندرى استهزاءً بمراسله، أم تحديا له، أم هما معًا؟ على أنه قد لا يكون هذا ولا ذاك، وإنما هو مجرد الزخرف فى الأسلوب وتنويع العبارات يقول :

(١) الرسالة، ص ٣٠٤.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٠.
(٣) الرسالة، ص ٢٤٣.
(٤) الرسالة، ص ٤٠٧.
(٥) الرسالة، ص ١٣١.
(٦) الرسالة، ص ١٧٩.

«فرَّغَ الله ذِهنه للآداب»[١].

«خلَّد الله ألفاظَهُ فى دِيوان الأدَبِ»[٢].

ولا ينسى أبو العلاء أن يدعو لصاحبه بالوقاية من كل شر:

«جنَّبهُ الله المكارِهَ»[٣].

«غُطى شَخْصُه أن يُلحَظ بِنَواظِر الغير، ومتَّعَ مِنْ مَال بحير»[٤].

كما لا يغفل أن يدعو له بالتوبة والمغفرة. ألم يقر ابن القارح، فى رسالته، بما ارتكب من ذنوب؟ ألا تقتضى مشاهد الغفران أن ينال ابن القارح حظه من الغفران فيدعو له المعرى؟

«أعظمَ الله حَظَّهُ فِى الثَّواب»[٥].

«أجزل الله عطاءَه من الغفران»[٦].

ولم يفت أبا العلاء، وهو الخبير المجرب، أن فى الدنيا الغرارة أناس لا يحبون الخير لغيرهم، فيحقدون ويمكرون، فما من أحد إلا وله حسدة، لذلك نراه يدعو على أعداء ابن القارح، فى تسع جمل، وينزل بهم وبيل شتمه. يقول:

«أحلَّ الله الهلكَة بِمُبْغِضيه»[٧].

«أرغم الله حاسِده»[٨].

تلك نظرةٌ مجملة عن مضامين الجمل الدعائية التى تتعلق بابن القارح.

فهل نجد بالرسالة جملاً أخرى غيرها؟

---

(١) الرسالة، ص ٣١٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٤٦، انظر فى نفس المعنى، الجمل الدعائية بالصفحات: ٢٣٦، ٢٨٠، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٩٩.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٣٧ - حير: كثير.

(٥) الرسالة، ص ٢١٧.

(٦) الرسالة، ص ٣٥٩، انظر، فى نفس المعنى، جملاً أخرى بالصفحات: ٢٠٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٥٢١.

(٧) الرسالة، ص ٣٤٧.

(٨) الرسالة، ص ٢١٧. انظر الجمل الأخرى بهذا المعنى، فى ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٤١، ٣٧٧، ٥٢٣.

لقد شكا ابن القارح إلى أبي العلاء، نكرانه «حلب»، حين وردها بعد غيبة جعلته يفقد، بها، المعرفة والجار، فبكاها. وقد صادفت الشكوى عند أبي العلاء هوى بحلب ملك قلبه:

«إنها الأمُّ البرة، تُعْقَدُ بِها المَسَرَّةُ»[١].

لذا، غالبًا ما يدعو لحلب، كلما ذكرها. والملاحظ هو ترديد أبي العلاء لجملة: «حرسها الله»، بنفس اللفظ والتركيب (٨ مرات)[٢] ويستعمل مرة واحدة «حماها الله»[٣].

إن الجملتين معًا جاءتا معطوفتين فى رسالة ابن القارح، دعاءً لحلب حيث قال:

«وردت حلبَ حَرسها الله وحماها، بعدَ أن مُنِيتُ بربضها بالدرخمين»[٤].

ذاك كان نصيب «حلب» من أدعية أبي العلاء. فهل من نصيب لبعض الأموات من الأنبياء والصحابة والعلماء؟

إن تعلق أبي العلاء بمحمد ﷺ، يبدو واضحاً فى رسالة الغفران، رغم ما يرمى به صاحبنا من طعن فى النبوة. فقد اعتبر المعرى الصلاة على نبى الإسلام من أسباب الفلاح، دنيا وآخرة. يقول على لسان ابن القارح:

«إنِّى كنتُ أخْلِصُ الدعاءَ فى أعْقابِ الصلواتِ»[٥].

فلعل ذلك ما جعل المعرى، كلما ذكر نبيًّا من الأنبياء، وعلى رأسهم محمد[٦] وإبراهيم[٧]، صلى عليه:

---

(١) الرسالة، ص ٤٠٧.
(٢) انظر ص ٢٥٦، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٨، ٥٨٠.
(٣) انظر، الرسالة، ص ٤٠٧.
(٤) الرسالة، ص ٢٤.
(٥) الرسالة، ص ٢٤١، انظر، كذلك فى نفس المعنى، عبارة وردت بصفحة ٢٥٧.
(٦) الرسالة، ص ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩. مثلاً.
(٧) انظر ص ٢٥٦، ٢٥٩.

«صلى الله عليه». وكان يصلى على عَلِيّ بن أبى طالب، ويدعو له بالسلام : «عليه السلام»[(١)].

ويصلى على فاطمة الزهراء : «صلى الله عليها»، و«عليها السلام»[(٢)].

إن قصة الحشر التى ساقها أبو العلاء، على لسان ابن القارح، مليئة بمثل تلك الدعوات[(٣)]. وقد غفلنا عن إحصائها لأننا لم نتبين فى ذلك فائدة. كما غفلنا عن إحصاء الجمل الترحمية التى ذكرها أبو العلاء، بصدد حديثه عن بعض الفقهاء «كالحسن البصرى رحمه الله»[(٤)]، وأبى بكر الشبلى[(٥)]. وهذا النوع من الأدعية يكثر فى الفصل الثانى من الغفران، حيث يجيب أبو العلاء على أسئلة مراسله، ويتصدى للحديث عن بعض العلماء.

لم يكن نصيب «إبليس» من تلك الأدعية، مُغْفَلاً إن إبليس «عدو الله وعدو أوليائه»[(٦)]، وعدو أبى العلاء. لذا نال حظه وافيا، فخصه بلعناته ولعنات الخالق كلما لفظه لسانه :

«فيرى إبليس - لعنه الله - وهو يضطرب فى الأغلال..»[(٧)]، «فيقول (إبليس) عليه اللعنة؟ الم تُنْهوا عن الشماتِ، يا بَنِي آدم»[(٨)].

«عليه التبار»[(٩)].

***

هكذا سعى أبو العلاء إلى تنويع مضامين الجمل الدعائية، تبعًا للمواقف التى يوجد فيها ابن القارح، إذ كان يختار لكل موقف ما يلائمه لفظًا ومعنى. لكن هذا لم يمنع من أن نجد، بالرسالة جملاً متقاربة لفظًا ومعنى وصياغة، مثل قوله :

(١) انظر، ص ٢.

(٢) نفس الصفحة، وص ٢٥٧-٢٥٩.

(٣) انظر، من ص ٢٤٨ إلى ٢٦٢.

(٤) الرسالة، ص ٣٦٧.

(٥) الرسالة، ص ٥٨٢، انظر، أمثلة أخرى فى ص٣٦٧، ٥٢٩، ٥٣٢.

(٦) الرسالة، ص ٣٠٩.

(٧) الرسالة، ص ٣٠٩.

(٨) الرسالة، ص ٣٥٠.

(٩) الرسالة، ص ٤٩٠.

«أنطقه الله بكل فضل»[1].

«لا فتىً ناطقًا بالصواب»[2].

«وهو بالقول مُنّطق»[3].

«لا زال مُنْطَقًا بالسدَدِ»[4].

فالمادة، (ن. ط. ق) توجد فى الجمل الأربع الأخيرة، وإن اختلفت صيغها. فقد جاءت:

- فى الجملة الأولى: فعلاً ماضيًا متعدِّيًا بالهمزة.
- فى الجملة الثانية: اسم فاعل.
- فى الجملتين الثالثة والرابعة: اسم مفعول.

ونلاحظ أن حدث النطق يتعلق، فى جميع الأحوال، بابن القارح.

ونجد كذلك تكرارًا لبعض العبارات، بلفظها وتركيبها، فى ثلاث جمل أو أكثر.

---

(١) الرسالة، ص ٢٤٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٦.

(٤) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢١٧، ٣٥٩.

والجدول التالى يعطينا بعض الأمثلة على ذلك :

عبارات متكررة فى الجمل الدعائية	عدد المرات
« بلغه الله . . . »[١]	٣
« زاد الله . . . »[٢]	٣
« ثبت الله . . . »[٣]	٥
« أعلى الله . . . »[٤]	٢
« آنس الله . . . »[٥]	٣
« أيد الله . . . »[٦]پ	٤
« لازال . . . »[٧]	٥
« أدم الله . . . »[٨].	١٥
« أدام الله الجمال ببقائه »[٩].	٢
« أدام الله تمكينه »[١٠].	٧

كان هدفنا، من هذه الوقفة، هو التعرف على طريقة أبى العلاء فى اختيار جمله الدعائية. فقمنا بتحليل مضامين تلك الجمل وحاولنا الكشف على مدى ملاءمة كل منها للسياق الذى أتت فيه، وسننتقل، الآن، إلى دراسة تلك الجمل من حيث طريقة تركيبها، وموضع المسند والمسند إليه فى كل واحدة منها.

(١) انظر ص ٢٣٣، ٢٤٣، ٢٤٤.
(٢) انظر ص ١٨٥، ٢٠١، ٢٧١.
(٣) انظر ص ١٣١، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٧، ٣١٧.
(٤) انظر ص ٢٠٦، ٣١٠.
(٥) انظر ص ٢٨١، ٣٨٢، ٤٠٧،.
(٦) انظر ص ١١٧، ٢٠٦، ٢٦٨، ٥٣٠.
(٧) انظر ص ٢٠٣، ٢٤٠، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٧٥.
(٨) منها، فى ص ١٣٢، ١٨٣، ٥٠٠، ٥٢٩، ٥٥٣، ٥٧٨.
(٩) الرسالة، ص ١٦٨، ٢٧٥.
(١٠) الرسالة، ص ١٥٤، ١٧٥، ٢٠٠، ٣٤٨.

ثانيًا: نظام تركيب الجمل الدعائية:

ذكرنا، فى فصل مضى، أن أبا العلاء يستعمل الجمل الفعلية أكثر من الجمل الاسمية، وكانت وسيلتنا فى التعرف على ذلك، استقراء جمل الغفران استقراءً مكننا من تسجيل بعض الملاحظات، وإحصاء بعض النماذج، من بينها الجمل الدعائية. وفى إحصائنا لهذه الأخيرة لم نذكر الأسباب التى دفعتنا لاختيارها، ولم نقف عندها بالقدر الكافى، لذا عقدنا هذا الفصل، وبعد أن تحدثنا فى الجزء الأول منه عن مضامين تلك الجمل، سندرس الآن تراكيبها علنا نستطيع إظهار العلاقة بين المحتوى والقالب، أو بعبارة أخرى، بين مضامين تلك الجمل وهندسة أجزائها.

استخلصنا أن نصيب الجمل الاسمية، فى مجموع الجمل الدعائية جد ضئيل، لا يتعدى خمس عشرة جملة أى ٨٪. وقد جاءت على صنفين، منها ما يتكون من مبتدأ وخبر، ومنها ما دخل عليه ناسخ من أخوات كان. فالأولى أربع جمل هى:

«عليك البَهْلَة»[١].

«عليه اللعنة»[٢].

«عليه التَّبار»[٣].

«وهو بالقول منطَق»[٤].

إنها من حيث البناء الداخلى، تدخل تحت قسم واحد هو الجمل البسيطة: تتكون من مبتدأ وخبر. والخبر فى الجمل الثلاث الأولى شبه جملة (جار ومجرور) متقدم على المبتدأ، وفى الجملة الرابعة، اسم مفعول، محافظ على رتبته بعد المبتدأ.

ومن الصنف الثانى قول أبى العلاء:

---

(١) الرسالة، ص ٣٤٩.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٠.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٦.

- «ولا انفكتْ الفوائدُ واصلة منه إلى الجُلساء»[١].
- «لا برح مِنطيقًا بالحكم»[٢].
- «لا فتئَ خصمه مفحمًا»[٣].
- «لا زالت همته عالية»[٤].

ويلاحظ أن الاسم وعلى ابن القارح غالبًا: «لازال فى الغبطة والسرور» على الشكل التالى:

- الناسخ + المسند إليه (ضمير مستتر) + المسند (الخبر جار ومجرور).

ومما جاء فيه الاسم ظاهرًا قوله:

«لازال خَصْمُهُ مغلبًا» على الشكل التالى:

- الناسخ + المسند إليه + ضمير مضاف إليه (يعود على ابن القارح) + المسند (الخبر).

وغالبًا ما يأتى المسند إليه الظاهر مضافًا إلى ضمير متصل للمفرد الغائب، يعود على ابن القارح، كما فى المثال أعلاه.

تلك هى أحوال تراكيب الجمل الاسمية الدعائية.

أما الجمل الفعلية، فيفوق عددها بكثير الجمل الاسمية إذْ يبلغ ١٠١، كما رأينا، وسنقف عندها لإبداء ملاحظات تتعلق ببنائها التركيبى.

يمكن، على أساس البناء الداخلى، تقسيم الجمل الفعلية الدعائية إلى قسمين: الجمل البسيطة، الجمل المركبة.

---

(١) رسالة الغفران، ص ٢٨٠.
(٢) رسالة الغفران، ص ٣١٥.
(٣) رسالة الغفران، ص ٢١٦.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٩٢، انظر الأمثلة الباقية فى ص٢٠٣، ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٧٥.

١ - الجمل الدعائية البسيطة :

قلنا، إن الجملة البسيطة هى ما تكونت، على الأقل، من تركيب مستقل.

نلاحظ أن جل الجمل الفعلية الدعائية بسيطة.

أيستحسن أبو العلاء الجمل البسيطة لكونها غالبًا ما تأتى معترضة، بين الفعل ومفعوله، وبين المبتدأ وخبره... ؟

أم لكونها أبلغ فى التعبير من الجمل المركبة؟

أم لاعتبارات أخرى نجهلها؟

وقد جاءت أفعال هذه الجمل كما يلى :

(أ) ماضية متعدية إلى مفعول به واحد، عدا ثلاث جمل جاءت أفعالها متعدية إلى مفعولين، هى :

«جعلَ الله سمعَه مستودعًا كلَّ الصالحَاتِ»[1]».

«أسمعهُ الله مَحَابَّهُ»[2]، «أورد الله قلبه المحَابَّ»[3].

(ب) ذكر أبو العلاء لكل الأفعال مفاعيلها، إلا فى خمسة أمثلة وهى :

«جمل الله ببقائه»[4].

«أصلَح الله بِه وعَلى يَدَيْه»[5].

«آنس الله بحياته»[6].

«زاد الله فى أنفاسه»[7].

(جـ) جميع الأفعال مبنية للمعلوم، إلا فى ثلاثة أمثلة فإنها مبنية للمجهول، وهى :

---

(١) الرسالة، ص ٣٢٤.
(٢) الرسالة، ص ٣٥٠.
(٣) الرسالة، ص ٢١٣.
(٤) الرسالة، ص ٢٠٤.
(٥) الرسالة، ص ٢٣١.
(٦) الرسالة، ص ٢٨١.
(٧) الرسالة، ص ١٨٥، ٢٠١.

«قُضى لَهُ بالسعد المؤرب»[١].

«غُطِىَ شَخْصُه أن يُلحَظَ بنَوَاظِر الغِيَر، ومُتِّعَ مِنْ مالٍ بحَيَرٍ»[٢].

(هـ) وأخيرًا إن المسند إليه، فى ١٠٠ جملة، جاء «اسم الجلالة» بلفظة الله، إلا فى مثال واحد، فقد جاء بلفظ «القادر» وهو قوله :

«أمضى القادرُ له اقتراحهُ».

تلك ملاحظات عامة. وننتقل، الآن، إلى دراسة الجمل البسيطة من حيث موضع المفعول فيها.

* * *

نعلم أن للرتبة، فى نظام الكلمات داخل التركيب، دورًا هامًا فى تعيين وظيفة الكلمة وبابها النحوى، وأن من تلك الرتب ما يتعين حفظه سلامة للمعنى، ومنها ما لا يشترط فيه ذلك. وتقرر قواعد اللغة أن من الرتب غير المحفوظة، رتبة الفاعل والمفعول، إذ يجوز تقديم المفعول به على الفاعل، إلا إذا كان ذلك يوقع فى لبس لا نتبين معه أحدهما من الآخر.

كقولنا : «كافأتْ سلمى نجوى»، فى هذا المثال، يتعين أن تكون سلمى فاعلا، لأن رتبة الفاعل أن يلى الفعل.

على أساس موضع المفعول، يمكن تقسيم الجمل الدعائية الفعلية إلى نوعين، الجمل التى حافظ فيها المفعول به على رتبته بعد الفاعل، والجمل التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل.

النوع الأول :

يبلغ عدد الجمل التى جاء فيها المفعول به بعد الفاعل ٨٣ جملة، ويخضع نظام كلماتها إلى الترتيب التالى :

---

(١) الرسالة، ص ٣٦٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.

المسند + المسند إليه + المفعول به.

وذلك مثل قول أبي العلاء:

«أَسْكَتَ الله مُجادِله»[١].

وغالبًا ما يأتى المفعول به مضافًا إلى ضمير المفرد الغائب، على هاته الصورة:

المسند + المسند إليه + المفعول به + مضاف إليه (ضمير).

مثلا:

«أعلَى الله دَرَجته»[٢].

وقد يردف أبو العلاء المضاف إلى ضمير بجار ومجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + مضاف إليه (ضمير) + جار ومجرور.

مثل: «زادَ الله أمرَهُ من النَّفاذ»[٣].

وقد يأتى المضاف إليه اسمًا ظاهرًا، ويردف المجرور بمضاف إليه (ضمير يعود على غائب).

المسند + المسند إليه + المفعول + المضاف (اسم ظاهر) + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير).

مثل: «أكملَ الله زينة المحافِل بحضوره»[٤].

وأحيانًا يكون المفعول به مضافًا إلى كلمة مضافة بدورها إلى ضمير الغائب المفرد:

المسند + المسند إليه + المفعول به + المضاف إليه (اسم ظاهر) + مضاف إليه (ضمير).

---

(١) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٢) الرسالة، ص ٣١٠، انظر أمثلة أخرى فى ص: ١٥٤، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٣٤٨، ٣٧٧، ٥٣٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٧١، انظر الأمثلة الباقية فى ص ٢٠٧، ٢١٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٥٩، ٣٦٠.

(٤) الرسالة، ص ١٧٩، انظر أيضًا ١٣١، ١٣٢، ٣٩٦، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٥٣، ٥٢٩.

مثل : «أرغَمَ الله أنف شانئه»[١].

وفى أمثلة أخرى، لا يأتى المفعول به مضافًا، وإنما يتلوه جار ومجرور مضاف إلى ضمير المفرد الغائب :

المسند + المسند إليه + المفعول + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير).

مثل : «أحلَّ الله الهلكة بمُبَغضِيه»[٢].

وقد تمتد بعض هذه الجمل البسيطة بعطف اسم على المفعول به، كما فى قوله :

«جعلَ الله الإحسانَ إليه مَرْبُوبًا، ووده فِى الأفئِدَةِ مشبوبًا»[٣].

«جعلَ الله أَمنهُ متَّصِلاً، والطالبَ شأْوَهُ مِنْ تَقْصِيرِ مُنتصِلاً»[٤]

وقد يفصل بين الفاعل (المسند إليه) والمفعول به فاصل، غالبًا، ما يكون جارًّا ومجرورًا :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + مفعول به + مضاف إليه، أو جار ومجرور.

مثل : «كتب الله له مَثوبةَ المتَّقين»[٥].

والفاصل، دائمًا، هو لام الجر الداخلة على ضمير الغائب المفرد، إلا فى مثال واحد حيثُ حرف الجر هو «على» وقد دخل على اسم ظاهر مضاف إلى اسم آخر، وهو قول المعرى :

«حفظ الله على أهلِ الأدبِ حَوْبَاءه»[٦].

ومرة جاء الفاصل هو العبارة : «تعالى».

«ثَبَّتَ الله تعالى الإحسانَ عَلَيْهِ»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٢٠٥، انظر كذلك ص ٢٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٤٧، انظر أمثلة أخرى فى ص١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ٢٠٦، ٢٣٦، ٢٧٥، ٣٨٢، ٣٥٠، ٤٠٠، ٤٠٧، ٥٠٧.

(٣) الرسالة، ص ٢٢٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٧١.

(٥) الرسالة، ص ٣٧١.

(٦) الرسالة، ص ٢٠٨، انظر، كذلك، ص ٢١١، ٢٦٨، ٣٩٩، ٥١٤، ٥٧٨.

(٧) الرسالة، ص ٢٠٨.

ونبدى ملاحظة أخيرة، هى أن ضمير المفرد الغائب، يأتى، إما مجرورًا، بحرف الجر، وإما مضافًا إليه، ويعود دائمًا على ابن القارح بصفته المدعو له.

النوع الثانى :

يبلغ عدد الجمل البسيطة التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل ٢٤ جملة، وقد جاء تنظيم كلماتها على الشكل التالى :

المسند + المفعول به (ضمير المفردة الغائبة) + المسند إليه.

مثل قوله : «حرسها الله»[١].

وهذا النوع من الجمل يشيع، خاصة، فى الجمل الدعائية التى تتعلق بحلب، وفى الجمل الترحمية، وفى التى يدعو فيها أبو العلاء على إبليس، وقد يتلو المسند إليه جار ومجرور :

المسند + المفعول به + المسند إليه + جار ومجرور (اسم ظاهر).

مثل :

«عَمَّرهُ الله بالسرور»[٢].

«أذكرهُ الله بالصالحاتِ»[٣].

ومن أفعال جمل هذا الصنف ما يتعدى إلى مفعولين، فيأتى المفعول به الثانى وقد فصل عن الأول بالمسند إليه :

المسند + المفعول به الأول (ضمير متصل) + المسند إليه + المفعول به الثانى.

مثل :

«وبلّغَهُ الله الأمَانِى»[٤].

تلك هى صور نظام وهندسة الكلمات فى الجمل الدعائية البسيطة، وننتقل

(١) الرسالة، ص ٤٩٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر أمثلة أخرى من هذا النوع فى ص ٢٤٨، ٣٧٠، ٣٧٧.

(٤) الرسالة، ٢٤٣، وانظر كذلك ص ٢٣٣، ٣٠٧، ٣٤٤.

الآن، إلى دراسة القسم الثانى من الجمل الدعائية فى **الغفران**، وهو الجمل المركبة.

٢ - الجمل الدعائية الفعلية المركبة:

عرفنا، فيما سبق، الجملة المركبة بكونها ما تألفت من تركيبين أو أكثر من التراكيب المستقلة. وقد يتم الربط بين تراكيبها «بأداة» كما قد يتم بدونها.

فأى أنواع الروابط استعمل أبو العلاء فى جمله المركبة الدعائية؟

لا تتعدى الجمل المركبة العدد ثلاثة، تتألف كل جملة منها من تركيبين مستقلين تربط بينهما أداة الربط (واو العطف) وهى:

- «كَبتَ الله عَدوَّه، / و / أَدَامَ رواحَه إلى الفضلِ وغُدُوه»[1].
- «غُطى شخصهُ أن يُلحَظ بِنواظِر الغِيَر، / و / مُتِّع من مَال بحير»[2].
- «عمر الله خلدهُ بالجذَلِ، / و / أراح سمعه مِنْ كُلّ عذَل»[3].

وهذه الجمل، من حيث نظام كلماتها، لا تختلف فى شىء عما رأيناه فى الجمل البسيطة.

الخلاصـــة:

إن الجمل الدعائية فى **الغفران**، لا تخرج عن كونها اسمية أو فعلية. والاسمية، من حيث بناؤها الداخلى، كلها جاءت بسيطة. أما الفعلية فتنقسم إلى جمل بسيطة وأخرى مركبة، غير أن نسبة المركبة جد ضئيلة، على غير عادة أبى العلاء فى لغة كل **الرسالة**، فكما رأينا، تطغى الجمل المركبة والجمل التركيبية على الجمل البسيطة، الشىء الذى جعل لغة المعرى تتميز بالامتداد الداخلى فى جملها، وتعكس النفس التركيبى الطويل لمؤلفها.

---

(١) الرسالة، ص ١٢٩.
(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.
(٣) الرسالة، ص ٥٠٨.

أما من حيث مضامين الجمل الدعائية، فقد رأينا كيف أجهد أبو العلاء نفسه لتأتى متنوعة، وكم استغل الصيغ المختلفة للفعل الواحد، وللمادة الواحدة، كما استغل تغيير نظام كلمات بعينها، داخل جمل مختلفة، لتعبر عما يدعو به لمراسله (ابن القارح) أو على أعداء مراسله.

وخلاصة القول إن الجمل الدعائية فى الغفران، تدل، هى أيضًا، على ما لهذا الرجل الأعمى البصير من باع طويل فى اللغة العربية وقوالبها، وما تتوفر عليه من مرونة فى استعمال الألفاظ والتراكيب، فاستطاع أن يلائم بين مضمون الجمل وقوالبها، وأن يسوقها منسجمة انسجامًا تامًّا مع المشاهد.

الباب الثالث

من قضايا المفردات فى رسالة الغفران

تثير **رسالة الغفران** كثيرًا من القضايا التى تتصل باللفظ المفرد، سواء أكان اسمًا أم فعلا أم حرفًا. وسواء أكان عربيًّا أصيلا، أم معربًا دخيلا.

وسواء أكان اللفظ مشتقا أم جامدًا، ... إلخ... إلخ...

وكل ذلك يحتاج إلى دراسة متأنية، تكشف عن صور التعامل العلائى مع كل صنف مفرد تحتمله الدراسة اللغوية. فآثرنا أن نختار بعض النماذج التى يهم أبناء العربية الإلمام بها، ومعرفة موقف أبى العلاء منها.

وقد بدأنا باختيار مشكلة الألفاظ الدخيلة، باعتبارها مجالا لدراسة تأخذ من القديم آراء السابقين فى المعرب والدخيل، وتأخذ من الحديث ثمرة البحوث المقارنة فى أصول اللغة، وعلاقة العربية بغيرها من اللغات التى عاصرتها، وتبادلت معها التأثير.

ثم قدمنا نموذجًا لفنية التعامل مع المفردات وشرحها عند أبى العلاء، وكان هذا الفصل فرصة لعرض جهود أبى العلاء فى شرح المفردات على المعاجم اللغوية فاخترنا نموذجًا سابقًا على **الغفران**، وهو **الجمهرة**، ونموذجًا لاحقًا عليها وهو **القاموس المحيط**، وذلك لتتضح الصورة الفذة التى يبرز من خلالها المعرى عبقريًّا لغويًّا، لا يقتصر عطاؤه على فنون الشعر، وآراء الفلسفة، وإنما يضيف إلى رصيد اللغة علمه بمعانى مفرداتها، وحسن استخدامها فى مواضعها.

وأخيرًا قدمنا نموذجًا لدراسة الأدوات التركيبية فى أدوات الشرط، واستعمالاتها عند المعرى.

وبذلك نكون قد مزرنا بمستويات ثلاثة، هى : اللفظ المفرد، ومنهجية تفسير المفردات، إلى جانب الدراسة النموذجية للأدوات.

الفصل الأوّل

الدخيل

جعل الوضع الجغرافى شبه الجزيرة العربية، فى سياق تاريخى تنصب فيه تأثيرات الإمبراطوريتين العظيمتين، الروم (الإمبراطورية الشرقية)، وفارس. فدخلت كلمات أعجمية كثيرة إلى لغة العرب، كما فى شعر عدى بن زيد، والأعشى الأكبر، وأمية بن أبى الصلت. أدخلت التجارة ألفاظ المبادلات التجارية (مثل : درهم)، وألفاظ الحضارة (مثل : زمرد وقصر)، وأسماء العطور والنجوم (مثل : مسك وفرقد)، . . . ومن بين هذه ما تعرب قبل الإسلام، ومنه ما جرفه اللسان العربى بعد الفتوحات الإسلامية.

على أن التبادل - تأثيرًا وتأثرًا - لم ينحصر فى الفرس والروم، فقد تعداهما إلى لغات كانت آنذاك أقل إشعاعًا و«عالمية»، وهى الحبشية، والنبطية، والهندية، والسريانية، والعبرية، والتركية. .

كان لكتاب الله العزيز تأثير كبير على العربية، فلقد طبعها بطابع جلى وقضى بذلك على آثار اللهجات الإقليمية. فانصهرت تحت تأثير القرآن منذ البعثة المحمدية فى لهجة موحدة هى لهجة قريش، فَوَحَّد، لأول مرة فى تاريخ العربية، لغة عالم الفكر والمعرفة[1].

من ثم كانت حاجة المسلمين، وخاصة العجم، وهم يمثلون أكثرية المسلمين، وكذلك العرب الذين لم يدركوا نزول الوحى، كانت حاجتهم جميعًا ماسة إلى تعلم اللغة العربية، ولا سيما أن الرسول قد حث على تعليم اللغة والإعراب حين قال : «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[2].

(١) انظر : إبراهيم السامرائى، دراسات فى اللغة، ص٧٦، ط بغداد، ١٩٦١.

(٢) عن أبى هريرة برواية ابن أبى شيبة والحاكم والبيهقى.

هكذا أخذ العلماء باللغة العربية على عاتقهم مئونة تأليف المصنفات لدراسة لغة القرآن ومعانى ألفاظه، ليسهل على المسلمين فهم الغريب منها، وليتعمقوا فى فهم أحاديث الرسول ﷺ والصحابة والتابعين والأئمة الماضين، وما يجىء فى الشريعة من الأسامى فى أصول الفرائض.

ومن هؤلاء العلماء أبو عمرو بن العلاء[١]، وأبو عبيدة معمر بن المثنى[٢] وأبو عبيد القاسم بن سلام[٣]. وقد كان هدفهم هو خدمة الإسلام. لأن الجهل بمعانى ألفاظ القرآن والحديث ومقاصد الشريعة الإسلامية «نقص ظاهر على المرء المسلم وشين فاضح على كل ذى دين ومروءة»[٤].

وبهذا الصدد، أثيرت مشكلة وقوع الأعجمى فى القرآن، فانقسم أئمة اللغة والتفسير فى علاجها فرقتين. أولاهما: ترى أن القرآن ليس فيه شىء من كلام العجم، ومن هذه الجماعة الشافعى، فليست الأحرف التى يقال إنها أعجمية، سوى كلمات عربية فى أصولها وبنيتها[٥]. ومن هؤلاء أيضًا أبو عبيدة إذ قال:

«ومن زعم أن فى القرآن شيئًا من ألفاظ العجم فقد أعظم القول، لأنه عز وجل يقول «بلسان عربى مبين» ومن زعم أن (طه) بالنبطية فقد أكبر، وإن لم يعلم ما فيه فهو افتتاح كلام، وهو اسم لسورة وشعارها، وقد يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد، أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها»[٦].

أما الفرقة الثانية: فلا ترى تناقضًا بين الآيات القرآنية التى تنص على أن

---

(١) إمام العربية وأحد القراء السبعة، كان يرى أن لغة القرآن ودراسة معانى ألفاظه يجب أن تكون هدفه وهدف كل مسلم، وأن الشعر واللغة لا يقصد بدراستها إلا خدمة الإسلام.

(٢) نحا فى كتابه مجاز القرآن، منحى لغويًا لما يزخر به من تفسيرات لغوية، وهو بذلك، على حد تعبير حسين الهمدانى، يعتبر مؤسس مدرسة فى تفسير القرآن «عمدتها الأولى الفقه بالعربية وأساليبها» (مقدمة كتاب الزينة ص ١٧).

(٣) كان إمام أهل عصره فى علوم الحديث واللغة. توفى سنة ٢٥٤ هـ.

(٤) الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى. توفى سنة ٣٢٢ هـ، مؤلف كتاب الزينة، قد جمع فيه معانى أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج الفقهاء إلى معرفتها كما يؤكده صاحب الكتاب، (ص ٥٦)، ويضيف الرازى أنه قصد فى مؤلفه: «شرح معان كثيرة غريبة تجىء فى الشريعة، ولا يستغنى عن معرفتها العالم الأديب، ولا الدين اللبيب، ويجب تعلمها على كل ذى شرف حسيب، وعلى كل مسلم أريب، وفى معرفتها له الفضل والزين، وفى الجهل بها عليه النقص والشين» (جـ ١، ص ١٢٨).

(٥) انظر: عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٠٨، القاهرة.

(٦) الزينة، جـ ١ ص ١٣٧. القاهرة، ١٩٥٧.

القرآن بـ «لسان عربى مبين» وبين وقوع ألفاظ أعجمية فيه. وقد كان هذا رأى بعض الصحابة والتابعين، وجاراهم فى ذلك أبو عبيد حيث قال:

«والصواب عندى - والله أعلم - أن هذه الأحرف أصولها أعجمية، إلا أنها سقطت إلى العرب، فعربتها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية. ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الألفاظ بكلام العرب على التعريب»[١].

ويصوب هذا الرأى أبو حاتم الرازى والسيوطى الذى يقول:

«وأقوى ما رأيته للوقوع هو اختيارى، ما أخرجه ابن جبير بسند صحيح عن أبى ميسرة التابعى الجليل، قال:

«فى القرآن من كل لسان»[٢].

هكذا كان لحركة تفسير القرآن دور هام فى تغذية اللغويين والنحويين والبلاغيين، كما تأسست علوم «إسلامية» كالفقه، ومصطلح الحديث، وأصول الدين، وعلم الكلام، والتفسير، والفلك، . . . استلزمت وضع مصطلحات خاصة وتحميل بعض ألفاظ العربية معانى لم تكن لها قبل نزول القرآن وانبثاق هذه الحركة. فقد نقلت ألفاظ، كانت للعرب فى الجاهلية، من معانيها الأصلية الوضعية إلى معان جديدة، بزيادات وإضافات ضمنها إياها الدين الجديد، واستعملها المسلمون واصطلحوا عليها بمدلولات حديثة ومعان لم تكن العرب تعرفها قبل البعثة النبوية.

وظهرت فى اللغة ألفاظ وتعابير جديدة، وشاع الدخيل، وتكون المولد المنبثق عن التراث القديم، والمولد الذى نشأ عن تلاحم الثقافات المتغايرة، فى ظل لغة القرآن، خصوصًا فى ميادين علوم الطبيعة، من رياضيات وفيزياء وكيمياء وطب. . . ، واستحدثت، إلى جانب كل ذلك، مفاهيم فلسفية بألفاظ وأساليب لا قبل لعرب الجاهلية بها.

---

(١) نفس المصدر، ص ١٣٩.

(٢) انظر: عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣١٠، القاهرة.

تلك الأوضاع الدينية واللغوية والثقافية الجديدة، دعت إلى المزيد من الاهتمام بالكلمات الإسلامية، فقام بعض اللغويين بتصنيفها وجمع ما تفرق فى كتب المفسرين من آراء لغوية تتعلق بهذا النوع من المفردات. فألف الرازى كتابًا أسماه: **كتاب الزينة فى الألفاظ الإسلامية**[١] ذكر فيه معانى أسماء الله:

«ومعانى أسماء تذكر باللغة العربية مما هى فى العالم وما جاءت فى الشريعة...»[٢] مثل الخلق والإسلام والكفر، ومعانى أسماء يذكرها أصحاب المذاهب كالشيعة والمرجئة والرافضة. ففسر فيه المؤلف، كما يقول: «معانى الأسماء، فمنها ما هى قديمة فى كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة وأسامٍ دل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولا فى الدين وفروعًا فى الشريعة، لم تكن تعرف قبل ذلك، وهى مشتقة من ألفاظ العرب، وأسامٍ جاءت فى القرآن لم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم، مثل تسنيم وسلسبيل»[٣].

ويضيف فى مكان آخر:

«إن الأسماء التى هى مشتقة من ألفاظ العرب ولم تعرف قبل ذلك، مثل المسلم والمؤمن والمنافق والكافر، ولم تكن العرب تعرفها لأن الإسلام والإيمان والنفاق والكفر ظهر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم. وإنما كانت العرب تعرف الكافر، كافر نعمة، أى الذى يستر الشيء ويكفره كالفلاح الذى يكفر الحب فى الأرض: «كمثل غيث أعجب الكفار نباته»[٤]، ولم يعرف قبل الإسلام الكافر بمعنى الكفر بالله. قال الشاعر:

ولا تَحْسِبَنِّى كافرًا لك نعمة[٥] ....

(١) قام بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور حسين بن فيض الله الهمدانى، وهو فى جزأين. طبع بالقاهرة، سنة ١٩٥٧.

(٢) الزينة، جـ ١، ص ٥٦.

(٣) الزينة، جـ ١، ص ١٣٤.

يدل سياق الجملة على أن المؤلف يعنى تلك الكلمات التى لم تكن معروفة لدى العرب بالمعنى الذى وردت به فى القرآن (والهمدانى على هذا الرأى).

(٤) سورة الحديد، الآية ٢٠.

(٥) الزينة، جـ ١، ص ١٤٠.

«فالإسلام هو اسم لم يكن قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم. وكذلك أسماء كثيرة، مثل الأذان، والصلوات، والركوع، والسجود، لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول، لأن الأفعال التى كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم. وإنما سنها النبى عليه الصلاة والسلام وعلمها الله إياه، فكانوا يعرفون الصلاة أنها الدعاء.

قال الأعشى، فى صفة الخمر:

فإنْ ذُبِحت صلى عليها وزَمزما ....

أى دعا لها. وعلى هذا كانت سائر الأسماء»[1].

ثم يشير إلى أن بعض:

«الأعمال التى هى فى شريعة الإسلام قد كان مثلها فى اليهود والنصارى، ولكن لم يكونوا يسمونها بهذه الأسماء، لأن شرائعهم لم تكن بلسان العرب، فلما جاء الله بالإسلام وبين هذه الأسماء، اقتدوا بأهل الإسلام»[2].

فى هذا الجو الصاخب بالتعريب والتصنيف والمحاجّات الفقهية والكلامية، كانت مدارس اللغويين تعج بالآراء والتأويلات. وليست رحلة ابن القارح فى الجنة والنار، وندواته إلا سلسلة مشاهد من تلك المناظرات الثرية التى عرفها هذا العصر.

فرسالة الغفران كتاب لغة فى صيغة أدبية، قبل أن يكون كتاب أدب يستعمل اللغة كمجرد وسيلة. فهو صورة مصغرة لما شهدته دنيا البصرة والكوفة وبغداد ودمشق، وغيرها من عواصم الثقافة العربية الإسلامية، فى عصر المعرى.

جاء المعرى فصادف الوضع كما أوضحناه، ووجد اللغة العربية فى عنفوانها، فحذق أوضاعها وأسرارها، الفصيح من الألفاظ، والغريب المهجور، والدخيل، والمعرب، والمولد، والمصطلح. ثم أخذ بناصيتها، وذهب يجول فى محاجها الواضحة، وفى المتاهات، متنقلا بين اللغة الحضرية واللغة البدوية، بين

(١) نفس المصدر، جـ ١، ص ١٤٧.

(٢) نفس المصدر، جـ ١، ص ١٤٨.

مصطلحات الفقهاء والمتكلمين، والفلاسفة، ومصطلحات النحويين والعروضيين والبلاغيين. وهكذا غزت رسالتَه أنواعٌ من النثر الفنى، بإيقاعات وموسيقى مختلفة، فكان إلى جانب السجع المصطنع، السجع «السهل الممتنع»، وإلى جانب المعرفة المتقنة للغة وأسرارها، التضلع الذى ذهب بأبى العلاء إلى استغلال الكثير من الدخيل.

لقد استساغ المعرى كل ما وصل إليه عصره من تقدم لغوى وبلاغى، فأخذ ينمى الاستعمالات الخاصة: يجدد اللفظ ليكسبه بعدًا دلاليًا سواء أكان اللفظ فعلا أو اسمًا أو نعتًا.

فمن الأفعال، مثلا: «غسل» فى قول أبى العلاء: «فصدر أحمد بن يحيى قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد»[1].

فالمعنى العام لـ:

غسله، طهره بالماء (أزال وسخه).

ومن المجاز: غسله: ضربه فأوجعه. ومنه (رجل غسيل = ضروب لامرأته).

ومن المجاز أيضاً قولهم «تلطخ بعار لن يغسل عنه أبدًا».

(انظر الزمخشرى، أساس البلاغة، القاهرة، ص ٩٥٠).

أما عند المعرى، فالغسل هنا مجازى: تطهير معنوى، عن طريق صفاء الضمير، لا بالماء.

ومن الأسماء، مثلا: فردوس، فى قوله: «وقد اصطفى له ندامى من أدباء الفردوس»[2].

المعنى العام: أعلى درجات الجنة. ومعناها فى الأصل البستان والروضة، وخضرة الأعشاب. أما أبو العلاء، فيعطى للكلمة معنى أوسع، بالإضافة إلى

---

(١) الرسالة، ص ١٦٩.

(٢) الرسالة، ص ١٦٩.

نعيم الجنة، كما وصفه القرآن. يحمل «فردوس»، فى هذه العبارة، مدلولا إضافيًا هو المتعة الفكرية، حيث توجد ندوة فردوسية.

ومن النعت مثلا: «النبعية» فى قوله: «وما يسْكنُ منه فى العُيُونِ النّبْعِية»[1].

المعنى العام: القوس من نبع (النبع: شجر تتخذ منه السهام، وعند المولدين النبع عين الماء). فاللفظة اسم أصلا، وعند أبى العلاء، نقلت من معناها الأول إلى صفة.

يأتى أبو العلاء بتعابير دقيقة، قابلة لوصف الخلجات النفسانية، كما يفعل، مثلا، عندما يتحدث عن الصداقة بين شخصين:

«فصارا يتَصَافيان ويَتَوافيان [...] وأبو عبيدة صافى الطّوِيّة لعبدِ الملك بن قريْب، قد ارتفعتْ خُلّتُهما عن الريبِ»[2].

ولا يخلو أسلوب المعرى كذلك، من الاستعمالات المجازية، والصيغ الغريبة، أحيانًا تلبية للإلحاح البلاغى، وأحيانًا انسياقًا مع عامل السجع الذى يجره لاستعمال الكلمات الغريبة والمهجورة. وهو لا يتحرج، كذلك، من استعمال الدخيل الذى يحظى بمكانة هامة لديه، كما سيظهر.

ما هو الدخيل؟

مادة (د. خ. ل) تدل على الولوج (ضد الخروج). ومنه: «دخيل» و«دخلاء»[3].

ذكر ابن فارس، فى مقاييس اللغة، معانى مختلفة لمادة (د. خ. ل) وما اشتق منها. وهى نفسها الواردة فى المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى، وفى الصحاح للجوهرى.

---

(١) الرسالة، ص ١٦٨.

(٢) الرسالة، ص ١٦٩ و١٧٠.

(٣) لسان العرب، جـ ١١، ص ٢٤٠. ط بيروت ١٩٥٥م.

فالدخيل لغة هو:

١ - من التحق بقوم وانتسب إليهم، وليس منهم.

٢ - المشبوه فى نسبه.

٣ - دخيل الرجل ودخلله الذى يداخله فى أموره ويختص به.

٤ - يضيف ابن منظور، فى لسان العرب، معنى آخر هو: الضيف والنزيل.

٥ - الدخيل عند العروضيين: الحرف الذى بين حرف الروى وألف التأسيس، كالصاد فى الشطر التالى:

«كِلينى لِهَمٍّ يا أُمَيمة ناصب».

ولعله سمى بذلك لأنه دخيل فى القافية.

لكن معنى «دخيل» الاصطلاحى، الذى يهم بحثنا هذا، لم يشر إليه واحد من هؤلاء.

ومما تجدر الإشارة إليه، كذلك، هو أن كلمة «دخيل»، أدخلت فى كلام العرب وليست منه، وقد استعملها ابن دريد كثيرًا فى الجمهرة[1].

الدخيل أم الـ«معرب»؟

إذا كنا لم نعثر، فى المعاجم المذكورة، على المعنى الاصطلاحى لـ«دخيل»، فإننا نجد فى مادة (ع. ر. ب) كلمة «معرب» و«تعريب» تؤديان، تقريبًا، المعنى الاصطلاحى السابق. يقول السيوطى:

«تعريب الاسم الأعجمى أن تتفوه به العرب على مناهجها، تقول: عربته العرب وأعربته»[2].

ونجد، عند ابن منظور، نفس هذا التعريف. فى حين نجد السيوطى يُعرف «المعرب» بقوله:

(١) المصدر السابق، ص ١٤١.

(٢) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، ص ١٥٩، القاهرة.

«وهو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها»[١].

بناء على ما تقدم، نتساءل: هل «دخيل» و«معرب» مترادفان؟

يجيب السيوطى:

«ويطلق على المعرب دخيل، وكثيرًا ما يقع ذلك فى كتاب العين والجمهرة، وغيرهما»[٢].

يفهم من كلام السيوطى أن كل معرب دخيل، ومما هو معروف أن الدخيل يشمل المعرب كما يشمل المولد. ومن ثمة لا يعتبر كل دخيل معربًا، ويبقى لفظ «الدخيل» أعم من لفظ «معرب» فإذا كان الأمر كذلك فإن سؤالاً آخر يمكن أن يوضع هنا:

لماذا فضل بعضهم استعمال «معرب» على «دخيل»؟

لا يبعد أن يكون سبب تفضيل «معرب» على «دخيل» هو أن فى الثانى التباسًا أتاه من المعنى القدحى الملازم له. أليس «الدخيل» هو من ينتسب إلى غير قومه؟ ومنه كانت «الكلمة الدخيلة» كل كلمة أعجمية أدخلت فى كلام العرب. فمادة (ع. ر. ب.) تدل، قبل كل شيء على:

(أ) الإبانة والإفصاح، ومنه قول النبى ﷺ: «الثيب تعربُ عن نفسها» أى تفصح. وكذا سمى الإعراب إعرابًا لتبيينه وإيضاحه. وقد قيل إن الشعب الذى يسمى العرب، سمى كذلك، لأن لسانه «أعرب» الألسنة وأكثرها وضوحًا وبيانًا. ويعتبر الرازى أحد الذين يذهبون إلى هذا الرأى، حيث يقول:

«إن أفضل اللغات الأربع (العربية، العبرانية، السريانية، الفارسية) لغة العرب. وهى أفصح اللغات وأكملها، وأتمها وأعذبها»[٣].

وقولهم «ما بالدار عريب» أى ما بها أحد، يعنى أنيس معرب عن نفسه ومبين عنها[٤].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الزينة، ج ١، ص ٦١.
(٤) لسان العرب، ج ١، ص ٥٩٢.

(ب) تدل المادة (ع. ر. ب.) كذلك على النشاط وطيب النفس. ومنه الآية القرآنية:

(فجعلناهن أبكارًا، عُربًا أترابًا) (الواقعة ٣٦ - ٣٧).

شرح المفسرون «عُربا» بأنهن المعربات عن حالهن، بعفتهن ومحبة أزواجهن.

لعل هذين الأصلين هما اللذان حببا إلى النفوس تفضيل «معرب» على «دخيل».

إن مشكل المعرب أو الدخيل ما زال قائمًا. لكن، فى عصرنا تغلب تداول لفظتى «معرب» و«تعريب» على كلمة «دخيل».

بعد أن حللنا أصل «دخيل» و«معرب»، نعطى تعريفًا وظيفيًّا لمفهومها الاصطلاحى.

ونشير مسبقًا هنا إلى أننا نطلق لفظة «الدخيل» ونريد بها «المعرب» من غير تفرقة بينهما. على ذلك فمفهوم الدخيل كما ستتبناه هذه الدراسة هو:

ما أخذه العرب من ألفاظ، موضوعة لمعان فى غير لغتها، عن ألسنة أجنبية، للتعبير عن معان وأشياء لم تكن معروفة لديهم.

وهذا التعريف يظل ناقصًا، لأنه ضيق لا يشمل كل الحالات التى دعت، (والتى تدعو الآن كذلك) للالتجاء إلى الدخيل. ولكننا نفضل أن نكتفى، به مؤقتًا، إذ فى كل مرحلة من مراحل الدراسة سنضطر إلى إضافة حالة أو ظاهرة تتصل بالموضوع.

منابع الدخيل:

إن التداخل بين اللغات شىء طبيعى، ولما عرف العرب الرحلات منذ الجاهلية للتجارة، كان ضروريًّا أن يتسرب «الدخيل» إلى العربية، مع مرور الأزمان، من البابليين، واليونان، والسريانيين، والقبط. وانتشرت هذه الألفاظ انتشارًا اقتضاه الوضع الجغرافى للقبائل العربية. يقول السيوطى:

«فإن لخماً وجذامًا كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط وقضاعة وغسان وإياد كانوا

مختلطين مع الآراميين والعبرانيين، وتغلب والنمر كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، وبكر للهند، والحبشة وعبد القيس وأزد عمان، كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، وأهل اليمن كانوا مختلطين مع الهند والحبشة، وسكان صحارى الجزيرة والعراق كانوا مخالطين للنبطيين والفرس، وغيرهم لغيرهم»[١].

من هذا الخليط العارم، أنى للباحث إرجاع كل لفظة لأصلها؟

هذه صعوبة أولى تعترض بحثنا. أما الصعوبة الثانية، فهى أن الكلمة المستعارة تعرب مرة أولى، ثم ربما تنتقل من لهجة قبيلة إلى لهجة قبيلة أخرى فيطرأ عليها تغيير جديد من جراء اختلاف اللهجات. نتيجة لهذه العملية المضعفة قد نجد لفظتين متقاربتين معربتين تترادفان[٢]. ولربما دخلت الكلمة لهجتين أو أكثر فتدخل عليها كل لهجة تحريفات وتنطقها طبقاً لقوانينها الصوتية، ثم يحدث أن تدخل فى أشكالها المختلفة لهجة قريش فتنضاف إلى كلماتها.

هكذا نجدنا أمام بعض الظواهر اللغوية، كالمشترك من الألفاظ (homonymes) والمترادف والقلب المكانى وغيره.

هذا، وإن الدراسات اللغوية الحديثة تعمل جادة لإبراز نقط الاتصال ومواطن تبادل التأثير بين الفصائل اللغوية، قديماً وحديثاً. وبهذا الصدد، نشير إلى النظرية التى استخلصها، الدكتور إبراهيم أنيس[٣]، وأكدها الدكتور عبد الصبور شاهين الذى يقول:[٤]

«يمكن القول بأن أغلب الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها هى ألفاظ سامية، للعربية فيها ما لأخواتها. فهى ألفاظ سريانية، وهى عبرية، وهى حبشية، وهى عربية أيضًا، ويصدق هذا الرأى بخاصة بالنسبة إلى الألفاظ التى اتخذت فى العربية صورة لغوية خاصة، أى تلك التى خضعت للقوانين الصوتية، والصرفية العربية، بحيث قد امتاز وجودها العربى عن وجودها فى اللغات السامية الأخرى».

---

(١) المزهر، ج ١.

(٢) مثلاً: كلمة برند الفارسية عربت «برند» و«فرند».

(٣) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٨٣، القاهرة.

(٤) انظر، القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٢٣.

وقد تضاعفت اتصالات العرب (شعبًا وثقافةً ولسانًا) بكثير من الشعوب والثقافات والألسنة بعد مجىء الإسلام، فنتج عن توافد الأعاجم على المراكز العربية الإسلامية عمليات متوالية متشعبة من التبادل والتلاقح والتأثر والتأثير.

يشير أبو عثمان الجاحظ إلى ذلك قائلاً:

«أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس، فى قديم الدهر، فعلقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخربز، ويسمون السَّمِيط الرزدق[1] [. . .] وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة بال، وبال بالفارسية. . . »[2].

من الينابيع الأساسية للدخيل حركة الترجمة فى أواخر العهد الأموى، وخصوصاً أيام العباسيين، فقد كانت أزكى وأعمق منبع للمعربات.

نقصد بالترجمة، هنا، ترجمة مختلف العلوم التى تلاحمت مع الاستنباطات من العلوم النقلية (عن الكتاب والسنة) فجاءت بالعطاء الثقافى العربى الإسلامى المعروف.

لم يكن للعرب، فى العصر الجاهلى، علم وضعى، نعنى علمًا له موضوع واضح ومنهج محدد يقتضيه ذلك الموضوع، مع قوانين منظمة (أى قواعد قابلة للتجربة، وثابتة، كلما توفرت شروط معينة). وطبيعى ألاَّ يكون فى بيئات قبلية أو قروية علم بالمعنى الدقيق، إذ العلم وليد وسط بلغ حدًا ما من الحياة الحضارية. لكن، لما جاء الإسلام، تفتحت الآفاق أمام القبائل العربية، وتوحدت داخل «أمة»، وحلت الذهنية الشمولية محل الذهنية المعشرية الضيقة، إذ ذاك بدأت قابلية العرب على استساغة علوم الطبيعة، تنبثق وتتفتح لاستقبال ما عند الغير، كما يأمرهم نبى الإسلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين» فـ«طلب العلم فريضة على كل مسلم»، والعلم غير محصور فى صنف ما، أو فى فترة ما من الحياة: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

---

(١) السميط: الآجر القائم بعضه فوق بعض.

والرزدق (أصله بالفارسية رسته) ومعناه السطر والصف من النخل وغيره.

(٢) البيان والتبيين جـ ١، ص ١٩، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، بغداد، ١٩٦٠م.

كل ذلك شحن النفوس حماسة للعلوم، مما دفع إلى النقل والتعريب، وتقبل الدخيل من الألفاظ والتعابير.

فى فترة الخلفاء الراشدين، بالمدينة المنورة، كانت الأمة الإسلامية ما زالت فى طور التنظيم البنيوى للدولة، وفى عهد الأمويين، بدمشق، كان المسئولون مهتمين بردع الفتن والاضطرابات وتنظيم مختلف العمالات، الجديد منها والقديم. أما مع العباسيين، فى بغداد، فقد حصل تحول كبير. لقد استقرت الأمور، نسبيًا، وتم الامتزاج بالشعوب المسلمة غير العربية، والشعوب المجاورة، وكذلك التآنس مع أهل الذمة، فتغيرت الحياة القروية والقبلية إلى حياة حضر أصبح معها الجو صالحًا لنقل العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة، خصوصًا منطق أرسطو، والطب والمضامين السياسية، فانتشرت الترجمات عن اليونان والفرس والهند، وتأسس بيت الحكمة، على عهد المأمون، وأصبحت حركة الترجمة تحت رعاية الدولة التى تعطيها أكثر ما يمكن من المساعدات: ميزانية خاصة، وأجهزة إدارية، وغير ذلك.

تلك انطلاقة جبارة كان لها أثر على اللسان العربى.

نستخلص مما تقدم، أن النقل كان على مستويين:

(أ) **المستوى العفوى، أو مستوى العامة**: وهو النقل الذى تم بطبيعة الاحتكاك اليومى، فى معترك الحياة، لأن تداخل لغات وحضارات يخلق لزاماً، كلمات وعبارات، فى شتى الميادين.

إن النتيجة الأولى لهذا الوضع هى البلبلة وكثرة الخلط فى الكلام العربى، وتفاقم هذا مع اتساع رقعة دار الإسلام، وقيام طبقة أصحاب «الحريم» حيث كثرت الجوارى، والعبيد (وهم من أجناس غير عربية)، فتعددت التأثيرات بتعدد المشارب.

ويتجلى التداخل بين العربية والفارسية، بنسبة أوضح، فى النثر والشعر، فى فترة ما بين القرن الثانى إلى الخامس. وسنرى أن برسالة الغفران ما يربى على المائة كلمة دخيلة، منها حوالى ٦٠ كلمة تسربت من الفارسية.

(ب) **مستوى الخاصة، أو المستوى الاختيارى**: وهو نوع دعا إليه توسع أفق

المعارف. وحصل هذا النوع بـ «الترجمة» أو النقل العلمى. فأخذ «الخاصة» عن اليونان، والفرس والهند، مصطلحات فلسفية وطبية، ورياضية وكيماوية وفلكية، ثم «عربوها» أو «أدخلوها» إلى لغتهم. إنه نقل اختيارى، أو إن شئنا قلنا: إنه تلبية لضرورة إرضاء الفضول الفكرى والإسهام الحضارى، أى ضرورة نتجت عن إرادة. لقد تغلبت «الإرادة» على اللسان العربى فصيرته يتسع لترجمة نصوص وكتب، ولتعريب مصطلحات فى شتى ميادين الفكر وحقول المعرفة. وقد بلغت حركة الترجمة أوجها، فى بغداد، على عهد المأمون بن الرشيد العباسى بالمشرق، وفى قرطبة وطليطلة، ومدن إيطالية بالغرب. ومايزال الجم الغفير من تلك المصطلحات مستعملا حتى يومنا هذا.

طرق النقل والتعريب:

بعد أن حاولنا تحليل مفهومى «معرب» و «دخيل»، وتعرضنا لإبراز الظروف والعوامل التى أدت إلى تسرب بعض المفردات الأجنبية إلى العربية وإدخالها فيها، نود أن نتعرف على طرق التعريب، وأن نستخلص بعض الظواهر اللغوية التى قد تعترى الألفاظ المعربة. بيد أن معرفة ذلك تقتضى منا وقفة عند أقوال القدامى والمحدثين من اللغويين فى هذا الباب. سبق أن رأينا أن الألفاظ الدخيلة، إما تسربت إلى العربية بالاحتكاك مع غير العرب، وإما عن طريق النقل والترجمة الاختيارية، وفى كلتا الحالتين قد يعترى اللفظة الأجنبية تغيير وقد تبقى على حالها. وإن كان الأمر بالنسبة للكلمات المترجمة يختلف عن الأخرى إذ لم يكن القدامى «ينقلون»، بمعنى يأخذون اللفظة الأجنبية كيفما كانت بنيتها ويزرعونها فى حقلهم اللغوى، بل كانوا قبل أن يتبنوا الكلمة، يجرون على ما لا توافق بنيته بنية العربية تحويرا ويدخلونه فى القالب العربى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ويلحقونه بأبنيتهم لتنسجم مع بقية كلمات الجملة، كيما يظل لهذه الأخيرة جرسها العربى الأصيل، وهذا ما يرويه سيبويه:

«اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه (...) وربما غيروا حاله عن حاله فى الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الحرف الذى هو

للعرب عربيًا غيره، وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة. . . »[1].

نجد من القدماء من يذكر فى تمييز الأصيل من الدخيل أقوالا جزافية فى الحكم على عجمة بعض الألفاظ. ولعل مرد ذلك إلى ضيق المامهم باللغات المعاصرة للعربية آنذاك، فى حين نجد طائفة أخرى تناولت القضية بطرق فنية، وحاولت البحث عن مقاييس. ومن هؤلاء ابن جنى. إنه يصرح بوعورة الطريق، ويرى أن :

«أكثر الناس يضعف على احتماله، لغموضه ولطفه»[2]. وقد بذل جهداً فى وضع مقاييس يستدل بها على عربية الأعجمى. وكما يرى عبد الصبور شاهين إن حدود الأعجمى عنده غيرها عند الآخرين :

« فهو لم يتعرض لذكر لغة من الساميات، وإنما ذكر أمثلة منسوبة للفارسية أو الرومية »[3].

ويمكن تلخيص أشكال التعريب فيما يأتى :

- الإلصاق.
- تحويل الكلمة.
- الاشتقاق.

١ - الإلصـاق :

يشكل الإلصاق وسيلة من وسائل تعريب الأعجمى، وذلك بأن تضاف للكلمة :

(أ) **لاحقة**، كحركة الإعراب، أى إعراب اللفظة الأعجمية بتحريك آخرها. يقول ابن جنى نقلا عن أستاذه أبى على الفارسى : «إذا قلت « **طاب الخشكان** »، فهذا من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه، قد أدخلته كلام العرب

---

(١) الكتاب، جـ ٢. ص ٤١٢-٤١٣. ط: الأعلمى «بيروت».

(٢) الخصائص، جـ ١ ص ٣٥٧. باب: فى ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب».

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٦.

[. . .] وإن لم تكن العرب قد تكلمت به. فبرفعك إياه، كرفعها صار لذلك محمولا على كلامها، ومنسوباً إلى لغتها»[1].

وفى حال الإعراب تحتفظ اللفظة على أصلها، كما هو، دون تغيير أحد حروفها أو حركاتها قصد إلحاقها بالأبنية العربية وإن فقد بناؤها فى أبنية العرب، وهذا متى كان لأصواتها مقابل فى الأصوات العربية.

(ب) سابقة، مثل: أداة التعريف (أل). من الكلمات المعربة ما تصرف فيه العرب تصرفهم فى الكلمات العربية الأصل بإدخال «الـ» عليها[2] كـ«قز» دخلت عليه «الـ» فصار «الـ + قز»، وهى لفظة يسوغها الجرس العربى، مثلها مثل ديوان: «الـ + ديوان». ويرى ابن جنى «أن مما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها. ألا تراهم يصرفون فى العلم نحو آجر، وإبريسم، وبرند، وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف؟ وذلك أنه لما دخلته اللام فى نحو الديباج، والفرند، والسهريز، والآجر، أشبه أصول كلام العرب، أعنى النكرات، فجرى فى الصرف ومنعه مجراها»[3].

غير أن تصرف العرب هذا لم تتعرض له كل الكلمات المعربة، بل منها ما بقى على حاله فلم يرد محلى بالألف واللام. يقول الجواليقى:

«من المعرب ما لا يعتد بعجمته، وهو ما أدخل عليه لام التعريف، نحو «الديباج» و«الديوان»، وما يعتد بعجمته، وهو ما لم يدخلوا عليه لام التعريف كـ«موسى» و«عيسى»»[4].

غير أننا نلاحظ أنه فى بعض الحالات، بالرغم من إدخال (ال) تحتفظ الكلمة بسحتها الأجنبية، مثل «أسكرجة»[5] عربت وأدخلت عليها (ال)، ورغم ذلك تظل رنتها الصوتية غير مستساغة إذ تترك فى النفس شيئاً غير طبيعى.

---

(١) الخصائص، جـ ١، ص ٣٥٧-٣٥٩.

(٢) شفاء الغليل، تحقيق عبد المنعم خفاجى، ص ٢٤، القاهرة، ١٩٥٢،.

(٣) الخصائص، جـ ١ ص ٣٥٧.

(٤) المعرب فى الكلام الأعجمى، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص ٥، القاهرة، ١٩٤٢م.

(٥) مقرب الخل (شفاء الغليل، ص ٣٥) وهى من الكلمات التى وردت فى الرسالة، وسنتناولها بالدرس فيما يلى.

٢ - تحويل الكلمة :

الطريقة الثانية للتعريب هى تحويل الكلمة الأعجمية، أى صوغها صياغة تكييف بتغيير حركاتها أو الإضافة إلى صوامتها قصد إخضاعها لمقاييس النطق العربى والتصريف اللغوى ويحصل ذلك :

(أ) بتكييف أصوات الكلمة الأجنبية التى لا مقابل لها فى الأصوات العربية، أى إبدال حرف من حرف[1].

ولم تكن هذه العملية اعتباطية، بل غالباً ما كانت تراعى فيها قاعدة تعاقب الأصوات التى يستحيل مخرجها أو يبعد، أى يستعاض عن الأصوات التى لا تطاوع النطق العربى بما هو أقربها مخرجاً، مثل إبدال الباء المخلوطة بالفاء، بالباء أو بالفاء، كما فى تَعريب «پرند» Perand بـ«برند» (Berand) أو فرند (Ferand).

والحروف المبدلة عشرة :

- منها ما يطرد إبداله، وهو :

الكَاف (g)، الباء (P)، الفاء (V). وهذه «مخلوطة» لا توجد فى كلام العرب[1].

- وبعضها لا يطرد فيه الإبدال، وهى الحروف الموجودة فى العربية أصلا : السين - والشين - العين - اللام - الراء[3].

فمن إبدال الشين سيناً، نحو إسماعيل فى **إشمائيل**، إذ كل سين فى العربية هى شين فى العبرية واللسان، **لشان**، والاسم، اشم[4].

(ب) بزيادة حرف، أو حرفين، على أصول الكلمة الأعجمية سواء فى أول اللفظة، أو فى آخرها، أو وسطها، أو أولها وآخرها.

---

(١) شفاء الغليل، فصل فى تغيير المعرب وإبداله ص ٢٥ وأيضاً، «باب اطراد الإبدال فى الفارسية» ص ٢٦. انظر كذلك : أدى شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٤. ط بيروت، ١٩٠٨م.

(٢) شفاء الغليل، ص ٢٥. انظر، كذلك المزهر، ١-١٦٢.

(٣) انظر المصدرين السابقين، نفس الصفحة.

(٤) المزهر، جـ ١ ص ١٦٤.

(جـ) بحذف حرف أو أكثر من :

أول الكلمة، مثلاً : «بيمارستان» صارت مارستان.

أو وسطها، مثلاً : «بوستان» : صارت بستان.

أو آخرها، مثلاً : «هزارد ستكار» صارت هزار.

(د) بإبدال حركة بحركة :

بَرند صارت برند.

(هـ) بقلب مكانى لبعض الحروف مثل، «سلوار» صارت سروال[1].

وقد يتوخى العرب من العمليات السابقة إلحاق الكلمة التى غيروها بأبنية كلامهم، مثل إلحاقهم :

«يعقوب» بـ«يربوع».

«وجورب» «بكوكب»[2].

وأحيانًا يغيرون دون إلحاق بالأبنية العربية، نحو: «لغام» صارت «لجام».

هناك ألفاظ لم يغيرها العرب ووافقت أبنيتهم، مثل : سكر.

أما الألفاظ التى لم يغيروها ولم يلحقوها بأبنيتهم فمثل : «خراسان» فلا توجد فعالان فى الأوزان العربية.

وكما يعرب اللفظ الأعجمى المفرد، يعرب كذلك المركب ويبقى فى العربية كما هو بوصفه سماعيًا ويستعمل أحيانًا كما هو مركبًا مثل «شاهنشاه».

وأحيانًا، ينقل اللفظ من المركب ويستعمل فى العربية مفردًا نحو: «سجيل» إنه معرب «سنك وكل»[3].

قد نتساءل : لِم كل هذه التغييرات ؟

---

(١) شفاء الغليل، ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ٢٧.

(٣) شفاء الغليل، ص ١٤٥.

نقول لعل رغبة العرب فى الحفاظ على صفاء لسانهم من لكنة العجم هو مدعاة ذلك.

بعد تحليل النوع الثانى من أنواع التعريب، ننتقل إلى دراسة المقياس الثالث: الاشتقاق.

٣ - الاشتقاق:

لم يقف تصرف العرب فى الكلمات الأعجمية عند الإلصاق وتحويل الحروف والحركات، بل تجاوزهما إلى الاشتقاق فاشتقوا من بعض الأسماء المعربة، أفعالاً ومصادر مثل اشتقاقهم من: زنديق: تزندق، زندقة.

ويعتبر الاشتقاق من المقاييس التى يعتمدها ابن جنى حيث يقول نقلاً عن أبى على الفارسى:

«إن العرب اشتقت من الأعجمى النكرة، كما تشتق من أصول كلامها، قال رؤبة:

هل ينجينى حلف سختيت أو فضة أو ذهب كبريت

قال: فـ«سختيت» من السخت كـ«زحليل» من الزحل. وحكى لنا أبو على عن ابن الأعرابى، أظنه قال: يقال درهمت الخبازى، أى صارت كالدراهم، فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمى، وحكى أبو زيد: رجل مدرهم»[1].

من المحدثين من يعتمد نفس الرأى ويؤكد أن:

«الاشتقاق من الأعجمى هو المقياس الوحيد الذى يوحى بأن الكلمة قد دخلت فعلاً فى العربية، وأصبحت فى مفرادتها»[2].

وقد لا يحصل مع التصرف فى مبنى الكلمة وحروفها تغيير فى معناها. لكن هناك نوع آخر هو تصرف العرب فى معنى بعض الألفاظ الأجنبية إذ يستعملونها فى معان غير ما كانت موضوعة له فى الأصل. فمثلاً:

---

(١) الخصائص، جـ ١، ص ٣٥٨.

(٢) انظر: عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٣٩.

« ضحاك » قد اعتبره العرب علمًا لملك، فى حين هو، معرب عن « ده آك » الفارسية، ومعناه الأصلى : من فيه عشرة عيوب.

يأتى الخفاجى بهذا المثال، بصدد حديثه عن موافقة بعض الألفاظ المعربة لألفاظ عربية الأصل، ويقول :

« . . . لا يضر المعرب كونه موافقاً للفظ عربى »[1]. نعم، لا ضرر فى ذلك. لكن، يبقى أن نثبت : أن « ضحاك » فارسى أصلاً. ألا يجوز أن نقول إن « ده آك » مأخوذة عن أصل عربى (مادة : ض. ح. ك)؟ فيكون : من ضحاك الذى يضحك (بفتح الياء) كثيرًا، ويُضحك (بضم الياء) كثيرًا جاء ده آك (من فيه عشرة عيوب) مما يجعل الناس يضحكون عليه كثيرًا، فلا حجة لتأويلنا، كما لا حجة للجواليقى فيما ادعاه، ويظل التأويلان مجرد فرضين ممكنين. على كل، نرجح أن يكون ذلك مجرد توافق من قبيل الصدفة، بين الأصلين العربى والفارسى.

وعلى منوال (ضحاك / ده آك) نجد كلمات عربية توافق ألفاظاً فارسية قد يكون بعضها دخيلا فى العربية، كما يجوز اعتباره دخيلاً فى الفارسية من العربية. مثلاً :

ضنك ــــــــــــ تنك

جناح ــــــــــــ كناه

بم تعرف عجمة الكلمة؟

من المعروف أن لكل لغة حروفاً تدور فى أكثر كلامها كاستعمال الروم للسين، واستعمال الجرامقة للعين. كما أن هناك حروفًا توجد فى لغة ولا تستعمل فى أخرى. من ذلك ما رواه الجاحظ عن الأصمعى :

«قال الأصمعى : ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان ذال»[2].

فهل للعربية خاصيات فى استعمال بعض الحروف تميزها عن غيرها؟

لقد توصل العرب، باستقرائهم أبنية الألفاظ العربية الأصل، إلى ملاحظات

---

(١) شفاء الغليل، ص ٣٠.

(٢) البيان والتبيين، جـ ١، ص ٦٥.

متواترة مطردة اتخذوها قواعد أساسية فى معرفة الألفاظ الدخيلة والمعربة، وتتلخص نتائج بحثهم فى الملاحظات التالية : لا يوجد فى أصول أبنية الكلام العربى لفظة يجتمع فيها :

- الجيم والقاف، إلا أن تكون اللفظة معربة، كالجوق، أو حكاية صوت، كجلنبلق.

- الصاد والجيم مثل الجص والصنجة، قال الخفاجى :

«ولا تجتمع الصاد والجيم فى كلام العرب [. . .] ولذا قال الجوهرى : الإجاص دخيل فى كلام العرب. وقيل لم يجتمعا فى كلمة عربية إلا فى صَمَج، وهو القنديل»[1].

غير أننا نجد الأزهرى يعقب فى التهذيب، على ذلك، فيقول :

«الصاد والجيم مستعملان، ومنه جصص الجراد إذا فتح عينيه، وجصص فلان إناءه إذا ملأه. والصَّبْجُ : ضرب الحديد بالحديد»[2].

ومما يؤيد رأى الأزهرى ما جاء فى **الصحاح**، يقول الجوهرى : إن «الجص» معرب. ثم يذكر لفظة «جصص» الجرو (كما عند الأزهرى) دون التعرض إلى أصل المادة، مما يفهم منه أنها عربية. ويضيف صاحب **اللسان** أن الجرصة (العظيم من الرجال)، والجلبصة (الفرار) والجمص (ضرب من النبت)، وجفص (رعب رعبًا شديدًا). فهذه الأمثلة تجعلنا نميل إلى ما ذهب إليه الأزهرى.

- نون بعدها راء، **نرجس**.
- زاى بعد دال، فى آخر الكلمة، **مهندز** = مهندس.
- الباء والسين والتاء مجتمعة فى الكلمة، **بست** (بلدة أعجمية).
- سين وذال معجمة، **ساذج** (ساذة فارسية).
- الطاء والجيم، **طاجن**.
- الصاد والطاء، **صراط**.

---

(١) شفاء الغليل، ص ٢٨.

(٢) السيوطى، المزهر، ص ١٦١.

– الشين بعد لام. وفيها يقول ابن سيدة فى المحكم: «الشينات كلها فى كلام العرب قبل اللامات»[١].

ولا توجد فى كلام العرب بعض الأوزان، مثل:

– **فُعَالان**: خراسان (فارسية).

– **فَاعِيل**: آمين (عبرانية).

– **فِعْلَل**: درهم (إلا فى ضفدع، وهى لغة ضعيفة).

– **إفْعيلل**: بكسر اللام (وتوجد بفتحها) إبريسم.

ملاحظـة:

كثيرًا ما ردد اللغويون أن أحسن كلام العرب ما يبنى من الحروف المتباعدة المخارج، ويرون أن أخف الحروف حروف الذلاقة[٢]، وهى:

الراء – النون – اللام: من طرف اللسان.

الفاء – الباء – الميم: من الشفتين.

ولا يخلو الرباعى والخماسى، فى العربية، من حروف الذلاقة، مثلاً: العفنجش سوى عسجد، وما عداها فليس أصيلاً فى العربية.

وعلى هذا، فالكلمة الرباعية أو الخماسية التى ليس بها حرف ذولقى تعتبر دخيلة، مثل: قسيس.

من ثمة أخضع العرب بعض الألفاظ الدخيلة، فغيروا أصواتها غير الموجودة فى لغتهم، أو التى يستثقلون اجتماعها فى كلمة واحدة لقرب مخارجها. لهذا لا نكاد نعثر فى العربية على لفظة تجتمع فيها ثلاثة أحرف من جنس واحد.

---

(١) السيوطى، المزهر ص ١٦٣.

(٢) شفاء الغليل، ص ٢٩.

تحليلات تطبيقية للدخيل فى الغفران

بعد أن تعرضنا للحديث عن الظروف التاريخية والجغرافية والحضارية التى تم فيها تعريب بعض الكلمات وإدماجها فى اللغة العربية، ننتقل الآن إلى إحصاء ودراسة ماورد فى رسالة الغفران من المعربات على اختلاف أصولها.

دفعنا إلى تحرير هذا الفصل، كثرة ورود الألفاظ الدخيلة فى الرسالة ولقد جاءت هذه متنوعة. فمنها ما عرب فى العصر الجاهلى، ومنها ما تم تعريبه بعد مجىء الإسلام وانتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق فبغداد، ومن تلك الألفاظ مالم يكن له مقابل فى العربية، مثل بعض ألفاظ الحضارة والسياسة، ومصطلحات بعض الفنون والعلوم المختصة، وأخرى تتعلق ببعض الديانات التى سبقت الإسلام، وكذلك أعلام جغرافية وغيرها. وهناك معربات كان لها مقابل فى العربية وأصبح استعمالها تباهياً بمعرفة اللغات الأجنبية، كما هو الحال اليوم، أو عفويًّا، لمجرد تداخل اللغات.

يستعمل أبو العلاء فى الرسالة معربات من كل الأصناف، هكذا نجد أسماء أنبياء مثل موسى وهارون وإبراهيم، ... ومصطلحات دينية مثل البطريق، والدوقس، والقوس، والمجوس... كما يستعمل من الدخيل ماهو أسماء لأوانى الجنة ورياحينها، مثل الأباريق، والجوهر، والزمرد، والقرنفل، والمسك، والعنبر. كذلك نجد بالرسالة ألفاظاً تتعلق بالحياة اليومية، كالدينار، والدرهم، والديوان، ... وأخرى تتعلق بالمدنية الجديدة التى عاشها العرب فى بغداد، مما يستعمل فى مجالس اللهو والغناء: كبربط، وجام، فيهج، واسفنط، وغير ذلك مما سنسوقه فى الصفحات التالية.

استنتجنا من عملية إحصاء الكلمات الدخيلة الواردة فى رسالة الغفران، أن عددها يفوق ١٥٠. وقد اتبعنا فى دراستها طريقتين:

الأولى تناولت أمثلة معدودة بتحليل مفصل، فتعرضنا إلى معنى كل لفظة

وأرجعناها إلى اللغة التى تنتسب إليها، وأشرنا للتغييرات الصوتية التى طرأت على بعض حروفها من جراء التعريب وحاولنا تحديد تاريخ تعريبها، ومدى انتشارها فى لغات أخرى كما أشرنا إلى كونها مذكورة فى القرآن والحديث، أو غير مذكورة.

وقد حصرنا هذا النوع من الدراسة المفصلة فى عشرة أمثلة، خشية أن يختل التوازن بين فصول البحث. فلو حللنا جميع المعربات تحليلا مفصلا، لخرجنا عن موضوعنا العام، وهو لغة الغفران، لا الدخيل فحسب.

أما الطريقة الثانية فاكتفت عند دراسة مائة كلمة، بالإشارة إلى معنى كل لفظة وأصلها.

وسنعرض أمثلة كل مجموعة على حدة مرتبة ترتيباً أبجديًّا.

المجموعة الأولى :

إبريق

وردت كلمة إبريق فى رسالة **الغفران**، عندما تحدث أبو العلاء عن أنهار الجنة :

«ويعمدُ إليها المغترِف بكؤوس من العسجدِ وأباريق خُلقت من الزبرجد. . . »[1]

أباريق، جمع : إبريق، وهو جمع قياسى.

أصل الكلمة :

اختلف القدامى فى أصل الكلمة هل هى عربية أم لا؟

فالراغب الأصفهانى يعتبرها من أصل عربى بدليل أنه يأتى بها كأنها مشتقة من مادة (ب. ر. ق) حيث يقول :

«والإبريق معروف، وتصور من البرق ما يظهر من تجويفه. فقيل برق فلان ورعد، وأبرق وأرعد إذا تهدد»[2].

---

(١) الرسالة، ص ١٤٢.

(٢) المفردات فى غريب القرآن، ص ٤٤.

يسكت ابن فارس عن كلمة «إبريق» ولا يذكرها فى مادة (ب. ر. ق)[١].

ونجد الثعالبى فى فصل خصه لـ «سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى»[٢]، يأتى بإبريق، ضمن لائحة أسماء الأوانى المأخوذة عن الفارسية.

أما السيوطى، فيشير إلى أنها معربة، دون أن يبين عن أية لغة، فى فصل خصه بـ «المعرب الذى له اسم فى لغة العرب»[٣].

ويأتى الجواليقى ليؤكد أن:

«الإبريق فارسى معرب وأصله بره»[٤].

أما الخفاجى، فلا يذكر الكلمة فى «حرف الباء»[٥].

دخلت الكلمة إلى العربية قديماً، إذ نجدها فى الشعر الجاهلى، قال عدى بن زيد العبادى[٦]:

ودَعَا بالصبوحِ فجراً فَجَاءَت قَيْنَةٌ فى يَمِينها إبريقُ»[٧]

وذكرت اللفظة فى القرآن مرة واحدة بصيغة الجمع:

«... يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق»[٨]

معنى الكلمة:

إناء للسوائل، له عروة وقناة، أو كما يسميها الزمخشرى «خرطوم»[٩].

يستعمل المعرى اللفظة ثلاث مرات فى جملة واحدة، فى ثلاث معان مختلفة:

«هيهات! هذه أباريق تحملها أباريقُ، كأنها فى الحسن الأباريق»[١٠]

(١) مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٢١.
(٢) فقة اللغة، ص ٤٥٣.
(٣) المزهر، ج ١، ص ١٦٦.
(٤) المعرب، ص ٢٣.
(٥) شفاء الغليل، ص ١١٩
(٦) توفى سنة ٢٥ ق. هـ / ٥٩٠م.
(٧) رسالة الغفران، ص ١٤٧.
(٨) الواقعة ١٧، ١٨.
(٩) الكشاف، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، جـ٢، بيروت، دار الكتاب العربى، ١٩٤٧.
(١٠) الرسالة، ص ١٤٤.

(أ) فالمعنى الأول، يدل على الإناء، كما رأيناه عند الأصفهانى، وكما هو المقصود فى الآية القرآنية السابقة. وعند التعريف، يكتفى المعرى بقوله:

«فالأولى هى الأباريق المعروفة».

ويرد نفس المعنى فى ص ١٤٥ حيث يقول: «خسِر وكُسِر إبريقُه».

(ب) ويضيف أبو العلاء:

«والثانية من قولهم جارية إبريق».

وهذا المعنى، إما أن نعتبره مجازاً (بالنسبة للأول) لأن الإبريق يكون جميلا والجارية «تبرق» حسناً، أو أن نجعل من إبريق كلمة مشتقة من البرق (وهو الاشتقاق الذى أشار إليه الأصفهانى) لأن وجوه الجوارى المحظوظات تكون تلمع حسناً وبهاء:

«وغيداءَ إبريقٍ كأن رُضابَها جنى النحل ممزوجاً بصهباء تاجر»

(جـ) المعنى الثالث، يعرفه أبو العلاء بقوله[1]:

«والثالثةُ، من قولهم: سيفٌ إبريق مأخوذ من البريق. قال ابن أحمر:

«تقلدتَ إبريقاً وعُلِّقتَ جعْبةً لتهلك حيًّا ذَا زهاءٍ وجامل»[2]

يظهر أن ما قلناه عن أصل المعنى الثانى هو عينه ينطبق على الثالث، فالسيف يلمع كالبرق، أو كالإبريق. فإذا اعتبرنا الاشتقاق من مادة (ب. ر. ق) كان الأصل عربيًّا، أما إذا كان التشبيه بالإبريق، كان الأصل فارسيًّا.

***

وملخص القول: أنه لا مانع من اعتبار المعنى (أ) فارسى الأصل، والمعنى (ب) و (جـ) من المادة العربية (ب. ر. ق): بريق، على وزن فعيل وهو وزن عربى.

(١) الرسالة، ص ١٤٥.

(٢) الرسالة، ص ١٤٥.

والمعنى : الجارية الحسناء يضيء محياها كالبرق.

- ويحمل السيف غالباً «عندما» يبرق المرء ويرعد ويهدد. ويجب أن يكون السيف، من شدة مضائه، يسطع (كالبرق)، ومسرعاً فى ضرباته (كالبرق).

* * *

بالإضافة إلى لفظة «أباريق»، يستعمل المعرى نفس المادة، فى معانى تؤيد ما ذهبنا إليه فى تأويلاتنا يقول :

«ولو نَظَرَ إليها علقمةُ لبرق وفَرق»[1].

أى لاندهش، فالبرق قد يأتى على غرة، فيدهشنا ويخيفنا، على هذا نستبعد أن يكون هذا الفعل غير عربى.

عن أية لغة عربت اللفظة ومتى تم تعريبها؟

أصل الكلمة، كما جاء عند الثعالبى والجواليقى، فارسى، كما تقدم، وهو رأى المحدثين كذلك[2]، وهى معربة عن (آبريز)، كما يؤكد أدى شير[3].

وإلى مثل هذا، ذهب أيضاً مجمع اللغة العربية حين جعل الإبريق فى الفارسية الحديثة (آبريز).

وتتركب لفظة ابريق من : آب (= ماء)، ووريز (= وعاء)[4].

ونفس الرأى فى قاموس (بلاشير) إبريق معرب فارسى[5]، وأعطى الكلمة (aiguiere) الفرنسة مقابلة لها. أما أدى شير فيجعل (broc) الفرنسية ترجمة لإبريق، وهذا ينافى ما ذهب إليه (روبير) حيث يجعل أصل (broc) إغريقيا (broklis).

* * *

(١) الرسالة، ص ١٤٥.

(٢) انظر : صبحى الصالح، دراسات فى فقة اللغة، ص ٢٠٠، دمشق، ١٩٦٠.

(٣) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦.

(٤) المعجم الكبير، جـ ١.

(٥) Robert Blachere Dictionnaire arabe francais anglais, T. 1, P. 9.

هذا يجعلنا، من جديد، أمام مشكل : هل أصل إبريق فارسى، كما ذهب إليه بعضهم، أم إغريقى ؟

(أ) إذا كان الأصل إغريقيًّا :

إن التحولات الصوتية التى قد تكون طرأت على الكلمة الإغريقية لا تتعدى تحويل حركة (الضمة = e) إلى حركة (الكسرة = i)، مع حذف الحرف الأخير، وهذا غالبًا ما يحدث بالنسبة للكلمات المعربة لتقليل المجهود العضلى الذى يبذله الجهاز الصوتى.

(ب) أما إذا كان فارسيًّا :

إن كانت اللفظة معربة عن الفارسية، وهذا أيضًا رأى وجيه نميل إليه أكثر من الآخر. ودليلنا هو أن الكلمة استعملت منذ العصر الجاهلى وأول ما وجدناها عند عدى بن زيد الذى كان يذهب إلى كتاب يتعلم الفارسية مع ابن أحد المرازبة على عهد النعمان، فأصبح من «أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية»[1].

فمن المحتمل إذن أن يكون «عدى» أخذ كلمة «إبريق» عن الفارسية التى حذقها.

التحولات الصوتية التى طرأت على كلمة «آبريز» الفارسية، فأصبحت «إبريق» :

نلاحظ أن الوزن آفعيل غير موجود فى العربية، لذا أخضعت «آبريز» للأساليب الصوتية العربية، فنالها تحريف مزدوج فى أصواتها وطريقة نطقها، وصبغت بصبغة اللسان العربى. أليس أصل حركة المد توالى همزتين، أولاهما فى أول المقطع، والثانية فى آخره، ثم حذفت الثانية ومدت الحركة قبلها؟ هذا من خواص اللغات السامية، كالعبرية والأرامية.

وتقصير الحركة الممدودة، مطرد قبل حرف ساكن. وهذا، كما يقول برجشتراسر

---

(١) البغدادى، خزانة الأدب، جـ١، ص ٣٨٣ القاهرة، تحقيق عبد السلام هارون.

قانون قديم سائد فى أكثر اللغات السامية[1] :

صوت المد الطويل (الألف) أصبح قصيرًا : آبريز : أصبحت أبريز.

ثم استعملت الفتحة بدل الكسرة، وهذا كثير، طبقًا لنظرية تطور الأصوات وتناوبها وحلول بعضها محل بعض[2]، فصارت «إبريز».

ولا نستبعد أن يكون أصل (ز) فى الكلمة الفراسية هو «هـ» كما يراه الجواليقى.

ثم أصيبت الكلمة بتحريف آخر : بما أن «الهاء» فى آخر الكلمات العربية لا تثبت، غالبًا، إلا إذا كانت هاء سكت، أو للضمير، فإن العرب استعاضوا عنها فى أواخر بعض الكلمات المعربة بصوت يقرب منها مخرجا هو (ق)[3]. فضارعوا «هـ» فى أقصى الحلق بـ«ق» من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى. وهكذا لم يبالوا بما بين (هـ) و(ق) من الحواجز. إن تلك الكلمات قبلت القاف على اختلاف فى الصفات : فالهاء صوت مهموس رخو، والقاف بحسب النطق القديم مجهور شديد، وهذا ما حصل فى «دانه» الفارسية، فأصبحت «دانق» ولعل ذلك التحوير تم بعد أن مرت الهاء إلى الهمزة.

أما إذا كان الأصل هو «ز» لا محالة، فمن سنن العرب إبدال الحروف، برغم وجودها فى لغتهم[4]، وإن كان الزاى من الحروف التى لا يطرد فيها البدل، لأنه من حروف العرب[5]. ومن ثمة أبدلوا الزاى (ومخرجه مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، مجهورًا ورخوًا) بالقاف الذى يتفق معه فى كونهما مجهورين ويكاد هذا النوع من الإبدال يكون نادر الوقوع فى العربية، فى حين نجد العرب قد أبدلوا الزاى باللام، فقالوا : قفشليل تعريبًا لـ«قفجليز»[6].

---

(١) التطور النحوى فى اللغة العربية، ص ٤٣.

(٢) عبد الواحد وافى، علم اللغة، ص ٢٨٢.

(٣) وأحيانًا بـ(ح)، كما فى «كناه» (جناح)، وأحيانًا أخرى بـ(ج) كما فى «ساده» (ساذج).

(٤) الثعالبى، فقه اللغة، ص ٥٦٤.

(٥) انظر: سيبويه، الكتاب، جـ ٢، ص ٣١٣ ط بيروت.

(٦) انظر: المزهر، جـ ١، ص ١٦٢.

رأينا التحريف الأول، وهو تحريف صوتى (آبريز - إبريق). أما التحريف الثانى، فنتيجة للأول: إنه تحريف الوزن. فبعد أن كان وزنها فى الفارسية أفعيل، وهذا وزن مفقود فى العربية، أصبح إفعيل، مثل إكليل. فعلى هذا تكون العملية من أجل إلحاقها بأبنية العرب[١].

أما من حيث المعنى، فقد أصاب كلمة آبريز الفارسية حين تعريبها تخصيص معناها العام:

«يطلق بالفارسية على إناء من خزف أو معدن له عروة وفم، وأيضًا على الدلو وكأس الحمام والسطل[٢].

أما فى العربية فيطلق على إناء ذى عروة وخرطوم، يستعمل للشاى والقهوة والحليب. ولا يزال مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم فى المغرب والمشرق[٣].

مدى انتشار الكلمة فى العربية وفى اللغات الأخرى:

بالنسبة للعربية، شاعت كلمة إبريق المعربة على حساب مثيلتها العربية الأصل، التامورة[٤] وتغلبت عليها شيئًا فشيئًا، إلى أن أبعدتها من الاستعمال نهائيًا.

أما بالنسبة للغات الأخرى، فقد دخلت كلمة إبريق للغة التركية، بنفس المعنى (إبريق ibrik) أو بإسقاط الهمزة (بريق brik) والإيطالية (brocca) (بنفس المعنى العربى).

أما فى الفرنسية، فنجد كلمات تقترب كلها من معنى إبريق، ولكنها من أصول مختلفة، وليس من بينها إلا واحدة يظهر عليها تقارب لفظى، هى (broc)، وهذا

---

(١) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٩٨.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦.

(٣) اللهجة المغربية تسقط الهمزة (بْريق)، أما فى سوريا فيقولون «أبرى» بحذف القاف، مع مد قصير لكسرة الراء، ويجعلونه مضافًا: «إبرى الشاى» لكى لا يختلط بإبريق العصير أو الماء.

(٤) السيوطى، المزهر، جـ ١، ص ١٦٦، فصل فى «المعرب الذى له اسم فى لغة العرب»، «الإبريق فى لغة العرب، يسمى التامورة»

ما حذا بالسيد أدى شير إلى أن يدعى أن أصلها فارسى، وأنها تترجم المعنى العربى لإبريق.

ولنا على ذلك ملاحظتان:

(أ) (broc) من أصل إغريقى[١] (brokis)

(ب) (broc) الفرنسية لا تعنى ما يعنيه لفظ إبريق، فبينهما تشابه فى الشكل: لكل منهما عروة وخرطوم، وكلاهما يملأ بالسوائل، إلا أن الإبريق (فى العربية)، أصغر حجمًا، وأجمل صورة، ويختص بسوائل محدودة، لا على العموم، كالسطل وغيره.

وقد ارتكب نفس الخطأ صاحبا المنهل[٢] إذ ترجما (broc) بإبريق، دون تحديد.

نقترح أن يكون: (broc) بمعنى دلو (ج دلاء).

أما الأستاذ (رجيس بلاشير)[٣]، فكما رأينا، يترجم «إبريق» بـ «aiguiére» وهى ترجمة ليست دقيقة، لأن aiguiére إناء يملأ بالماء فحسب، يستعمل لغسل اليد، أو للسقى، لا للشراب.

يقال بالعربية: إبريق قهوة، أو شاى، أو إبريق حليب. فعلى حسب السياق، يمكن ترجمة كلمة «إبريق» العربية بـ «Cafetiére» أو بـ «Théière» أو بـ «Pot de lait».

بَطّ

ذكر أبو العلاء كلمة «بط» عند وصفه لأوانى أنهار الجنة، إنها:

«على هيئة الطير السابحة [...] فَمِنْهَا مَا هُو عَلَى صُور الكَراكِىّ، وأُخَرُ تُشَاكِلُ المَكَاكِى، وعلَى خلق طواويسَ وبَطّ»[٤].

(١) راجع قواميس: Robert، وLittre، وLarousse، فقد أجمعت كلها على ذلك.

(٢) جبور عبد النور وسهيل إدريس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠م.

(٣) قاموس عربى - فرنسى - إنجليزى.

(٤) رسالة الغفران، ص ١٤٩.

معنى الكلمة : البط = الإوز، وهو طير مائى، قصير العنق والرجلين. وللفظة «بط» مقابل آخر، فى لغة أهل مكة، هو الدَّبَّة[١].

تأصيل الكلمة : بط من الأسماء المعربة التى لها اسم فى لغة العرب وهو «إوز» يقول صاحب الجمهرة :

«البط عند العرب صغاره وكباره، إوز، الواحدة إوزة».

يرى، الأب نخلة اليسوعى أن أصل اللفظة آرامى[٢].

لكن يرى السيوطى فى فصل خصه بـ«المعرب الذى له اسم فى لغة العرب»[٣]. أن أصل الكلمة فارسى :

«... فما أَخذوه من الفارسية [...] البط للطائر المعروف»[٤].

أما الخفاجى فيقول :

«البط واحده بطة، نوع الإوز، ليس بعربى محض»[٥].

هذا التأكيد بـ«محض» مما يلفت النظر : قد يكون بعض اللغويين اعتبروا «بط» عربية مخلطين بين «بط» فى المعنى السابق، و«بطة» فى معنى القارورة :

«والبطة القارورة، عربى صحيح، والعامة تطلقه على ما يوضع فيه السمن ونحوه»[٦].

فالجذر واحد (ب. طـ. طـ.) لمعنيين مختلفين، ومن هنا يكون قد التبس الأمر على بعضهم.

يذكر ابن فارس أن مادة (ب. طـ. طـ) أصل عربى، إلا أن دلالته بعيدة عن

---

(١) المعجم الكبير، جـ ٢.

(٢) غرائب اللغة العربية، ص ١٩٤.

(٣) المزهر، جـ ١، ص ١٦٦.

(٤) انظر المزهر، جـ ١، ص ١٦٥، «باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم».

(٥) شفاء الغليل، ص ٦٦.

(٦) الخفاجى، نفس المصدر، نفس الصفحة.

«البطة» (القارورة). فمعنى الأصل العربي لـ(ب. طـ. طـ) : الشق، بط الجرح أو الدمل، أو القرحة إذا شقه. جاء في الحديث :

«دخل على رجل به ورم فما برح حتى بُطَّ».

ويبدو أن أصل «بط» و«بطة» فارسي[١].

ليست الهاء في البطة للتأنيث، وإنما هي لواحد الجنس، يطلق على ذكر الإوز وأنثاه. وقد سميت بذلك حكاية لأصواتها.

أما «بطة»، في المعنى الثاني (إناء)، فهي كذلك (خلافًا للخفاجي) فارسية الأصل[٢].

وسميت القارورة التي يجعل فيها الزيت والدهن بـ«بطة» لأنها في شكل البطة (الحيوان).

وما زال المغاربة يطلقون «بطة الزيت» على إناء من نحاس أو فخار للإنارة، وهو غير القنديل. وهكذا حافظ الاستعمال المغربي على المعنى الفارسي الأصل.

بعد أن يعطي ابن فارس معنى مادة «بط» (= الشق والعجب)، يؤكد أن :

«ما سوى ذلك، من الباء والطاء، ففارسي كله»[٣].

متى عربت كلمة بط؟

لا ندري بالضبط، الشيء الذي يمكن الجزم به هو أن اللفظة كانت مستعملة قبل القرن الثالث الهجري، لأن لغويين ذكروها ونصوا على أنها معربة (مثل أبي بكر بن دريد وهو كما نعلم من مواليد هذا القرن، حيث كانت حركة جمع اللغة وتدوينها ما زالت في عنفوانها).

---

(١) المعجم الكبير، (قاموس مجمع اللغة العربية)، ص٥٣٩.

(٢) المعجم الكبير، (قاموس مجمع اللغة العربية) ص ٥٣٩.

(٣) مقاييس اللغة، جـ ١، ص ١٤٨.

أصل الكلمة فى الفارسية :

يرى أدى شير أن « بط » معرب « بت » الفارسية[١]، وهذا ما جاء فى المعجم فى اللغة الفارسية أيضًا[٢]، وفى المعجم الكبير.

فما هى التحريفات التى تعرضت لها الكلمة؟

رغم أن الحروف التى تتكون منها الكلمة الفارسية « بت » موجودة فى العربية، يلاحظ :

- أن (الطاء) حلت محل (التاء) لاتحادهما فى المخرج (مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، كما كانت تنطق).
- أن كليهما شديد، إلا أن (الطاء) مجهورة و(التاء) مهموسة، وإن كانت (التاء) من الحروف التى يندر إبدالها، لأنها موجودة فى الحروف العربية كما يقول السيوطى :

«أما ما لا يطرد فيه الإبدال، فكل حرف وافق الحروف العربية»[٣].

نفس هذا الإبدال حصل بالنسبة لكلمة « نمط »، فهى فى الفهلوية (namat) أبدلت التاء بالطاء[٤].

ولا غرابة فى ذلك، فإن التجانس من العلاقات التى تسوغ الإبدال اللغوى بين الحروف، فى الكلمة العربية نفسها[٥] : ومما تجانس فيه المبدل والمبدل منه، لفظتا «الأقطار» و«الأقتار»[٦].

أما من حيث وزن كلمة « بط » فصيغة «فَعْل» موجودة بكثرة فى العربية، فبط من الألفاظ المعزبة التى وافقت أبنية العرب.

---

(١) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٢٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٧.

(٣) المزهر، جـ ١، ص ١٦٢.

(٤) انظر : التطور النحوى، لبرجشتراسر، ص ١٤٥.

(٥) هو أن يتفق الحرفان مخرجا، ويختلفا صفة، كالدال والطاء.
(انظر صبحى الصالح، فقه اللغة، ص ٢٤٣).

(٦) الأصمعى، الأمالى، ج ٥، ص ١٥٦.

مدى انتشار اللفظة :

منذ أن عربت لفظة «بط» وهى تستعمل، على السواء، مع مرادفها العربى الأصيل «إوز».

نجد أبا العلاء يستعمل اللفظتين، معًا، فى رسالة الغفران، على أننا نلاحظ أنه يعطى الأسبقية فى الاستعمال لـ«إوز»[1]. وما زالت الكلمتان مستعملتين إلى اليوم، ولكن حدث تخصيص فى الدلالة، فالبط يختلف عن الإوز فى الشكل والطعم.

وقد اشتق من «بط» «البطبطة»[2] للدلالة على صوت البط.

نجد الكلمة مستعملة فى التركية، بنفس المدلول الذى لم يخرج عما وضع له فى الفارسية.

زُمُرُّد

تذكر رسالة الغفران هاته الكلمة حينما شاهد بعض القوم، فى الجنة، إوزة تمر فتمناها شواء :

«فَتَتمثلُ على خِوانٍ من الزُّمُرُّدِ»[3].

معنى الكلمة :

واحدته زمرُّدة، تنطق اللفظة بالذال المعجمة، أو بالدال المهملة. ويقال له «زبرجد»، أيضًا.

---

(١) «ويَمُرُّ رِفٌ مِن إوَزِّ الجَنَّةِ»، الرسالة، ص٢١٢.

ونقرأ كذلك : «... الحوُر العِين اللواتى حَوَّلَهُنَّ عَنْ خَلْقِ الإوَزِّ»، ص٢٣٤.

وجاء فى ص٢١٤ :

«ألَمْ تَكُونِي الساعةَ إوزَّةً طَائِرة؟ [..] فَكَيْفَ نَفَضْتِ بَلَهَ إوَزٍ؟».

(٢) الثعالبى، فقه اللغة، فصل «فى أحوال الطيور»، ص ٣١٩.

(٣) الرسالة، ص ٢٨٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٨٥، ١٩٧.

حجر كريم، أخضر اللون، شديد الخضرة، شفاف. وأشده خضرة أجوده وأصفاه جوهرًا. يستخرج الزمرد من معادن الذهب[١].

أهمل ابن فارس لفظة «زمرد» فى مادة (زمر)[٢].

أما الخفاجى، فيأتى بزمردة ويقول:

«كقرطبة [...] وهى المرأة تشبه الرجال خلقًا»[٣].

فلا ندرى ما العلاقة التى قد تكون بين «زمردة»، وَصفًا للمرأة، وبين «زمردة» مفرد «زمرد»، إلا اشتراكهما فى كونهما غير عربيتى الأصل، من جهة اللغة، وأن الحجرة الكريمة مما يمتاز باستعمالها النساء.

تأصيل الكلمة:

يقول صاحب اللسان إن زمرد «لفظ معرب».

يؤكد الخفاجى أن اللفظ «أعجمى معرب»[٤].

تكتفى جل القواميس العربية بالإشارة إلى أن الكلمة معربة دون النص على الأصل، وبعضها الآخر يرى أن أصل «زمرد» فارسى، دون استدلال ودون إعطاء الأصل الفارسى، مثل أصحاب المنجد الأبجدى[٥].

اللفظة المقابلة «لزمرد» فى اللغة الفرنسية هى (émeraude) وهى قريبة من اللفظة العربية، معنى وصيغة، مما يجعلنا نفترض: إما أن أصل الكلمتين واحد، وإما أن اللفظة الفرنسية نقلت عن العربية، بعد التحويلات المعروفة فى علم الصوتيات.

حسب القواميس الفرنسية، أصل الكلمة إغريقى (Samaragdos).

---

(١) انظر: لسان العرب.

(٢) مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٢٢.

(٣) شفاء الغليل، ص ١٣٩.

(٤) نفس المصدر السابق، نفس ص

(٥) ص ٥٢١.

والشيء الذى نرجحه، هو أن تكون دخلت العربية من الفارسية، لأن الاتصال بين العرب والفرس، حضاريًّا، كان أقوى من اتصالهم باليونان، فنلاحظ أن ألفاظ الحضارة (من جواهر، وأوانى، وطيب..) انتقلت إلى العرب من الفرس، ويقوى هذا الرأى كون «زمرد» هى نفسها المستعملة فى اللغة الفارسية، قديمًا وحديثًا، بدون أى تحريف.

مدى انتشار اللفظة :

نجد لفظة زمرد قد انتقلت من الإغريقية، عن طريق اللاتينية، إلى الفرنسية (Émeraude) وإلى الإنجليزية (Emeralde) وإلى الإيطالية (Semerado).

ونجدها كذلك فى التركية (Zumrud) ولعلها انتقلت إليها عن طريق العربية.

لا ندرى متى تم دخول الكلمة إلى العربية، فهى غير موجودة فى القرآن، وما علمنا أنها ذكرت فى الشعر الجاهلى.

زَنْجَبِيل

ذكر أبو العلاء هذه الكلمة بمناسبة حديثه عن منادمة ابن القارح لبعض الظرفاء. سأل ابن القارح عن أخبار القدماء، فأجاب المنادم :

«ومع المِنْصَفِ باطيةٌ من الزمرد، فيها من الرَّحِيقِ المختوم شىءٌ يُمْزَجُ **بزَنْجَبِيل**، والماءِ أخِذَ من سَلْسَبِيل»[1].

معنى الكلمة :

١ - يقول صاحب **لسان العرب** :

«الزنجبيل مما ينبت فى بلاد العرب، بأرض عمان، وهو عروق تسرى فى الأرض شبيهةبنبات الراسن، وليس منه شيء بريًّا، وليس بشجر. ويؤكل رطبًا، كما يؤكل

(١) الرسالة، ص ١٨٥.

البقل، ويستعمل يابسًا. وأجوده ما يؤتى به من الزنج وبلاد الصين»[1].

٢ - زعم بعضهم أن زنجبيل يطلق على الخمر، يقال «زنجبيل عاتق مطيب»[2]. وهذا المعنى الأخير لا ينطبق على مدلول زنجبيل في جملة أبي العلاء. فالمعرى يجعل من «خمر» و«زنجبيل» كلمتين مختلفتين فى المعنى، إذ يذكر «الرحيق» (الخمر)، ويقول إنه: «شيء يمزج بزنجبيل».

على أنه قد يكون هناك نوعان من الخمر يتميز كل واحد منهما عن الآخر بشيء، وإن كان افتراض زنجبيل (= خمر) لايتلاءم مع ما جاء فى جملة أبي العلاء كما سنوضح ذلك.

٣ - قيل الزنجبيل: العود الحريف الذى يحذى اللسان.

ويقول ابن منظور:

«العرب تصف الزنجبيل بالطيب، وهو مستطاب عندهم جدًّا» ثم يستشهد ببيت الأعشى يصف فيه طعم ريق جارية.

«كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريًا مشورًا»

ويجعل القرآن من خاصيات الكأس التى يسقى بها المؤمنون، فى الفردوس أنها ممزوجة بزنجبيل[3]، فهذا الأخير، على ما يظهر مما تقدم: مادة مستطابة من الكماليات. فـ«رحيق» يمزج «بزنجبيل» (الرسالة).. شراب لا يتمتع به إلا المحظوظون. كان أشراف العرب يمزجون كؤوس الخمر «بالكافور حينًا وبالزنجبيل حينًا، زيادة فى التلذذ». أما فى الدار الآخرة فسيسقى أهل الجنة «شرابًا طهورًا ممزوجًا، على وفر وسعة»[4].

(١) يلاحظ أن ابن منظور يصف الزنجبيل بأنه نبتة «شبيهة» بنبات الراسن، فى حين، أن الشرتونى يطلق الراسن على نوع من الزنجبيل يسميه بـ«زنجبيل الشام» (انظر: أقرب الموارد).

(٢) لسان العرب.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٣١.

(٤) سيد قطب، فى ظلال القرآن، جـ ٢٥، ص ٢٢٢.

تأصيل الكلمة :

زنجبيل لفظة معربة :

١ - إن مادة (ز. ن. ج) غير موجودة فى العربية. يقول ابن فارس : «الزاى والنون والجيم ليس بشيء. على أنهم يقولون : الزنج العطش ولا قياس لذلك»[١].

٢ - نستنتج مما جاء فى شرح ابن منظور لزنجبيل : «وأجوده ما يؤتى به من الزنج وبلاد الصين» أن كلمة زنجبيل، دخيلة على العرب، اسما ومسمى. فكونها «مما ينبت بأرض عمان» (كما يضيف صاحب اللسان) لا ينفى أن العرب استوردوه لأنهم كانوا يستطيبونه فزرعوه عندهم، لكنه لم يبلغ جودته الأصلية، لأن طقس شبه الجزيرة العربية لم يلائمه. وفعلا، يؤكد علم النبات أن أصل الزنجبيل من آسيا[٢] وحدد ذلك آخرون بـ«الهند».

ولا يبعد أن تكون اللفظة مشتقة من «زنج» نسبة إلى المكان المستورد منه (كما نقول : برتقال، نسبة للبرتغال).

والزنج، هنا، لا يدل على تحديد جغرافى (عالم السود)، وإنما المقصود «الخارج» أى ما ليس من بلاد العرب (كما كان المغاربة إلى عهد قريب يفرقون بين ما هو «بلدى» أو «عربى» وما هو «رومى»، أى أجنبى على الإطلاق. وفى الجزائر «الكوَرْى» كل من ليس مسلمًا (باستثناء اليهود).

كيف دخلت الكلمة إلى العربية؟

يقسم الشرتونى الزنجبيل إلى نوعين : زنجبيل العجم، وزنجبيل الشام. فإما أن العرب أخذوا الكلمة من الإفريقية Zengiberis عن طريق البيزنطيين المقيمين بالشام. وإما أن يكونوا نقلوها، مباشرة، عن الهندية لما كان من علاقات تجارية بين العرب والهنود، قبل الإسلام.

وإما أنهم عربوها عن الفارسية «شنكبيل».

---

(١) مقاييس اللغة، جـ ٣، ص ٢٧.

(٢) انظر قاموس (روبير Robert).

وهناك من رأى أن الكلمة عربية منحوتة من «زَنَأ» فى الجبل إذا صعده.

ونحن نستبعد هذا الرأى، للأسباب السالفة، كما استبعده الخفاجى الذى يؤكد أن زنجبيل معربة[1]، وإن لم يشر إلى أصل الكلمة ولا إلى اللغة التى عربت عنها.

ويقول السيوطى، نقلا عن جمهرة ابن دريد، فى ذكر ما جاء على فعلليل، إن «زنجبيل معرب»[2].

أما الثعالبى، فيرى أنها معربة عن الفارسية[3] وهذا ما ذهب إليه عبد الواحد وافى[4]، لكنه لم يعط تحليلاً للكلمة ولم يبين أصلها. ونجد أدى شير يجعلها منقولة عن الفارسية وأنها «تعريب شنكبيل»[5].

وإننا نرجح الرأى الأخير لأنه أقرب إلى الصواب، على ما يبدو.

ما هى التحولات الصوتية التى طرأت على شنكبيل الفارسية فأصبحت زنجبيل؟

نعلم أن (الكاف = G) الفارسية غير موجودة فى العربية. لذا نتساءل عما إذا كانت هى إحدى الحروف التى يقول عنها سيبويه:

«غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن فى قراءة القرآن، ولا فى الشعر، وهى الكاف التى بين الجيم والكاف..»[6].

فهى إحدى الحروف التى تبدل فى الكلمات المعربة بـ«الجيم» غالبًا[7].

فى المرحلة الأولى، أبدلت الكاف الفارسية بصوت عربى قريب منها فى المخرج، هو صوت الجيم، فصارت «سنجبيل».

---

(١) شفاء الغليل، ص ١٤٠.

(٢) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، جـ ٢، ص ٩٩.

(٣) فقه اللغة وسر العربية، فصل «فى سياق أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى» ص ٤٥٣.

(٤) فقه اللغة، ص ٢٠٠. (انظر كذلك: القراءات القرآنية...، ص ٣١٩.)

(٥) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٨٠.

(٦) الكتاب، ط. الأعلمى. جـ ٢، ص ٤٨٨.

(٧) يدلنا هذا على أن الجيم، عندما عربت هذه الكلمة ومثيلاتها ذوات (كـ الفارسية، كانت قريبة فى أدائها من (G).

- وحيث إن الشين والجيم مخرجهما واحد، أى من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، ولا يفصل بينهما إلا النون ومخرجها من الخياشيم (وهى مجهورة شديدة غير أن صوتًا خفيفًا يجرى معها رغم شدتها، عن طريق غنة من الأنف) فيثقل على اللسان الرجوع بعد غنة خفيفة، إلى نفس المخرج السابق على النون (الشين).
- وحيث إن أحسن الحروف، تلاؤمًا أبعدها مخرجًا.

لكل ذلك فإن «شنكبيل» أصبحت «زنجبيل» إذ حصل تبعيد صوتى أدى إلى خفة فى الصوت وعدم تعطيل فى الجهاز الصوتى.

- أما من حيث صيغتها، فإن وزن «فعلليل» موجود فى العربية. نجد عند السيوطى بابًا لما جاء على فعلليل، ويضرب مثلاً بـ«حنبريت..»[1].

تاريخ الكلمة:

أصلها فارسى (أو هندى على كل حال، إنها معربة).

دخلت إلى اللغة العربية قديمًا، إذ نجدها فى الشعر الجاهلى، يقول الأعشى:

«كأنَّ القَرنفلَ والزَّنْجَبيلَ باتا بفيهَا وأَرْيًا مَشُورا»

استعملت اللفظة مرة واحدة فى القرآن:

(ويسقون فيها كأسًا كان مزاجُها زَنْجَبِيلا)[2].

مدى انتشار الكلمة فى اللغات الأخرى:

الفرنسية: Gingembre والإنجليزية: Zingiber.

انتقلت الكلمتان عن اللاتينية (Zingeber) المأخوذة من الإغريقية (Zingiberis).

نلاحظ أنه لم يطرأ على الكلمتين الفرنسية والإنجليزية، تحول صوتى جذرى، بالنسبة للأصل الإغريقى.

(١) المزهر، جـ ٢، ص ٩٩.

(٢) قرآن كريم، الإنسان - ١٨.

والتركية (Zendgefil) أو (Zendjebil) .

فى المغرب يقال : «سكنجبير»، ويقصد به نوع من التوابل، وهو حريف الطعم، هاضم طارد للرياح، يستعمل فى الأطعمة وفى بعض الحلويات.

وهى تقارب لفظة زنجبيل، ونجد لفظة أخرى تقارب هى أيضًا، «سكنجبير» عند الثعالبى، وهى «سكنجبين» ويقول : «إنها من الأفاويه»[١].

نظن أن كلمة (شنكبيل) عانت تحولات صوتية حتى صارت (سكنجبير)، ولكن هذا رأى قد ينقصه الصواب.

سُكْرُكَة

ساق أبو العلاء هذه الكلمة عند سرده لأصناف الأشربة المنسوبة إلى الدار الفانية :

«كخمرٍ» عانَة» [. . .] وما عُمِل من أجناس المسكرات، مُفَوِّقاتٍ للشارب ومُوَكِّرات، كالجعةِ، والبِتْع، والمِزْرِ، والسُّكْرُكَةِ، ذاتِ الوِزر»[٢].

يضبط الأزهرى حروف «سُكْرُكة» بضم، فسكون، فراء مضمومة، أو بضمتين، فراء ساكنة «السكركة».

معنى الكلمة :

السكركة : جنس من أجناس الخمر يصنع من الذرة. قال أبو عبيد «وهى من الذرة»[٣].

ونجد تأكيدًا لذلك عند الثعالبى :

«السكركة والمزر من الذرة»[٤].

(١) فقه اللغة، فصل : «فى تقسم أجناسها» (الخمر)، ص ٤٠٢.

(٢) ررسالة الغفران، ص ١٥٠-١٥٣.

(٣) انظر : اللسان جـ٤.

(٤) فقه اللغة، ص ٤٥٣.

وهذا نفسه ما قصده أبو العلاء بدليل إيراده الكلمة أثناء سرده لـ «أجناس المسكرات».

تأصيل الكلمة :

الكلمة دخيلة، لأسباب، منها أن عجمة الكلمة تعرف بوجوه، من جملتها :

١ - النقل، نعنى أن يكون قد أثبت ذلك علم من أعلام اللغة العربية. وبالفعل يصرح الأزهرى بعجمة السكركة[١].

٢ - أن يكون الوزن مفقودًا فى اللغة العربية، وهذا هو الحال بالنسبة لسكركة[٢].

٣ - أن تتعاقب أصوات الكلمة على نسق لا تستسيغه الأساليب الصوتية العربية.

لا نجد الكلمة فى الشعر الجاهلى ولم يذكرها القرآن.

اعتمادًا على ما فى اللسان إن أصل اللفظة حبشى يقول ابن منظور : « . . . وفى الحديث أنه سئل عن الغُبَيْراء فقال لا خير فيها ونهى عنها، قال مالك : فسألت زيد بن أسلم : ما الغبيراء؟ فقال هى السكركة بضم السين والكاف وسكون الراء نوع من الخمور تتخذ من الذرة وهى لفظة حبشية قد عربت وقيل السُّقُرْقَعْ »[٣]. ويؤيد هذا أيضًا ما رواه الزمخشرى : « . . . السكركة وهى نبيذ الحبش »[٤].

بناء على ما تقدم فإن الكلمة معربة من الحبشية. لكننا لم نستطع أن نعرف ما أصلها، وبالتالى ما أصابها من تحريفات صوتية وغيرها. لأننا لم نصل إلى معرفة أصلها الحبشى. وقد يكون أصل الكلمة فى الحبشية هو السكركة واستعملت فى العربية دون أى تغيير، أحيانًا، وعربت، أحيانًا أخرى، فقيل السقرقع يقول

---

(١) انظر : السيوطى، المزهر، جـ ١، ص ١٦٠.

(٢) اللسان، جـ ٤، ط بيروت.

(٣) نفس المصدر.

(٤) أساس البلاغة، ص ٣٠٢.

الجوهرى : «ويقال لها السقرقع أيضًا كأنه معرب سكركة وهى بالحبشية»[١].

فإذا كان الأمر كذلك، فإن تعاقب الكاف والقاف كثير فى العربية وبالأحرى فى الكلمات المعربة، كذلك الشأن بالنسبة لإبدال «الهاء» فى آخر الكلمة «عيناً» لتقاربهما فى المخرج.

أما عن زمن تعريبها، فقد تكون من معربات القرن الثانى الهجرى إن لم تكن قبل ذلك، لأن ذكرها جاء عند أبى عبيد، وهو من مواليد القرن الثانى الهجرى : (مات عام ٢٢٤ هـ).

عثرنا على كلمة مقاربة لها فى حديث لأنس، قال : «ما أكل نبى الله صلى الله عليه وسلم، على خوان، ولا فى سُكُرَّجَة ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ»[٢].

هل هناك علاقة بين السكركة والسكرجة؟

أول ما يصادفنا هو اختلاف فى الوزن بين الكلمتين :

السكرجة : كلمة معربة، كما جاء عند السيوطى[٣]، ومقابلها بالعربية هو «الثقوة» كما جاء عند الجوهرى، وعند الخفاجى[٤]، ومعناها مقرب الخل.

فسر الحديث النبوى : «لا أكل فى سكرجة» بأنه إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم (وهى فارسية)[٥].

ويعدها على عبد الواحد وافى من الكلمات التى انتقلت إلى العربية من الفارسية فى عصور الاحتجاج، ويجعلها مرادفة للقصعة[٦].

أما الشرتونى فيرى أن الأسكرجة والسكرجة :

---

(١) الصحاح جـ ٢، ص ٨١٦.

(٢) الخفاجى : شفاء الغليل، ص ١٤٦.

صاحب اللسان يضبط الكلمة بضم السين والكاف والراء المشددة ولعل هذا هو الأصل مما جعل الخفاجى يوردها فى كتابه على سبيل أنها مما طرأ عليه تحريف من طرف العامة ويدخلها فى المولدات.

(٣) المزهر : جـ ١، ص ١٦٦، «فصل فى المعرب الذى له اسم فى لغة العرب».

(٤) شفاء الغليل، ص ١٤٦.

(٥) اللسان، مجلد ٤. ط بيروت ١٩٥٥م.

(٦) فقه اللغة، ص ٢٠٠.

«إناء صغير، معناه مقرب الخل، تكلمت به العرب، قلت، وفارسيته، أسكره، وهو إناء صغير من خزف»[١].

ويذكر ادى شير اللفظة، من جملة الألفاظ الفارسية المعربة، ويجعل مقابلها بالعربية «الصحفة»[٢].

ويفهم من حديث أنس أن «سكرجة» آنية أو ما يشبهها، يوضع فيها الأكل لاقترانها بحرف الجر[٣] «فى»، ويؤكد هذا إيراد الثعالبى لها من جملة أسماء الأوانى التى «تفرد بها الفرس، دون العرب، فاضطر العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى»[٤] وأصلها فى الفارسية، كما يرويه أدى شير، هو «سكرة».

من هذا كله، يمكننا أن نفترض أن «السكركة» تعريب الكلمة الفارسية سكرة أيضًا، ومن الفارسية دخلت إلى الحبشية ثم انتقلت إلى العربية، على أنه لا يبعد أن تكون الكلمتان معًا من أصل حبشى وانتقلت السكرجة إلى الفارسية ومنها إلى العربية أما السكركة فانتقلت مباشرة من الحبشية إلى العربية.

وأما التحريف الصوتى الذى طرأ على الكلمة فهو إبدال الهاء جيماً، بالنسبة لسكرجة، وهذا كثير الوقوع (مثل ما فى ديباه ديباجه كما سنرى).

وبعد ذلك، طرأ على سكرجة تحريف صوتى آخر، هو إبدال الجيم (كافًا) وهذا أيضًا كثير الوقوع.

أما التحريف الذى أصاب المعنى فهو:

بما أن السكرجة، مقرب الخل، فلا يبعد أنها كانت تستعمل مقربًا للخمر، وبعد التحريف الصوتى بإبدال الجيم كافًا، اتسع معنى الكلمة، فعوضًا من أن

---

(١) أقرب الموارد.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٩٢.

(٣) نلاحظ أن المقابل العربى «الصحفة» عند ادى شير، أو «القصعة» عند على عبد الواحد وافى لفظتان تستعملان، إلى الآن، بنفس الصيغة ونفس المعنى، بالمغرب وتدلان على آنية شبه مسطحة، من خشب أو خزف، يعجن فيها الخبز وما شابهه وتستعمل أحيانًا ليؤكل فيها «الكسكس» جماعيًا.

(٤) فقه اللغة، ص ٤٥٣.

تطلق على الظرف (أى على المقرب) أصبحت تطلق على المظروف، وهو الخمر، أو نوع خاص منه، يجعل فى مثل ذلك المقرب. هذا تأويل فحسب!

فهل لفظ السكرجة «**الأصل**» محا «**الفرع**»، من ثمة لم يذكرها السيوطى، ولا الخفاجى، ولا أدى شير؟

على كل، فهى كلمة قليلة الاستعمال، ولم تنتشر فى اللغات الأخرى.

كَافُور

وردت لفظة كافور فى رسالة **الغفران**، حينما كان أبو العلاء يتحدث عن شوق ابن القارح إلى أن يرى بالجنة سحابًا، فاستجاب الله له، فأنشأ سحابة:

«تُمطِر بماءِ وردِ الجَنةِ من طل وطَشٍّ، وتنثرُ حصى **الكافور**، كأنه صغارُ البَرَدِ»[1].

وترد اللفظة، مرة ثانية، بصدد حديث المعرى عن رفع الغلمان سرير ابن القارح، ونقله إلى محل آخر بدار الخلود:

«فكُلَّما مرَّ بشجرةٍ نَضَخَتْه أغصانُها بِماءِ الوردِ قد خُلِطَ بماءِ الكافورِ»[2].

ذكرت اللفظة فى القرآن الكريم، مرة واحدة فى قوله تعالى:

««إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورًا، عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا»[3].

معنى الكلمة:

يقول ابن فارس:

«الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية

---

(١) الرسالة: ص٢٧٦.

(٢) الرسالة، ص٣٧٨.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٥،٦.

[. . .] والكافور : كم العِنب قبل أن ينور. وسمى كافورًا لأنه كَفَر الوليع، أى غطاه»[1].

وهذا المعنى لا ينطبق على كلمة «كافور» الواردة فى الآية القرآنية المتقدمة، ولا فى رسالة الغفران.

فمدلولها فى القرآن، حسب ما جاء فى تفسير الزمخشرى :

«ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة، ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده». ويضيف الزمخشرى : «وعينًا بدل منه»[2].

أما الأصفهانى فيكتفى فى شرح كافور بقوله :

«والكافور أكمام الثمرة، أى التى تكفر الثمرة. قال الشاعر :

«كالكرم إذ نادى من الكافور»[3].

إن ما جاء عند الزمخشرى من أوصاف الكافور (البياض، والعطر، والبرد)، وعند الأصفهانى (الطيب)، ومن عبارتى أبى العلاء (صيغة الإضافة : «حصى الكافور» وبالتشبيه : «صغار البرد») يخولنا كل ذلك أن نستخلص التعريف الآتى :

الكافور : نوع من الطيب، رائحته زكية، على شكل حصى ولونه أبيض[4].

جاء فى **محيط المحيط** : «الكافور : طيب يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين، يظل خلقاً كثيرًا، وخشبه أبيض هش، خفيف جدًا، ويوجد فى أجوافه الكافور، وهو أنواع».

---

(١) مقاييس اللغة، جـ٥، ص١٩١.

ومن هنا : كافر فى معنى منافق (لأنه يظهر الإسلام ويخفى حقيقة إلحاده أو نكرانه لله).

(٢) الكشاف، جـ ٤، ص ٦٦٧.

نلاحظ أن الزمخشرى لم يتعرض للفظة «كافور» فى أساس البلاغة، حين شرح مادة (ك. ف. ر)، ص٥٤٧.

(٣) المفردات فى غريب القرآن، ص ٤٣٦.

(٤) يقال شمع كافورى، أى ناصع البياض.

وجاء في البرهان القاطع :

«كافور : على وزن ناسور، دواء معروف : وهو صمغ شجرة توجد فى أطراف سرانديب (فى بلاد الهند) وهو أنواع ، أحسنها الرياحى والقيصورى، وهما فى غاية البياض والصفاء، [. . .] ورائحة الكافور الحقيقى كرائحة الليمون. والعملى معروف عند الأطباء بكافور الموتى».

وهذا يتفق مع المعنى القرآنى(١) ومع ما تقصده الجملتان الواردتان فى **رسالة الغفران**(٢).

تأصيل الكلمة :

إن اقتصار ابن فارس على ذكر الكافور فى المعنى الخاص بـ«كم العنب قبل أن ينور» وعدم تعرضه للكافور (الطيب) يؤكد لنا أن أصل الكلمة غير عربى، وإن وافقت كلمة عربية أصيلة صيغة ومادة، يقول الخفاجى(٣) :

«قيل معرب ويقال قافور وقفور»(٤).

إذن : فما هو أصل الكلمة ؟

نستخلص من تعريفى صاحبى **البرهان القاطع ومحيط المحيط**، أن أصل «كافور» هندى، مادة واسمًا، وقد أكد (دوزى) أن أصل «كافور» هندى.

كيف انتقلت الكلمة إلى العربية ؟

انتقلت من الفارسية، ففى الفصل الذى عقده الثعالبى للأسماء التى تفردت بها الفرس، يقول إن :

---

(١) سورة الإنسان، الآية ٥.

(٢) ص ٢٧٦، ص ٣٧٨.

(٣) شفاء الغليل، ص ٢٢٥.

(٤) يذكر ابن فارس كلمة قفور، فيقول : «وأما القفور فنبت». مقاييس اللغة جـ١، ص ١١٤، فهل المراد به الكافور الذى نحن بصدد تحليله؟ قد يكون، سيما وأنه يقع إبدال الكاف قافاً لتقاربهما فى المخرج.

«من الطيب. . . الكافور»[١].

وقد أخذ عنه، ذلك، السيوطى[٢]، ونقل عنهما من المعاصرين عبد الواحد وافى[٣]. وتم دخول كلمة كافور إلى العربية منذ العصر الجاهلى، بدليل ورودها فى القرآن.

أصل الكلمة فى الفارسية والتحريفات التى أصابتها:

فارسيتها: كافور، ومعناها: «مادة بيضاء نصف شفافة لها رائحة عطرية»[٤]، وهذا نفسه ما ذهب إليه أدى شير[٥].

يلاحظ أن اللفظة الفارسية لم يعترها أى تحوير بدخولها للعربية، فقد حافظت على حروفها الأصلية، وعلى معناها، وعلى وزنها. إنها مما وافق حروف العرب وأبنيتهم، فوزنها فاعول، وهو وزن عربى صميم، قال السيوطى فى ذكر ما جاء على فاعول:

«. . . والكافور الذى يتطيب به»[٦].

مدى انتشار اللفظة فى بعض اللغات:

انتقلت لفظة كافور من اللغة الهندية الأم إلى الفارسية، ومنها إلى العربية، ثم انتقلت من العربية إلى التركية (Kàfour) ومن العربية أيضاً إلى اللاتينية فى القرن الثالث عشر (Cafour)، وعنها اشتقت اللفظة الفرنسية، (Camphre). ونجدها فى الإيطالية (Camfora) وفى الألمانية Kamphre) وفى الإنجليزية (Camphor).

ولا تزال تستعمل فى العربية بالمعنى الأصلى، إلا أنها أخذت، فى الاستعمال

(١) فقه اللغة، «فصل فى سياق أسماء تفرد بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى» ص ٤٥٥.

(٢) المزهر، جـ ١، ص ١٦٣.

(٣) علم اللغة، ص ٢٣٢. وانظر كذلك: فقه اللغة، ص ٢٠٠.

(٤) المعجم فى اللغة الفارسية، ص ٢٥٢.

(٥) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٣٦.

(٦) المزهر، جـ ٢، ص ٨٢.

المغربى، معنى أخص من معناها العام، وهو المادة التى تستعمل لإبادة الحشرات المضرة بالصوف.

يَاقُوت

ينص أبو العلاء على أن النجب (= الإبل) التى يركبها ابن القارح فى نزهته بالفردوس مخلوقة من الياقوت:

«فيركَبُ نَجِيباً، من نُجُبِ الجَنَّةِ، خُلِقَ من يَاقُوتٍ وَدُرٍّ»[١].

معنى الكلمة:

الياقوت: حجر كريم، صلب، رزين، شفاف، تختلف ألوانه.

فسر الزمخشرى لفظة «ياقوت» التى ذكرت فى الآية الكريمة ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾[٢] بقوله:

«هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان»[٣].

تأصيل الكلمة:

الياقوت: لفظة خماسية، وخالية من حروف الذلاقة (ل.ر.ن.م.ف.ب) والقاعدة تقول: لا يخلو الرباعى والخماسى العربى الأصل من حرف من حروف الذلاقة، باستثناء «عسجد» لشبه السين، فى الصفير، بالنون فى الغنة»[٤].

فالكلمة، إذن، معربة..

ذكرها الجواليقى على أنها أعجمية:

(١) الرسالة، ص ١٧٥.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٥٨.

(٣) الكشاف، جـ ٤، ص ٤٥٣.

(٤) شفاء الغليل، ص ٢٩.

«الياقوت كذلك أعجمى، والجمع اليواقيت، وقد تكلمت به العرب»[١].

وهذا ما يؤكده أيضاً، الخفاجى[٢].

من أية لغة انتقلت إلى العربية؟

يرى الثعالبى أن ياقوت من الأسماء التى «تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها»[٣].

ونقل عنه السيوطى ذلك[٤]، ومن المحدثين على عبد الواحد وافى[٥]، وإبراهيم أنيس[٦].

والكلمة الفارسية هى «ياكند» (= ياقوت)[٧].

هنا يمكن أن يطرح سؤال:

هل أصل الكلمة فارسى؟ أم أنها انتقلت مباشرة من أصل يونانى إلى العربية؟ أم انتقلت عن طريق الفارسية؟

لعل شدة اتصال العرب بالفرس، فى الجاهلية وبعد الإسلام، جعلت القدماء ينسبون كثيراً من الكلمات الأجنبية إلى الفارسية، وإن لم تكن أصلا منها. لذا رأينا بعضهم[٨] يجزم بأن ياقوت فارسية الأصل. ويتبعه من يأتى بعدهم، لكن رأيهم يبقى احتماليًّا.

فلم لا تكون «ياقوت» قد دخلت من اليونانية عن طريق البيزنطيين فى سوريا؟ إننا لا نستطيع أن نرجح أحد الاحتمالات الثلاثة؟

مما يجعلنا نفترض إمكانية الأصل اليونانى هو ما يلى:

نجد أن hyacinthe الفرنسية (= ياقوت) انتقلت فى ١٥٢٥، عن اللفظة

---

(١) المعرب، ص ٣٥٦.

(٢) شفاء الغليل، ص ٢٧٩.

(٣) فقه اللغة، ص ٤٥٣.

(٤) المزهر، جـ ١، ص ١٦٣.

(٥) علم اللغة، ص ٢٣٢، وفقه اللغة، ص ٢٠٠.

(٦) من أسرار اللغة، ص ١١٢.

(٧) المعجم فى اللغة الفارسية، ص ٣٦٣.

(٨) يقول الثعالبى فى فقه اللغة: «تفردت به الفرس»، ص ٤٥٣.

اللاتينية hyacinthus وأصل هذه الأخيرة إغريقى huakinthos وقد اعترت اللفظة اليونانية تحريفات حتى أعطت بالفرنسية Yacenthe, hyacinthe لا تقل عما قد يكون حصل لها قبل أن تتعرب.

فاللفظة الإغريقية قريبة من «ياقوت» العربية، ومن «ياكند» الفارسية. ومن الملاحظ، أنه بالإضافة إلى «ياكند» يستعمل الفرس كلمة «ياقوت»، كما فى بعض التشابيه، فيقولون: «ياقوت لب» (= شفة كالياقوت)[١].

لقد حافظت ياقوت، فى العربية، على المعنى الأصلى الذى نجده عند اليونان كما عند الفرس.

من المحتمل، أيضاً، أن تكون كلمة «ياقوت» دخلت إلى اللغة اليونانية من الفارسية، ويكون العرب، هم كذلك، أخذوها عن الفارسية.

فعلى هذا الافتراض: تكون ياقوت مأخوذة من «ياكند».

كيف حصل التحريف الصوتى الذى تعرضت له الكلمة؟

من حيث الأصوات، نلاحظ أن:

- **الكاف**: (موجودة فى الفارسية وفى اليونانية): أصبحت قافاً فى اللفظة العربية، وهما متقاربتان فى المخرج: القاف، مخرجها «من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»[٢]. ثم إن كلا منهما شديد، إلا أن الكاف مهموسة، فى حين أن القاف مجهورة.

- **النون**: أما النون الساكنة فى (ياكند) فقد بدلت حرف مد (الواو) لإلحاق الكلمة المعربة ببناء عربى (فاعول، مثل: صاقور). ثم أبدلت فتحة القاف بما يناسب حرف المد (الضمة).

- **الدال**: أبدلت تاء، وهما متجانستان، كلاهما من مخرج واحد، مما بين

---

(١) المعجم فى اللغة الفارسية، ص ٣٦٣م. (٢) سيبويه، الكتاب، ج ٢، ص ٢٨٩. ط بيروت.

طرف اللسان وأصول الثنايا، وكلاهما شديد، ولا تختلفان إلا في صفة واحدة، هى : الدال مجهورة، والتاء مهموسة.

وقد يجوز أن تكون الدال فى الكلمة العربية قد عادت إلى «الأصل» اليونانى وهو التاء على اعتبار أن ياقوت معربة عن الإغريقية، (وهو افتراض، كما قدمنا، ضعيف).

نستخلص، مما تقدم، أن الكلمة الفارسية «ياكند» خضعت لتطورات صوتية مضبوطة، فأصبحت «ياقوت» العربية.

يبقى شيء محير، هو وجود كلمتين فى الفارسية لمعنى واحد، هما «ياكند» و«ياقوت».

الجواب : بناء على أن لفظة «ياكند» أقدم بكثير من الأخرى، إذن لا يبعد أن يكون الفرس، فى العصر الإسلامى، قد اقتبسوا «ياقوت» عن العربية، أى أن بضاعتهم ردت إليهم، ولكن فى حلة جديدة، دون أن يتعرفوا عليها.

وهذا شيء معروف، تاريخيًّا : الخوارزمى اكتشف علماً جديداً ترجم إلى اللاتينية، وأطلق عليه اسم صاحبه، فيأتى العرب ويأخذون، مؤخراً، عن الغرب اللوغاريتميات (algorithme) عوضاً من الصواب الذى كان يجب أن يكون : «الخوارزميات»، طبقاً للأسلوب العربى (نسبة للخوارزمى).

متى دخلت «ياقوت» إلى العربية؟

دخلت الكلمة إلى العربية، قبل الإسلام، بدليل أننا نجدها فى العصر الجاهلى. من ذلك ما جاء فى قصيدة لمالك بن نويرة اليربوعى، مخاطباً النعمان :

لن يذهب اللؤمَ تاج قد حُبِيتَ به   من الزبرجد والياقـوت والذهب

كما نجدها فى قصيدة جاهلية نسبها أبو العلاء (لثعلبة بن عكابة)[1]، ونسبها آخرون إلى النابغة الذبيانى.

يقول الشاعر فى قصيدة دالية يصف فيها المتجردة، زوجة النعمان بن المنذر :

(١) الرسالة، ص ٢٠٧.

مضمخةً بالمسك مخضوبةَ الشَّوى بــدُرٍّ ويـاقــوتٍ لهـا متقلِّدة

وردت «ياقوت» فى القرآن، كما رأيناه، مرة واحدة[1].

تلك هى أمثلة المجموعة الأولى من الكلمات المعربة الواردة فى الرسالة. وفيما يلى نورد أمثلة المجموعة الثانية مصنفة حسب المواضيع التالية:

١ - أسماء جواهر وحلى.
٢ - أسماء العطور.
٣ - أسماء أوان وأدوات.
٤ - أسماء أدوات موسيقية وثقافية.
٥ - أسماء كلمات تستعمل للمعيار والعملة.
٦ - أسماء الخمر وبعض الأشربة.
٧ - أسماء الطيور.
٨ - أسماء بعض النباتات.
٩ - أسماء بعض الأطعمة.
١٠ - أسماء ألفاظ لها تعلق بالدين والآخرة.
١١ - أسماء كلمات متنوعة.

المجموعة الثانية:

١ - أسماء جواهر وحلى:

تيجــان:

- «والنِّسوةُ ذواتُ التِّيجان يُصَرْنَ بألسنَةٍ من الوَقُودِ»[2].
- «كم دُرّة فى تاج ملك، لما رمًى بالمهلِك فضتها من الأسفِ حظاياه»[3].

(١) سورة الرحمن، الآية ٥٨.
(٢) الرسالة، ص ٢٤٧.
(٣) الرسالة، ص ٥٤٤.

تيجان ج تاج.

الأصـل :

معربة عن الفارسية[١].

جمـان :

- «وكلٌ واحدةٍ من الجوارى المَشبهَةِ بالجُمان»[٢].

المعنى :

من الأحجار النفيسة.

الأصل :

معرب عن الفارسية[٣].

جَوْهَر :

- «... وأَرْحاءٌ لم يَرَأهلُ العاجلةِ شيئاً من شكل جواهِرِهن»[٤].

- «... فيها أحجارٌ من جواهِر الجَنَّةِ»[٥]

الأصـل :

الكلمة معربة من الفارسية[٦].

دخلت إلى التركية (djevahyr) وأغلب الظن أن الكلمة الإنجليزية (jewellery) مأخوذة عن العربية، وكذلك اللفظة الفرنسية (jorgan) المأخوذة عن أصل لاتينى.

---

(١) غرائب اللغة العربية، ص ٢٢١.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٨.

(٣) انظر: شفاء الغليل، ص ٩٣، وغرائب اللغة العربية، ص ٢٢٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٦٩.

(٥) الرسالة، ص ٢٧٠.

(٦) انظر: شفاء الغليل، ص ٩١، والمزهر، جـ ١٦٦/١، وكذلك غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٤.

خَلْخَـال :

«وَرُبَّ ذَهب فى سِوار، غَبر زماناً غير مُتوارٍ، ثم جُعل فى خَلخالٍ ، تختال بلبسه ذات الخال»[1].

المعنى :

حلية من فضة أو ذهب تلبسها النساء فى أرجلهن.

وفيه لغات : الخَلْخَال، والخَلْخَل، والخُلْخُل.

الأصـل :

معرب عن الفارسية[2]، وقيل بل عن التركية[3]، دخلت الكلمة العربية منذ العصر الجاهلى، إذ وردت فى شعر النابغة[4].

وجمع «خلخال»، خلاخيل، ومنه قيل : تخلخلت المرأة إذا لبست الخلخال، والمخلخل موضع الخلخال من الساق[5].

زبرجـد :

- «وأباريق خلقت من الزبرجد»[6].
- «. . . وإنما هو زبرجد أو عسجد»[7].

المعنى :

حجر كريم، يشبه الزمرد، وله ألوان كثيرة، أشهرها الأخضر والأصفر.

الأصـل :

معرب عن الفارسية[8].

دخلت الكلمة فى التركية (Zeberdjed)

---

(١) الرسالة، ص ٥٧٧.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية، ص ٥٦.

(٣) إصلاح المنطق لابن السكيت، ص ٥٨.

(٤) شفاء الغليل، ص ١١٥.

(٥) لسان العرب، جـ ١٣، ص ٢٣٤.

(٦) الرسالة، ص ١٤٢.

(٧) الرسالة، ص ٣٧٨.

(٨) شفاء الغليل، ص ١٤٠.

يقف أبو العلاء عند هذه اللفظة ليفسر، على لسان ابن القارح، شطر بيت شعرى لابن أحمر:

«وَمُجَلْجَلٍ دانٍ زَبرْجَدُه»

ويبدى رأيه فى أصل كلمة «الزبرجد» واشتقاقها[1].

٢ - أسماء العطور:

عَنْبَر:

«فاتبعِينى بين كُتُب العنبرِ»[2].

فارسى معرب[3].

أخذ اللاتينيون كلمة «عنبر» عن العربية، ثم أصبحت فى الفرنسية (ambre) وفى الإيطالية (ambra).

القَرنْفُل:

«زعمت أنها تُطَيَّبُ بالفُلْفُل، وشبَّهها غيرُك بِنَسيم القرنْفُل»[4].

يرى الثعالبى أنها معربة عن الفارسية[5]، وتبعه فى ذلك السيوطى[6].

أما صاحب غرائب اللغة العربية فنسب أصلها إلى اليونانية[7].

مِســك:

«فاتبعينى بين كُتُبِ العنبر وأنقاءِ المِسكِ»[8].

«كَمْ من قَصْرٍ يُشيد فى الجنةِ بصلاةِ العصْرِ، ومسكٍ فى الجنة متأرِّجٍ لمصَلِّى المغْرِب ليْس بالحرج»[9].

(١) انظر: الرسالة، ص ٢٤٥، ٢٤٦. (٢) الرسالة، ص ٣٧٢.

(٣) انظر، فقه اللغة، ص ٤٥٥، والمزهر ج ١ ص١٦٣، والمعرب ص ٢٢٥.

(٤) الرسالة، ص ٢٢٤. (٧) انظر، المزهر ص ٢٦٥.

(٥) فقه اللغة، ص ٤٥٥. (٨) الرسالة، ص ٣٧٢.

(٦) المزهر، ج ١ ص ١٦٣.

(٩) الرسالة، ص ٤٨٧، انظر أمثلة أخرى وردت فيها لفظة مسك فى ص ١٨٨، ٢٨٥، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٥.

المسك : طيب يؤخذ من دم دابة، كالظبى : وقيل من الظبى نفسه. معرب عن اللفظة الفارسية «مشك»[١]، و«عربيته مشموم»[٢].

وقد وردت الكلمة فى شعر الجاهليين. يقول قيس بن الحطيم الأنصارى :

«وغَمْرة من سَرواتِ النسَاء تنفحُ بِالمِسك أَرْدَانُها»[٣]

كما وردت فى القرآن الكريم[٤].

والكلمة موجودة فى اللاتينية (muscus) وعنها اشتقت اللفظة الفرنسية فى القرن الثالث عشر (musc) وكذا الإنجليزية (musk).

٣ - أوان وأدوات :

بَاطِيَّة :

- «ومَع المِنْصَفِ بَاطِيَّة مِنَ الزُّمرُّدِ»[٥].

الباطية : الإناء.

والكلمة معربة عن الفارسية[٦]، وقيل عربيتها الناجود[٧].

جَــام :

«ثم نقل [الذهب] إلَى جَامٍ أُوْكَاسٍ»[٨].

المعنى : إناء للشراب من فضة أو نحوها. وهى مؤنثة. وقد غلب استعمالها فى معنى قدح الشراب.

(١) انظر، المعجم فى اللغة الفارسية.

(٢) فقه اللغة، ص ٤٥٥، والمزهر ١٦٣/١.

(٣) الصحاح، جـ ٥، ص ٢١٢٢.

(٤) سورة المطففين الآية ٢٦. انظر : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣١٩، ٣٥٧.

(٥) الرسالة، ص ١٨٥.

(٦) انظر كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، وغرائب اللغة العربية، ص ٢١٨.

(٧) المزهر، ١ / ١٨٨.

(٨) الرسالة، ص ٥٧٧.

جمع جام جامات وأجؤم[١].

أصل الكلمة فارسى[٢].

وقيل : إن الجام عربى صحيح[٣].

خَنْجَر :

«أَعَدَّ معَهُ خنجراً كخنجر ابنِ الرومى»[٤].

المعنى :

سكين عظيمة ذات رأس مقوس، تصنع من فضة، وتستعمل للزينة، (عند الرجال) ويتخذ سلاحاً.

معربة عن الفارسية[٥].

خوَان :

- «فَتَتَمثَّلُ على خِوانٍ من الزُّمُرُّدِ»[٦].
- «فتوضَعُ الخُونُ مِنَ الذَّهَبِ»[٧].
- «ولو حضر أَخْونَةً حَضَرَهَا الشيخُ لعادَ كَما قال القائل. . . »[٨].

«الخُون» و «أَخْونة» جمع خُوان وخِوان بكسر الخاء وضمها ويرى الفارابى أن الكسر أفصح[٩].

---

(١) لسان العرب، ١٤ / ٣٧٩.

(٢) المعرب، ص ١٠٧. انظر: كذلك، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٤٩.

(٣) لسان العرب، نفس الصفحة.

(٤) الرسالة، ص ٥١٨.

(٥) غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٦. انظر كذلك، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.

(٦) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٧) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٨) الرسالة، ص ٣٩٩.

(٩) الصحاح، جـ ٥، ص ٢١١٠.

المعنى : ما يؤكل عليه.

الأصل :

معرب عن الفارسية[١]، وقيل عربي مأخوذ من تخونه أى نقص حقه لأنه يؤكل ما عليه فينتقص[٢].

حفش :

«فإذَا هُوَ ببيت فى أقصى الجنة، كَأَنَّه حِفْشُ أَمةٍ راعِيةٍ»[٣].

المعنى : بيت صغير.

الأصل : معرب عن اليونانية[٤].

طست :

المعنى :

إناء من نحاس لغسل الأيدى[٥].

مؤنث، وقد يذكر.

الأصل :

معرب عن «تشت» الفارسية[٦].

وعن الأزهرى أنها أعجمية لأن التاء والطاء لا تجتمعان فى كلمة عربية[٧].

وردت فى اللفظة لغات هى : الطَّشْتُ، الطَّسْتُ، وطَسٌّ بلغة طيئ. وفى هذه

(١) فقه اللغة، ص ٤٥٣، المزهر ١ / ١٦٤، وغرائب اللغة العربية، ص ٢٢٦.
(٢) مقاييس اللغة، ٢ / ٢٣١ وانظر كذلك، شفاء الغليل، ص ١١٢.
(٣) الرسالة، ص ٣٠٧.
(٤) غرائب اللغة العربية، ص ٢٥٧.
(٥) تاج العروس، جـ ١، القسم الرابع، ص ٨٩.
(٦) فقه اللغة، ص ٤٥٣، وانظر كذلك، شفاء الغليل، ص ١٧٦، والمزهر، ١ /١٦٣، وأيضاً : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١١٢.
(٧) المزهر، جـ ١، ص ١٦٥.

الأخيرة أدغمت إحدى السينين فى الأخرى تلافياً للاستثقال، بدليل أنها إذا جمعت أو صغرت ردت السين، حيث يفصل بينهما بألف أو ياء، فيقال : طساس وطسيس.

وأكثر ما تستعمل مؤنثة.

ولفظة «طاس»، مجردة من التاء ومن السين المدغمة، مستعملة فى الدارجة المغربية.

سلَال :

«بين أَيديهم الولدانُ المخَلَّدُون يَحْملُون السِّلَال إلى أهلِ ذلك المجْلِس»[1].

مفرده : سلة.

المعنى :

جؤنة مطبقة، ومنه سلة الخبز، وهى وعاء معروف.

الأصل :

معربة عن الفارسية[2].

وقد اكتفى الثعالبى بالإشارة إلى كونها معربة، قائلا :

«لا أحسب السلة عربية»[3].

وأبو العلاء نفسه يؤكد أنها ليست عربية، ويورد مقابلها العربى، وهو «باسنة» يقول :

«فيقول [. . .] لمن حضره (المجلس) من أهل العلم : ما تمسى هذه السلال بالعربية ؟.

فَيَرِمُّون [. . .] ويقول بعضُهم : هذه تُسمى البَواسِن واحدتها بَاسِنةٌ»[4].

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٠

(٢) المعرب، ص ٢١٣.

(٣) لسان العرب.

(٤) الرسالة، ص ٢٨٠.

وتستعمل لفظة السلة فى المغرب، ويراد بها وعاء من قصب يحفظ فيه الخبز، أو الخضر أو الفاكهة.

قَـارُورَة :

جاءت الكلمة فى بيت شعر من قصيدة أنشدها أبو العلاء على لسان إبليس :

«صُـــيِّر فى قَـارورة رُصِّصت فلم تُغادرْ منه غيرَ النسيسْ»[١]

المعنى :

آنية من خزف كانت تستعمل، خاصة فى الكيمياء، تصنع اليوم من الزجاج.

الأصل :

يكتفى الخفاجى بالقول بأنها معربة[٢].

ويرى صاحب **غرائب اللغة العربية** أنها معربة عن الآرامية[٣].

وقد ذكرت الكلمة فى القرآن بلفظ الجمع، ثلاث مرات[٤].

دخلت الكلمة إلى التركية بلفظة (Qarore).

كَـأْس :

- وأدارها [الصهباء] فى الكأس مُدِير»[٥].
- «فكنت أَصرفُ الكأسَ عنه»[٦].

المعنى :

وعاء للشرب، حين يكون فيه شراب، وإلا فهو «قدح» أو كوب[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٣٠٠.
(٢) شفاء الغليل، ص ٢١٢.
(٣) ص ٢٠٠.
(٤) ص ٢٧، ٤٤- ٧٦، ١٥- ٧٦، ١٦.
(٥) الرسالة، ص ٢٢٣.
(٦) الرسالة، ص ٢٧٨.
وردت الكلمة جمعًا فى ص ٣٩٦، ٣٩٩.
(٧) الصحاح.

الأصـل :

معرب عن كاسه الفارسية[١].

يظن أدى شير أن الكلمة سامية الأصل، وأن الفارسية قد أخذتها من اللغات السامية[٢]، فى حين يرى صاحب غرائب اللغة العربية أن اللفظة آرامية الأصل[٣].

كُـوز :

«ويثب نابغةُ بنى جعدة، على أبى بَصير فيضربه، بكوز مِنْ ذَهب»[٤].

جمعه أكواز.

المعنى : إناء من فخار له عروة.

الأصـل : معرب عن «كواز» و«كوزه» الفارسيتين[٥].

ويرى السيوطى أنها معربة عن النبطية[٦].

ويروى صاحب الزينة، عن أبى عبيدة أن «كوز» لفظ عربى يوافق اللفظ الفارسى ويقاربه، ومعناهما واحد[٧].

لجـام :

«ويُقيمُون على باب ذلك البيت فرسًا بِسرْجٍ ولَجَام»[٨].

---

(١) المعرب، ص ٢٠١، والمعجم فى الألفاظ الفارسية، ص ٢٥١.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٣١.

(٣) ص ٢٠٢.

(٤) الرسالة، ص ٢٣١.

(٥) فقه اللغة، ص ٤٥٣، انظر كذلك المزهر ١ و١٦٣، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٤٠، وكذلك غرائب اللغة العربية، ص ٢٤٤.

(٦) نقلا عن: القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣١٧.

(٧) الزينة، ١ / ١٣٨.

(٨) الرسالة، ص ٤٤٢.

المعنى :

ما يجعل فى فم الفرس أو الدابة من الحديد مع الحكمتين والشكيمة.

جمعه : لجم، وألجمة.

الأصـل :

معربة عن الفارسية[١].

الهـاون :

المعنى : آنية يدق فيها. وقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يخصه بالمهزار الصغير.

وفيه لغات : الهاوَن والهاوُن والهاوون.

قيل : أصله هاوون لأن جمعه هواوين، مثل قانون وقوانين، فحذفوا الواو الثانية تجنبًا للاستثقال وفتحوا الأولى لأنه ليس فى كلام العرب «فاعُل» بضم العين[٢].

الأصـل :

معرب عن الفارسية[٣].

يرى ابن دريد أنه ليس فى كلام العرب اسم على وزن فاعَل بفتح الواو بعد الألف.

ويسمى بالعربية المنحاز، والمهراس[٤].

---

(١) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، انظر : كذلك، غرائب اللغة العربية ص ٢٤٤.

(٢) إصلاح المنطق، ص ٣٠. انظر : كذلك، لسان العرب.

(٣) المعجم فى اللغة الفارسية، ص ٣٤٦، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٩، وغرائب اللغة العربية، ص ٢٤٨.

(٤) المزهر، جـ ١، ص ١٦٦.

٤ - أدوات موسيقية وثقافية

بَرْبَط :

«كم بربط عَصَف بجعدٍ وسبطٍ»[١].

آلة للطرب (المزهر والعود).

يرى الجواليقى أن الكلمة معربة عن الفارسية[٢].

وقيل إن الكلمة مركبة من «بر» + «بط» أى شبيهة بصدر البط وهى فى الواقع آلة مجوفة شبيهة بالصدر.

ويرى البعض أنها معربة عن اليونانية[٣].

وقد اكتفت بنت الشاطئ بالإشارة إلى أن اللفظ أعجمى، دون أن تذكر أصله.

بَـمٌّ :

«ولكن من عبث بالبم والزيرِ، لم يكن فى الديانة أخا تَعزير»[٤].

المعنى : يطلق على أوتار العود[٥].

الأصل : معرب عن الفارسية[٦].

دِيوَان :

«... وغير ذلك مما هو موجودٌ فى دِيوانه»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٥٥٧.

(٢) المعرب، ص ٣٩، انظر: كذلك، غرائب اللغة العربية ص ٢١٨، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة.

(٣) Régis Blachére, Dictionnaine..., 497, T. 1

(٤) الرسالة، ص ٥٢٤.

(٥) مروج الذهب، ط أوربا، ٢ / ١٦٤. انظر: كذلك، التعليق بصفحة ٥٢٤ من الرسالة.

(٦) شفاء الغليل، ص ٦٦، انظر: كذلك، غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٠.

(٧) الرسالة، ص ٤١٥.

«وحدثْتُ، أيضًا أنه كان فى ديوان اللَّاذِقية. . . »[١].

المعنى :

دفتر الحساب، وبيت القضاء، ويطلق أيضا على ما يكتب فيه الشعر.

الأصل :

معرب عن الفارسية[٢].

ويرى المرزوقي، فى شرح الفصيح، أن الكلمة عربية الأصل من «دونت الكلمة» إذا ضبطتها وقيدتها، لأن الديوان موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون »[٣].

أصل الكلمة : دوّان، فأبدلوا إحدى واويه ياء، بدليل ردها فِى الجمع : دواوين. مثله فى ذلك مثل دينار أصله دِنّار.

وقد اشتقوا من ديوان الفعل دَوَّن[٤].

الزِّير :

«ولكن من عَبَثَ بالبمِّ والزير، لم يكن فى الديانةِ أخا تعزير»[٥].

المعنى :

الزير من أوتار العود.

الأصل :

معرب عن الفارسية[٦].

---

(١) الرسالة، ص ٤٢٣.

(٢) المزهر، جـ ١، ص ١٦٩، وانظر: كذلك، غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٩.

(٣) شفاء الغليل، ص ١١٩.

(٤) الصحاح ٥ / ٢١١٥.

(٥) الرسالة، ص ٥٢٤.

(٦) المعرب، ص ١٨٢، انظر كذلك شفاء الغليل، ص ٦٦.

الصَّـك :

«ومَعِى صَكٌّ بالتَّوْبةِ»[١].

المعنى :

كتاب الإقرار بـ . . .

الأصـل :

ذكر السيوطى ، نقلا عن صاحب **الصحاح**، أن الكلمة معربة عن الفارسية[٢]، وهو ما يقول به كذلك أدى شير.

ومن المحدثين من يشك فى أن يكون أصلها فارسيًّا[٣].

طنبُور :

«ومغنٍّ بطنبُورٍ أو عود، قُدِرَ لَهُ تولّى السعودِ»[٤].

المعنى : آلة من آلات الطرب ذاتِ عنق طويل وستة أوتار.

فيه لغات : طِنبار وظَنْبُور (بالظاء المعجمة)[٥].

الأصل : معرب عن الفارسية «تنبور» بالتاء[٦].

وتعاقب التاء والطاء كثير فى الكلمات المعربة، كما أشرنا إلى ذلك، فى مقدمة هذا الفصل.

القَـلم :

- «إنَّما أنا صاحبُ قَلَمٍ وسَلَم»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٢٥٠.

(٢) المزهر، ص ١ / ١٦٥.

(٣) غرائب اللغة العربية، ص ٢٣٧.

(٤) الرسالة، ص ٥٠٨.

(٥) المزهر، ١ / ١٦٦.

(٦) شفاء الغليل، ص ١٧٥، والصحاح، ٢ / ٧٢٦. انظر: كذلك غرائب اللغة العربية، ص ٢٣٩.

(٧) الرسالة، ص ١٩٥.

- «ولعله قد نَزَفَ بِحارَهم، بالقَلم والفَهم[1]».
- «انقَلبْت عَلَى يَدِه سِكِّينُ الأقْلَامِ»[2].

المعنى :

يراعة يكتب بها. ولا تسمى قلمًا إلا بعد البرى.

الأصـل :

معرب عن اليونانية[3].

يرى محقق الزينة[4]، أن أصله فى اليونانية (قالموس)، يعنى عود، ثم أصبح «قلم» يكتب به، ولا يزال بعض الفقهاء، فى المغرب، يكتبون بأقلام من قصب، وخصوصًا فى الكتاتيب القرآنية، والكلمة موجودة بلفظها فى السنسكريتية وفى بعض اللغات الهندية - الأوربية (Klam) . كما فى العبارة الشهيرة فى علم التحليل النفسى Lapsus Kalame «سبق قلم» أو «فلتة قلم».

٥ - أسماء تستعمل للمعيار والعملة :

دِرْهَم :

- «فبَاعَها بألفٍ وخمسمائة درهم»[5].
- «ما وصلتُ أنا ولَا غَيرى إلى قُرقُوفٍ من خِزَانَتِه، والقُرقوف الدِّرهَمُ»[6].

المعنى :

عملة صرفية تعامل بها العرب قديمًا، إذ لم يعرفوا غيرها.

---

(١) الرسالة، ص ٥٣١.
(٢) الرسالة، ص ٤٢٣.
(٣) غرائب اللغة العربية، ص ٢٦٦، وانظر: كذلك القرآات القرآنية، ص ٣٥٥، ٣٥٨.
(٤) الزينة، جـ ٢، ص ١٤٥.
(٥) الرسالة، ص ٥٧٣.
(٦) الرسالة، ص ٢٦٢.

الأصـل :

فيه لغات : الدِّرهَم، والدرهِم والدِّرهام.

اللفظة معربة من «دراخمة» اليونانية drakmé.

أما الخفاجى، فيرى أنها معربة عن «دَرَم»[١].

وحسب الثعالبى، إن «درهم» مما اتفق لفظه فى لغة العرب ولغة الفرس. ونضيف، إن اللفظة شاعت عند اللاتينيين dragme، ومنها أخذ الفرنسيون drachme والإنجليز drachum. والعملة اليونانية، حاليًّا، هى drachme.

– اللفظة مذكورة فى القرآن[٢].

دِينَار :

– «فكلٌّ واحدٍ منها دينارٌ أعِزَّة»[٣].

– «وسرَّتْنِي فَيئة الدنانيرِ إليه»[٤].

المعنى :

ضرب من قديم النقود الذهبية. جمع دينار: دنانير.

الأصـل :

ينسبه الأب نخلة اليسوعى إلى اللاتينية[٥]، فى حين ينص الجواليقى[٦]، والسيوطى[٧] على أنه فارسى معرب. ويرى آخرون أنه قديم فى لغة العرب وأن كون اللفظة الرومية مقاربة للفظة العربية لا يدل على أن العرب أخذوه من الروم. ويذهبون إلى أبعد من ذلك، فيرون أن من المحتمل أن يكون الروم نقلوه عن

---

(١) شفاء الغليل، ص ١٢٠.
(٢) سورة يوسف، الآية ٢٠.
(٣) الرسالة، ص ٥٦٦.
(٤) الرسالة، ص ٥٥٩.
(٥) غرائب اللغة العربية، ص ٢٧٨.
(٦) المعرب، ص ١٣٩، ١٤٠.
(٧) الإتقان، ١ / ١٣٨.

العرب[١]. ويذهب الثعالبى إلى أنه قائم فى لغة العرب ولغة الفرس على لفظ واحد[٢].

ونحن نميل إلى الرأى القائل بأنه رومى الأصل ذلك لأن الفرس، كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين :

«كان طريقاً لانتقال الألفاظ الرومية إلى العربية حتى لقد خفى على القدماء ذلك، فنسبوا اللفظة إلى الفارسية، وقد كانت مجرد معبر»[٣].

وأصل دينار «دِنَّار» بالتشديد، فأبدل من أحد حرفى تضعيفه ياء، مثل القيراط أصله قِرَّاط (لأن جمعه قراريط). وهكذا أصبحت دنّار ديناراً حيث أبدل من الدال المضعفة مدًّا من جنس حركة ما قبله[٤]. والدليل على ذلك أن هذه النون ترد له فى الجمع والتصغير، فيقال دنانير ودُنَيْنِر.

ومنه رجل مدنَّر، أى كثير الدنانير[٥].

قِنْطَار :

«وتلك الثَّمانُونَ، أُلقى فيها الرِيْعُ إلى أن يَصِيرَ قيراطُها قنطارًا..»[٦].

المعنى :

معيار للوزن، يعادل اليوم ١٠٠ كيلوغرام.

الأصـل :

قيل معرب عن اللاتينية[٧] وهى بالفرنسية cantal.

---

(١) انظر: القراءات القرآنية...، ص ٣١٠، إلى ٣١٩ حيث يعرض المؤلف نظرية أحمد محمد شاكر الذى يؤكد الرأى الأخير.

(٢) فقه اللغة، ص ٤٥٢.

(٣) انظر القراءات القرآنية، ص ٣٥٨.

(٤) انظر الصحاح، ٢ / ٦٥٩، والمزهر، ١/ ٢٨٠.

(٥) اللسان، ٤ / ٢٩٢.

(٦) الرسالة، ص ٥٧٥.

(٧) غرائب اللغة العربية، ص ٢٧٩.

قِيرَاط :

«أُلْقِى فِيها الرِيْعُ إلى أن يصير قِيراطها قنطارًا»[١].

المعنى :

معيار فى الوزن وفى القياس. اختلفت مقاديره مع الأزمنة، وهو اليوم يقدر بأربع قمحات. أما فى القياس، فيعادل جزءًا من ٢٤.

الأصـل :

معرب عن اليونانية[٢].

النُمِّى :

- «فأمَّا اليومَ فلَوْ أُمِنَ كِتَابٌ على نمِّىٍّ لأسْرعَتْ إلَيهِ الظنَنُ إسرَاع رَمىٍّ»[٣].
- «فكيف إذا كان الثمنُ من النُمِّيَّاتِ»[٤].

المعنى :

فلوس الرصاص وقيل الدرهم الذى فيه رصاص أو نحاس.

والواحدة نمية وجمعها نمامى كدرية ودرارى وأيضًا «نميان»[٥].

الأصـل :

معربة عن الرومية[٦].

نَياطِل :

«فإنْ سُرِرْتُ بالباطِل، فَشُهِرتْ باتِّخَاذِ النياطِل»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٥٧٥.

(٢) غرائب اللغة العربية، ص ٢٦٧.

(٣) الرسالة، ص ٥٦٥.

(٤) الرسالة، ص ٥٨٣.

(٥) اللسان، ٢٠ / ٦١٨.

(٦) شفاء الغليل، ص ٢٦٠، وانظر: كذلك المزهر، ١ / ١٦٦.

(٧) الرسالة، ص ٣٨٧.

المعنى :

نياطل : جمع نيطل وناطل، قيل هو الجرعة من الخمر، أو هو مكيالها. وفسر صاحب غرائب اللغة العربية النيطل بالدلو والكوز.

اللفظة آرامية الأصل[١].

٦ - أسماء الخمر وبعض الأشربة :

إسْفنط :

«لا كانتِ الفَيْهَجُ ولاَ الإسْفَنطُ»[٢].

المعنى : ضرب من الخمر.

الأصـل : ذكر الثعالبى أنها معربة عن الرومية، وشرحها بقوله : «أشربة على صفات»[٣].

ومن الغريب أنه لا يذكرها ضمن أسماء الخمر[٤]. ونفس الرأى نقله السيوطى عن ابن دريد[٥]، لكن صاحب غرائب اللغة العربية يرى أن الكلمة معربة عن اليونانية[٦] (وقد كان القدامى يرون أن كل ما ليس فارسيًا فهو رومى).

* * *

البُخْتَج :

«علَى أَنَّ كثيرًا من الفُقَهَاءِ قد شَرِبُوا الجُمْهُورِىَّ والبُختج»[٧].

---

(١) غرائب اللغة العربية، ص ٢٠٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٢٢.

(٣) فقه اللغة، «فصل فيما حاضرنا به مما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية»، ص ٤٥٥.

(٤) انظر فصل «فى تفصيل أسماء الخمر وصفاتها»، ص ٤٦٠.

(٥) المزهر، ص ١٦٦.

(٦) ص ٢٥٢.

(٧) الرسالة، ص ٥١٢.

المعنى : عصير العنب المطبوخ.

الأصـل : فارسى[١].

خمـر :

«لأنه بُعِثَ بتحريم الخمر وحظر ما قبح من أمر، وهلكتُ أنا والخمرُ كغيرِها من الأشْيَاءِ يشربها أتْبَاعُ الأنبياء»[٢].

ترددت لفظة خمر مرات كثيرة فى الرسالة، وذكرت لها مرادفات عديدة كما أشرنا إلى ذلك من قبل[٣].

الأصـل : قيل معربة عن الآرامية[٤].

فُقَّـاع :

«ويَخْطِرُ له ذِكر الفُقاع الذِى كان يُعْمَلُ فى الدارِ الخادِعةِ [. . .] فلا تكمل المقالةُ حتى يجمعَ اللهُ كلَّ فقاعىٍّ فى الجنةِ»[٥].

المعنى : شراب يتخذ من الشعير. قيل سمى كذلك لما يعلوه من زبد، تشبيهًا بالفقاعات، أى النفاخات التى تعلو الماء.

الفقاعى، نسبة إلى الفقاع = هو الذى يبيعه.

الأصـل : الكلمة معربة عن الفارسية[٦].

فَيْهَـج :

«من اصْطَبَحَ فَيْهَجًا، فقد سَلَكَ إلى الداهيةِ منهَجًا»[٧].

---

(١) غرائب اللغة العربية، ص ٢١٨.

(٢) الرسالة، ص ١٨٤.

(٣) انظر على سبيل المثال، ص ٥٥٦.

(٤) غرائب اللغة العربية، ص ١٨٠.

(٥) الرسالة، ص ٢٨٠.

(٦) المعرب، ص ٢٤٥. انظر كذلك : المعجم فى اللغة الفارسية ص ٢٤٥.

(٧) الرسالة، ص ٥٥٦.

المعنى : الفيهج من أسماء الخمر، وقيل من صفاتها، وقيل بل هو ما تكال به الخمر[١].

الأصـل : فارسي معرب.

قَرْقَـف :

«وما قَرْقَفُكَ هذه المشجونةُ»؟[٢].

المعنى : القرقف من أسماء الخمر، وقيل سميت كذلك لأنها تقرقف شاربها أى ترعشه إذا أدمنها[٣].

الأصـل : حسب صاحب **غرائب اللغة العربية**، إنها معربة عن الآرامية[٤].

كُمَيْت :

- «ومَا تردَّد ذِكره من كُمَيتِ بَابِل»[٥].
- «لا فائدةَ فى الكُمَيْتِ، تجعلُ حيَّها مثل الميْت»[٦].

المعنى : نوع من أنواع الخمر[٧] وتتميز بكونها حمراء تميل إلى كلفة.

الأصـل : معربة عن الفارسية[٨].

٧ – أسماء الطيور :

أبجـاج :

«فجاؤوا [...] وضروبِ الطيرِ التى جَرت العادةُ بِأَكلها كأبجاجِ العَكَارِم»[٩].

---

(١) لسان العرب.
(٢) الرسالة، ص ٢٢٢.
(٣) انظر، فقه اللغة، فصل «تفصيل أسماء الخمر وصفاتها»، ص ٤٠٠.
(٤) ص ٢٠١.
(٥) الرسالة، ص ١٥٢.
(٦) الرسالة، ص ٥٥٦.
(٧) انظر، فقة اللغة، ص ٤٠٠.
(٨) شفاء الغليل، ص ٢٢٦، انظر : كذلك، غرائب اللغة العربية، ص ٢٤٣.
(٩) الرسالة، ص ٢٧١، العكارم، مفرده عكرمة أنثى الحمام.

أبجاج، جمع بج.

المعنى: بالضم وهو فرخ الطائر.

الأصـل: معرب عن الفارسية.

بُخْتِية:

«وتمرٌ إوَزَّةٌ مثلُ البُخْتِيَّة، فَيَتمنَّاهَا بعضُ القومِ شِواءً»[١].

المعنى: الإبل الخراسانية، وهى طويلة الأعناق. جمع بخاتِي، بخاتَى.

الأصـل: معرب عن الفارسية[٢]. وتستعمل فيها بمعنى المرأة السعيدة (من بخت = Bahteye، أى الحظ والقسمة).

وذكر صاحب **الصحاح** أن «البخت من الإبل، معرب»[٣]. ويفهم من قوله هذا أن البخت صفة للإبل.

ويؤكد (بلاشير) كونها معربة عن الفارسية مع تفصيل لبعض معانيها[٤].

ونجد السيوطى ينص على أن بعضهم يقول إنه عربى[٥].

فهل يشبه أبو العلاء الإوزة، نظرًا لكبر حجمها، بالإبل؟ قد يكون...

جَـوْزَل:

«تَنْهَضُ إلى التِقَاطِ حَبٍّ، وتعودُ إلى جوزَلِهَا ذاتَ أَبٍّ»[٦].

المعنى: الجوزل، فرخ الحمام.

الأصـل: معرب عن الآرامية[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.

(٣) الصحاح، جـ ١.

(٤) انظر "Dictionnairse"، جـ ١ ص ٤٠٤.

(٥) المزهر، جـ ١، ص ١٦٥.

(٦) الرسالة، ص ٣٨٥، الأب بفتح الهمزة وتضعيف الباء: العشب.

(٧) انظر، غرائب اللغة العربية، ص ١٧٦.

شَاهِين :

«غَدا به ظُفْرُ شَاهِين، وهى البائسةُ من اللاَّهِين»[١].

المعنى : يطلق على العقاب.

الأصـل : معرب عن الفارسية[٢] من(Aaena) بمعنى الرقى، أو الميل إلى الأعلى. ويرى ذلك كل من الجواليقى والخفاجى[٣]، كما تبعهم فى ذلك، صاحب غرائب اللغة العربية[٤].

٨ - أسماء بعض النباتات :

أرز :

«فإنْ قالَ : أم كرزِ فإنَّ أشْبَه ما يقول : وحوارى بأرزِ»[٥].

المعنى : نوع من البر، ينبت فى الحقول الحارة المتوفرة على المياه الكثيرة.

الأصـل : يرى صاحب **شفاء الغليل**[٦]، وكذلك صاحب **المعرب**[٧]، أن الكلمة معربة عن الفارسية، وقال بذلك السيوطى أيضًا[٨].

أما صاحب **غرائب اللغة العربية**، فينسب أصلها إلى اليونانية[٩].

توجد الكلمة فى التركية (ery) ودخلت اللسان الفرنسى فى أواخر القرن الثالث عشر، مأخوذة عن الإيطالية (riso)، وتوجد فى الألمانية (reis)، وفى الإنجليزية (rice).

فخلافًا لما تدعيه بعض القواميس الحديثة، يظهر أن الغرب لم يأخذ الكلمة عن

---

(١) الرسالة، ص ٣٨٥.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٢٣٦.

(٣) انظر: المعرب، ص ٢٠٦، وشفاء الغليل، ص ١٥٩.

(٤) انظر: غرائب اللغة العربية، ص ٢٣٦.

(٥) الرسالة، ص ١٦٠.

(٦) انظر ص ٣٧.

(٧) انظر ص ١٦٧.

(٨) المزهر، جـ ١ / ١٦٤.

(٩) ص ٢٥٢.

العربية، بل إن (riso) الإيطالية مشتقة من كلمة لاتينية هى (eryza). فالغالب أن العرب أخذوا «أرز» عن الشرق الأقصى، كما نقلها اللاتينيون بدورهم.

بِرْس :

«ولو انصرف إلى عِلاج البِرسِ ما بَقى ذِكرٌ عنهُ فى طِرْسٍ»[1].

المعنى : نبات يستخدم فى نسج الثياب وعربيته القطن.

الأصـل : فارسى معرب[2].

استعمل أبو العلاء فى التعبير عن المسمى الواحد، ثلاث كلمات :

قطن (قبطية)[3].
عطب (عربية)[4].
بِرس (فارسية).

بطِّيخَة :

«... وإنى قد اشتهيْتُ بطيخةً، قال : فأخذتُ بطيخةً وسألتُ عن ذلك القِطَار، فوجدتُ فيه جملاً أعْور، فدنوتُ منه بالبطيخةِ، فأخذَهَا أخْذَ مُريدٍ مُشْتَهٍ»[5].

من الخضراوات (تقال للتمر وللشجر). وهو من اليقطين لا يعلو، ويذهب نبته حبالاً على الأرض.

فى اللفظة لغتان : بطِّيخ، وطبيِّخ، وكلتاهما استعمله أبو العلاء : «فأخذ صغيرة من بطيخ»[6].

«ليأتيه بالطِّبِّيخَةِ حينَ يَكْثُر البطِّيخ»[7].

---

(١) الرسالة، ص ٤٥٣.
(٢) المعرب، ص ٤١.
(٣) انظر : الرسالة، ص ٤٩٦.
(٤) نفس الصفحة.
(٥) الرسالة، ص ٤٦٩.
(٦) الرسالة، ص ٥٠٦.
(٧) نفس الصفحة.

الأصـل: معربة عن الفارسية، وعربيته «الخِرْبَز»[١] وقيل بل معربة عن الآرامية[٢].

تفَّاحَة:

«فيأخذُ سَفَرْجَلَةً، أو رُمَّانَةً، أو تُفَّاحةً»[٣].

المعنى: فاكهة (لها رائحة طيبة: التفحة).

الأصـل: معرب عن الفارسية[٤].

الخَرْبَق:

«والخَرْبَقُ سُمُّ الكِلاب مَعْرُوفُ»[٥].

المعنى: «نبت كالسم يغشى على آكله. والإفراط منه يقتل»[٦].

الأصـل: يرى الجَواليقى أنه فارسى معرب[٧].

دخل التركية فأعطى kharpaq، من المحدثين من رد الكلمة إلى أصل سريانى[٨]. وهو فى اللاتينية: helleborus وفى الفرنسية ـhellebore.

دِرْيَاقَة:

«لو تَرَشَّفْتَ رُضابِى لعَلِمتَ أنَّهُ أفضلُ من الدِّرياقِة التى ذَكَرها ابنُ مُقْبِل»[٩].

المعنى: دواء السموم ومنه، أيضًا، لفظ الترياك الذى يطلقه الأتراك على العفيون.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين جـ ١، ص ١٩ انظر كذلك، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٥٢.

(٢) غرائب اللغة العربية، ص ١٧٤.

(٣) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٤) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.

(٥) الرسالة، ص ٤٢٤.

(٦) لسان العرب.

(٧) المعرب، ص ١٣٢، انظر: كذلك، غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٥.

(٨) انظر مصطفى الشهابى، معجم الألفاظ الزراعية.

(٩) الرسالة، ص ٣٧٠. (ابن مقبل هو تميم بن أبى من بنى عجلان).

فية لغات هى : ترياق، ودِرْياق، وطِرْياق. وذلك لأن التاء، والدال والطاء تتعاقب فيما بينها[١].

الأصـل : معرب عن لفظة «ترياق» الفارسية[٢].

بيد أن الثعالبى يسوقها ضمن الألفاظ التى تنسب إلى الرومية[٣]، فى حين يرى مصطفى الشهابى أن أصل الكلمة يونانى[٤].

سَفَرْجَل :

«فيأخذُ سَفَرْجَلَة»[٥].

المعنى : شجر مثمر، من الفصيلة الوردية.

الأصـل : قيل معرب عن الآرامية[٦].

سُكَّر :

«وأمسى الحدجُ وكَأَنَّهُ المُتَّخَذُ بالأهْوَازِ، إلاَّ يَكُن السكر، فإنه مُوازٍ»[٧].

المعنى : «مادة حلوة تستخرج من عصير القصب أو من الشمندر».

الأصـل : من اللغة السنسكريتية (Çakarâ)، ومنها انتقلت إلى الفارسية[٨] ومنها إلى العربية[٩].

ومن العربية دخلت الكلمة إلى التركية (sukker)، وإلى لغات أوربية : فالإيطاليون يستعملون (zucchero) التى أعطت فى الفرنسية (sucre) وانتقلت إلى الإنجليزية (sugar).

---

(١) صبحى الصالح، فقه اللغة، ص ٣٦٩.
(٢) المعرب، ص ٩٩.
(٣) فقه اللغة، ص ٤٥٥.
(٤) المصطلحات العلمية، ص ١٧.
(٥) الرسالة، ص ٢٨٨.
(٦) انظر : غرائب اللغة العربية، ص ١٧.
(٧) الرسالة، ص ١٦٥.
(٨) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.
(٩) المعرب، ص ٢١١.

سُمَّاق :

«ويختارهَا (الإوزة) بعضُ الحَاضِرين كَرْدَنَاجاً، وبعضُهم معمولةً بسمَّاقٍ»[١].

المعنى : من شجر القفار والجبال، وله ثمر حامض، على شكل عناقيد، فيها حب صغار يطبخ، ولا ينبت فى أرض العرب. والحبة الواحدة تسمى سماقة، وهى بالعربية «عَبْرَب»[٢].

الأصـل : قيل أصل اللفظة آرامى[٣].

دخلت التركية بلفظها «سماق»، كما ينطق بها : «صماق»، «صوماكى». وقد انتقلت اللفظة من العربية، فى القرن الثالث عشر، إلى الصيادلة اللاتينيين، انتشرت زراعة هذا النبات فى جزيرة صقلية، وعن طريقها دخلت باقى العالم المسيحى. فهى فى الفرنسية "Sumac" وفى الإنجليزية "Sumach".

سُوذَانق :

«فَإنْ هِيَ صَادَفَتْه أكِيل سُوذَانِق»[٤].

سوذانق لفظة فيها ست لغات، هى : السُّوذَق، والسُّذَانِق، والسُّوذَنِيق والسُّوذَانِق، السَّيْذَنُوق والسَّوْذَنِيق.

المعنى : الصقر أو الشاهين.

الأصـل : فارسى معرب[٥].

يفسر (أدى شير) اللفظ بأنه طير أخضر اللون ينقب الشجر بمنقاره، وينسب أصل الكلمة إلى اليونانية[٦].

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٢) انظر : لسان العرب، والقاموس المحيط وكذلك معجم الألفاظ الزراعية.

(٣) غرائب اللغة العربية، ص ١٨٩.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٥.

(٥) شفاء الغليل، ص ١٤٧، والمزهر ١ / ١٦٤.

(٦) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٨٨.

فُلْفُل :

«زَعَمَت أَنَّهَا تُطَيَّبُ بالفُلْفُل»[١].

المعنى : نبات حرِّيف حار، ينبت خارج أرض العرب.

واحدته فلفلة، ومنه فَلْفَلَ الطعامَ أو الشرابَ، والطعامُ مُفَلْفَلٌ :

«كأن مكاكى الجواء غدية صبحن سلافاً من رَحيق مفَلْفَل»[٢]

الأصل : مُعَرب عن «بلبل» الفارسية[٣].

نعلم أن تعاقب الباء والفاء كثير فى المعربات.

دخلت الكلمة اللاتينية فأعطت "Piper" ومنه "Pepper" الإنجليزية و "Poivre" الفرنسية.

قُطْن :

«وكان له قطنٌ فى بيت، فقال : إن قطنى لا يحترقُ، وأمر ابنَه أن يدنِيَ سِرَاجًا إليه، فأخَذَ فى العُطُب»[٤].

الأصل : معرب عن القبطية[٥].

عربيته : العُطب.

استعمل أبو العلاء اللفظتين معاً، كما يلاحظ.

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٣.

(٢) اللسان، ط ١، ١٤ / ٤٨.

(٣) فقه اللغة، ص ٤٥٤، انظر: كذلك، شفاء الغليل، ص ١٩٧.

(٤) الرسالة، ص ٤٩٦.

العطب، القطن.

(٥) غرائب اللغة العربية، ص ٢٨٥.

ورد :

- «تمطر بماء ورد الجنة من طلٍّ وطشٍّ»[١].

- «كلما مر بشجرة نضحته أغصانها بماء الورد قد خلط بماء الكافور»[٢].

المعنى : زهر الشجر أو النبات يستخرج من تبخيره ماء الورد يتطيب به.

الأصل : معرب عن الفارسية يعرف فى العربية بـ«المشموم». وقد ذكره السيوطى فى «فصل المعرب الذى له اسم فى لغة العرب»[٣]. ونبه على أن لفظة «الورد» التى هى من أسماء الأسد، عربية أصلاً.

يستعمل أبو العلاء «ورد» بالمعنى الأخير فى قوله :

«فإذا ادَّلَجَ وَرْدٌ هَمُوسٌ»[٤].

ويرى صاحب غرائب اللغة العربية، أن الكلمة معربة عن الآرامية[٥].

٩ - أسماء بعض الأطعمة :

بَهَط :

«... تُقَدَّمُ لَهُ الصحفةُ وفِيها البَهَط والطِّرْيَمُ»[٦].

المعنى : أرز يطبخ باللبن والسمن، وقيل أرز وماء.

الأصل : فارسى[٧].

جَوْز :

«فَيُنْشِئُ الله القادرُ بلُطْفِ حِكْمَتهِ شَجَرَةً من عَفْزٍ. والعَفْزُ الجَوْزُ»[٨].

(١) الرسالة، ص ٢٧٦.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٨.
(٣) المزهر، ١/ ١٦٦.
(٤) الرسالة، ص ٤١٣.
(٥) الرسالة، ص ٢٠٩.
(٦) الرسالة، ص ٣٠٥.
(٧) انظر: الصحاح.
(٨) الرسالة، ص ٢٧٩.

المعنى: ثمر شجر. واحدته «جوزة». تؤكل بعد تكسير قشرتها الصلبة. وهى غنية بمادة الزيت.

الأصـل: فارسى معرب عن كُوز وينطق، إلى يومنا هذا، بالكاف الممزوجة بالجيم فى الدارجة المغربية[1]. ولعل عربيته العفز كما يبدو من شرح أبى العلاء للفظة «عفز».

شِيرَاز:

«الذين لَمْ يَأْكُلوا شِيرَازَ الألبانِ»[2].

المعنى: اللبنُ الرَّائِبُ المقْطُوع.

الأصـل: معرب عن الفارسية[3].

فَالُـوذ:

«وصُنِعَ مِنَ المرِّ الفَالُوذُ المحكمُ بلا سِحرٍ»[4].

المعنى: من الحلويات التى تصنع من الدقيق والماء والعسل والطيب، وفيها لغات: الفالُوذج، والفالوذَق.

الأصـل: معربة عن «بالوذة» الفارسية كما يقول الثعالبى[5].

أبدلت «الباء» التى بين الباء والفاء، «فاء». وهذا مما يطرد فيه الإبدال، وقد استعملت الكلمة فى المثال: «فالوذج السوق»، يقال لمن يحمد مخبره، قال الشاعر:

أَعْزِزْ عَلَيَّ بأخلاقٍ وُسِمْتَ بِها   عند البرية يَا فالوذجَ السُّوقِ[6]

(١) انظر، المزهر ١ / ١٦٥، كذلك، غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٤، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٤٨.

(٢) الرسالة، ص ١٧٧.

(٣) المعرب، ص ٢١٦، انظر: كذلك غرائب اللغة العربية، ص ٢٣٧، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٩٩.

(٤) الرسالة، ص ١٦٥.

(٥) فقه اللغة، ص ٤٥٣، وانظر: كذلك المعرب: ٢٣٥، والمزهر، ١ / ١٦٢، ١٦٣.

(٦) شفاء الغليل، ص ١٩٨.

القِنْديد :

« . . . لَعَلِمَ أَنَّ الذِي وصفَه، يَجْرى من هَذا المنعوتِ مجرى الدِّفلَى الشاقَّةِ من الرِّعديدِ، ومَذُوقِ ما يُكْرَهُ من القِنْديد»[١].

المعنى : مادة حلوة بلورية تكثر فى نبات الشمندر، وفى قصب السكر، وتطلق خاصة على السكر المصفى المجمد، ويطلق عليه «القند»[٢].

من معانى القنديد الخمر[٣].

الأصل : من السنسكريتية، ثم دخلت الفارسية، وعن الفارسية أخذها العرب. وقيل فى الفارسية بالكاف : (كند)، وهذا لا يبعد، فالقاف والكاف يطرد تعاقبهما، خصوصاً فى الكلمات المعربة، كما رأينا.

وقيل نقلها العرب عن الهند، مباشرة، وقد أخذ الغربيون اللفظة عن العرب.

فهى فى الفرنسية (sucre candi)، ولعلها هى ما يسميه بعض المغاربة إلى اليوم بـ«سكر قنديل».

كَرْدَنَاج :

«ويَخْتارُها (أوزة) بعضُ الحَاضِرين كَرْدَنَاجاً»[٤].

المعنى : الكَباب، واللحم المشوى على السفافيد.

الأصـل : الكلمة معربة عن (جردناج) الفارسية، ومعناها السفود.

وردت للفظة لغات، منها : «كَرناج» بحذف الدال، وقد وردت كذلك فى كتاب البخلاء، وساقها الثعالبى بالجيم بدل الكاف : «الجردناج»[٥]

---

(١) الرسالة، ص ١٦٦

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٢٩.

(٣) لسان العرب.

(٤) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٥) فقة اللغة، ص ٤٥٤.

مُومٌ :

«ولاَ هو (العسلَ) فِي مُومٍ مُتَوَارٍ»[1].

المعنى : شمع النحل.

واحدته مومة.

معرب عن الفارسية[2].

١٠ - ألفاظ تتعلق بالدين وبالآخرة

جَبْرئيل :

«قد عَلِم الجَبرُ الذِى نُسِبَ إليه جَبْرئيل»[3].

المعنى : فسرها لغويو العرب بمعنيين : «العبد» و«الملك». وترجح بنت الشاطى أن المعنى الذى يقصده أبو العلاء هو الملك (أى الله)، ذلك أنسب للسياق. والكلمة مركبة من : جبر (= رجل) + إيل (= الله).

وهذا معنى لم يعرفه العرب قبل الإسلام ولا بعده، فقد نقلوه عن غيرهم. فهو موجود فى العبرية والسريانية بلفظة «جيفر» وفى الآرامية «جبار».

يرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن كلمة جبريل، «كانت جديدة على ألسنة العرب، ولذا تعرضت للتغيير أكثر من غيرها، لا سيما إذا لا حظنا أن العرب استعملوا هذه الأعلام وحدة قائمة بذاتها، دون نظر إلى معانى أجزائها»[4].

جَنَّة :

- «فقد غُرِسَ لمولاى الشيخ الجَلِيل [...] شجرٌ فى الجَنَّةِ»[5].

---

(١) الرسالة، ص ١٥٣.

(٢) شفاء الغليل، ص ٢٣٥، وغرائب اللغة العربية، ص ٢٤٦.

(٣) الرسالة، ص ١٢٩.

(٤) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٩٣. لصاحب الكتاب دراسة وافية عن كلمة «جبريل» وأشباهها، انظر: نفس المصدر، من ص ٣٩١ إلى ٣٩٤.

(٥) الرسالة، ص ١٤٠.

- «فيَرْكَبُ نَجِيباً من نُجُبِ الجَنَّةِ»[١].

كثيراً ما تدور هذه اللفظة على لسان ابن القارح، ومحاوريه، ولا غرابة فى ذلك ما دامت الرحلة القارحية تمضى فى الجنة، وهو ينتقل من أقصاها إلى أقصاها[٢].

الأصـل : يؤكد صاحب، **غرائب اللغة العربية** أن أصل اللفظة آرامى[٣]. أما الدكتور عبد الصبور شاهين فيرى أنها مشتركة بين السريانية، والآرامية، والحبشية، والعبرية[٤].

جهنم :

«منَّ الله على بعد ما صرت من جهنم على شفير»[٥].

سميت جهنم كذلك لبعد قعرها.

اللفظة معربة، قيل عن اللفظة العبرية «كهنام»[٦]، وقيل عن الفارسية، أو عن اليونانية[٧].

دين :

«قُدِرَتْ لنا التوبةُ، ومُتنا على دِين الأنبياءِ المُرْسَلِين»[٨]

المعنى : المعتقدات والشعائر التى يتعبد بها الإنسان.

الأصـل : معرب عن الفارسية[٩].

---

(١) الرسالة، ص ١٧٥.

(٢) انظر: ص ٢١٠، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٥٩، ٣٤٩.

(٣) الرسالة، ص ١٧٧.

(٤) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٤٥.

(٥) الرسالة، ص ١٧٧.

(٦) غرائب اللغة العربية، ص ٢١١.

(٧) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٤٨، وانظر: كذلك لسان العرب، ١٤ / ٣٧٩.

(٨) الرسالة، ص ٢٧٤، انظر كذلك : ١٤٠، ١٨٦، ٣٩٠، ٥١١.

(٩) الزينة، ٢ / ١٢٥. انظر: كذلك القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣١٩ وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦٩.

زِنْدِيق :

- وكان فى ذلك العصر رجل له أصدقاء من الشيعة، وصديق زنديق[١].

- «والزندقةُ فِيهم فَاشِية»[٢].

المعنى : من يظهر الإيمان ويبطن الكفر ولا يومن بوحدانية الله. ومنه «تزندق» الرجل.

وجمع زنديق، زنادقة.

الأصــل : معرب عن «زنده كرد» الفارسية. وهى مركبة من «زنده» بمعنى الحياة و «كرد» العمل، أى الذى يقول بدوام الدهر.[٣].

وقيل معربة عن «زنديك»، أى الذى يعمل بموجب ما هو مسطور فى كتاب الزند، لكن (أدى شير) يرفض هذا القول مؤكدًا أن الكلمة كانت موجودة بمعنى ساحر وقبيح المذهب، قبل تأليف «الزند»[٤].

سَقَر :

- «وإنَّمَا كَلامُ أَهْلِ سَقَر وَيْلٌ وَعَوِيلٌ»[٥].

- «دَحَاهُ إِلَى سَقَر دَاحٍ»[٦].

- «لَوَثَبَ وَثْبَةً حَتَّى يلحقَ به فَيجذِبَه إلى سَقَرَ»[٧].

المعنى : اسم من أسماء جهنم.

---

(١) الرسالة، ص ٤٣٣.

(٢) الرسالة، ص ٤٢٠، انظر الكلمة أيضاً فى ص ٤٢١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) المعرب، والمزهر ١ / ١٦٤.

(٤) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٨٠.

(٥) الرسالة، ص ٣٤٤.

(٦) الرسالة، ص ٤٤٣.

(٧) الرسالة، ص ٣٥٠، انظر مثالا آخر فى ص ٢٠٠.

الأصـل : قيل عجمية مجهولة النسبة، وقيل آرامية الأصل[١]. ويرجح عبد الصبور شاهين أن تكون «سقر» كلمة عربية[٢].

صِرَاط :

- «كيف كانَتْ سلامتُك عَلى الصِّرَاط.»[٣]
- «قِيل لى : هذا الصِّراطُ، فاعبُر عَلَيه»[٤].

فيه لغات : سراط، وصراط، وزراط، فحيثما وجدت «الصاد» مع «الطاء»، جاز أن تبدل «الصاد» «سيناً»، كما فى «سطر» «صطر»، و «صقر» «سقر».

المعنى : طريق.

الأصـل : معرب عن الرومية[٥].

ويؤكد صاحب **غرائب اللغة العربية**، أن اللفظة : معربة عن اللاتينية[٦].

قِسِّيس :

المعنى : رئيس من رؤساء النصارى، فى الدين والعلم.

وقد وردت اللفظة فى القرآن بصيغة الجمع، قال تعالى : «ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا»[٧].

الأصـل : معربة عن اليونانية، وقيل عن الآرامية[٨].

قُوس :

«ذِمَّةُ المُتَحَنِّفُ ومن فِنَاؤه القُوسُ»[٩].

---

(١) غرائب اللغة العربية، ص ١٨٧.
(٢) القراءات القرآنية، ص ٣٦٤.
(٣) الرسالة، ص ١٨٦.
(٤) الرسالة، ص ٢٨٠.
(٥) المزهر، ١/ ١٥٩، ٢٨٠.
(٦) ص ٢٧٨.
(٧) سورة المائدة الآية : ٨٢.
(٨) غرائب اللغة العربية، ص ٢٦٥، وص ٢٠١.
(٩) الرسالة، ص ٢٥٣.

المعنى : صومعة راهب.

الأصل : معرب عن الآرامية[١].

١١ - كلمات متنوعة :

آجُرَّة :

«وكَانَ له غلامٌ يَعِدُ نفسَه التوبةَ فَسَقَطَتْ عليه آجُرَّةٌ فَقَتَلَتْهُ»[٢].

المعنى : طين مشوى، على شكل مستطيل، يبنى به.

الأصل : قيل معربة عن الآرامية[٣].

إجَّار :

«وإذَا «عَلِيٌّ» قد نزلَ عَلَى إجَّارِ البيتِ»[٤].

المعنى : إجار، وإجارة = سطح ليس عليه سترة، وليس حوله ما يرد الساقط.
وردت اللفظة فى الحديث الشريف :

«من بات على إجار ليس حوله ما يرد قدميه، فقد برئت منه الذمة».

الأصل : الكلمة معربة عن الآرامية[٥].

أَسَاوِير :

«وعَاطَوْه الأكوُسَ أُلَاتِ التَّصَاوِير، على عادِ المُرَازبةِ الأَسَاوِير»[٦].

فيه لغات : الأَسَاوِير، والأَساوِر والأساورة. وكله جمع أسوار (بضم الهمزة وكسرها).

---

(١) غرائب اللغة العربية، ص ٢٠٢.

(٢) الرسالة، ص ٥٢٩.

(٣) انظر، غرائب اللغة العربية، ص ١٣٢.

(٤) الرسالة، ص ٤٩٧.

(٥) غرائب اللغة العربية، ص ١٧٢، رواه أحمد بن حنبل، ص ٢٧، ٧٩.

(٦) الرسالة، ص ٣٩٩.

المعنى : قائد عند الفرس القدامى.

الأصل : معرب عن الفارسية[١].

بِطْرِيق :

« . . . وذَلِك بعد مَقْتَلِ البِطْرِيقِ المعروفِ بالدَّوْقَس فى بَلد أَفَامية »[٢].

المعنى : القائد من قواد الروم ، الحاذق بالحرب وأمورها.

يجمع على بطارق ، وبطاريق ، وبطارقة.

الأصـل : يرى الثعالبى أن الكلمة معربة عن الرومية[٣].

وهى فى اللاتينية : Patriarcha نقلا عن اليونانية[٤].

وقد استعمله رجال الكنيسة لترجمة العبارة العبرية (Zâchè rabotl) = رئيس الأسرة.

ثم أصبحت الكلمة ، فى اللغة الفرنسية (Patriaché) وكذا فى الإنجليزية (Patriarch) ، كما يوجد فى التركية لفظا (Batriq) و (Patriq).

جـص :

«والغضرم تراب يشبه الجص»[٥].

المعنى : ما تطلى به البيوت من الكلس.

الأصل : معرب عن اليونانية[٦].

---

(١) المعرب ، ص ٢٠١ ، انظر : كذلك ، غرائب اللغة العربية ، ص ٢١٦.

(٢) الرسالة ، ص ٤٩٧.

(٣) فقه اللغة ، ص ٤٥٥ ، انظر : أيضا ، المزهر ١ / ١٦٣. وشفاء الغليل ، ص ٦٦.

(٤) غرائب اللغة العربية ، ص ٢٥٥.

(٥) الرسالة ، ص ٢٥٠.

(٦) غرائب اللغة العربية ، ص ٢٥٧.

جـون :

«وتجىء الثائيتان، وكلتاهما كابنة الجون، تبتدر فى حالك اللون»[١].

المعنى : لون أصفر.

الأصـل : معرب عن الفارسية[٢].

خَـان :

«ورُبَّ نَازِلٍ من أَهلِ الأَدبِ فِي خَان لَيْسَ بِالخَائِنِ ولا المسْتَخَان»[٣].

المعنى : المنزل. ويطلق على الماخور.

الأصـل : فارسى الأصل[٤].

ويستعمل فى الفارسية فى معانٍ أخرى، بالإضافة إلى منزل[٥] لكن دخل العربية فى معنى بيت وماخور، فحسب.

دَسْكَرَة :

«فَيُقِيمُ بِهِم فِي الدَّسْكَرِةِ أَياماً»[٦].

عرفت اللفظة فى العصر الجاهلى[٧] كما وردت فى شعر الأخطل يقول :

«فى قبـاب حـول دسكـرة حـولها الـزيتون قـد ينعا»[٨]

المعنى : تطلق على القرية والصومعة، وعلى بيوت العجم حيث الشراب والملاهى.

معنى ثان : بناء كالقصر، حوله بيوت.

---

(١) الرسالة، ص ٤٨٦.
(٢) غرائب اللغة العربية، ص ٢٢٤.
(٣) الرسالة، ص ٥٠٦.
(٤) المعرب، ص ١٢٩.
(٥) المعجم فى اللغة الفارسية، ص ١٢٩، انظر: كذلك، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٥٨.
(٦) الرسالة، ص ٥٦٤.
(٧) انظر: فقه اللغة، ص ٣٦٨.
(٨) رسالة الغفران، ص ٣٤٨.

جَمع دساكر أو دساكرة[١].

الأصـل : معربة عن الفارسية[٢].

زَمَان / زَمن :

- «مِنْ مُحْدَثٍ فى الزَّمَنِ وعَتِيق الأمر»[٣].

- «وأما شكيَّتُه أهلَ الزمانِ إليه، فإنه سَلكَ فى ذَلِك مِنهاجَ المتقدِّمِين»[٤].

المعنى : يعرف ابن القارح الزمان بكونه حركة الفلك. وينتقد أبو العلاء هذا التعريف، كما ينتقد تعريف سيبويه يقول :

«وقولُ بعضِ الناس «الزمانُ حركةُ الفلكِ» لفظٌ لاَ حَقِيقَةَ لهُ. وفى كتاب سيبويه ما يَدل على أنَّ الزمانَ عندَه : مُضِى الليلِ والنهارِ، وقد تُعُلِّقَ عليه فى هذِه العِبارة»[٥].

وبعد هذا الانتقاد، يورد المعرى تحديداً للزمن قائلاً :

«وقد حدَّدْتُه حدًّا ما أجدره أن يكونَ قَدْ سُبِق إليه إلا أنى لم أسْمَعْه، وهو أن يُقَال : الزمانُ شيء أقل جزءٍ منه يَشْتَمِل على جميع المدركَاتِ، وهو في ذَلِك ضد المَكانِ، لأنَّ أقل جُزء منهُ لا يمكن أن يَشْتَمِل على شيءٍ كما تَشتملُ عليه الظروفُ، فأما الكَوْنُ فلاَ بُدَّ من تَشَبثِهِ بِمَا قَلَّ وكَثُر»[٦].

الأصـل : يرى الجواليقى أن «زَمان» كلمة معربة عن الفارسية[٧]. وجاء عند غيره أنها معربة عن الآرامية[٨].

سَلْسَبِيل :

- «والماءِ أُخِذَ مِنْ سَلسَبيل»[٩].

---

(١) القاموس المحيط، ٢٩/٢.

(٢) انظر : شفاء الغليل، ص ١٢٢، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة، ص ٦٤.

(٣) الرسالة، ص ١٤٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٢٦.

(٥) الرسالة، ص ٤٢٦.

(٦) الرسالة، ص ٤٢٦.

(٧) المعرب، ص ١٨٠.

(٨) غرائب اللغة العربية، ص ١٨٥.

(٩) الرسالة، ص ١٨٥.

يبدو أن الكلمة وردت أول مرة فى القرآن : (ويُسقَون فيها كأسًا كان مزاجها زنجبيلا، عينًا تسمى سلسبيلا)[١].

المعنى : اختلف المفسرون فى شرح «سلسبيل»، فقيل صفة بمعنى سهل، لذيذ، سلس، جديد الجرية[٢]. وقيل : «اسم لكل عين سريعة الجرية»[٣].

ويظهر من صريح الآية القرآنية أن «سلسبيل» علم على عين من عيون الجنة، تسقى منها الخمر، ولهذا قرئت الكلمة على منع الصرف للعلمية والتأنيث.

ويفسر الزمخشرى سبب تسمية عين الجنة بـ«سلسبيل»، قائلاً :

«سلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها، يعنى أنها فى طعم الزنجبيل، وليس فيها لذعة.. يقال: شراب سلس وسلسال، وسلسبيل»[٤].

الأصل : تبع الاختلاف فى معناها الاختلاف فى أصلها، فقيل أعجمية نكرة، ولذلك انصرفت[٥]. وقيل عربية منحوتة من : سلس + سبيل.

وعملية النحت هذه ليست غريبة عن العربية، فالأمثلة كثيرة منها :

«**الحولقة**» : (من حولق الرجل إذا قال: لا حول + ولا + قوة + إلا + بالله)
«البسملة» (بـ + اسم + الله).

ويؤيد هذا أن الكلمة وردت عن على رضى الله عنه بقراءة شاذة، هى «سل سبيلا» على كلمتين[٦]. كما يؤيده كون المادة (س. ل. س) تدل على «سهولة الشيء، يقال : هو «سهل سلس»[٧]، كما يقال : فلان «سلس القياد» و«مسلاسى القياد».

تلك هى نظرية من يرى أن للكلمة أصلا فى العربية. ونجد صاحب كتاب

---

(١) سورة الإنسان، ١٧، ١٨.
(٢) المفردات فى غريب القرآن، ص ٢٣٧.
(٣) نفس المصدر، ص ٢٣٨.
(٤) الكشاف، ٢٧٢/٤.
(٥) انظر المعرب، ص ١٨٩، وكذلك شفاء الغليل، ص ١٤٧.
(٦) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ٣٨٧.
(٧) انظر: مقاييس اللغة، ٩٤/٣.

الزينة يكتفى بذكرها ضمن الأسامى التى جاءت فى القرآن ولم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم، دون أن يبحث لها عن اشتقاق تنسب إليه[١] . ولعل ذلك هو ما يراه الأستاذ شاهين، إذ يسوق الكلمة ضمن ألفاظ المجموعة الطورانية الواردة فى القرآن، مما له وجوه شاذة وغير متصرفة[٢]. .

حيث يرى أن «من المسلم أن القرآن قد أتى بثروته اللفظية الخاصة، كما أتى بمفاهيم دينية جديدة لم ترق إليها أذهان العرب من قبله، بل لقد أطلق ألفاظًا جديدة لا يعرف لها مصدر لغوى ومن ذلك تسنيم (٢٧/٨٣) وسلسبيل (١٨/٨٦) وغسلين (٣٦/٦٩)»[٣] .

سُلْطَان :

- «وكَان السلطان يَتهاونُ به لأنَّهُ حقير»[٤].
- «فإذا مضَى صاحبهُ مُسْتَعْدِيًا إلى السلطان. . قال السلطانُ بمشيئة الله»[٥].

المعنى : الملك، صاحب السلطة والقوة.

وردت الكلمة فى القرآن الكريم[٦].

الأصـل : قيل آرامية[٧].

وقد انتقلت الكلمة إلى التركية (Soltanek)، كما دخلت إلى أوربا فى القرن ١٥.

سُنْدُس :

«وَيَتكِئُ على مَفْرَشٍ من السنْدُسِ»[٨].

---

(١) انظر مقاييس اللغة، ١٣٤/١.

(٢) القراءات القرآنية، ص ٣٧٥.

(٣) القراءات القرآنية، ص ٣٢١.

(٤) الرسالة، ص ٤٩٧، وانظر كذلك الكلمة فى ص ٤٩٥.

(٥) الرسالة، ص ٥١٩ و٥٢٠.

(٦) انظر على سبيل المثال سورة هود: الآية ٩٦، وسورة الكهف، الآية ١٥.

(٧) غرائب اللغة العربية، ص ١٨٨.

(٨) الرسالة، ص ٣٧٨.

المعنى : رقيق الديباج

ذكرت اللفظة ثلاث مرات فى القرآن الكريم.[١].

الأصـل : معرب عن الفارسية[٢].

ويؤكد ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين[٣]، فى حين يرى الأب نخلة اليسوعى فى غرائب اللغة العربية، أنها معربة عن اليونانية.[٤].

الفَرْقَدَين :

«ولاَ اهْتَدى فى الليلِة بفَرقَدَيه»[٥].

المعنى : نجم مضىء.

لا تستعمل فى الغالب إلا فى صيغة المثنى. ذكر صاحب شفاء الغليل أنها معربة[٦] ولم يذكر ذلك سواه، ولا ندرى عن أية لغة عربت، كما لا نستطيع أن نجزم بعربيتها. وهى لا توجد فى القرآن. يستعمل أبو العلاء الكلمة فى كتابه «الفصول والغايات»[٧].

وهى موجودة فى التركية : «ferqad» ونرجح أن تكون الكلمة الفرنسية «feregate» والإيطالية «feregata» دخلتا من العربية عن طريق التركية، خصوصا وأنهما تدلان فى اللغتين على المعنى العربى الذى هو نجم. وقد ارتأى بعض اللغويين الفرنسيين أن «férégate» من أصل إفريقى، إلا أننا نلاحظ أن الكلمة لم تشع فى حوض البحر الأبيض المتوسط، ولم تظهر فى اللغة الفرنسية إلا فى القرن الخامس عشر.

ويلاحظ أن الكلمة مستعملة عند العرب، فهذا أبومنصور الثعالبى يذكرها فى شعر له، كتب به إلى الأمير أبى الفضل الميكالى، يقول :

---

(١) سورةالكهف : الآية ٣١ - سورة الدخان : الآية ٥٣ - سورة الإنسان : الآية ٢١.

(٢) فقه اللغة، ص ٤٥٣، انظر كذلك المعرب، ص ١٧٧.

(٣) القراءات القرآنية، ص ٣١٩.

(٤) ص ٢٦٠.

(٥) الرسالة، ص ٤٠٤.

(٦) الرسالة، ص ٢٠٢.

(٧) انظر ص ٣٢٩.

يا سيِّدًا بالمَكْرُماتِ ارتَدى وانْتَعل العيُوق والفَرْقَدا

قَيْنَة :

- «ويَخطرُ له . . . غناءُ القِيان بالفُسْطَاطِ»[١].
- «لِأَنَّ العربَ صارتْ تُسَمِّى كلَّ قينَةٍ جرادةً، حَمْلًا على أن قينة فى الدهرِ الأولِ كانتْ تُدعى الجرادةَ»[٢].

جمعه قيان.

المعنى : أمة، وغلب إطلاق اللفظ على المغنية.

الأصـل : معرب عن الآرامية.[٣].

الأَكَاسِرَة :

«والشبابُ مِن أولادِ الأَكَاسِرةِ يَتَضَاغَوْن فِي سَلاسِلِ النارِ»[٤]

الأكاسرة جمع كسرى.

المعنى : علم أعجمى اسم لكل ملك من ملوك الفرس.

الأصـل : معرب من اللفظة الفارسية «خسرو»[٥].

مَرَازِبة :

«وَعَاطَوْهُ الأَكْؤُسَ ألاتِ التَّصَاوِير، على عاد المرازِبَةِ الأَسَاوِير»[٦].

مفرده : مرزبان.

المعنى : الرئيس عند الفرس.

الأصـل : الكلمة معربة عن الفارسية.[٧].

(١) الرسالة، ص ٢٢٤.
(٢) الرسالة، ص ٢٤٤.
(٣) غرائب اللغة العربية، ص ٢٠٢.
(٤) الرسالة، ص ٢٤٧. يتضاغون = يتصايحون.
(٥) شفاء الغليل، ص ٢٢٧.
(٦) الرسالة، ص ٣٨٩.
(٧) المعرب، ص ٢٩٨، انظر: كذلك غرائب اللغة العربية، ص ٢٤٥.

الخلاصة العامة :

بعد هذا العرض الذى قمنا به للدخيل، فى **الغفران**، نود أن نبث ملاحظات استخلصناها من دراستنا :

أولاً : لقد كثرت الكلمات المعربة، فى **الرسالة**، وتنوعت أصولها كما توضح ذلك الأرقام الآتية :

- ٦٠ كلمة معربة عن الفارسية.
- ١٢ كلمة معربة عن الآرامية.
- ١٢ كلمة معربة عن اليونانية.
- كلمتان عن السنسكريتية.
- ٤ كلمات معربة عن العبرية.
- ٢٠ كلمة وقع فيها اختلاف، ولم نستطع أن نجزم فيها برأى، فبعضها ينسب إلى الفارسية واليونانية، وبعضها الآخر إلى الآرامية واليونانية، ومنها ما تأرجحت الأقوال فيه بين كونه فارسيًّا أو هنديًّا...

لعل ارتفاع عدد الكلمات ذات الأصل الفارسى يعكس الجو الحضارى والسياسى الذى عاشته الدولة العباسية، فكما نعلم، كانت علاقة العرب، دولة وشعباً، متينة بالفرس، فأخذوا منهم عاداتهم فى الأكل والشراب والحكم، ... مما كان له أثر كبير على اللغة العربية.

ونشير إلى أننا لم نتعرض، فى هذا الإحصاء والدرس، إلى أعلام الأشخاص والأماكن.

ثانيا : من تلك المعربات ما تردد ذكره، فى **الرسالة**، مرات كثيرة، مثل : جنة، جهنم، دين، ومنها ما تردد خمس أو ست مرات، مثل دينار، فردوس، إبريق، ومنها ما ذكر مرتين، مثل أقلام، ونمى وصراط، وخنجر، ومنها ما ذكر مرة واحدة، مثل فيهج واسفنط.

ثالثاً : يستعمل أبو العلاء من المعربات ما ليس له مقابل فى العربية، مثل ملك، وجبرئيل، وبطريق، وإسوار، ومرازبة، كما يستعمل ما له مقابل فى

العربية، مثل : إبريق، وورد.

رابعاً : لا يتحرج أبو العلاء من استعمال الكلمة المعربة، حيناً، ومقابلها العربي حيناً آخر، مثل : لفظتي : القطن والعطب، فيوردهما في نفس الصفحة، كما رأينا. ومثل لفظتي بط وإوزة، كما لا يتحرج من ذكر اللفظتين متجاورتين، تتلو إحداهما الأخرى، مثل موم مع عسل.

فهل كان أبو العلاء، وهو يستعمل الكلمات العربة رغم أن لها اسمًا في العربية، يريد أن يظهر تفوقه في معرفة هذه الكلمات؟

هل كان يشعر وهو يسوق الكلمات المعربة بجانب نظيراتها العربية أن الكلمات المعربة غير كافية للتعبير عما يريد، وأن اللفظ الدخيل قاصر وحده أو غير شائع مما يلجئه إلى استعمال اللفظتين سعياً وراء التكامل والوضوح؟.

أم جره إلى ذلك المحافظة على الفواصل التي التزمها، كما ذكرنا ذلك فيما مضى؟.

لعل أبا العلاء يريد من استعماله للفظتين متجاورتين (العربية والمعربة) لمدلول واحد، التأكيد على سعة اطلاعه وغزارة معرفته بالمفردات، على اختلاف أصولها، خصوصاً وأنه يتعرض في **الغفران** إلى الحديث عن أصل بعض الكلمات والإشارة إلى كونها غير عربية، كما في حديثه الذي أسلفناه، حول لفظة «السلال»، وكما يبدو من كلامه عن لفظة «النطك» في النص التالي :

«وكأنِّي بِه وقد مَرَّ «بأنطاكيةَ» فذَكر قولَ امرئَ القيس :

علَوْنَ بأَنْطَاكيةٍ فَوْقَ عِقْمةٍ ... كجرمة نخلٍ أو كجنةِ يثرب

وخطر له أن النطكَ، وهو اللفظُ الذى يَجب أن يشتق مِنه «أنطاكية»، لو كانت عربية مهملٌ لم يحكه مشهورٌ من الثقاة»[1].

فما يسعنا، بعد هذا إلا أن نشهد بطول باع أبي العلاء. فلقد شملت **رسالة الغفران** من كل فن طرفاً.

---

(١) الرسالة، ص ٥٤٥.

العقمة كل ثوب أحمر.

الفصل الثاني

شروح أبي العلاء للمفردات

مما يسترعى انتباه الدارس لرسالة الغفران ما تزخر به من انتقادات وشروح لغوية يمكن أن تعتبر إحدى اللبنات الأساسية فى هيكلها.

ولم ترد هذه الشروح والمواقف اللغوية فى صفحات خاصة متميزة، بل جاءت منثورة من الأول إلى الأخير، شأنها فى ذلك شأن جل المواضيع التى تناولتها الرسالة.

ولم تكن لأبى العلاء خطة معينة يسير عليها فى إملاء رسالته ولا منهجية منسقة واضحة يعتمدها فى تناول الموضوعات التى أشرنا إليها سابقاً فهو من حيث المبدأ، قصد الإجابة على رسالة ابن القارح، غير أنه منذ افتتاح الرسالة، حاد عن الطريق فجال جولات طويلة فى روضات الأدب واللغة والمجتمع، ودخل دروباً ملتوية ومتنوعة المخارج قبل أن يتطرق للإجابة على النقط التى أثارتها رسالة ابن القارح. وأكثر من ذلك، لقد وجدناه وهو يجيب على تلك النقط يخرج من حين لآخر ويستطرد إلى ذكر آراء لغوية أو نحوية أو فقهية، أو يجول جولة أدبية مع بعض الشعراء، كما فصلنا ذلك فى الباب الأول.

إن تحرر أبى العلاء من قيود تبويب الرسالة حسب المواضيع، جعله ينطلق حرًّا مع خياله، يلتقى فى رحاب الجنة والنار مع شعراء وأدباء ولغويين وغيرهم منتقدًا تارة وساخرًا تارة أخرى، ومسجلاً كل ما يرد على خاطره، ناثرًا على مدى الطريق شروحًا لألفاظ وردت فى كلامه هو، أو فى أشعار غيره.

وقد كان لانعدام التخطيط والسير على نظام محكم أثره فى الرسالة، فجاءت تتسم بفوضى منهجية، غير أنها فوضى ليست كلها سلبيات، بل لها جوانب إيجابية، فبالإضافة إلى كونها لم تفقد الرسالة قيمتها الفنية، كانت فى الواقع سبباً فى

ثخانة مادتها ودسامتها وتيسير هضم تلك المواد. فلو جاءت هذه المواد المكتظة العويصة مبوبة، لفقدت الرسالة طابعها الفنى المميز لها عن بقية الآثار الأدبية والعلمية المعهودة.

من يدرى؟ لعل أبا العلاء راعى ذلك، فأخذ ينثر تلك الشروح وتلك الانتقادات الأدبية، هنا وهناك، كيما يخرج عن المعتاد.

ويمكننا أن نعزو فقدان المنهجية فى رسالة الغفران إلى رسالة ابن القارح التى كانت منطلق أبى العلاء فى رسالته، فقد جاءت هذه الأخيرة كشكولاً يحوى خليطًا من الأخبار والتساؤلات والانتقادات المحشورة حشرًا، إذ لم تعرف إلى التنظيم بابًا. لقد رأينا ابن القارح يقفز من موضوع لآخر دونما تنبيه ودونما رابطة، الشيء الذى يتطلب من القارئ بذل جهود خاصة لمعرفة ما يريده المؤلف، فلننظر مثلاً كيف ينتقل فجأة، من حديثه عن «وحشية» إلى مدح أبى العلاء[1]. ولنتأمل كلامه عن «الوليد»[2]، وعن «على» وكذا عما يُدَّعى «لجعفر الصادق»[3].

على الرغم من تلك الفوضى المنهجية جاءت رسالة الغفران، وكأنها موسوعة ثقافية، مع سهولة الاستساغة وسعة الإفادة.

إذا كان هيكل «الرسالة» كما بيناه فلا غرابة أن نجد آراء أبى العلاء اللغوية وانتقاداته وشروحه الكثيرة لألفاظ تعمد بثها أو جاءت عفوية فى حديثه متفرقة موزعة قد اكتسحت الرسالة بقسميها.

وإذا حاولنا أن نجد مسوغًا لحرص أبى العلاء على الإكثار من تلك الانتقادات اللغوية لطائفة من الشعراء الذين كانت فى نفسه حاجة من أشعارهم، وكذلك لحرصه على حشو الرسالة بألفاظ صعبة، إذا حاولنا معرفة السبب، أمكننا أن نرد ذلك إلى أن عصر أبى العلاء كان عصر مباهاة بالعلم وكثرة الاطلاع، وصادف أن أبا العلاء، بحكم طبيعته يطمح إلى حيازة قصب السبق فى جميع ميادين العلم والمعرفة. ومن ثم، أخذ يستعرض قوته اللغوية، يحثه على المزيد من إظهار براعته فيها، ما جاء فى رسالة ابن القارح من تقدير وتعظيم لشخصه ولعلمه ولقلمه:

(١) الرسالة، ص ٢٥.
(٢) الرسالة، ص ٣٣.
(٣) الرسالة، ص ٤٣.

«فمن مرَّ على بَحْرِهِ الهَيَّاجِ ونَظَر فى لألاء بَدره الوَهَّاج، خليقٌ بأن يكبو قلَمَه بأنامله»[1] ويقول:

«وأنا مُعْتَذِرٌ إلى الشيخ الجليل من تقريظه مع تفريطى فيه، لأنه قد شاع فضله فى جميع البشر [. . .] ولقد سمعتُ من رسائِله عقائل لفظٍ، إن نعتُّها فقد عِبتُها، وإن وصَفْتُها فما أنْصَفْتُهَا. وأطربتنى - يشهد الله - إطراب السَّماع، وبالله لو صَدَرتْ من صَدْرٍ من خِزَانَتُه وكُتُبه حَولهُ يُقلِّبُ طَرْفَه فى هذا ويرجعُ إلى هذا - فإن القَلَم لِسَانُ اليدِ وهو أحدُ البلاغتَين - لكان ذلك عجيباً صَعْبًا شديدًا، ووالله لقد رأيتُ علماء، منهم ابن خالويه إذا قُرِئَت عليهم الكتُب ولا سيّما الكبار، رجعوا إلى أصولهم كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغَلَط. والعجب العجيبُ، والنادرُ الغريبُ، حِفْظُه - أدام الله تأييدَهُ - لأسماء الرجال، والمنثور، كحفظ غيره من الأذكياء المبرزِينَ المنْظومَ، وهذا سهلٌ بالقولِ صعْبٌ بالفِعل، من سَمِعَه طَمِع فيه، ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه»[2].

إثر هذا مباشرة، يسوق ابن القارح مقارنة بين «ابن خالويه وبين أبى الطيب اللغوى» يبرهن من خلالها على كفاءة أبى الطيب وتفوقه على ابن خالويه.

«حدثنى أبو على الصقلى بدمشق قال:

كنت فى مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيفِ الدولة مسائلُ تتعلَّقُ باللغة، فاضطرب لها ودخلِ خزانته وأخرج كتب اللغة، وفرَّقها على أصحابِه يُفَتِّشونها ليُجِيب عنها. وتركتُه وذهبتُ إلى أبى الطيب اللغوى وهو جالسٌ وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها، وبيده قَلَمُ الحمرةِ، فأجابَ به ولم يغَيِّره، قُدرةً على الجواب»[3].

من خلال هذه الفقرات، يبدو جليًّا أن الموازنة بين العلماء وتقييم مقدرتهم وكفاءتهم العلمية ليست وليدة عصرنا، وإنما هى قديمة قدم العلماء أنفسهم، وفى جميع أصناف العلم، سواء منها الأدب أو اللغة أو النحو. . . كما تؤكد ما عرف عن أبى العلاء من أنه كان علم عصره من غير نزاع. جاء فى رسالة ابن القارح:

---

(١) الرسالة، ص ٢٢.

(٢) الرسالة، ص ٦٢-٦٣.

(٣) الرسالة، ص ٦٣.

«ثم أُجْرى ذكرُه - أدَام الله تأييده - من غيرِ سبب جرَّهُ وغيرِ مقتضٍ اقتضاه، فقال:[١]

«الشيخُ بالنحوِ أعلَمُ من «سيبويه» وباللغةِ والعروضِ من الخليل فقلتُ والمجلس يأذَن، بلغنى أنه - أدام الله تأييدَه - يُصَغِّر كبيرَه وينَزِّرُ صغِيَره، فيصيرُ تصغيرُه تكبيرًا وتحقيرهُ تكثيرًا. وهكذا شاهدت مَن شاهدتُ من العلماء رحمهم الله أجمعين، وجعله وارث أطول أعمارهم وأنضرها وأرغدِها - وما ثمَّ له حاجةٌ دَعتْ إلى هذا. قد تَفَتَّح النَّوْرُ، وتَوضّح النُّور، وأضاءَ الصبحُ لِذِى عينين»[٢].

ذاك ما أبداه ابن القارح من تقدير لأبى العلاء ولكفاءته العلمية. ولم يكتف بذلك، بل التزم بأن يعمل على تسيير الجواب فى حلب وخارجها متى توصل به حيث ذيل رسالته قائلاً:

«وإذا جاء جوابُ هذه سيرتها بحلب وغيرها إن شاء الله»[٣].

إذا كان ابن القارح قد التزم «بنشر وتوزيع» الرسالة، على حد تعبيرنا اليوم، فإن أبا العلاء لم يدخر جهدًا فى شرح الألفاظ التى بدا له أنها صعبة على القارئ المتوسط، إذ هو يعلم مسبقًا أن الرسالة ليست خاصة بابن القارح وإنما هى رسالة أدبية سيكون لها قراء على مختلف المستويات الثقافية، فمنهم من هم فى غنى عن الشرح «مثل ابن القارح» ومنهم من لا يستطيع الفهم على الوجه الأكمل، لذلك نرى أبا العلاء أحيانًا عند تعرضه لشرح كلمة أو إبداء رأى فى بيت شعر أو قضية لغوية، يؤكد علم ابن القارح لما سيقوله.

يقول أبو العلاء:

«ليسَت فى الأعْينُ كذات أنواط، وذاتُ أنواط، كَما يَعْلَمُ شجرةٌ كانوا يُعظِّمونَهَا فى الجاهلية»[٤].

---

(١) لا ندرى من القائل لنقص كان فى رسالة ابن القارح، فحتى أبو العلاء نفسه لم يتمكن من معرفته لأن الرسالة وصلته هكذا. الدليل قوله فى الغفران «فأما الفصل الذى ذكر فيه الخليل فقد سَقَط منه اسم الذى غلا فى وقرن بالنجوم الصلاق» (ص ٤٠٣).

(٢) الرسالة، ص ٢٦.

(٣) الرسالة، ص ٦٨.

(٤) الرسالة، ص ١٤١.

وهو يعرف (أبي القارح) أبياتَ المتنخل»[١].

«وهو يعرف حكاية خلف الأحمر مع أصحابه فى هذَيْنِ البَيتيْنِ»[٢].

«وهذا البيتُ يُروى نَاقِصًا كما عَلِم»[٣].

نجد أبا العلاء يعتذر لابن القارح عن سوقه لبعض الشروح والتعاليق، ويذكر علة إيراده لها قائلاً:

«وهو - أكملَ الله زينةَ المحافِلِ بحُضُوره - يعرفُ الأقْوَال فى هذَا البيت، وإنَّما أذكرها لأنه قَدْ يجوزُ أن يقرأ هذا الهذيانَ ناشئٌ لم يَبْلُغه»[٤].

ويقول تعقيبًا على شرحه كلمة «فرهود»:

«وهو - آنس الله الإقليم بقُربه - أجلُّ من أن يُشْرَحَ له مثلُ ذلك وإنما أفْرَقُ من وُقُوع هذه الرِّسالةِ فى يَدِ غُلام مُترعرع ليسَ إلى الفهمِ بِمُتَسَرِّع فَتستعجِمُ عليه اللفظةُ، فيظلُّ مَعَها فى مثلِ القَيْدِ، لا يقدِرُ على العَجَل ولا الرُّوَيْدِ»[٥].

لقد بذلنا جهد المستطاع لأن نلم شتات المتفرق فى «رسالة الغفران» مما له تعلق باللغة، شرحاً كان أو نقدًا، وجعلنا لكل موقف ولكل شرح جذاذة خاصة به، فتجمع لدينا ما يربى على ٨٠٠ جذاذة أكثرها يتصل بشرح أبى العلاء للمفردات اللغوية. ذلك ما نخصه بالدراسة فى الصفحات التالية:

منهجية شرح أبى العلاء للكلمات

لم تكن كل الكلمات والتعابير التى شرحها أبو العلاء من استعماله الشخصى، بل كان بعضها له وبعضها الآخر مما ورد فى أشعار ذكرها لشعراء مختلفين، أو فى أحاديث نبوية. وقد نهج فى شرحها طرقًا متنوعة. فهو مرة يكتفى بذكر مرادف الكلمة، وأخرى يستشهد ببيت شعرى على استعمالها وأحيانًا يذكر مفرد بعض ما جاء من الكلمات جمعًا. كما قد يرجع ما جاء منها مصدرًا إلى ماضيه، وتارة يذكر

(١) الرسالة، ص ٥٥٧.
(٢) الرسالة، ص ١٥٤.
(٣) الرسالة، ص ٥١٣.
(٤) الرسالة، ص ١٧٩.
(٥) الرسالة، ص ٣٨٢.

للكلمة الواحدة شرحين أو ثلاثة، وتارة أخرى ينقل ما قيل من شروح فى الكلمة ويدلى برأيه فيها، أو يكتفى بنقلها دون إبداء أى رأى. . . .

وبما أن رسالة الغفران ليست مقالاً سطره أبو العلاء تسطيرًا، بل هى مزيج من السرد العلمى من جهة والحوار والقص المرتكزين على الخيال من جهة أخرى، نلاحظ أن تلك الكلمات كانت تأتى، إما على لسان ابن القارح، أو أحد محاوريه من إنس وجن وحيوان وملائكة ممن ضمتهم الرسالة، خصوصًا فى القسم الأول منها.

بناء على ذلك يمكن تقسيم الكلمات والتعابير المشروحة فى الرسالة إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : الكلمات التى هى من أسلوب أبى العلاء.

الصنف الثانى : العبارات التى هى من أسلوب أبى العلاء.

الصنف الثالث: الكلمات التى وردت فى رسالة الغفران لشعراء ذكرهم أبو العلاء.

وتيسيرًا للعمل، ورغبة فى الوضوح، ارتأينا أن نتناول دراسة منهج الشرح فى كل صنف على حدة.

الصنف الأول
الكلمات التى هى من صميم أسلوب أبى العلاء

يبلغ عدد كلمات هذا الصنف ١٠٣ كلمة. نهج أبو العلاء فى شرحه لها منهجين :

- أن يأتى بالكلمة من غير استدلال لها.
- يشرح الكلمة مع الاستشهاد بشعر أو حديث أو قول بعض علماء اللغة.

المنهج الأول :

ينقسم هذا النوع من حيث كيفية شرح أبى العلاء للكلمات إلى ثلاثة طرق :

أولاً : يكتفى أبو العلاء بذكر مرادف الكلمة أو بشرح ما ليس له مرادف،

أو بالإشـارة إلى كونها معروفة. وقد اسـتعمل فى التعليق على الكلمات، وسـائل هى :

(أ) الأداة المفسرة : «أى» وذلك فى ثلاثين كلمة. ذكر لثلاث وعشرين مرادفًا، وسبع كلمات جاءت أفعالاً ففسرها بأفعال مرادفة لها، هى :

«لا أشعُرُ بالذى حَمَمْتَ : أى قصَدتَ»[1].

«وقد هَكِرَ مِمَّا سَمِعَ : أى عجب»[2].

«فانه ما عَجَزَ ولا أَفْسَخَ : أى نسىَ»[3].

«فَلِيحَ بى عِنْدَ ذلك : أى صُرِعْتُ إلى الأرض»[4].

«فيقول [. . .] لمن حَضَرَهُ من أهل العلم ما تسمى هذه السِّلالُ بالعربيّة ؟ فيُرمون : أى يَسْكُتُون»[5].

«. . . إلاَّ وافَقَ جهولاً عَوَاه : أى عطفَه»[6].

«عرفَ الله الوقتَ بحياته : أى طيَّبَه»[7].

ثلاث كلمات جاءت جمعًا فساق مرادفها جمعا كذلك، دون أن يذكر المفرد : يقول :

«فلا يدفَع إلى مُقارض شيئًا من عِيمِهِ : أى : مُخْتَاراتِه»[8] (والعِيم جمع عِيمَة، وهى خِيار الشيء).

«وَيعبرُ بين تلك الأكْراس أى الجماعات، طاوُوس من طواويس الجنة»[9]. (والأكراس جمع كِرس، بكسر الكاف)

«ولا يصحبُ من القوم صنانِير : أى بُخلاَء»[10] (وجمع صنور)

(١) الرسالة، ص ٢٥٢.
(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.
(٣) الرسالة، ص ٢٤٨.
(٤) الرسالة، ص ٢٥٦.
(٥) الرسالة، ص ٢٨٠.
(٦) الرسالة، ص ٤٩٥.
(٧) الرسالة، ص ٥٠٧.
(٨) الرسالة، ص ٥٦٥.
(٩) الرسالة، ص ٢٨١.
(١٠) الرسالة، ص ٥٦٤.

وفيما يلى الكلمات المفردة التى ذكر لها مرادفا مفردًا :

«فإن قال : أم شَرْى قال حُوارى بأَرْى : أى عسل»[١].

«أنا رَجُلٌ لا صَبْرَ لِى على اللَّواب : أى العطش»[٢].

«ولم يجدْ من عذابٍ وَعْلاً : أى ملجأً»[٣].

«فقال : من هذا الأَتَاوِى : أى الغريب»[٤].

«... وصُنِع من المرِّ الفالوذُ المحْكَمُ بلا سِحْرٍ، أى بلا خَدْع»[٥].

«وأما أنت يا أَبا أمامه، فَمَا أَدرِى ما هَيَّانك ؟ أى ما جِهَتُك»[٦].

«إنى لا أقدرُ على ما تطلب، ولكنى أُنْفِذ معك تَوْرًا أى رسولا»[٧]

«فتصوَّرتُ فى صُورة عضَل أى جُرذٍ»[٨].

«.. فمرَرْنَا «بيثرب» فى زمانِ المعْوِ : أى الرطَب»[٩].

«فلا تَكفيه هُنيْدَةُ ولا هِندُ أى مائة ولا مائتان»[١٠].

«وهيهاتَ. بل حُشِرُوا عُراة حفاةً بهماً : أى غُرْلا»[١١].

«ويكون شُرْبُهُ من تَحْتِ العَذِب أى : الطحْلب»[١٢].

«وقد حكى ناقة خَزْعال، أى : بها ظَلَعٌ»[١٣].

«فآخَذَنى الهَلَعُ والقِلُّ، أى : الرعْدةُ»[١٤].

«فقد قيل إنك سُمِّيتَ بذلك، لأنك أول من هَلْهَلَ الشّعْرَ أى رققَه»[١٥].

أما الكلمات السبع الباقية من الثلاثين، فقد شرحها أبو العلاء شرحًا مقتضبا وجاءت إحدى هذه الكلمات السبع فعلاً. وهى قوله :

(١) الرسالة، ص ١٦٤.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٠.
(٣) الرسالة، ص ٤٦٩.
(٤) الرسالة، ص ٢٦٠.
(٥) الرسالة، ص ١٦٥.
(٦) الرسالة، ص ٢٠٢.
(٧) الرسالة، ص ٢٥٤.
(٨) الرسالة، ص ٢٩٣.
(٩) الرسالة، ص ٢٩٧.
(١٠) الرسالة، ص ٣٠٤.
(١١) الرسالة، ص ٣٣٤.
(١٢) الرسالة، ص ٤٤٠.
(١٣) الرسالة، ص ٣٤٢.
(١٤) الرسالة، ص ٢٥٦.
(١٥) الرسالة، ص ٣٥٣.

«لأنهُ أفرطَ وأعظَم أى أتى عظيمةً»[1] (النازلة الشديدة).

والست الأخرى هى:

«أَوْجانٌ من الحيَّاتِ المقتولة بأيسر الأمر والمبغَضةِ إلى المنفرِد والعَمْرِ، أى الجماعة من الناس»[2].

«وربَّ شاةٍ نتج منها الوقيرُ، أى: قطيع الغَنَم»[3].

«... وأنا رجل مِهيافٌ، أى: سريع العَطَش»[4].

«ويجوز بإرْب، أى بعُضْو من شواءٍ أو قَدِيد»[5].

«ويجوز أن يقولَ حُوارى بكَظٍّ، أى يكظها الشِّبعُ»[6].

«ألقِى فيها الريعُ إلى أن يصيرَ قيراطُها قنطارًا ولا فَتِيءَ كلها مِعطارًا أى: هو قريبٌ من عِطْر»[7].

(ب) الواو مع ضمير الغائب المنفصل - وقد استعمل فى عشرة مواضع كالتالى:

- ثلاث كلمات جاءت جمعًا فذكر لواحدة منها مفرده، ثم شرحه:

«وفتحوا له أَغلاقَ البُهَم، جمع بُهْمَةٍ، وهو الأَمْرُ الذى لا يُهتَدى لهُ»[8].

وشرح كلمتين دون ذكر مفردهما مستعملا الضمير الملائم لجمع غير العاقل:

«فإنْ قال أم وقدِ، قال: حوارى بِشِقْذِ وهى فراخ الحَجَل».

«... تفرَّق خَدَمه من الوِلدان المخلدين فجاؤوا بالعَمَارِيس وهى الجِدَاءُ»[9] (المفرد: عمروس: جَدى)

---

(١) الرسالة، ص ٤٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٤٧٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٤٩.

(٥) الرسالة، ص ١٥٧.

(٦) الرسالة، ص ١٦٢.

(٧) الرسالة، ص ٥٣١.

(٨) الرسالة، ص ١٦٠.

(٩) الرسالة، ص ٢٧١.

جاءت كلمتان معطوفتين إحداهما على الأخرى أعطاهما أبو العلاء شرحًا واحدًا مستعملا ضمير المثنى :

« . . . وهم يُصيبون مما ضُمنته كعمر كُوَىّ وسُرَىّ وهما النسران من النجوم »[١] .

وجاءت لفظة بياء النسبة فأتى بالأصل الذى تنسب إليه ثم شرحه :

«والله المستنصر على الالاقىّ ، لم توزن الراكدُة بالأوَاقِىّ والإلاَقِى منسوب إلى الا لا قِ وهو البرقُ الكاذِب »[٢] .

والكلمات الأربع الباقية هى :

« . . . جاز أن يقول : وحُوَّارى بصَرب : وهو اللبنُ الحامض »[٣] .

« . . . ويجوز بكَشْبِ وهو أكل الشواء »[٤] .

« فإن قال : أمّ سعدِ ، قال حوارى بثعْد : وهو الرطب الذى قال لان كله »[٥] .

« . . . صوب مولاى الشيخ المِطرَدَ وهو الرمح القصير »[٦] .

(جـ) يعيد أبو العلاء ذكر الكلمة التى يريد شرحها ويعرفها بالألف واللام ، سواء كانت معرفة فى سياق الكلام أو نكرة . جعل ذلك فى ثمانى عشرة كلمة .

اكتفى فى شرح كلمة منها بإضافتها إلى ما تكون جزءًا منه : « جاز أن يقول : وحُوارى بمحٍّ وبُبحٍّ وبرُحٍّ وبسُح . فالمح : مح البيضة »[٧] .

وذكر لأربع كلمات مرادفًا ، وهى :

« صوار ترتعُ فى دَقارِى الفردوس ، والدقَارى : الرياضُ »[٨] .

« لو أَنَّ للأمير أبى المرَجَّى ، خازنًا مثلكَ ما وصلتُ أنا ولا غيرى إلى قُرْقُوف من خِزانتهِ والقُرقُوف الدِّرْهَمُ »[٩] .

(١) الرسالة ، ص ٢٧٢ .
(٢) الرسالة ، ص ٣٩١ .
(٣) الرسالة ، ص ١٥٧ .
(٤) الرسالة ، ص ١٥٧ .
(٥) الرسالة ، ص ١٦٠ .
(٦) الرسالة ، ص ١٩٨ .
(٧) الرسالة ، ص ١٥٨ .
(٨) الرسالة ، ص ١٨٧ .
(٩) الرسالة ، ص ٢٦٢ .

«فيُنْشِئُ الله القادرُ بلُطِف حكمته شجرةً من عَفْزٍ والعَفْزُ الجَوْز»[1].

– وأما الأربع عشرة كلمة الباقية، فقد شرحها شرحًا مقتضبًا، كلمة منها جاءت جمعًا فذكر مفردها وهى:

«وكم خَالبتِ الذِّئابَ السِّلَقُ وفى الضمائرِ تُكَن الفِلَقُ (...) والسِّلَقُ جَمْعُ سلْقَة وهى أُنثى الذئب»[2].

وفيما يلى باقى كلمات هذا النوع:

فإن أخرجه إلى الثاءِ فقال: من أم شثٍّ قال وحُوارى ببثٍّ والبثُّ تمرٌ لم يجد كنزهُ، فهو متفرق»[3].

«.. جاز أن يقول حُوارى بمُح وبح وبرح وبجح وبسح [...] والسح تمرٌ صغارٌ يابسٌ»[4].

«... وبرح وبجح وبسح [...] والجح: صغارُ البطيخِ قبل أَن ينضَج»[5].

«فإن قال أم مُبْغٍ، قال: حوارى بِصِبْغٍ: والصِّبغ ما تُغْمَسُ فيه اللقمة من مَرَقٍ أو زيتٍ أو خلٍّ»[6].

«فإن قال: أم فرقٍ، قال حُوارى بعرق والعَرْقُ، عظمٌ عليه لحْمٌ، من شواءٍ أو قَدِيد»[7].

«فآضَ ما كرهَ من الصَّابِ كأنَّه المعتَصَر من المصابِ، والمصابُ قصبُ السكر»[8].

«ولصار الصَّمَرُ كأنَّه رائِحةُ خُزامَى سَهْلٍ طَلَّتهُ الدَّاجنةُ بدَهلٍ والدَّهْلُ الطائفةُ من الليل»[9].

«وَتشْبهُ الغَرَّاءُ الشَّابَّةُ والغَرَّاءُ الهاجرةُ ذاتُ السَّراب»[10]

(١) الرسالة، ص ٢٧٩.
(٢) الرسالة، ص ٣٨٢.
(٣) الرسالة، ص ١٥٨.
(٤) الرسالة، ص ١٥٨ – ١٦٠.
(٥) الرسالة، ص ١٥٨.
(٦) الرسالة، ص ١٦٣.
(٧) الرسالة، ص ١٦٣.
(٨) الرسالة، ص ١٦٥.
(٩) الرسالة، ص ١٦٨.
(١٠) الرسالة، ص ٢٢٢.

«فوجدتُ حَسناتى قليلةً كالنفإ فى العام الأَرْمَلِ ، والنفأُ الرياض **والأَرْمَلُ** قليلُ المطر»[١] .

«فكأنى أحرِّك ثبيرًا، وألتَمِسُ من الغِضْرِم عَبيرًا، **والغِضْرِمُ** تُرابٌ يشبِهُ الجِصَّ»[٢] .

« . . . كالذى شَاهَد نُضاضَة وَلَدِ آدَم **والنضَاضَةُ** آخِرُ ولَدِ الرَّجُل»[٣] .

« . . . لأعْلَمْتُكَ أن صَاحبةَ عَنترةَ تَفلةٌ صَدُوفٌ **والصَّدُوفُ** الكريهة رائحَة الفَم»[٤] .

«وهو إذا كُشِفَ ساقط لاقطٌ يَبَذهُ إلى الفضل الماقِطُ **والماقطُ** الذى يكرِى من بلدٍ إلى بلد»[٥] .

«لا يستَتِرُ من الجهلِ بحَوفٍ : **والحَوْفُ** أزَيِّرٌ من أدَمٍ مُشَقَّقُ الأطراف السافلةِ تَتَّزِر به الجاريةُ وهى صغيرةٌ»[٦] .

«إن الأَشاءَةَ لمن العَوَانة، **والأَشَاءَةُ** : النخلةُ الصغيرةُ **والعَوَانَةُ** النخلةُ الطويلة»[٧] .

ثانيا : يذكر أبو العلاء لكلمات هذا القسم الأصل الذى تنسب إليه بالإضافة إلى النص على المرادف أو الشرح. وقد استعمل فى ذلك :

(أ) **العبارة «من قولهم»** فى ستة ألفاظ شرحها مع الأداة «أى» فى ثلاث حالات :

« . . . ويجوز حوارى بحَمْتٍ، من قولهم : تَمْرٌ حَمْتٌ شديد الحلاوة»[٨] .

« . . . أو الحارثُ بن ظالم لَشهدَ أَنَّه من السَّادِرين، من قولهم فَعل كذا وكذا سَادِرًا، أى لَا يَهْتَمُّ لِشىء»[٩] .

---

(١) الرسالة، ص ٢٤٩.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٠.
(٣) الرسالة، ص ٣٥٩.
(٤) الرسالة، ص ٣٧١.
(٥) الرسالة، ص ٤٩٤.
(٦) الرسالة، ص ٤٩٦.
(٧) الرسالة، ص ٤٩٩.
(٨) الرسالة، ص ١٥٨.
(٩) الرسالة، ص ٣٩٨.

والكلمة الثالثة جاءت جمعًا فذكر مفردها أولا :

«فإن قَال أم كُرهِ قال حُوارى بِورهِ، يريدُ جمعَ أوره، من قولهم كبش أوره أى سَمِين»[1]. وفى الثلاث كلمات الباقية استخدم الأداة «إذا» مع «من قولهم»

«. . . أو يقول بوَزْءِ من قولهم : وَزَأْتُ اللَّحْمَ، إذا شويته»[2].

«ولو قيل حوارى بلَزْءِ من قولهم لَزَأَ : إذا أكل، كَمَا بَعُدَ، وتكون الباء فى (بلزء) بمعنى فى»[3].

«فإن قال : أم سَبك، جاز أن يقُول حُوارَى بِرَبْك أوْلَبْك من قولهم : رَبَكْتُ الطعامَ أوْ لَبَكْتُه : إذا خلطته، وكان ذلك مما فيه رطوبة، مثل أن يخالطه لبن أو سمن، أو نحو ذلك ولا يقال رَبكت الشَّعير بالحنطَةِ إلاَّ أن يُستَعار»[4].

(ب) حرف الجر «من» وحده :

وذلك فى عبارتين اكتفى فى إحداهما بذكر ما تسند إليه من غير شرح وهى :

«وأما (المرجان) فإذا قيل : إنه صغار اللؤلؤ [. . .] وإنما هو [. . .] أو لعله مرُّجَان، مِنْ جَنى الشجَرة»[5].

وشرح الثانية وهى :

«. . . وأما المرْجَان [. . .] وإنما هو مَرَجَانٌ، من مرجْتُ الخيلَ بعضَها مع بعض وتركتُها كالمهملة فى الأرض»[6].

(جـ) العبارة «يقال» :

فى كلمة واحدة، استعمل فى النص على الشرح الأداة «إذا».

«زَارتْهُن المَلْمُوعة بالإلماء، والمَلْمُوءةُ : الشبكة، يقال ألْمَأَ على الشىء إذا أخذه كلَّه»[7].

(١) الرسالة، ص ١٦٤.
(٢) الرسالة، ص ١٥٥.
(٣) الرسالة، ص ١٥٦.
(٤) الرسالة، ص ١٦٣.
(٥) الرسالة، ص ٤٧٦.
(٦) الرسالة، ص ٤٧٦.
(٧) الرسالة، ص ٤٠٦.

ثالثًا: يذكر للكلمة معنيين وذلك فى أربع كلمات:

فى الكلمة الأولى: ينص على الأصل مستعملاً العبارة «من قولهم» مع «إذا» وعبارة «يقال»:

«فإنه يحتمل أن يقول: وحوارى بكَشِءٍ، من قولهم: كَشَأت اللحمَ إذَا شويته حتى يَبِس، ويقال كَشَأ الشواء، إذا أكله»[١].

وفى الكلمة الثانية أعاد ذكرها معرفة، وللنص على المعنى الثانى استعمل حرف التقليل (قد) الداخلة على المضارع:

«فإن قال: أم صِرم، قال: حوارى بطِرم، والطرمُ العسلُ، وقد يسمى السَّمن طِرمًا»[٢].

وفى الثالثة: يُعيد ذكر اللفظة معرفة، لينص على المعنى الأول واستعمل العبارة «قيل» فى ذكر المعنى الثانى:

«فعادَ وكأنه كافورُ الطيبِ، أو ما ضحِكَ من كافورٍ رَطيبٍ. والكافورُ الطَّلعُ وقيل هو وعاءُ الطلعةِ»[٣].

وفى الرابعة: استعمل العبارة «والمراد» وأعاد الكلمة المشروحة معرفة لينص على المعنى الثانى.

«ولعله فيه أُجْرَى من «سَبَلَ» أو هو السَّبَلُ والمراد بـ«سَبَل»: الفرس الأنثى المعروفة، والسَّبَل: المطر[٤].

ويبدو أن المعنى الأول لهذه الكلمات أكثر شيوعًا من المعنى الثانى، لذلك استعمل أبو العلاء فى النص على المعنى الثانى «قد»، و«قيل» وكلتاهما تفيد التقليل.

بعد أن حللنا المنهج الأول مما شرحه أبو العلاء من الكلمات التى هى من صميم أسلوبه، ولم يستشهد فى شرحها بشىء، ننتقل إلى معالجة المنهج الثانى وهو

(١) الرسالة، ص ١٥٥.
(٢) الرسالة، ص ١٦٣.
(٣) الرسالة، ص ٥٠٠.
(٤) الرسالة، ص ٥٤٧.

ما استشهد له بشعر أو حديث أو قول بعض اللغويين. وللمعرى فيه ثلاث طرق :

أولاً : يستشهد للكلمات (بالإضافة إلى ذكر ما له مرادف منها وشرح ما ليس له مرادف) ببيت أو أبيات شعرية وعدد كلماته ١٧ ، ذكر أبو العلاء لِستّ منها مرادفًا، واستشهد لكلمتين برجز لم يسم قائله وقد استعمل فى شرح إحدى الكلمتين الأداة «أَىْ» :

«وَمُتِّع مِن مَال بحِيَر، أَىْ: كَثير. قال الراجز :

يا ربنا مَنْ سرَّه أن يكبَرا فَسُقْ له، يارب، مالاً جِيَرا»[1]

– وفى الكلمة الثانية يعيد ذكرها معرفة، ويضيف فى الشرح أنها جمع له مفرد، فيذكره ويستشهد عليه :

«ولكانت له أنهضَ قامةٍ والقَامَةُ الأعوان، كأنها جَمْعُ قَائم.

قال الراجز :

وقـامتى ربيعـةُ بنُ كعـبِ حَسبُكَ ما عِنْدَهُم وَحَسْبِى»[2]

– أما الكلمة الثالثة فقد ذكر لها مرادفًا وأشار إلى أن «العمانى» جاء بها فى رجزه من غير أن يأتى بالشاهد. وقد أعاد أبو العلاء الكلمة معرفة عند الشرح :

« . . . جاز أن يقول وحوارى بدُج والدُّجُّ : الفروج، جاء به العَمَانِىُّ فى رَجزه»[3].

واستعمل فى شرح الكلمة الرابعة الأداة «أى» واستشهد لها بشطر بيت شعر لخلف :

«وكم خالبت الذئاب السلَق، وفى الضمائر تُكَنُّ الفِلَقُ :

أى الدَّواهى، ومنه قول خلفٍ :

موت الإمام فِلْقَةٌ من الفِلَق»[4].

---

(١) الرسالة، ص ٣٨٧.

(٢) الرسالة، ص ٥٧١.

(٣) الرسالة، ص ١٥٨.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٢.

- **الكلمة الخامسة** : ذكر الأصل الذى تنتسب إليه مستعملا العبارة من قولهم «وإذا» فى ذكر المرادف، ثم ساق بيتًا شعريًّا لا ندرى ما علاقته بالكلمة، ولا بسياق الكلام عامة :

«دَلَّ ممَّن وضعَه على ضَعْفِ دماغ، فهل يُؤْذَنُ لصوت ماغ من قولهم : مَغت الهرةُ إذا صاحت :

رمانِى بأمرٍ كنتُ منه ووالدى بريئاً ومن حُول الطوى رمانى»[1]

- **وفى الكلمة السادسة** يستعمل طريقة جديدة فى ذكر المرادف حيث لا يذكره إثر الكلمة وإنما يخبرنا بأن العرب تطلق هذه الكلمة التى يريد شرحها على أخرى يذكرها. يقول :

«فإن قَال أم ضبسٍ ، قال : حوارى بدبس، والعرب تسمى العسل **دبسًا**، وكذلك فسروا قول أبى زبيد :

فنهــزةٌ من لَقُــوا حَســبتــهمُ أَشهى إلَيه من بَارد الدبِسِ»[2]

- أما الكلمات الثلاث عشرة الباقية، فيعيد فى تِسع منها ذكر الكلمة معرفة بالألف واللام، وينص فى ثلاث على أسماء الشعراء الذين استشهد بشعرهم :

« . . . هى عند عسل الجنة كأنها قار رَملى **والقار** : شَجر مُر ينبت بالرمل، قال بشر :

يرَجُّون الصَّلاحَ بذاتِ كهف وما فِيهَا لهم سَلَعٌ وقَارُ»[3]

«فطال علىَّ الأمَد، واشتد الظمأ وَالومَدُ، **والوَمَدُ** : شدة الحر وسكون الريح، كما قال أخوكم النميرى :

كأنَّ بَيْض نعامٍ فى ملاحِفِها جَلاَهُ طَلٌّ وقَيْظُ ليلُه ومِدُ»[4]

نلاحظ أن أبا العلاء فى الكلمة الثالثة، ينص على أنه سيذكر للكلمة المعنى الذى يريده والمناسب لسياق كلامه :

---

(١) الرسالة، ص ٤٧١.
(٢) الرسالة، ص ١٦٠.
(٣) الرسالة، ص ١٦٦.
(٤) الرسالة، ص ٢٤٨.

«فأما اليوم فلو أُمن كتابٌ على نُمىٍّ لأسرعت إليه الظِّنَنُ إسْراعَ رَمىٍّ – والرَّمِىُّ هاهنا سحاب سريع الإقشاع، من قول الهذلى:

أُولئك لَو دعوتِ أَتاكِ منهم   رجالٌ مثل أرميَةِ الحميم»[1]

ولم يسم فى الكلمات الست الأخرى أسماء من استدل بشعرهم.

ونلاحظ كذلك أن أبا العلاء فى شرح أحد تلك الألفاظ جَاء بكلمة بدت له صعبة فشرحها بدورها مستعملا الضمير المنفصل، ثم استشهد ببيت شعر على الكلمتين معًا:

«جاز أن يقول حوارى بخِلع، والخِلعُ هو اللحمُ الذى كان يُطبخُ ويحملونه فى القُروف وهى أوعيةٌ من أَدَم، وينشد:

كُلِى اللحمَ الغَريضَ فإن زَادى   لمنْ خَلْعٍ تضمنه القُرُوف»[2]

كما استشهد على كلمتين معًا ببيت شعر واحد يضمهما:

«ويقول: اطحنَّ شَزْرًا وبتا، فيقلن ما شَزْرٌ ومَا بتٌّ؟.

فيقول الشزْرُ على أيمانِكُنَّ، والبتُّ على شمائلكن، أما سمعتن قول القائل:

ونصبح بالغداة أَترَّ شيءٍ   ونُمسي بالعشىِّ طَلَنْفَحِينَا
ونطحن بالرحى شَزْرًا وَبَتًا   ولو نُعْطى المغازل ما عَيِينَا»[3]

– أما بقية الكلمات فهى:

«جازَ أن يقول حوارى بفَرْضٍ، والفَرْضُ: ضربٌ من التمرِ.

قال الراجز:

إذا أكلتُ لبناً وفرضاً   ذهبت طُولاً وذهبتُ عَرْضاً»[4]

«فَيَجْتَمِعُ بَجْدٌ عظيمٌ، البَجْدُ: الخَلْقُ الكثيرُ قال الشاعر:

---

(١) الرسالة، ص ٥٦٥.
(٢) الرسالة، ص ١٦٢.
(٣) الرسالة، ص ٢٧٠.
(٤) الرسالة، ص ١٦١.

تَـطُوفُ البجـودُ بـأبْـوَابـه   من الضرِّ فى أزماتِ السِّنِينَا»(١)

ويشير فى الكلمة التالية إلى مفردها :

«قال : حوارى برخْفٍ، والرخفُ : زُبدٌ رقيق، والواحدةُ رَخْفة قال الشاعر :

لنا غنمٌ يرضى النـزيلَ حليبُهـا   ورَخْفُ يغـاديـهِ لهـا وَذبيـحُ»(٢)

وفى باقى كلمات هذا القسم الأول استشهد أبو العلاء لواحدة ببيتين من الشعر، نسب أولهما إلى قائله. الكلمة جاءت جمعاً فأتى بمفردها، مستعملا العبارة «يعنى» يقول :

«وحوارى بكُمت، يعنى جمع تمرةٍ كُمَيْتٍ، وذلك من صفات التمر». وينشد للأسود بن يعفر :

«وكنت إذا ما قُرِّبَ الزادُ مولَعاً. . بكل كُمَيْتٍ جَلْدَةٍ لم تُوَسَّفِ

وقال الآخر :

ولست أبالى بعد ما اكْمَتَّ مِرْبَدِى. . من التمر، ألَّا يمطر الأرضَ كوكب»(٣)

واستخدم فى شرح كلمتين «واو» الابتداء مع «هو» (الضمير المنفصل) يقول :

«ونظر إلى عقبه دامياً يطأ على هراس، ومن له فى المَكْلأة **بالفرَاس** وهو التمر الأسود، ومن أبيات المعانى :

إذَا أَكَلُوا الفـراسَ رأيت شَامـاً   عـلى الأنيَـابِ مِنهُم والغيُـوب
فـما تَنْفَكُّ تسمَـعُ قـاصفـات   كصوت الرعد فى العَامِ الخصيب»(٤)

ولصارت الراعيةُ فى الإبل إذا وجدت الحنظلة أتْحَفتْ بها السيدة**المُحْظلَة**، وهى التى تَعْظُمُ عليها الغَيْرَة، من قولهم حَظَل نساءه، إذا أَفْرط فى الغيرة عليهن، قال الراجز :

---

(١) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٢) الرسالة، ص ١٦٣.

(٣) الرسالة، ص ١٥٧.

(٤) الرسالة، ص ٣٩٨.

«ولا تـرى بَعْلاً ولا حـلائـلاَ كـه ولا كهُنَّ إلاَّ حَـاظِـلاَ»[1]

واستخدم أبو العلاء عند شرح كلمة أخرى العبارة «يقال» وذلك قوله :

«. . . ولا نُظِم من درٍّ بل وقع من عناءٍ بقُرّ - يقال : صَابَت بِقرٍّ : إذا وقعتْ في موضعها، وأكثر ما يستعمَل ذلك في الشر، قال الشاعر :

تُـرَجِّيهـا وقـد صَـابَتْ بِقُـرٍّ كما تَرْجُو أُصَاغِرَها عتيبُ»[2]

ثانيا : يستشهد أبو العلاء، في هذا القسم، بقول اللغويين وحسب. أو مع شعر لا يذكر صاحبه، وذلك في كلمتين فقط :

يشرح الكلمة معيداً ذكرها معرفة، يقول :

«حُوَّارَى بحو، والحَوُّ : الجَدْيُ فيما حكى بعض أهل اللغة من قولهم : ما يعرف حَوًّا من لَوّ، أى جَدْيًا من عَناق»[3]

«. . . ليست في الأعين كذات أنواط، وذاتُ أنواط - كما يعلم - شجرة كانوا يعظمونها في الجاهلية، وقد روى أن بعض الناس قال : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذَاتُ أنواط، وقال بعض الشعراء :

«لنـا المهيْمِنُ يكفينـا أعـادِيَنَـا كما رَفَضْنَا إليه ذات أَنْواطِ»[4]

ثالثاً : نص أبو العلاء لكلمات هذا القسم على معنيين وعددها ثلاثة، في أولها استدل أيضًا لكل معنى من المعنيين ببيت شعر، نسب أحدهما فقط لقائله، وقد وردت الكلمة جمعاً فذكر مفردها ثم أرجعه إلى أصله مستعملا العبارة «من قولهم» :

«جاز أن يقول : حوارى بُح وبح [. . .] وبُحٌّ : جمع أبح من قولهم : كِسْرٌ أبحّ، أى : كثيرُ الدسَم، وقال :

وعـاذلـةٍ هـبّت عـلىّ تـلُومـنى وفى كَـفِّـهـا كِسْرٌ أَبَـحُّ رَذُوم

---

(١) الرسالة، ص ١٦٥.

(٢) الرسالة، ص ٤٧٠.

(٣) الرسالة، ص ١٦٤.

(٤) الرسالة، ص ١٤٠.

ويجوز أن يعْنَى بالبُح ، أى : هذه المرأة أهلها أيسارٌ، كما قال السلمى : (خفاف ابن ندبة).

«قَرَوْا أَضيافَهم رَبَحاً ببُحٍّ . . يعيشُ بفضلِهنَّ الحىُّ شُمْر»[1].

وفى الكلمتين الثانية والثالثة، استشهد فقط لأحد المعنيين ببيت شعر نسبه إلى قائله فى كليهما، وجاءت إحداهما جمعاً فذكر مفرده :

«جاز أن يقول : وحُوَّارى بمح وببح وبرح [. . .] ورُحٌّ : جمعُ أَرح، وهو من صفاتِ بقرِ الوحش، أَىْ : يصاد لهذه المرأة. ويقال لأَظْلَاف البقرة : رُحٌّ، قال الشاعرُ الأَعشى :

ورُحٌّ بـالـزمـاع مُـرَدَّفَـاتٌ بها تَنْضُو الوَغَى وَبها تَرود»[2]

وفى اللفظة التالية ينص على أنه يشرحها بما يسمح به السياق :

«وتكثرُ وتقل المناجيبُ، والمناجِيبُ، ها هنا تَحْتَمِل أَمْرَين : أَحَدُهما من النَّجَابَةِ والآخر مِن قولهم : مناجيبُ، أى : ضِعافٌ، مِن قولِ الهُذلى :

«بَعَثْتُه فِى سَوادِ اللَّيْلِ يَرْقُبُنِى إذْ آثَرَ النَّومَ والدِّفْء المنَاجِيبُ

والمعنَى : أن المناجيبَ من النجابةِ تَقِلُّ، والمناجيبُ من الوَهَن تَكْثُر»[3].

الخلاصـــة :

من التحليلات السالفة، نستطيع أن نلخص منهج شرح أبى العلاء للكلمات التى هى من صميم «رسالة الغفران». فهو إما أن يكتفى بشرح الكلمة دون استشهاد عليها، وإما أن يستشهد لها.

ومنهجية الشرح المتبعة فى النوعين معاً، تنقسم إلى ثلاثة طرق : نجد فى المنهج الأول : الكلمات التى لها مرادف واحد أو شرح واحد أو ما اكتفى فيه المؤلف بالإشارة إلى أنه معروف.

---

(١) الرسالة، ص ١٥٩.

(٢) الرسالة، ص ١٥٩.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٣.

الكلمات التى أرجعها أبو العلاء إلى أصولها بالإضافة إلى الشرح أو ذكر المرادف.

- الكلمات التى ذكر لها أبو العلاء معنيين. فى المنهج الثانى يتناول الكلمات التى استشهد لها أبو العلاء بشعر أو غيره، بالإضافة إلى الشرح أو إلى ذكر المرادف وهذا النوع بدوره، ينقسم إلى ثلاثة طرق:

١ - ما له مرادف أو شرح واحد، واستشهد عليه أبو العلاء ببيت شعر، سواء سمى قائله أو لم يسمه.

٢ - ما له معنى واحد واستشهد له بقول اللغويين وحسب، أو مع بيت شعر.

٣ - ما ذكر له أبو العلاء معنيين، مع الاستشهاد لكلا المعنيين أو لأحدهما فقط.

بعد هذه النظرة التحليلية للصنف الأول من الكلمات التى تناول أبو العلاء شرحها، ننتقل، الآن إلى دراسة الصنف الثانى.

الصنف الثانى

العبارات التى شرحها أبو العلاء مما ورد فى أسلوبه الشخصى.

تناول أبو العلاء الشرحَ فى هذا الصنف باستعمال اسم الإشارة «ذلك»

نجد هذا فى شرحه لعبارة: «يُقَبله شق البلسة» حيث يقول:

«ولو كان أبو عبيْدَة أَذْفَر الفَمِ لما أَمِنْتُ عَلَى كَلَفِه بالأَخْبَار أن يُقَبِّلَهُ شَقَّ البَلَسَةِ بِلا استكبار، وفِى الحديثِ عن عائِشةَ رَحْمَةُ الله عليها: «كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلِنِى شَقَّ التِّينة. وَروى بعْضُهم «شَق التَّمْرَةِ»، وذلك أن يأْخُذَ الشفَةَ العُليَا بيده والسفلى بيده الأخرى، ويقبل مابين الشفتين»[1].

---

(١) الرسالة، ص ٤٠٢.

الصنف الثالث

ننتقل الآن إلى الحديث عن الكلمات التى شرحها أبو العلاء مما ورد فى أشعار شعراء، ذكرهم فى رسالته، أو مما جاء فى بعض الأحاديث النبوية أو غير ذلك.

يبلغ عدد كلمات هذا الصنف ٣٦ كلمة، وتنقسم، من حيث المنهج الذى نهجه أبو العلاء فى شرحه لها، إلى ثلاثة.

المنهج الأول : يتولى أبو العلاء نفسه شرح الكلمات.
المنهج الثانى : ينقل ماقيل فى شرح الكلمات.
المنهج الثالث : يشير إلى تناول الشراح للكلمة من غير ذكر لأقوالهم فيها.

المنهج الأول :

يذكر أبو العلاء لكلمات هذا النوع شرحاً واحداً أو مرادفاً واحداً، للكلمة ماعدا فى حالة واحدة إذ يشير إلى معنى ثان ومن حيث الاستشهاد، ينهج المؤلف طريقتين :

أولاً : اكتفى أبو العلاء بشرح الكلمة أو بذكر مرادفها فقط، أو مع إرجاعها إلى الأصل الذى تنسب إليه، ولا يستدل عليها.

وعدد كلمات هذا القسم ست عشرة كلمة. وفيما يلى تفصيل لمنهجية شرح أبى العلاء لها :

١ - يذكر مرادف الكلمة. ويتناول الشرح، بـ :

(أ) الإتيان بأداة التفسير «أى» وذلك فى الكلمات التى وردت فى الأشعار التالية :

- شطر بيت لأبى كبير الهذلى :

«أَزُهَيرَ هل عن شَيْبَةٍ من مَعْكِم».

أى من محبس[1].

(١) الرسالة، ص ٣٤٣.

– فى بيت شعر للمهلهل التغلبى ويلاحظ أن أبا العلاء يشير إلى معنى ثان للكلمة :

«لما توقَّل فى الكُرَاع هجينُهم هَلْهَلْتُ أثـأرُ مالِكـاً أو ضئيلا»

هَلهَلتُ : أى قارَبتُ، ويقال : وَقَفْتُ[١]

– فى بيت شعر لجميل :

«وصاحَ ببَيْن من بثينة والنَّـوى جميعٌ بذاتِ الرضم صَرْدٌ محجَّلُ»

« . . . وإنما هو صَرْدٌ، أى خالِصٌ، قولهم : أُحِبُّكَ حُبًّا صَرْدًا، أى : خالصاً، يعنى غراباً أسود ليسَ فيه بياضٌ»[٢].

يلاحظ أن أبا العلاء يرجع اللفظة إلى أصلها، إثر ذكره للمرادف، مستعملا كما اعتاد العبارة «من قولهم» ومعيداً ذكر المرادف بالأداة «أى»، كما يلاحظ أنه شرح شطر البيت على ضوء المرادف الذى ذكره للكلمة.

(ب) يذكر أبو العلاء لشرح اللفظ العبارة : «فى معنى» وذلك فى حديث نبوى، يقول عن لسان ابن القارح :

هذا كَمَا جاء فى الحديث :

«أعدَدْتُ لِعبادِى المؤمنينَ ما لا عَيْنٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت بَلْهَ ما أَطْلَعْتُهُم عليه. وبَله، فى معنى : دَعْ وكَيْفَ»[٣] يلاحظ أنه يسوق للكلمة مترادفين من جذرين مختلفين.

٢ – شرح الكلمة شرحاً مفصلا فى بعض الأحيان : ويتناول الشرح بـ :

(أ) إعادة ذكر الكلمة، وذلك فى سبع كلمات وردت ثلاث منها فى «أبيات تنسب لنابغة بنى جعدة.

يرجع أبو العلاء فى شرحها الألفاظ إلى أصولها، مستخدماً العبارة «من قولهم» ويصدر الشرح «بإذا»

(١) الرسالة، ص ٣٥٤.

(٢) الرسالة، ص ٣١٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٨٨.

ولَقـد أغـدو بشَـربٍ أُنُـفٍ ... قبلَ أن يظهر فى الأرض رَبَشْ
معنـا زِقٌ إلىَ سُمَّـهَـةٍ ... تسِقُ الآكـالَ من رَطْب وهَش
فأتـانـا بِشَبُـوبٍ نَـاشِطٍ ... وظَـليم معـهُ أُمُّ خَشَش[1]

[...] أما رَبَش، فمن قولهم : أرضٌ رَبْشَاء، إذا ظهرت فيها قِطع من النَّبات وكأنها مقلوبةٌ عن بَرْشاء.

وأما السُّمهةُ، فَشَبِيهةٌ بالسُّفْرةِ، تُتَّخذُ من الخوص ، وأما خُشش فإنَّ أبا عمرو الشيبانِي ذكر، فى (كتاب الخاء)، أن الخُشَشَ ولدُ الظبْية»[2].

ونسجل هنا، أن أبا العلاء يذكر، لأول مرة، مرجع شرحه للكلمة.

- فى أبياتٌ لعمرو بن أحمر :

«ومسـفـةٌ دهمـاء داجـنـة ... ركدت، وأُسبل دونها السِـتر[3]
ومجـلجَـلٌ دانٍ زبـرجـده ... حـدب كما يتحدث الدبْـرُ»[4]

[...] وقولك : ومسفةٌ دهماءُ داجنةٌ.

ما أردت به؟

وقولك : «ومجلجلٌ دانٍ زبرجُده»

فيقول ابن أحمر :

[...] وأما المسفة الدَّهماءُ، فإنها القِدْرُ.

وأما المجَلْجَل الدانى زَبَرْجَده، فهو العُودُ، وزبرجُدهُ ما حُسِّنَ منه، أما تَسمع القائل يُسمى ماتَلَون من السحابِ، زِبْرِجاً؟

ومن روى : مجَلجِل، بكسر الجيم، أرادَ السحابَ»[5].

- فى كلام لابن الرومى، جاء فى رسالة ابن القارح، علق عليه أبو العلاء قائلا :

---

(١) الرسالة، ص ٢٠٩.
(٢) الرسالة، ص ٢١٠.
(٣) الرسالة، ص ٢٤١.
(٤) الرسالة، ص ٢٤٢-٢٤٤.
(٥) الرسالة، ص ٢٤٤-٢٤٥.

«ولهذه الطويةِ، جعل ابن الرومى جعفراً من الجوعِ والفرارِ ولو هُدِىَ صَرَفه إلى النهرِ الجَرَّار لأن الجعفرَ: النهرُ الكثيرُ الماء»[١].

- فى بيت لم يذكر قائله:

وما هِبرزىٌّ من دنانير أيلةٍ   بأيدى الوشاةِ، مُشْرِقاً يَتأكَّلُ

«الوُشاة: النقَّاشونَ الذين يشُونَه»[٢].

- وفى بيت آخر لم يذكر قائله أيضاً.

«عمِّى الذى مَنعَ الدينارَ ضاحِيَةً .. دينارَ نَخَّةِ جَرْمٍ، وهو مشهودُ

ودينار النَّخَّةِ: دينار كان يأخذه المصدق إذا فرغ من الجباية»[٣].

(ب) يشرح أبو العلاء اللفظة فيستعمل الضمير المنفصل الغائب وذلك فى كلمتين، إحداهما فى قصيدة لأوس لم يذكر البيت الذى وردت فيه وإنما يعرف القصيدة بأنها تحتوى على الكلمة المذكورة. يخاطب أبو العلاء أوس بن حجر (على لسان ابن القارح):

«فلم تزلْ تعجبُنى (لاميتك) التى ذكرتَ فيها الجُرْجَةَ، وهى الخريطةُ من الأدَم»[٤].

- نجد فى قصيدة لبشار بن برد، كلمة يذكرها أبو العلاء دون الإتيان بالبيت الذى وردت فيه، وإنما يشير إلى أنها فى القصيدة يقول مخاطباً بشارا (على لسان ابن القارح).

«الآن وقعَ مِنكَ اليأسُ! وقُلتَ فى هذه القصيدةِ: السبْدِ من بعضِ قوافيها، فإن كُنْت أردت جَمْعُ «سُبَدٍ» وهو طائِرٌ، فإن فُعَلاً لا يُجْمَعُ على ذلك...»[٥]

(جـ) يستعمل المؤلف التعبير «يعنى» مثل ماجاء بصدد بيت الأعشى:

مُحْقِبًا زكْرةً، وخبْزَ رُقاقٍ   وحِباقاً، وقطعةً من نُونِ

---

(١) الرسالة، ص ٤٨١.

(٢) الرسالة، ص ٥٦٢.

(٣) الرسالة، ص ٥٦٠.

(٤) الرسالة، ص ٣٤٠.

(٥) الرسالة، ص ٣١١.

يعنى بالحِباقِ جُرْزَةَ البَقل»[1]

(د) يستخدم أبو العلاء العبارة «أراد» وذلك فى كلمة واحدة وردت فى بيت لابن قيس:

«وهىَ عند البَلَهِ والكَيْسِ، أجودُ من الخاتم الذى ذَكَرَهُ ابنُ قيسٍ فقال:

«إن ختمَتْ جَاز طِينُ خاتِمها .. كما تجوزُ العبْدِيّة العُتُقُ»

أراد بالعبدية دنانيرَ نسبها إلى عبد الملك بنِ مروانَ، ويقالُ إنه أولُ من ضَرَبَ الدنانيرَ فى الإسلام»[2].

ثانيا: يستشهد أبو العلاء للكلمة أو لمرادفها ببيت شعر، بالإضافة إلى شرحها وذلك فى خمس كلمات. ومنهجهُ فى شرحها كما يلى:

١ - ذكر مرادف الكلمة:

(أ) يعيد ذكرها وذلك فى كلمة استدل لها ببيت رجز لم يسم قائله:

قال الضبى:

«ولَقَدْ علمتُ بأنَّ قَصْرِىَ حُفْرةٌ ... ما بَعدَها خَوْفٌ علىَّ ولا عَدَمْ»
فأَزُورُ بيتَ الحقِّ زَوْرَةَ ماكِثٍ ... فَعَلامَ أَحْفِلُ ما تَقَوَّضَ وانهَدَم؟

وما زالت العربُ تُسمِّى القبرَ بيتاً، وإن كان المنْتَقِلُ إليه مَيْتاً قال الراجزُ:

اليومَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيتُهُ ... يارُبَّ بيتِ حَسَبٍ بَنَيتُه
ومِعصَمٍ ذى بُرَةٍ لَوَيْتُه ... لو كانَ للدهرِ بِلًى أبليتُهُ
أو كانَ قِرْنِى واحداً كفيْتُهُ»[3]

(ب) استعمال أداة التفسير «أى» وذلك فى تناوله لكلمة جاءت ببيت شعر جميل. ويلاحظ أن أبا العلاء، فى هذه الكلمة، لم يكتف بالمرادف، وإنما علل للمرادف بذكر أمثلة لها نفس التسمية، ثم استطرد إلى ذكر مسمى يوصف بصفة مشتقة من المرادف ويستشهد للكلمة ببيت شعر لم يذكر قائله:

---

(١) الرسالة، ص ١٧٦.
(٢) الرسالة، ص ٥٦١.
(٣) الرسالة، ص ٤٠٣.

«وصاحَ ببَيْنٍ من بُثَيْنَةَ، والنَّوَى   جَميعٌ بذَاتِ الرَّضم صَرْدٌ مُحجَّلُ[١]

[. .] قولُه : مُحَجَّل، أى مقيَّد، لأن حلْقَةَ القَيْدِ تُسمَّى حِجلاً. قال عدِىُّ بنُ زَيدٍ :

أعاذِلَ قد لاقيتُ ما يَزَعُ الفتَى   وطابَقْتُ فى الحِجْلَيْن مَشْىَ المقيَّدِ

والغُرابُ يوصَفُ بالتَّقييدِ لِقصَرنَسَاه، قال الشاعر :

ومُقَيَّـدٍ بَـيْنَ الـدِّيـار كـأنَّـهُ   حَبَشِىٌّ دَاجِنَـةٍ يَجُرُّ ويَعْتَـلى»[٢]

٢ - شرح الكلمة شرحًا موجزًا، وذلك فى حالتين :

- يرجع إحدى الكلمتين إلى أصلها مستعملاً العبارة «يقال» و«أى» فى شرحها، ويستشهد لها بشعر لم يذكر قائله. نجد هذا فى تعرضه لشرح كلمة وردت ببيت لنهشل بن حرى :

«تَمنَّى نَئِيشـاً أن يكونَ أطـاعنى   وقـد حدثَتْ بعـدَ الأمورِ أمـور

يقال : فعل كذا نَئِيشاً، أى بعد ما فات، قال الشاعر :

إنَّـك يـا قُـطَيْنُ ولستَ منهم   لألأم مَـالـك عَـقِبـاً وريـشـا

تنـاءت عنكم عُـدُسُ بنُ زيـدٍ   فـلم تعـرفْكُمُ إلا نَئِيشـا»[٣]

والكلمة الثانية وردت فى بيت شعر لأبى العباس بن كاتب البكتمرى. ويستشهد لها ببيت شعر لعدى بن زيد يخاطب فيه «أبا الطيب اللغوى» :

«ياعبدُ إنكَ عند القلبِ جَنَّتُه   حُبًّا وإنَّكَ عِنـدَ الطَّرفِ نـاظِرُهُ

[. . .] قوله «يا عبدُ» يريد يا عبدَ الواحِد كما قال عدىُّ بنُ زيد فى الأبيات الصاديةِ التى مضت :

غُيِّبْتَ عَنِّى «عبدُ» فى ساعَةِ الشرِّ   وجُـنِّـبْـتَ أوَانَ الـعـويصْ

يريدُ «عبد هندٍ»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٣١٢.

(٢) الرسالة، ص ٣١٣.

(٣) الرسالة، ص ٥٣٣.

(٤) الرسالة، ص ٥٥٢.

المنهج الثانى :

الكلمات التى وردت فى أشعار شعراء ذكرهم أبو العلاء، فى رسالته. لا يتناول المؤلف شرحها أو ذكر مرادفاتها كما رأيناه فى الصفحات السابقة، وإنما يذكر ما قيل من الآراء والشروح.

وقد جاءت تعاليق أبى العلاء بالنسبة لكلمات هذا القسم، على شكل حوار بين ابن القارح والشعراء حيث يهيئ الفرصة لهذا الأخير كى يلتقى بهذا الشاعر، أو ذاك إما فى الجنة، وإما فى المطّلع إلى النار.

وبعد السلام، يبدأ ابن القارح بطرح أسئلة متنوعة تتعلق بما قاله الشاعر من شعر، ومن بينها السؤال عن معانى بعض الكلمات ويذكر له ما قاله الشراح من معان، ثم يتدخل المعرى فيأخذ الكلمة على لسان الشاعر لِيُبْدِىَ رأيَهُ فى تلك الشروح، وأحيانًا لا يدلى برأى ويجعل الشاعر يعتذر عن الجواب أو ينتقل إلى موضوع آخر دون أى تعليق.

وتبعاً لهذا، يمكن تقسيم هذا النوع من حيث المنهج وموقف أبى العلاء من الشروح إلى طريقتين :

أولاً : يكتفى أبو العلاء بنقل ما قيل من مرادفات وشروح للكلمة دون أن يبدى رأيه فيها.

عدد كلمات هذا القسم ست.

استعمل فى نقل شروحها العبارتين «**قيل**» و«**قالوا**» ولم يذكر اسم القائل، سوى فى كلمتين، إحداهما وردت فى قصيدة للأعشى، اختلف الرواة فى رواية البيت الذى وردت فيه، فجاءت فيه أقوال مذكورة فى كتب اللغة نقلها أبو العلاء ليعلق على التغيرات العروضية التى فى وزن البيت، وهو، هنا، لا يورد التعليق على شكل حوار، كما فعل فى جل الكلمات، ولكنه يقطع الكلام على ابن القارح فى حديثه مع الأعشى ليعلق هو نفسه :

«فقلت أنا القائل (على لسان الأعشى).

ألا أيُّهذا السائلي أينَ يَمَّمتْ فإنَّ لها في أهلِ يَثْرِبَ مَوعِدا
نَبِيٌّ يَرَى مالَا يَرَوْنَ وذِكرُهُ أغار لَعَمْرِي في البِلاد وأنجدَا

وهو، أكمل الله زينَة المحافِل بحضُورِهِ، يعرفُ الأقوالَ في هذا البيت وإنما أذكُرُها لأنه قد يجوزُ أن يقْرأ هذا الهَذَيان ناشيءٌ لم يَبْلُغْه. حكَى الفراءُ وحدَهُ «أغارَ» في معنى غارَ، إذا أتى الغَوْرَ. وإذا صَحَّ هذا البيتُ للأعشَى، فلم يُرِدْ بالإغَارةِ إلاَّ ضِدَّ الإنجاد. ورُوِي عن «الأصمعي» روايتان، إحداهما أنَّ أغار في معنى عَدا عدواً شديدًا، وأنشدَ في كتابِ الأجناسِ»[1].

فَعَدَّ طِلابها وتَسَلَّ عنها بِناجِيَّة إذا زُجِرَتْ تُغِيرُ»[2]

- الكلمة الثانية وردت في عبارة للكاهنة. يقول أبو العلاء: «وهل (تاجُه) إلاَّ كما قالت الكاهنةُ: أفٌّ وتُفٌّ، وجَوْرَبٌ وخُفٌّ؟ قيلَ: وما جَوْرَبٌ وخُفٌّ؟ قالت: وادِيانِ بِجهَنَّمَ»[3].

- أما الكلمات الخمس الباقية، وردت منها واحدة في بيت لتميم بن أبي ذكر لها أبو العلاء ثلاثة شروح يقول:

«أيُّكم» تميم بنُ أبيٍّ؟

فيقول رجلٌ منهم:

ها أنَاذا. فيقول أخبرني عن قولِك:

يا دار سَلْمىَ خَلاءً لا أكلِّفُها إلا المرانة حتى تَسْأَمَ الدنيا

ما أردت بالمرانةِ؟ فقد قيل: إنَّك أَرَدتَ اسم امرَأةٍ، وقيل هي اسمُ ناقةٍ، وقيل العادة.

فيقول «تميم» والله ما دخلت من باب الفِردوس ومَعى كلِمةٌ من الشعر ولا الرَّجَز»[4].

---

(١) يلاحظ أن أبا العلاء يذكر مرجعه للمرة الثانية فقط.

(٢) الرسالة، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٧٠

(٤) الرسالة، ص ٢٤٦-٢٤٧.

- كلمة فى شعر لامرئ القيس سرد لها خمسة أقوال:

أخـــبرنى عـــن قـــولـــك: كبِكْرِ المقاناةِ البياضِ بصُفْرَةٍ

ماذَا أَرَدْتَ بالبكر؟ فقد اختَلَفَ المتقولُونَ فى ذلك: فقالوا البيضَة، وقالوا: الدُّرَّةُ، وقالوا: الرَّوضَةُ، وقالوا: الزَّهرةُ، وقالوا: البَرديَّةُ»[1].

- كلمتان وردتا فى قصيدة علقمة بن عبدة، ساق لإحداهما ثلاثة شروح. يقول على لسان ابن القارح، مخاطبًا علقمة:

«وإن فى نفسى لحاجةً من قولك:

كأسُ عزيزٍ من الأعنابِ عَتَّقها لبَعْضِ أربابها حـانيـةٌ حُـومُ

فقد اختلف الناسُ فى قولك «حُوم». فقيل: أراد حُمًّا أى سُودًا فأبدل من إحدى الميمين واوًا، وقيل: أراد حَوْمًا، أى كثيرًا، فضمَّ الحاءَ للضرورة، وقيل: حُومُ، يُحَامُ بها على الشَّرْبِ، أى يُطافُ»[2].

- ونقل للكلمة الثانية وجهين، وذكر للوجه الثانى ثلاثة شروح، يقول عاطفاً على الفقرة السابقة أعلاه:

«وكذلك قولك:

يهـدى بها أكلفُ الخَـدَّيْن مُخْتَبَر مِن الجِمالِ كثيرُ اللحم عَيْشُومُ

[...] وقيل: مُخْتَبَر من اختبار الحوائِل من اللواقح، وقيل: هو من الخَبير أى الزُّبَدِ، وقيل الخَبير اللحمُ، وقيل هو الوَبَر»[3].

ثانيا: ينقل أبو العلاء شرحين لكل كلمة قبل أن يدلى برأيه فيها وذلك فى خمس كلمات اتخذ من شروحها ثلاثة مواقف:

(أ) استحسان وَجْهَى الشرح اللذين نقلها، من غير تفضيل لأحدهما على الآخر. وهذا ما فعله بالنسبة للكلمات الثلاث الآتية:

---

(١) الرسالة، ص ٣١٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٢٩.

(٣) الرسالة، ص ٣٢٩.

– وردت الأولى فى بيت شعر لعمرو بن أحمر، ونشير مسبقاً إلى أن أبا العلاء لم يقتصر، فى هذه الكلمة، على نقل وجْهَى الشرح اللذين قيلا فيها، بل تدخَّلَ بدوره وأضاف إلى الثانى شرحاً من عنده مستعملا الضمير المنفصل «هو» فى التعقيب يسأل ابن القارح :

«فأين «عمرُو بنُ أحمر»، فيقول عمرو ها أناذا.

فيقول :

أنشِدْنى قولك :

بَان الشبابُ وأخلَف العَمْرُ .. وتغيَّر الإِخوانُ والدهرُ

وقد اختلَف الناسُ فى تفسير العَمْر، فقيلَ : إنَّك أَردتَ البَقاءَ، وقيل : إنَّك أردتَ الواحِدَ من عُمُور الأسَنان، وهو اللحْمُ الذى بينها.

فيقول عمرٌو مُتَمثلا :

خُذَا وجهَ هَرْشَى أَوْقَفَاهَا فإنه .. كِلَا جانبىْ هَرشَى لَهُنَّ طريقُ»[1].

الكلمة الثانية وردت فى بيت شعر لعنترة بن شداد :

«وينظُر فإذا عنترةُ العبسىّ متلدِّدٌ فى السَّعِير، فيقولُ : مالَكَ يا أُخَاعبسٍ ؟ كأَنَّكَ لم تَنْطِقْ بقولِك :

ولقد شَرِبْتُ من المدَامَة بعد ما ركد الهواجر، بالمشوف المعلم

(. . .) فما أردتَ بالمشُوفِ المُعْلم : الدِّينارَ أم الرِّداءَ؟

فيقول : أىَّ الوجهين أرَدْتَ فهو حَسَنٌ ولا يَنْتَقِضُ»[2].

نلاحظ هنا أن أبا العَلاء يسوق رأيه فى شروح الكلمتين على لسان الشاعر نفسه.

والكلمة الثالثة من بيت شعر «لعلقمة بن عبدة» :

«وينظر فإذا علقمةُ بنُ عبدَة فيقول :

(١) الرسالة، ص ٢٤٠.

(٢) الرسالة، ص ٣٢.

أَعززْ عليَّ بمكانِك!

ما أَغْنَى عنكَ سِمطا لؤلؤكَ [...] فبالذى يَقْدِرُ على تخليصِك، ما أَرَدْتَ بقولِك؟ :

فـلا تَعـدِلى بَيْنى وبين مُعَمَّـرِ سَقَتْكَ رَوايا المزنِ حين تَصُوبُ
وما القلبُ أم ماذكْـرها رَبْعِيَّـةً يُخَطُّ لهـا مِنْ ثـرمـداءَ قَلِيبُ

أعَنيتَ بالقَليب هذا الذى يُورَد، أم القبر؟ ولكلٍّ وَجْهٌ حَسَن»[1]

فى هذه الكلمة يسوق أبو العلاء رأيه فى وجهى الشرح على لسان ابن القارح.

يظهر واضحاً أن أبا العلاء استعمل فى إبداء رأيه فى الشروح التى نقلها لهذه الكلمات عبارات ذات مدلول واحد:

البيت الشعرى: «خُذَا وجه هَرشى...»

«أى الوجهين أردتَ فهو حَسَنٌ»

«ولكل وجه حسن»

فهل مرد هذه الظاهرة إلى أن أبا العلاء:

- يسلم بشروح القدامى؟

- أم عجز عن إبداء رأى يناقض الشروح القديمة؟

- أم سخرية من تلك الشروح، خصوصا التى تتعلق بشرح لفضة «المشوف» فى بيت عنترة، لأن بعض شراح البيت سخر من الشرحين السابقين إذ يقول إن معنى (المشوف): الإبريق؟ على كل، نلاحظ أن أبا العلاء لم يتخذ موقفاً واضحاً فيها، بل غامضاً إلى حد ما، وهذا عكس ما سنراه بصدد الكلمات التالية.

٢ - الموقف الثانى: يُنَقِّصُ من أحد وجْهَىْ الشرح، بتحليل الحجج التى أدلى بها بعض الشراح ومحاولة نقضها بحجة لغوية أقوى، فيبدو وكأنه يرجح الوجه الثانى من غير تصريح بذلك. هذا ما فعله بالنسبة لكلمة وردت فى بيت من قصيدة

---

(١) الرسالة، ص ٣٢٨.

عمرو بن أحمر. يقول أبو العلاء على لسان ابن القارح:

ولقد غدَوتُ وما يفزِّعُنى خوفٌ أحاذره ولا ذُعْرُ
كشراب قيل عن مطيته ولكل أمر واقع قدر(١)
وجرادتان تغنيانهم وتلألأ المرجان

[...] فما أرَدْتَ بقولِك: كشرَاب قَيْلٍ؟ أالواحدَ من الأقيال؟ أم قيل ابن عِتْرٍ، من عادٍ؟

فيقول «عمرو» إن الوَجْهَين لَيُتصَوَّران»(١) (نلاحظ أن أبا العلاء يستعمل هنا لفظة «التصور» فى الوجهين لا الجواز أو الاستحسان، كما فعل فى الكلمات السابقة وبينهما فرق واضح)

ويضيف حجة ساقها أصحاب الوجه الأول على لسان ابن القارح:

«فيقولُ الشيخ - بلّغهُ الله الأمانىَ - مِمَّا يدُلُّ على أن المُرَادَ «قَيْلُ بن عِتْرٍ» قولك: «وَجَرادتان تُغَنِّيانهم» لأنَّ الجَرَادَتين - فِيما قِيل - مُغنيتان غنَّتا لِوَفد عادٍ عند الجُرهُمىّ بمكَّةَ، فشُغِلُوا عن الطَّوافِ «بالبيت» وسُؤالِ الله سُبحانَهُ وتعالى فيما قَصَدوا له، فهَلَكَتْ عَادٌ وهم سَامِدون.

ولقد وَجدتُ فى بعض كُتُبِ الأغانى(٢) صَوْتاً يُقال غَنَّتْهُ الجَرادتان فَتَفَكَّرْتُ لِذلك.

[...] ومن الذى نَقل إلى المُغَنينَ فى عصر «هارونَ» وبعدَهُ، أن هذا الشعرَ غَنَّتْهُ «الجرادتان»؟ إنَّ ذلك لَبَعِيدٌ فى المعقولِ، وما أَجْدَره أن يكونَ مكذوباً [...].

فيقول ابن أحمر:

أمَّا ذِكرُ الجرادتين، فلا يَدُلُّ على أنى خَصَصتُ «قَيْل ابن عِترٍ». وإنْ كَان فى الوَفْدِ الذى غَنَّتْهُ «الجرادتان»، لأن العَرَبَ صارَتْ تُسَمِّى كلَّ قينةٍ جرادةً، حملاً على أن قَيْنَةً فى الدهرِ الأوَّلِ كانت تُدعَى الجَرادة، قال الشاعر:

(١) الرسالة، ص ٢٤١.

(٢) يذكر أبو العلاء المرجع للمرة الثالثة فقط.

تُغَنِّيَنَـا الجـرادُ ونحـنُ شَـرْبٌ نُعلُّ الراحَ خالطهـا المَشُور»[١]

هكذا يرى أبو العلاء أن الحجج التى اعتمدت لتفسير لفظة «الجرادتين» بكونهما امرأتين غَنتا لوفد عاد، حجج واهية، لأن فى اللغة ما يؤيد أن «الجرادة» كانت تطلق على «القينة» فلا داعى لحصرها فى المغنيتين المذكورتين: إن ذلك «بعيد عن المعقول».

المنهج الثالث:

ننتقل الآن إلى الحديث عن النوع الثالث من منهجية أبى العلاء فى شرح الكلمات التى وردت فى أشعار شعراء أو أحاديث أو أقوال ذكرها فى رسالته.

فى هذا النوع يشير أبو العلاء إلى أن هناك أقوالا كثيرة فى شرح الكلمة ويكتفى بنقل ما اختاره منها. وقد سلك هذا المسلك فى كلمة واحدة وردت فى بيت شعر «لليشكرى»:

«وينظر (ابن القارح) فإذا «الحارثُ اليَشْكُرِى» فيقولُ: لقد أَتْعَبْتَ الرُّواة فى تفسير قولك:

زَعموا أَن كُلَّ من ضَرَب العَيـ ـر مُوالٍ لَنـاَ، وأنـا الـوَلاَء

وما أَحْسَبُكَ أردتَ الا العَيْر الحِمَار»[٢].

وقد فسرت كلمة العير بتفاسير كثيرة: فقيل هو الوتد، وقيل الحمار وقيل أراد بالعير «كليباً»، ويقال لسيد القوم: هو عير القوم، وقد اختار أبو العلاء تفسيره بالحمار، رغبة فى التفكه أو السخرية!

---

(١) الرسالة، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٣٢.

الخلاصـــة :

رأينا أن الصنف الثالث يتناول الكلمات التى شرحها أبو العلاء أو علق على شرحها، مما ورد فى أشعار وأقوال وأحاديث نبوية جاءت فى رسالته. وتنقسم إلى ثلاثة أنواع، وعلمنا أنها من حيث منهجية شرح أبى العلاء كما يلى :

ففى المنهج الأول : يكتفى أبو العلاء بشرح الكلمة أو بذكر مرادفها، وقد يذكر، بالإضافة إلى الشرح، استشهاداً من شعر أو قول بعض اللغويين.

أما فى **المنهج الثانى** : فلم يشرح أبو العلاء، نفسه، كلماته وإنما ذكر أقوال الشراح فيها، ثم اتخذ منها ثلاثة مواقف كما رأينا.

ووجدناه فى **المنهج الثالث** : يشير إلى أن هناك أقوالاً كثيرة فى شرح الكلمة ويكتفى بنقل ما يلائم السياق من تلك الشروح.

وفيما يلى سنعرض هذه الشروح على بعض المعاجم العربية لنرى رأى اللغويين فيها.

عرض شروح أبي العلاء
على ما جاء فى المعاجم اللغوية

ماذا تقول القواميس اللغوية فى هذه الشروح العلائية بالغفران؟

بمراجعة شروح أبي العلاء للمفردات على ما جاء فى معاجم اللغة، وقد تخيرنا منها معجمين، أحدهما سابق فى تأليفه على أبي العلاء، وهو كتاب جمهرة اللغة لابن دريد[1] وقد اخترناه نظرًا لأنه من أقدم المعاجم العربية، فهو ثانى معجم وصل إلينا بعد كتاب العين، ولأنه حوى جمهرة كلام العرب بالإضافة إلى ما جاء عند الخليل، فكما يصرح ابن دريد نفسه، قد اعتمد على كتاب العين[2]. واخترناه كذلك لما روى لنا أن أبا العلاء كان يحفظه.

أما المعجم الثانى فهو القاموس المحيط للفيروزبادى[3]، وبينه وبين أبي العلاء متأخرًا عنه قرابة ثلاثة قرون.

اخترنا القاموس لأن الفيروزبادى استقصى كثيرًا من المفردات التى لم ترد عند سابقيه، وعمل على النص عليها فكتب مثلاً «فى نسخته الخطية كل المواد التى زادها على الجوهرى بالمداد الأحمر زيادة فى التوضيح»[4]، ثم لأن القاموس كما يرى الأستاذ الدكتور عبد الله درويش من أوسع المعاجم انتشارًا لعوامل شتى فصلها فى كتابه[5].

وغرضنا من هذه المراجعة عقد مقارنة نستبين منها : هل كان أبو العلاء ناقلا،

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ، وتوفى سنة ٣٢١ هـ (عن مقدمة كتاب جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، وهى الطبعة التى اعتمدناها للمقارنة).

(٢) انظر،عبد الله درويش، المعاجم العربية، ص ٢٠،٢٥، ط القاهرة، ١٩٥٦م.

(٣) ولد الفيروزبادى فى كزرين من بلاد الفرس، عام ٧٢٩هـ. (انظر المصدر السابق، ص ١٠٢).

(٤) انظر، المعاجم العربية، ص ١٠٥.

(٥) انظر، المعاجم العربية، ص ١٠٥.

وحسب، عن سابقيه من أصحاب المعاجم أم زاد عليهم؟ وهل تفرد بكلمات أو شروح، قد تكون أثرت فيمن جاؤوا بعده، بطريق أم بآخر أو تفرد بها تفردًا مطلقًا، عن الجمهرة، وعن القاموس؟.

وفيما يلى محصلة العمل.

ولقد فضلنا أن نورد نتائج البحث على شكل جدول يعرض شروح الكلمة كما جاءت عند أبى العلاء فى الغفران، وكما وردت فى الجمهرة، والقاموس مع إفراد منزلة خامسة للنص على الملاحظات التى تبدو بصدد كل كلمة. ذلك أنا رأينا فى هذه الطريقة أمانة فى نقل الشروح مع سهولة تبين وجوه الاتفاق والاختلاف بين الثلاثة. وقد انطلقنا من الشروح العلائية بوصفها التى تهم موضوعنا، وركزنا الملاحظات على ما يجمع أو يفرق بين أبى العلاء أولاً، وابن دريد والفيروز بادى ثانيًا. وراعينا فى ترتيب الكلمات النظام الأبجدى للكلمة كما وردت فى الرسالة محافظين على الصياغة، دون إرجاعها إلى أصولها.

جدول مقارنة الشروح

الهمزة

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الأتاوى ص ٢٦٠	الغريب	أتاوى وهو الغريب	الرجل الغريب	تطابق
إرْب ص ١٥٧	عضو من شواء أو قديد	الإرب، العضو بكامله والجمح آراب	الإرب بالكسر، العضو	يتفق أبو العلاء معهما، وفى شرحه تخصيص.
الأرْمَلُ (العام) ص ٢٤٩	قليل المطر	(غير موجودة)	الأرمل من الأعوام قليل المطر	اتفق القاموس مع أبي العلاء.
أَرْى ص ١٦٤	عَسَل	الأرى العسل	العسل	تطابق
الأشّاءة ص ٤٩٩	النخلةُ الصغيرةُ	الاشاءة الفسيل (الفسيل: النخلة الصغيرة)	الأشاء كسحاب صغار النخل	تطابق

تابع الهمزة

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
أُعْظَمَ ص ٤٠٤	أتى عظيمة	عظمت الرجل تعظيمًا إذا بجلته وأكرمته. (مادة أعظم غير موجودة)	وأعظمه فخمه وكبره والعظيمة النازلة الشديدة	اتفق القاموس مع أبي العلاء، إذ يفهم من سياق كلام المعرى عن عظيمة أنها المصيبة.
الأُكْرَاس ص ٢٨١	الجماعات	الكرس والجمع أكراس، وكل شيء تواكب فقد تكارس - الأكارس الجماعات لا واحد لها من لفظها هكذا قال الأصمعي.	الكرس أبيات من الناس مجتمعة ج أكراس.	تطابق
الإِلاَق ص ٣٩١	البرق الكاذب	برق. إلاق كبرق الخلب سواء	الإلاق ككتاب البرق الكاذب الذى لا مطر له.	تطابق

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
البَتُّ اطحنَّ شزْراوبتًّا ص ٢٧٠	على شمائلكن	البت كساء من وبر وصوف	وطحن بتا أى ابتداء من الإدارة باليسار.	اتفق القاموس مع أبى العلاء.
البَثُّ ص ١٥٨	تمر لم يُجَد كنزهُ فهو متفرق.	ويقال تمربث إذا لم يجد كنزه حتى يتفرق	وتمربث متفرق مبثوث	تطابق
البجْدُ ص ٢٧٢	الخلق الكثير	بجد بالمكان يبجد بجودًا إذا أقام به فهو باجد والبجاد كساء مخطط والجمع بجد	ويجد منا جماعة	اتفق القاموس مع أبى العلاء
وبُحٌّ ج أبح كِسْرٌ أبح ص ١٥٩.	كثير الدسم	البح ج أبح ورجل أبح وامرأة بحاء إذا كانت البحوحة خلقًا.	الأبح السمين.	اتفق القاموس مع أبى العلاء فى مفهوم السمن.
البج ص ١٥٩	القداح	القداح	القدح ج بح	تطابق

تابع الباء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
« . . كبكر المقاناة » ص ٣١٤	[قيل] البَيْضة - الدرَّة - الروضة - الزَّهْرَة - البَرْدية.	جارية بكر من جوارٍ أبكار	البكر بالكسر العذراء . . والمرأة والناقة إذا ولدتا بطنًا واحدًا.	انفرد أبو العلاء بكل المعانى التى أوردها فى شرحه لبيت امرئ القيس.
بَلْهَ ص ٢٨٨	دَعْ وكَيْفَ	يقال فعلت كذا وكذا بله كذا وكذا أى دع كذا وكذا	بله ككيف اسم لدع ومصدر بمعنى التَّرك واسم مرادف لكيف وما	اتفق أبو العلاء معهما فى معنى « دع » وانفرد ابن دريد بعدم ذكره لمعنى « كيف » الذى اتفق فيه القاموس مع أبى العلاء.
بُهْمًا ص ٣٣٤	غُرْلا	[ليست موجودة]	ويحشر الناس بهما بالضم أى ليس بهم شيء مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج.	انفرد أبو العلاء بمعنى غُرْل.
البُهَم ج بُهْمةٍ ص ٥٣١.	الأمر الذى لا يهتدى له.	رجل بُهمة شجاع لا يُدرى من أين يؤتى والجمع بُهَم.	البهمة بالضم الخطة الشديدة والشجاع الذى لا يُهتدى من أين يؤتى ج كصرد.	يختلف أبو العلاء معهما حيث يستعمل الكلمة بإطلاق:

التاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
تورًا ص ٢٥٤	رسولا .	التور الرسول بين القوم	الرسول بين القوم	تطابق

الثاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
ثَعْد ص ٢٦٠	الرطب الذى قال لان كله.	الرخص من البقل وغيره.	الرطب.	اختلف أبو العلاء مع الجمهرة واتفق القاموس مع أبي العلاء.

الجيم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الجُرْجَة ص ٣٤٠	الخريطة من الأدم (الخريطة : وعاء من أدم) .	قال الأصمعى الجرجَة والخريطة والعيبة وعاء يجعل فيه الرجل نفيس متاعه .	والجرجة بالضم وعاء كالخرج .	اتفق أبو العلاء معهما فى معنى الوعاء وانفرد بذكر لفظة « الخريطة » .
الجَعْفَرُ ص ٤٨١	النهرُ الكثير الماء	والجعفر النهر الصغير	النهر الصغير والكبير الواسع ضد ، أو النهر الملآن أو فوق الجدول	يختلف أبو العلاء معهما قليلا ، إذ يخصص إطلاق « الجعفر » على ما كثر ماؤه من الأنهار .
جَوْربٌ وخُفّ ص ٤٧٠	قالت الكاهنة : واديان بجهنم .	جورب اسم فارسى وقد كثر حتى صار كالعربى . خف البعير وخف النعامة والخف المبلوس معروف .	الجورب لفافة الرجل ، الخف بالضم مجمع فرسن البعير وقد يكون للنعام أو الخف ولا يكون إلا بها . أخفاف وواحد الخفاف التى تلبس وتخفف لبسه .	انفرد أبو العلاء انفراداً تاما بالمعنى الذى أتى به . ولعلهما علمين من حصيلة خيال أبى العلاء كالكثير من أمثالهما الواردة فى الغفران .

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الحَبَاق ص ١٧٦	جرزة البقل	الحبق ضرب من النبت - الحِباق لقب لبطن من بنى تميم	الحبق محركة نبات طيب الرائحة وحبق البقر البابونج وكالغراب الضراط وأكثر استعماله فى الإبل والغنم وككتاب أو غراب بطن من تميم.	انفرد أبو العلاء بإطلاق الحباق على حزمة البقل وعند الاثنين الحبق لا الحباق.
تَمَرْحَمْتَ ص ١٥٨	شديد الحلاوة	شديد الحلاوة	شديد الحلاوة	تطابق
حَمْمت ص ٢٥٢	قصدتَ	حم الله له كذا وكذا إذا قضاه له	وحم قصد	اتفق أبو العلاء والقاموس ويختلف الجمهرة معه.
الحَوْف ص ٤٩٦	أُزَيِّر من أدم مشقق الأطراف السافلة تتزر به الجارية وهى صغيرة.	الأحواف جمع حوف وهو شبيه بالمئزر يتخذ للصبيان من أدم ويشق من أسافله ليمكن المشى فيه	جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الحيض والصبيان أو أديم أحمر يقد أمثال السيور ثم يجعل على السيور شذر تلبسه الجارية فوق ثيابها.	خصص أبو العلاء استعمال الحوف للجارية.

تابع الحاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
حُوم ص ٣٢٩	أراد حُمًّا سودًا فأبدل من إحدى الميمين واواً - حوماً كثيراً فضم الحاء للضرورة. - حُوم: يُحام بها على الشراب يطاف.	الحوم من الإبل وغيرها الكثير، واضطر علقمه فقال: بضم الحاء أراد حوم، والحوم مصدر حام البعير حول البئر والحوض يحوم حوماً.. إذا دار.	الحوم القطيع الضخم من الإبل إلى الألف. حام الطير على الشيء حوماً دار وفلان على الأمر حوماً وأمه والحمة بالضم لون بين الدهمة والكتمة.	اتفق أبو العلاء معهما على مفهوم الكَثرة والدوران واتفق الفيروزبادى مع أبي العلاء فى دلالة الكلمة على لون غامق، ويبدو واضحاً أثر العمى فى تحديد اللون عند أبي العلاء. فقد اكتفى بذكر السواد دون التدقيق.
الحَوُّ ص ١٦٤	الجدىُ فيما حكى بعض أهل اللغة فى قولهم ما يعرف حوًّا من لَوٍّ أىْ جَدْياً من عَناق (ولد المعز).	يقال فلان لا يعرف الحو من اللو أى لا يعرف ما حوى مما لوى.	وحو بالضم زجر للمعز ولا يعرف الحو من اللو أى البين من الخفى.	اتفق أبو العلاء معهما فى معنى عدم التفرقة بين شيء وشيء، ولكن أبا العلاء خصص المعنى بعدم التفرقة بين نوعين من الحيوانات.
ومتع من مَال بحيرٍ ص ٣٨٧	كثير	مال حير كثير	الحير كعنب وبالتحريك: الكثير من المال	تطابق

الخاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
خَزْعَال ناقة خزعال ص ٣٤٢	بها ظلع	ناقة بها خزعال إذا كانت تنبث التراب برجليها إذا مشت.	وناقة بها خزعال ظلع (ظلع البعير كمنع غمز فى مشيته)	اتفق أبو العلاء معهما فى معنى الكلمة واتفق القاموس مع أبى العلاء فى إيراد نفس اللفظة فى الشرح.
الخُشَش (ذكرها الشيبانى فى كتاب الخاء) ص ٢١٠	ولد الظبية	لم ينص على هذه المادة	والخشيش كزبير الغزال الصغير كالخشش محركة	اتفق القاموس مع أبى العلاء
الخَلْع ص ١٦٢	اللحمُ الذى كان يُطبخ ويحملونه فى القُرُوف	والخلع لحم يطبخ بإهالة ثم يحقن فى الرقاق فيؤكل فى السفر.	الخلع لحم يطبخ بالتوابل فى وعاء من جلد. أو القديد المشوى فى وعاء	تطابق

الدال

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	فى القاموس	ملاحظات
دِبْسَ ص ١٦٠	والعرب تسمى العسل دِبْساً	الدَبْس والدُبْس جميعاً وهو عسل التمر وربما سمى عسل النحل دبساً بكسر الدال والباء	الدبس بالكسر وبكسرتين عسل التمر وعسل النحل	اختلف أبو العلاء معهما فى إطلاقه دبس على العسل من غير تقييد.
الدُّج ص ١٥٨	الفروجُ. جاء به العُمانِي فى رجزه	الدجاجة معروفة (لا نجد لفظة الدج)	والدجاجُ للذكر والأنثى ودجدج صاح بدجدج	انفرد بها أبو العلاء نقلا عن العمانى (وهو شاعر أدرك الرشيد) ولعل الكلمة مأخوذة من دجدج الدجاج. وفضلها أبو العلاء لمسايرة القافية فى بيتى «النمر بن تولب».

تابع الدال

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الدَّقَارِيُّ ص ١٩٧	الرياض	دقرى روضة معروفة	الدقرى كجمزى الروضة الحسناء العميمة النبات	يبدو من كلام ابن دريد أنها اسم روضة معينة ويستعمل أبو العلاء الكلمة استعمالا مطلقا ووصفها القاموس بالعميمة النبات.
الدَّهْل ص ١٦٨	الطائفة من الليل	ويقال مَرَّ دَهْلٌ من الليل أى قطعة.	الدهل الساعة والشيء اليسير	اتفق أبو العلاء مع الجمهرة على أن الدهل جزء من الليل، واختلف صاحب القاموس مع أبي العلاء في إطلاقها على جزء من الزمن مطلقاً.
دِينار النَّخّة ص ٥٦٩	دينار كان يأخذه المصدق إذا فرغ من الجباية	النخة دينار كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة.	والنخة أن يأخذ المصدق ديناراً لنفسه واسم الدينار نخة أيضاً.	تطابق

الذال

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
ذَاتُ أنواط ص ١٤٠	شجرة كانوا يعظمونها فى الجاهلية	شجرة كانت تعبد فى الجاهلية	ناطه نوطاً علقه الأنواط المعاليق لم يذكرها القاموس	يتفق أبو العلاء مع الجمهرة وينفرد بالاستشهاد بقول وببيت من الشعر.

الـراء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
رَبش ص ٢١٠	فمن قولهم أرض رَبْشَاء إذا ظهرت فيها قِطَعٌ من النبات وكأنها مقلوبة عن بَرْشَاء.	أرض ربشاء وبرشاء إذا كانت ألوانها مختلفة بالنبت.	أرض ربشاء كثيرة العشب.	اتفق أبو العلاء اتفاقًا تامًا مع الجمهرة فى المعنى فى كون ربشاء مقلوبة عن برشاء واتفق القاموس مع أبى العلاء فى معنى الكلمة، إلا أننا نفتقد فى تفسير أبى العلاء الكثرة واللون.
رَبْكٌ ص ١٦٣	من قولهم رَبكْتُ الطعامَ أو لبكتُه إذا خلطته وكان ذلك مما فيه رطوبة مثل أن يخالطه لبن أو سمن أو نحو ذلك، ولا يقال ربكت الشعير بالحنطة إلا أن يستعار	يقال ربكت الطعام أربكه ربكًا إذا خلطته وكذلك لبكته لبكًا سواء. والربيكة واللبيكة دقيق يخلط بأقط وسمن	الربك الخلط كالتلبيك والشيء المخلوط كاللبكة وجمع الثريد ليأكله كاللباكة بالضم. وأقط ودقيق أو تمر وسمن يخلط.	اتفق أبو العلاء مع الاثنين فى المفهوم العام للكلمة، وانفرد بالمزيد من التوضيح فى مجال استعمالها وفى التفرقة بين ربك ولبك

تابع الراء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
رُحّ ص ١٥٩	جمع أرَح وهو مِن صِفَاتِ بقرِ الوَحش - ويقال لأظلاف البقر رحّ	الرح ج أرح والأرح العريض الحافر فى رقة وهو عيب	الرُّح بضمتين من لا أخمص لقدميه، والوعل المنبسط الظلف	اكتفى أبو العلاء بالإشارة إلى أن الكلمة تطلق على صفة من صفات البقر دون شرح المراد بها. وانفرد بإطلاقها على أظلاف البقر مستشهدًا بشعر للأعشى : وُرِحّ بِالزِماع مُرَدَّفَات بها تَنضُو الوَغى وبها تَرُود
الرَّخْف ص ١٦٣	والرخف زبد رقيق والواحدة رَخْفة. قال الشاعر: لنَا غَنَم يُرضى النزيلَ حليبُها ورَخْفٌ يغاديه لَنا وذَبيحُ	الرخف والرخفة الزبد الرقيق ويقال زبدة رخفة إذا كانت رخوة	الرخف الزبد الرقيق أو المسترخى كالرخفة ج رخاف	يتفق أبو العلاء مع الاثنين وينفرد بالاستشهاد

تابع الـراء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الرَّمِيُّ ص ٥٦٥	.. هَـا هُنَا : «لـو أمن كتابى على نمى لأسرعت إلـيـه الـظنـن إسْراع رمى» سحـاب سريـع الإقـشـاع مـن قـول الهذلى . . .	الرمى والسقى ضربان من السحاب	قطع صغار من السحـاب أو سحابة عظيمة القطر	اتفق أبو العلاء مع الاثنين فى إطـلاق الكلمـة عـلى السحـاب، وانفرد بنـوعية الوصف والاستشهاد
يرمون ص ٢٨٠	يسكتون	أرم الـقـوم إرمـامًـا إذا صمتوا	أُرم سكت	تطابق

الـزاى

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
زبرجد زِبْرَج ٢٤٤ - ٢٤٥	ما حَسُنَ مِنْه (العود) أما تسمع قول القائل : سُمِّى مَا تَلَوَّن من السَّحَابِ زِبْرَجًا	الزبرج السحاب فيه ألوان من حمرة وبياض وغيرهما، وكل شيء حسنته فقد زبرجته	(الزبرج) بالكسر الزينة من وشى أو جوهر والذهب والسحاب الرقيق فيه حمرة وزبرج مزبرج مزين .	اتفق أبو العلاء مع الجمهرة وصاحب القاموس فى معنى تحسين الشيء وفى معنى السحاب الملون وإن كان أبو العلاء لم يحدد لون السحاب. ويلاحظ أيضا اعتماده على السماع فى نقل معنى السحاب الملون، وهذا يدل على قصور أبي العلاء فى وصف المرئيات لعماه رغم التحدى الذى يبدو فى كثير من المشاهد التى أوردها .

السين

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
سَبَد ص ٣١١	طائر	السبد طائر لين الريش فإذا أصابه أدنى ندى قطر ريشه ماء	السبد كصرد طائر لين الريش إذا وقع عليه قطرتان من الماء جرى	اتفق أبو العلاء معهما، ولكنه أطلق سبد على مطلق طائر من غير تخصيص.
سَبَل ص ٥٤٧	الفرسُ الأنثى المعروفة	السبل اسمُ فرس قديمة من خيل العرب	وكجبل فرس	اتفق أبو العلاء وابن دريد على تخصيص الكلمة لفرس معينة
السبَل ص ٥٤٧	المطر	المطر	السبل محركة المطر	تطابق
السُّحُّ ص ١٦٠	تَمرٌ صِغار يابس	تمر يابس لا يكنز	السح تمر يَابس متفرق كالسح بالضم	اتفق أبو العلاء معهما في إطلاق الكلمة على التمر اليابس وخصص أبو العلاء التمر بكونه صغيراً.

تابع السين

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
سِخر: وصُنع من المَرّ الفالوذ المحكم بلاَ سحر ص ١٦٥	خَدْع	معروف	سحر كمنع خدع	اتفق الفيروزبادى مع أبي العلاء ولم يفسرها ابن دريد
السَّادِرين من قولهم فَعَل كذا وكَذا سَادرًا ص ٣٩٨	لا يهتم لشيء	أتى فلان أمره سادرًا إذا جاءه من غير وجهه	السادِر الذى لا يهتم ولا يُبالى ما صنَع	تطابق

تابع السين

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
السِّلَق ج سِلْقَةٌ ص ٣٨٣	أنثى الذئب	السلق الذئب والأنثى سلقة ج سلقة وسلقان بالضم والكسر وقال قوم لا يقال للذئب الذكر سلق إنما يقال للأنثى سلقة	السلق الذئب، ج كعثمان وبكسر وهى بهاء أو السلقة الذئبة خاصة ولا يقال للذكر سلق	تطابق
السُّمَّهَةُ ص ٢١٠	شُبيهة بالسُّفْرة تتخذ من الخوص	خوص يسف ويجعل شبيهًا بالسفرة	خوص يسف ثم يجمع فيجعل شبيهًا بالسفرة	تطابق

الشين

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
شِقْذ ص ١٦٠	فراخ الحِجْل	اشقذونى أى أبعدونى	فِراخ الحُبارى والقطا	لم يذكر الكلمة ابن دريد واتفق القاموس مع أبي العلاء
الشُّزْرُ ص ٢٧٠ اطحنَّ شَزْرًا وَبَتا	على أُيمانكن	طعنه شزرًا إذا طعنه من عن يمين وشمال	وطحن شزرًا أى أداريَدَهُ عن يمين	اتفق القاموس مع أبي العلاء ولم نعرف ماذا قصد ابن دريد !

الصاد

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الصِّبْغ ص ١٦٣	ما تُغمَسُ فيه اللقمةُ من مَرق أو زيت أو خَل	الصبغ أقل من الشَّعَل - الشعل : فرس أشعل بين الشعل وهو الذى فى سبيب ذنبه بياض	صبغ يده بالماء غَمسها فيه	انفرد أبو العلاء بالمعنى وإن كان قد يفهم من كلام صاحب القاموس أن ما تغمس فيه اليد من الماء يسمى صبغًا !
صَرْب ص ١٥٧	اللبن الحامض	وربما روى الصرب بالضاد. فمن روى الصرب أراد الصمغ ومن رواه بالضاد أراد اللبن الغليظ الخاثر	الصرب وتحرك اللبن الحقين الحامض	رأى ابن دريد أن الكلمة بالضاد ويتفق القاموس مع أبى العلاء
صَرْد ص ٣١٢	خَالِص مَن قولهم أحِبُّك حُبًّا صَرْدًا أى خالصًا	الصرد بياض يكون فى ظهر الفرس من أثر السرج	الصرد الخالص من كل شىء	اتفق القاموس مع أبى العلاء

تابع الصاد

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
صَنَانِير ص ٥٦٤	بُخَلاء	الصنارة معروفة	الصنار الرجل السيء الخلق ج صنانير والصنور كعجول البخيل السيء الخلق	اتفق القاموس مع أبي العلاء وإن كان يضيف « سوء الخلق » في الشرح
الصَّدُوف ص ٣٧١	الكريهةُ رَائِحة الفم	اسم امرأة	المرأة تعرِض وجهها عليك ثم تصدف، والأبخر وبلا لام علم لهن	يختلف أبو العلاء مع الاثنين وإن كان يفهم من القاموس المعنى الذى خصه أبو العلاء « بالصدوف » وهو « الأبخر »

الطاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الطِرْم ص ١٦٣	العسل وقد يُسَمَّى السمن طِرمِا	العسل	بالكسر والفتح الشهد والزبد والعسل إذا امتلأت منه البيوت	لم يذكر ابن دريد إلا العسل بينما اتفق الفيروزبادى مع أبِي العلاء على إطلاقها أيضا على السمن وإن كان أبو العلاء لم يقيد بالمقدار

العين

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
العذِبُ ص ٤٤٠	الطُّحْلُب	العذبة بالفتح الطحلب	العذب والعذبة بالفتح وبالتحريك وكسر الثانية الطحلب	تطابق
عَرَّف ص ٥٠٧	طَيَّبَ	عرفت الدار زينتها وطيبتها	والعرف الريح طيبة أو منتنة وأكثر استعماله فى الطيبة وعرفات.. كأنها عرفت أى طيبت	تطابق
العَرْقُ ص ١٦٣	عظم عليه لَحم من شِواء أو قَدِيد	وعرقت العظم أعرقه، وأعرقه عرقًا إذا أكلت ما عليه من اللحم	والعرق العظم بلحمه	يتفق القاموس مع أبي العلاء، وقد خص أبو العلاء العظم الذى به لحم مشوىَ أو قديد
عضل	جرَد	والعضل الفأرة	العضل بالكسر وبالتحريك الجرذ [الجرد ضرب من الفأر]	تطابق

تابع العين

ملاحظات	القاموس	الجمهرة	الرسالة	الكلمة
اختلف أبو العلاء مع الجمهرة واتفق القاموس مع أبي العلاء	الجوز المأكول	والعفز الملاعبة كما يلاعب الرجل أهله بات يعافزها أي يغازلها	الجَوْز	العَفْز ص ٢٩٣
انفرد أبو العلاء بإطلاق العمر على الجماعة من الناس، ويفهم من كلام الآخرين أن العمارة لا العمر هي ما يدل على جمع من الناس	والعمارة أصغر من القبيلة	العمر واحد العمور وهو لحم اللثة المستطيل الذى بين الأسنان والعمارة القبيلة العظيمة	الجماعة من الناس	العَمْرُ ص ٤٧٦
اتفق أبو العلاء مع الآخرين في إطلاق العمر على اللثة واتفق أبو العلاء مع الجمهرة في معنى البقاء	العمور.. ولحم مابين الأسنان أو لحم اللثة وبضم ج عمور	(عمرنا بمنزل كذا وكذا) أي أقمنا به وقد عمرك الله تعميراً إذا دعا له بطول العمر	الواحد من عمور الأسنان وهو اللحم الذى بينها	العَمْر ص ٢٤٠

تابع العين

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
العَمَاريس ص ٢٧١	الجداء	وعمروس اسم للجدى والحمل لغة شامية	والعمروس كعصفور الخروف ج عماريس وعمارس	اتفق أبو العلاء مع الجمهرة
العَوانَة ص ٤٩٩	النخلةُ الطويلة	ونخلة عَوان إذا طالت لغة أزدية	العوان وبهاء النخلة الطويلة	تطابق
عِيَمِه ص ٥٦٥	مختاراته	العيمة بكسر العين أى الخيرة	والعيمة بالكسر خيار المال	تطابق
عَواه ص ٤٩٥	عَطَفَهُ	عويت الحبل اعويه عيًّا إذا لويته فهو معوى	عوى يعوى.. والشيء عطفه	اتفق أبو العلاء معهما مستعملاً الكلمة فى سياق مجازى

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الغَرّاء ص ٢٢٢	الهاجرة ذاتُ السرّاب	وفرس أغر والجمع غر والغراء اسم فرسٍ والغراء معروف	غِراء من الأيام الشديد الحر وهاجرة وظهيرة	اتفق القاموس مع أبي العلاء فى الهاجرة وإن قيد أبو العلاء المعنى بذات السراب
الغِضْرِم ص ٢٥٠	ترابٌ يشبه الجص	مادة (الغِضرم) غير موجودة . . أرض غضيرة ذات طين أخضر	الغضرم (بالمعجمة) كجعفر وزبرج المكان الكثير التراب اللين اللزج الغليظ وما تشقق من قلاع الطين الآجر الحر أو المكان كالكذان الرخو والجص	اتفق القاموس مع أبي العلاء مع ملاحظة أن أبا العلاء أكثر مباشرة فى الوصول إلى المعنى
غار ١٧٩-١٨٠	أغار : إذا أتى الغَوْر «الأعشى لا يريد بالإغارة إلا ضد الإنجاد» أغار فى معنى عَدا عَدْوًا شديدًا	غار الرجل إذا قصد الغور، أغار وأغرت على، من الغارة أغير إغارة	أغار : عجل فى المشى الإغارة : إتيان الغور	اتفق أبو العلاء معهما فى قصد الغور، واتفق القاموس مع أبي العلاء فى معنى العدو الشديد

الفاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الفراس ص ٣٩٨	التمْر الأسْود	(لم ينص على هذا المعنى)	الفراس كسحاب تمر أسود	اتفق القاموس مع أبي العلاء
فَرْض ص ١٦١	ضرب من التمر	فرض ويلعق ضربان من التمر	نوع من التمر	تطابق
أفسخ ص ٥٤٨	نسي	فسخت الأمر أفسخه فسخا إذا نقضته	(الفسخ) الضعف والجهل والطرح وإفساد الرأى والنقض والتفريق والضعيف العقل والبدن	انفرد أبو العلاء بالمعنى دونهما
الفِلَقُ ص ٣٨٢	الدَّوَاهِي	والفلق والفليقة أيضًا الداهية معروفتان	والفلق بالكسر الداهية	تطابق

القاف

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
القَبر ص ٤٠٣	وما زالت العربُ تُسَمِّى القبرَ بيتًا وإنْ كَان المنتقلُ إليه مَيْتًا.	والقبر معروف	مدفن الإنسان	انفرد أبو العلاء بإطلاق البيت على القبر، مستشهدًا بقول الراجز « اليوم يُبْنَى لِدُوَيد بيتهُ ».
القَار ص ١٦٦	القَار شَجر مُرٌّ ينبُت بالرمل	القير والقار معروفان	والقار والقير. . شجر مر	اتفق أبو العلاء معهما وامتاز بشرح الكلمة وتحديد المكان الذى ينبت فيه هذا الشجر.
صَابَتْ بِقُر ص ٤٧٠	إذا وَقَعَتْ فى مَوْضِعها وأكثر ما يستعمل ذلك فى الشرِّ.	وكلمة لهم إذا وضع الشيء فى موضعه أو وقع موقعه : قالوا صابت بقر.	لم ترد العبارة، ووردت كلمة «قِر» بالضم البرد أو يخص بالشتاء.	خصص أبو العلاء موطن استعمال العبارة بالنسبة لابن دريد.
القُرْقُوف ص ١٦٢	الدرهم	وربما سمى الدرهم قرقوفًا.	النقرقوف كسرسور الدرهم.	تطابق

تابع القاف

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
القُرُوف ص ١٦٢	أَوْعية من أَدَم	أوعية من أدم ينتبذ فيها	القرف بالفتح وعاء يدبغ بقشور الرمان يجعل فيه لحم مَطبوخ بتوابل.	اتفق القاموس مع أبي العلاء حيث إن القروف عندهما يجعل فيها الخلع. ويختلف أبو العلاء مع الجمهرة لأن ابن دريد يقول: «يتنبذ فيها».
القَامَةُ ص ٥٧١	الأَعْوَانُ: كأَنَّهَا جمعُ قائم	قامَةُ البِئر وهو الخشب الذى يبنى عليه.	القامة البَكرة بأداتها.	انفرد أبو العلاء بالمعنى مع الاستشهاد له، دونهما.
القِلُّ ص ٢٥٦	الرِعْدَة	الرعدة	القلة بالكسر والرعدة.	تطابق
القَلِيب	هذا الذى يورد أم القبر.	القليب الركى وبنو القليب قبيلة من العرب. (الركى) معروف (لعله القليب).	القليب البئر أو العادية القديمة منها.	يختلف أبو العلاء معهما حيث انفرد بإطلاق هذه الكلمة على القبر.

تابع القاف

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
قَيْنَة ص ٢٤٤ .	العربُ صارت تُسمى كلَّ قينة جرادة حملا على أن قينة فى الدهر الأول كانت تُدْعَى الجرادة . قال الشاعر : «تُغَنينَا الجرادُ ونَحْنُ شَرْبٌ»	المغنية	الأمة المغنية .	انفرد أبو العلاء باستعمال كلمة الجرادة فى مقابل القينة والمغنية ويبدو أن الجرادة لم تعد تستعمل فى عهده .

الكاف

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
كَشْءٌ من قولهم كشأت اللحمَ، كَشأ الشواء ص ١٥٥	شويته حتى يَيْبَس أكله	وتقول كشأت الطعام أكشؤه كشئا إذا أكلته	كشأه كمنعه أكله واللحم شواه.	اتفق أبو العلاء مع الآخرين فى معنى أكله. واتفق القاموس مع أبى العلاء فى معنى شوى اللحم وإن قيد أبو العلاء ذلك باليبس.
كَشْب ص ١٥٧	أكْلُ الشواء.	وكشب جبل معروف، والكشبة الأرض الكثيرة الحمرة.	الكشب شدة أكل اللحم.	اتفق القاموس مع أبى العلاء وإن جعل أبو العلاء المعنى مطلقًا.
كَظّ ص ١٦٢	يَكظُّها الشِبَع.	ويقال كظة الشبع إذ امْتلأ حتى ما يطيق النفس.	الكظة بالكسر شيء يعترى من امتلاء الطعام. كظه الطعام ملأه حتى لا يطيق النفس.	لم يفسر أبو العلاء معنى الكظ واكتفى بنسبتها إلى ما تدل عليه. وإن كان السياق يدل على اتفاقه معها.

تابع الكاف

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الكَافور ص ٥٠٠	كَافُور الطيب الطلع وعاء الطَّلْعَة.	الكافور وعاء الطلع والكافور من الطيب.	والكافور نبت طيب نوره كنور الأقحوان والطلع أو وعاؤه وطيب	تطابق
كُمْت ص ١٥٧	جمع ثمرةٍ كُمَيْتٍ وذَلك من صِفات التمر.	الكمتة لون من ألوان الخيل بين الشقرة والدهمة. وفرس كميت للذكر والأنثى فيه سواء.	(الكميت) كزبير الذى خالط حمرته قنوء ويؤنث ولونه الكمتة.	استعمَل أبو العلاء الكلمة صفة لتمرة دون ما جاء عند الاثنين.
كُوَىّ (وسُرَىّ) ص ٢٧٢	النسران من النجوم	الكو للواحدة ويجمع كوى بالقصر - وكوى زعموا نجم من الأنواء. وليس بثبت وقالوا هو النسر الواقع، لغة يمانية.	وكُوَى كسُمَى نجم (سرى لم ترد).	يختلف أبو العلاء مع الجمهرة فى تأكيد إطلاق الكلمة معطوفة على كلمة سرى (النسران من النجوم) ويفهم من ابن دريد أنه يفرق بين الاثنين.

اللام

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
لَزْأ ص ١٥٦	لَزأ إذا أكل .	يقالُ لزأت غنمى أشبعتها .	لزأه كألزأه وألزأ غنمه أشبعها .	يختلف أبو العلاء معهما إذ استعمل «لزأ» التى هى للغنم كما جاء فى الجمهرة والقاموس للإنسان من غير تقييد بالشبع .
اللوّاب ص ٢٥٠	العَطش	لاب الإنسان والبعير إذا عطش فحام حول الماء .	واللواب العطش .	تطابق
لِيحَ بِ ص ٢٥٦	صُرِعْتُ إلى الأرض	ألاح الرجل على الرجل يليح إذا جزع عليه ويليح يذهب به ويشفق أيضًا .	ألاح كلاح كلوح وفلانًا أهلكه .	انفرد أبو العلاء بمعنى الإغماء دونهما .

الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
مُجَلْجِل ص ٢٤٥	بكسر الجيم : السحاب .	جلجلت الشيء إذا حركته بيدك .	الجلجلة بالتحريك من شدة الصوت وصوت الرعد وسحاب مجلجل وسحاب جلجال .	أطلق أبو العلاء الصفة على الموصوف كما يفهم من القاموس .
مُحَجَّل ص ٣١٣	مقيد لأن حَلْقَة القَيدِ تُسمَّى حِجلا .	والحجل الخلخال : القيد .	الحجل ج أحجال : وحلقتا القيد والقيد نفسه .	اتفق القاموس مع أبي العلاء فى إطلاق الكلمة على حلقة القيد ولكن اختلفا فى عدد الحلقات . اتفق أبو العلاء معهما فى إطلاقها على القيد .
المح ص ١٥٨	مح البيضة .	وَمحة البيضة صفرتها .	المح صفرة البيضة .	اكتفى أبو العلاء فى شرح الكلمة بإضافتها إلى ما هى جزء منه .

تابع الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
السيدة المحْظَلة ص ١٦٥ .	التى تَعْظُم علَيها الغَيْرة من قولهم حَظل نِساءَة إذا أفرط فى الغَيْرة عليهن .	الحظل الغيرة على المرأة والمنع لها من التصرف والحركة .	حظل عليه منعه من التصرف والحركة والمشى ، ورجل حظل ككتف مقتر يحاسب أهله بالنفقة .	اتفق أبو العلاء مع ابن دريد فى مفهوم الغيرة على المرأة واختلف معه فى مظاهرها إذ يفهم من كلام المعرى الإفراط فقط .
مُخْتَبَر ص ٣٢٩	من اختبار الحوائل من اللواقح ، وقيل هو من الخَبِير : الزبد ، الخبير اللحم ، وقيل هو الوبر .	الخبير زبد البعير وما أشبهه ، وتخبر القوم بينهم خبرة إذا اشتروا شاة فذبحوها واقتسموا لحمها والشاة خبيرة والخبر المزادة العظيمة .	الخبير الوبر . . وزبد أفواه الإبل واللحم . وأخبرت اللقحة وجدتها غزيرة .	يتفق أبو العلاء مع الاثنين فى إطلاق الكلمة على اللحم ، وعلى الزبد وإن كان أبو العلاء لم يخصص الزبد . ويتفق صاحب القاموس معه على إطلاقها على الوبر دون تخصيص بالمزادة العظيمة كما عند ابن دريد .

تابع الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
مَرَجَان ص ٤٧٦	مِن مرجتُ الخيلَ بعضها مع بعضٍ وتركتُها كالمهملة فى الأرض.	مرج الخيل الذى تمرج فيه أى تترك الذكور مع الإناث.	والمرج محركة الإبل ترعى بلا راع، والاختلاط.	أطلق أبو العلاء «المرج» من غير تحديد لنوع الإهمال وهو متقارب معهما فى المعنى.
المَرَانة ٢٤٦-٢٤٧	قيل اسم امرأة، وقيل هى اسم ناقة وقيل العادة.	قالوا المرانة اسم ناقة، وموضع ويقال فلان على مرن واحد أى سجية واحدة.	والمرن وككتف العادة، وكسحابة، ناقة. ومران كشداد مدينة قرب مكة.	اتفق أبو العلاء معهما فى إطلاق الكلمة على «ناقة» ويتقارب معهما فى إطلاقها على العادة.
المَشُوفُ المعلم ٣٢٧-٣٢٨	الدّينار، الرّداء.	والدينار المشوف المجلو وقال عنترة : ركد الهواجر بالمشوف المعلم، يعنى الدينار.	شفته شوفًا جلوته ودينار مشوف مجلو.	أطلقهما أبو العلاء على الدينار من غير تقييد، وانفرد بالرداء.

تابع الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
المِسِفَّةُ الدهماء ص ٢٤٤	القِذْر	(غير موجودة) .	(غير موجودة) .	انفرد أبو العلاء باللفظة انفرادًا مطلقًا .
المَصَاب ص ١٦٥	قصب السكر.	الصائب شجر مر كاللبن ربما أصاب الجلد فأحرقه . (المصاب غير موجودة) .	المصابة وهى شجر مر ج صاب ووهم الجوهرى فى قوله عصارة شجر. (والمصاب ليست موجودة) .	انفرد أبو العلاء بالكملة وما تطلق عليه .
المِطْرَد ١٩٧-١٩٨	الرمح القصير.	المطرد الرمح الصغير يطرد به الوحش .	كالمطردة وككتاب ومنبر رمح قصير.	تطابق .
مِعْطَار ص ٢٧٦	قَرِيبٌ من عِطر	ورجل معطار وامرأة معطار كثير الاستعمال للعطر .	معطار - وناقه معطار ومعطر شديدة حسنة .	لم يفسر أبو العلاء اللفظة فلا ندرى ماذا يعنى بها وإنما أضافها إلى ما اشتقت منه .

تابع الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
مَعْكِم ص ٣٤٣	مَحْبس	عكمت المتاع أعكمه عكمًا إذا شددته فهو معكوم رجل معكم إذا كان صلب اللحم كثير العضل.	(عكم) المتاع يعكمه شده بثوب وأعكمه أعانه على العكم - والعكم بالكسر.. نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها (لم ترد معكم).	انفرد أبو العلاء فى إطلاق «معكم» على محبس، وإن كان يستفاد من لفظة «عكم» عند الثلاثة معنى الحبس.
المَعْوُ ص ٢٩٧	الرطَبُ	المعو والواحدة معوة وهى رطبة إذا دخلها بعض اليبس.	(المعو) الرطب.	يختلف أبو العلاء قليلا مع الجمهرة إذ يطلق الكلمة على الرطبة من غير تخصيص.
ماغ مِنْ مَغَتِ الهرة ص ٤٧١	صاحت.	وفى بعض اللغات مَاغت السنور.. إذا صوتت.	ماغت الهرة مواغًا بالضم إذا صوتت.	تطابق.

تابع الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
الماقط ص ٤٩٤	الذى يَكْرِى من بَلد إلى بلد .	رجل ماقط ومقاط وهو الذى يكرى من منزل إلى منزل والماقط الحازى الذى يتكهن ويطرق بالحصى .	الماقط الحازى المتكهن الطارق بالحصى . [لم يذكر معنى الكارى] .	اتفق أبو العلاء مع الجمهرة فى كون الماقط هو الكارى الذى يعدو عدوًا شديدًا . غير أن أبا العلاء جعله لمن يعدو من بلد إلى بلد والثانى من منزل إلى منزل .
الملْمُوءة . ص ٤٠٦	الشبكة يقال ألمأ على الشىء إذا أخذه كله	وتقول ألمأت على الشىء إلماءًا إذا احتويت عليه .	والململوءة . . الشبكة . ألمأ على الشىء، ذهب به خفية وعلى حقه جحد .	اتفق صاحب القاموس مع أبى العلاء فى إطلاق الململوءة على الشبكة . وتقارب أبو العلاء مع الاثنين فى معنى ألمأ .

تابع الميم

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
المناجِيب ص ٣٨٣	ضِعاف.	المنجاب النصل الضعيف من نصال السهام.	والمنجاب بالكسر الضعيف.	اتفق القاموس مع أبي العلاء. في حين خص ابن دريد الكلمة بالنصل الضعيف.
مِهْيَاف ص ٢٤٩	سريع العطش.	وناقة مهياف سريعة العطش.	المهياف منا السريع العطش.	اتفق القاموس مع أبي العلاء ويفهم من كلام ابن دريد أن الكلمة تطلق على الناقة ولم ينسبها للإنسان.

النـون

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
يقال فعل كذا نئيشاً ص ٥٣٣	بعد ما فات.	الشيء نأشته أنأشه نأشاً إذا تناولته.	وفعله نئيشًا أخيرًا ولحقنا نئيشًا من النهار أى بعد ما تولى.	اتفق القاموس مع أبى العلاء على نفس المعنى دون ابن دريد.
يقال هذه نضيضة من المطر ص ٣١٥	قليل.	(غير موجودة).	والنضيض الماء القليل ج نضائض، وبهاء المطر القليل.	اتفق القاموس مع أبى العلاء.
النُّضَاضَة ص ٣٥٩	آخر ولد الرجل.	(غير موجودة).	نضاضة الماء وغيره بالضم بقيته، ومن ولد الرجل آخرهم للمذكر والمؤنث والتثنية والجمع.	اتفق القاموس مع أبى العلاء وإن كان الفيروزبادى أتى للكلمة بمعنيين ويبدو أن أبا العلاء لم يورد من معانيها إلا ما يناسب سياق الكلمة.
النُّفأ ص ٢٤٩	الرياض.	الواحدة نفأة وهو لمع من البقل متفرقة فى الأرض.	النفأ كصرد القطع المتفرقة من النبت أو رياض مجتمعة تنقطع من معظم الكلأ.	استعمل أبو العلاء الكلمة مطلقةً من غير تقييد كما هى عند الآخرين.

الهاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
هَلْهَلَ الشعرَ ص ٣٥٣	رَقَّقَه.	الهلهلة ترك إحكام الصنعة وسمى المهلهل لأنه كان يهلهل الشعر أى لا يحكمه - والهلهلة التوقف عن الشيء.	ومهلهل الشاعر لقب لأنه أول من أرق الشعر. وهلهل، كاد وهلهل الصوت رجعه وانتظر وتأنى.	إن أبا العلاء يتفق معهما فى الترقيق والتوقف. واتفق القاموس مع أبى العلاء فى معنى المقاربة ولم يذكره ابن دريد.
هلهلتُ ص ٣٥٤	قاربتُ ويقال توقفتُ	هللت عن الشيء وهلهلت عنه إذا كففت عن الإقدام عليه.		
هَكِرَ ص ٢٨٨	عجب.	الهكر: العجب.	الهكر العجب أو أشده ويكسر ويحرك والفعل كضرب وفرح.	تطابق.

تابع الهـــاء

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
هُنَيْدة ولا هِند ص ٣٠٤	مائة ولا مئتان .	المائة من الإبل .	هند اسم للمائة من الإبل كهنيدة أو لما فوقها ودونها أو للمائتين .	يبدو من كلام أبي العلاء أن هنيدة تطلق على مائة وهند تختص بالمائتين وذلك غير ما جاء عند الآخرين .
هَيَّانُك ص ٢٠٢	جِهَتُك .	ويقال ما هيانك أى شأنك .	(لم يذكرها القاموس) .	اتفق أبو العلاء مع الجمهرة، كما يبدو من السياق .

الواو

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
وره ج أوره من قولهم : كبش أوره ص ١٦٤	سمين	الوَرَهُ ضعف العقل، رجل أوره وامرأة ورهاء	وره والنعت أوره ورهاء كثر شحم المرأة فهى ورهة	اتفق القاموس مع أبي العلاء على السمن وانفرد أبو العلاء بجعله وصفاً للكبش
وَزْء. وَزَأْتُ اللحمَ ص ١٥٥	شَوَيته حتى يَيْبس	وزأت الإناء توزئياً إذا ملأته. ووزأت من الطعام أي امتلأت	وزأ اللحم كورع أيبسه	اتفق القاموس مع أبي العلاء على يبس اللحم وخصص أبو العلاء طريقة يبسه بالشوى
الوُشَاة ص ٥٦٢	النقاشون الذين يشونه (الدينار)	وشيت الثوب إذا رقمته ووشيته أيضًا فهو موش وموشى، وأنت موش ووشاء	الوشاة الضاربون للذهب	اتفق القاموس مع أبي العلاء على سك العملة

تابع الواو

الكلمة	الرسالة	الجمهرة	القاموس	ملاحظات
وَغْلاً ص ٤٦٩	ملجأ	المنجى	الملجأ	تطابق
الوَقِيرِ ص ٤٩٧	قطيع الغنم	القطعة من الغنم العظيمة وقال أبو عبيدة لا يقال للقطيع وقير حتى يكون فيه كلب وحمار	الوقير كالوقيرة القطيع من الغنم أو صغارها أو خمسمائة منها أو عام	يستعمل أبو العلاء الكلمة بإطلاق من غير حصر بعدد، بالنسبة للاثنين
الومد ص ٢٤٨	شـدَّةُ الحر وسكون الريح	شدة الحر وسكون الريح	الومد محركة الحر الشديد مع سكون الريح	تطابق

من خلال هذه الشروح، والمقارنات نستطيع أن نحصى عدد مرات اتفاق أبي العلاء مع كل من ابن دريد والفيروزبادى، وعدد مرات اتفاقه مع أحدهما دون الآخر، وكذا عدد مرات انفراده عنهما بشروح أو بكلمات. وهذه أرقام إحصائية نوردها كما يلي :

جدول نتائج المقارنة بين شروح أبي العلاء للكلمات وشروح ابن دريد والفيروزبادى

نوع العلاقة	رسالة الغفران	أبو العلاء والجمهرة والقاموس	أبوالعلاء مع الجمهرة	القاموس مع أبي العلاء
اتفاق :				
(أ) تام :		٤٩	٨	٣٤
(ب) إطلاق عند أبي العلاء بالنسبة لـ :		١٣	٦	٧
(جـ) تخصيص عند أبي العلاء بالنسبة لـ :		٩	٧	٩
اختلاف في :				
(أ) ضبط الكلمة مع :		١	٣	٢
(ب) معنى الكلمة مع :			٩	
الكلمة لم ترد عند :			١٣	٦
الكلمة معروفة أو لم تشرح عند :	٤		٩	
انفراد بشرح الكلمة	١٣			
انفراد بالكلمة وشرحها	٩			

الخلاصـــة :

من الإحصاء والمقارنات السالفة، يتجلى بـوضوح صحـة ما نقـل لنا عن حفظ أبى العلاء للجمهرة، فى الكثير من الشروح التى جاءت بالرسالة منقولة حـرفيًا عن ابن دريد. لكن هذا لم يمنع أن نجد عنـد أبى العلاء الكثـير من الكلمات والشروح التى لم ترد فى الجمهرة وإنما جاء بعضها فى القاموس بعده، وبعضهـا الآخر، انفـرد به أبو العلاء دون الاثنين، فمن الأول نشـير مثلاً إلى : العـام الأرمل، والخشش، وطحن بتا، ومن الثانى نذكر : جورب، وخف والمسفة الدهماء.

وقد كان اتفاق أبى العلاء فى معانى بعض الكلمات مع ما جاء عند الفيروزبـادى أكـثر من اتفاقـه فيها مـع ابن دريد كـما نـطقت بـذلـك الأرقـام، وهـذا يؤكـد أن أبا العلاء لم يكن ناقلاً وحسب، بل احتفظ لنا ببعض الكلمات والشروح التى لم ترد عند سابقيه، فلعل من جاؤوا بعده نقلوها عنه.

وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بذلك، مـا دمنا لم نقم بـاستقراء المعـاجم التى تلته واحدًا واحدًا، قبل أن نصل إلى « القاموس » حتى نصدر الحكم الحق.

كـما نستطيـع أن نستخلص من جـدول المقـارنـة أن أبـا العـلاء كـان فى بعض الأحيـان يطلق الكلمات من غـير تخصيص، ويستعمل بعضهـا استعمالاً مجـازيًـا، (مثل : عطفه). ويختار أحيانًا من شروح الكلمـة ما ينـاسب سياق كـلامه فيـذكره وحده دون غيره، وفى بعض المرات يستقصى شروحًا كثيرة للكلمة الواحدة لم نعـثر عليها فى المعجمين معًا، وخاصة فى مجال شرحـه للكلمات التى وردت فى أشعار من ذكرهم : (مثل كبكر المقاناة، القبر بمعنى البيت).

يـورد لبعض الكلمات شروحًـا دقيقـة لم نتبـين دقتهـا فيـما جــاء فى الجمهـرة أو القاموس (مثل صابت بقر : يستعمل فى مواطن الشر، وقينة).

كـما يبـدو واضحًـا، فى شرح أبى العـلاء لبعض الكلمات التى يحـددهـا اللون، قصـوره عن التفرقـة بين الألـوان. وهذا يعكس أثـر عـماه وإن حـاول فى كثـير من المرات أن يتجاوزه، ويظهر ذلك مثلاً، فى شرحه للفظة « الزبرج » : « مـا تلون من

السحاب » (انظر الجدول : ز) ولفظة « حما » بمعنى « سودا » إذ شرحها الفيروزبادى باللون « ما بين الدهمة والكمتة » وكذلك فى شرح « تمركمت » يقول « من صفات التمر » .

وقد نختم بقولنا : إن أبا العلاء بهذه الشروح قد ساهم فى نقل وتسجيل مجموعة من الكلمات والشروح التى تتناولها القواميس قبله، ولعل من أتى بعده اعتمد عليه فيها. وقد يكون من المفيد أن تقام دراسات تجريدية لآثار أبى العلاء كيما يستخلص ما قد فات المعاجم، ولوضع اليد على بعض ما يميز الشروح العلائية بصفتها شروحًا صادرة عن أعمى كل اعتماده على غيره فى النقل عمن سبقه، وفى الاستفادة مما يحيط به. وبذلك تكتمل بعض الخصائص التى تميز لغة مكفوفى البصر، لفظًا وتركيبًا.

وما دامت اللغة لا تقوم بالألفاظ والتراكيب وحسب، وإنما هناك عنصر أساسى فى ربط بعض الألفاظ والتراكيب هو الأدوات، فإننا نرتئى أن نقدم فيما يلى نموذجًا للاستعمال العلائى لبعض الأدوات التركيبية لنرى هل هنالك خصائص تميزها عن المألوف فى العربية ؟ . .

الفصل الثالث

نموذج لأدوات الربط التركيبية
(أدوات الشرط)

ما الأدوات ؟

تمثل الأدوات عموماً، القسم الثالث من أقسام الكلام، ولكل منها دلالة ووظيفة معينة تميزها بمواقع خاصة تشغلها فى التركيب.

والأدوات كما يعرفها الدكتور تمام حسان، عبارة عن «مبنى تقسيمى يؤدى معنى التعليق». وتقوم بوظيفة الربط بين أجزاء الجملة، وبين الأبواب المفردة فى داخل الجملة. كما تؤدى وظيفة التعبير عن علاقات قائمة فى السياق. وليس للأدوات بيئة خارج السياق، كما ليس لها معانى معجمية، إذ تدل على معنى وظيفى عام هو التعليق، وتختص كل طائفة منها بوظيفة، كالنفى، أو التأكيد. . .

وتتميز الأدوات عن بقية أقسام الكلم بما يلى:

١ - لا تشغل مواقع الاسم أو الفعل فلا تقوم، أبداً، بدور المسند والمسند إليه فى الجملة.

٢ - تحتل رتبة الصدارة بالنسبة لمدخولها.

٣ - تفتقر إلى ضميمة، أحياناً مفردة، وأخرى مركبة.

من الأدوات ما يقوم بوظيفة التعبير عن أسلوب الاستفهام، ومنها ما يعبر عن معنى الشرط أو التأكيد. . وتتنوع أساليب النص العربى بقدر ما يحويه من أنواع الأدوات التى تُحَمِّلُ الجمل، بالإضافة إلى مدلولاتها المعجمية، معانى جديدة، وخاصة بكل نوع من تلك الأدوات.

***

وما دامت رسالة الغفران نصاً أدبيًا ولغويًا تتنوع مضامينه وتكثر مواقف صاحبه من تلك المضامين، فقد كان للأدوات الدور الفعال فى الإيفاء بما أراد أبو العلاء تبليغه، وكان اعتماده عليها واضحاً فى جل الجمل والتراكيب، هكذا جاءت **«رسالة الغفران»** ملأى بأدوات الاستفهام، فما أكثر ما التجأ أبو العلاء إليها فى سؤاله عن أحوال الشعراء، وعن كل محاورى ابن القارح. وكذا أدوات العطف، وأدوات الشرط التى بدت واضحة فى جل الفقرات الوصفية بالرسالة، والتى ميزت الجمل التركيبية تمييزاً كبيراً.

لقد ذكرنا فى فصل سابق أن أكثر أنواع الجمل وروداً فى الرسالة، هو الجمل التركيبية، وأشرنا كذلك إلى أن أكثر ما يستعمله أبو العلاء للربط بين تراكيب هذه الجمل هو أدوات الشرط. لذا اخترنا أن نقف عند هذه الأدوات قليلا لدراسة نموذج منها حتى نرى فيها إذا كان هنالك استعمال خاص بأبى العلاء لهذا النوع من الأدوات أم لا؟

الاستعمال العلائى لأدوات الشرط فى الغفران
(تطبيق وإحصاء على شواهد «إنْ»)

أكثر أدوات الشرط انتشاراً فى رسالة الغفران هى: «إنْ» و «لو» و «إذا» و «لما». ومن عملية الإحصاء تبين لنا أن عدد مرات ورود كل منها هو:

- «إن» ١٣٥ مرة.
- «إذا» ١٧٦ مرة.
- «لو» ١١٩ مرة.
- «لما» ٦٣ مرة.

وقبل أن نتطرق للحديث عن كيفية استعمال أبى العلاء لها لنكشف عما قد يختص به مما هو غيرمألوف فى الاستعمال العربى الفصيح عند جمهور النحاة، نورد ملخصاً لأهم القواعد التى تضبط الجمل الشرطية فى كتب النحو.

* * *

تتكون جملة الشرط فى اللغة العربية من
أداة + جملة الشرط + جملة الجواب.
أو أداة + جملة الشرط + رابط + جملة الجواب.

وقد تحذف جملة الشرط لقرينة حال أو سياق كلام، كما يجوز حذف جملة الجواب إذا تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل عليه.[١]

وتربط «الفاء» أو «اللام» وفق ما تتطلبه الأداة، جملة الجواب بجملة الشرط، فى حالات معينة، تنص عليها قواعد اللغة.

مفهوما الشرطية عند اللغويين القدامى:

الشرطية نوعان:

١ - إمكانية: مثل «إن»، وتعتبر أداة الشرط الأصلية. ويرى الخليل أنها أم الباب، لأنها لا تفارق الشرط إلى غيره وغيرها يفارقه[٢]. وهى موضوعة لشرط مفروض وجوده فى المستقبل مع عدم قطع المتكلم، لا بتحققه ولا بعدم تحققه.

٢ - امتناعية مثل «لو» وهى موضوعة لشرط مفروض وجوده فى الماضى، مقطوع بعدمه فيه.[٣].

***

كثيراً ما تدخل «إن» على مضارعين أو ماضيين مستقبلين فى المعنى، ويقل دخولها على ماض ومضارع، وعلى مضارع وماض. وفى الحالة الأخيرة يكون الماضى فى موضع المضارع، أو مستقبل المعنى.

وتلزم الفاء الجواب حيث لا يصلح أن يكون شرطاً، فتربطه به وتدل على أنه وقع عقبه[٤]، وهى زائدة للربط المحض الدال على التعليل، ولا تفيد معنى إلا

---

(١) المغنى، جـ٢، ص٧٢١، وانظر كذلك، رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ص، ١٠٦.
(٢) الكتاب جـ١، ص٦٣
(٣) شرح الكافية، جـ١، ص١٠٨.
(٤) الكتاب جـ٣ ص٢٣.

عقد الصلة، ومجرد الربط المعنوى بين جملة الجواب وجملة الشرط. وذلك إذا كان الجواب:

- جملة اسمية.
- جملة فعلية كالاسمية، وهى التى فعلها جامد.
- جملة فعلية فعلها إنشائى (طلبى).
- جملة فعلية فعلها ماض مسبوق بـ «قد».
- جملة فعلية مبدوءة بحرف استقبال.
- جملة فعلية مبدوءة بحرف له الصدارة.[1]

فماذا نجد عند أبى العلاء من ذلك؟

يمكن حصر نماذج الجمل الشرطية التركيبية ذات الأداة «إن» الواردة برسالة الغفران فى ثلاثة نماذج، وهى:

١ - إن + جملة الشرط + جملة الجواب.
٢ - إن + جملة الشرط + الفاء + جملة الجواب.
٣ - إن + جملة الشرط.

وفيما يلى نسوق أمثلة لكل نموذج، مع إبداء بعض الملاحظات.

النموذج الأول:

إن + جملة الشرط + جملة الجواب.

يبلغ عدد شواهد هذا النموذج ٤٤ شاهداً، منها واحد فقط يقع فيه فعل جملة جواب الشرطِ ماضياً، معنى لا لفظاً، وهو قول أبى العلاء:

«لله درُّ الذهبِ من خليل، فإنه يفىءُ بِظِل ظَلِيل، وإنْ دُفن لم يبال»[2]

فكما نلاحظ: إن الفعل «يبال» مضارع دخل عليه حرف نفى وجزم وقلب «لم» فقلبته إلى المضى.

---

(١) المغنى، جـ١ ص ١٧٦.
(٢) الرسالة، ص ٥٧٧.

أما الشواهد الأخرى فكلها تتميز بمجيء الفعل فى جملتى الشرط والجواب، ماضياً لفظاً ومعنى، وذلك مثل قوله :

«فإن قالَ أمّ صِرْمٍ قَالَ حوارى بطِرْمٍ »[١]

«فإنْ قَالَ أم طَلْع جاز أن يقولَ حوارى بِخَلع »[٢].

ونرى من المفيد أن نبدى بعض ملاحظات بصدد أمثلة هذا النموذج. ذلك أن :

١ - الجملة : « فإنْ قال أم. . . » تتكرر بلفظها ١٩ مرة كجملة لشرط وتتكرر معها :

- الجملة «قال حُوارى بـ» ١٢ مرة كجملة جواب، مثل قوله :

«فإنْ قَالَ أم شَرْى قَالَ حُوارى بِأَرْى. »[٣]

«فإنْ قَالَ أم فَرقٍ قَالَ حُوارى بِعَرْقٍ»[٤]

- أو الجملة : «جازَ أَنْ يَقُول» ٨ مرات، مثل قوله :

«فإن أَخْرجَه إلى الجيم فَقَال أم لُجٍّ جَازَ أَنْ يَقول وحوارى بِدُجٍّ». [٥]

٢ - هذا التكرار يأتى فى صفحات متتالية : من صفحة ١٥٨ إلى صفحة ١٦٤.

٣ - نفس التعبير يأتى مرة متتاليًا مثل ترادف الجملة : «جاز أن يقول» أربع مرات فى الصفحتين ١٦١ و١٦٢، وترادف الجملة «قال حوارى ب » أربع مرات كذلك فى صفحة ١٦٠.

ومرة أخرى تتناوب هاتين الجملتين فيما بينهما كما فى صفحة ١٥٨.

* * *

(١) الرسالة، ص ١٦٣.

(٢) الرسالة ١٦٢ أنظر الأمثلة الأخرى فى ص : ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٢٠٥، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٩، ٤٠٠، ٤٢٣، ٤٦٧، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٥٠٦، ٥٢١.

(٣) الرسالة ص ١٦٤.

(٤) الرسالة انظر، ص ١٦٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٦٠، ١٦٤.

(٥) الرسالة، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

لقد رغبنا فى أن نفتح هنا هذين القوسين لنؤكد النظرية التى سقناها فى الباب السابق، إننا هنا، أمام تأليف أملى ولم يكتبه صاحبه. فحينما انساق أبو العلاء فى حديثه عن بيتى النمر بن تولب العكلى :

«أَلَمَّ بِصحْبَتِى، وهم هجوعٌ   خيالٌ طَارقٌ من أم حِصْنِ
لها ما تَشتهِى : عسلا مصفى   إذا شاءت وحُوَّارَى بسمن»[1]

والتفريع عن حكاية خلف الأحمر مع أصحابه فى هذين البيتين، كان يملى إملاء، وكل همه تقصى الحروف الهجائية لجعلها قافية مكانَ «أم حصن» فى البيت الأول، ثم يأتى بمثال أو أكثر يلائمها فى قافية البيت الثانى، ولعل أقرب الطرق إلى ذلك هو الجملة الشرطية (الافتراضية) ولا يهمه أن تتكرر عشرين مرة أو أكثر، مادامت تفى بغرضه. هكذا تكررت جملة. «إن قال كذا قَالَ كذا» الكثير من المرات. فكأنى به وهو يمليها يتلذذ بترددادها على نغمة واحدة، كما يترنم المغنى بلازمة قصيدة أو موشح. فإن يكن لذلك من سبب فليس سوى عماه الذى يفسح المجال أمامه للانشغال بتقصى العديد من الكلمات المناسبة للمقام، ويعوقُه دون المراجعة المباشرة التى يتآزر فيها الفكر والمشاهدة الملموسة لتنقيح ما يكتب من الكلام. وبالتالىَ إنها خاصية العمى الذى لا يضيع فرصة التفجر الكلامى، ولا يقطع ذلك السيل المتدفق من الجمل التى تسير على وتيرة واحدة. وكمثال لهذا التدفق من التراكيب المتوازية فى بناثها ما نجده فى حديثه عن الرجل الختارم بصدد تعليقه على تطير ابن الرومى حيث يقول :

«وإذَا كان الرجُل خُتارماً لم يزل فى الكُثْكَث آرِما : **إن** رَأى سَمَامةً من الطير، حَسبهَا من السِّمام، أو حمامةً برِقَ من الحِمَام كما قال الطائى [...] **وإنْ** عَرَضتْ له خنساءُ من البشرِ، فإنَّه لا يأمنُ من الشرِّ، يقول :

أَخَافُ من رفيقٍ يَخْنِسُ، وأمرٍ يونس. **وإن كانت** الخنساءُ من الوحوش نفر قلبُه من الحوش، إن رآها سانحةً، هَزَّت من رعبه جانحة، يقول : قد ذهبَ أهلُ عقلٍ وافِرٍ من أربابِ المناسم وصحبِ الحَافر، يَتَطَيَّرون بالسنيح، ويَرْهبون معه

---

(١) الرسالة، ص ١٥٤.

ذَهاب المنيح، وإن أتَتْه بقدَر بارحة، عاينَ بِها النجْلاء الجارحة يقول [. . .]: وإن لَقى رجلاِ يُدعَى أَخْنَس، فكّأنّما لَقى هِزَبراً تَبهْنَس [. . .] وإنْ استَقبل من يولع بذلك أعفر، فإنَّهُ يَنْتَظِر أن يُعّفّر، وإنْ بصُرَ بالأدماء، أيقن بسفك الدماء، وإنْ جَبَهه ذَيَّال، فكأنه الهصور العيال. . .»[1].

ففى هذا النص استعمل أبو العلاء نفس التركيب ١٥ مرة فى صفحتين. منها ثمانى جمل تدخل ضمن هذا الصنف الذى ندرسه فى النموذج الأول.

فلعل انسياق أبى العلاء مع القص، وعدم تمكنه من مراجعة ما يقول هو الذى جعله يقع فى مثل هذا التكرار الذى قد لا نغفره لغيره من الكتاب.

يمكن أن نشير إلى أن هذه الظاهرة تبدو، وإن كانت، بشكل أخف فى حديث أبى العلاء على لسان أبى هدرش حين يقول:

«إنَّ الإنْسَ أُكرِمُوا بذلك وأُحْرِمْناهُ لأنَّا أُعطِينا الحُولَةَ فى الدارِ الماضِيَةِ، فكان أحدُنا إنْ شَاءَ صَار حَيَّةً رقْشَاء، وإنْ شاءَ صارَ عُصفورا، وإن شاءَ صار حمامةً، فَمُنِعْنَا التصوُّر فى الدارِ الآخِرة»[2].

من الملاحظ أن الجملة «إنَ شَاءَ صَار» تتكَرر ثلاث مرات فى نفس الفقرة وبتوال. أليس مرد ذلك إلى عمى المؤلف؟!

بعد هذه الوقفة لإبداء تلك الملاحظات، نوالى الحديث عن نماذج الجمل الشرطية ذات الأداة «إن».

النموذج الثانى:

إن + جملة الشرط + الفاء + جملة الجواب.

تنقسم أمثلة هذا النموذج بحسب جملتى الشرط والجواب إلى ما يلى:

---

(١) انظر الرسالة، ص ٤٧٩ إلى ٤٨١.

(٢) انظر الرسالة، ص ٢٩٣. نشير إلى أننا نقلنا مقتطفات من هذه النصوص نفسها فى الحديث عن الجمل التركيبية الواردة فى الغُفران (انظر الفصل الثانى من الباب الثانى).

(أ) إن + جملة اسمية + الفاء + جملة اسمية.
(ب) إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة اسمية.
(جـ) إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة طلبية.
(د) إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة فعلية فعلها جامد.
(هـ) إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة مصدرة بحرف له الصدارة.
(و) إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + قد + جملة فعلية فعلها ماض.
(ز) إن + جملة فعلية فعلها ماض. + الفاء + جملة فعلية فعلها ماض.

وسنسوق لكل منها أمثلة مع بعض الملاحظات:

الصنف: (أ)

إن + جملة اسمية + الفاء + جملة اسمية.

لم يرد فى الغفران من أمثلة هذا الصنف إلا مثالاً واحداً، هو: «فإنْ هِى (الحمامة) صَادَفَتْهُ (الجَوْزل) أكِيل سُوذَانِق لَيْسَ مَنْ أَبصر أثْره بالآنِق، غَدا به ظُفْرُ شَاهِين، وهى - البائِسةُ - من اللاَّهِين، فما هىَ إلا مِثْلُ الحيوانِ، تَمَلُّ حَالها فى أقصرِ أوانٍ»[١].

فهل يذهب أبو العلاء فى هذا المثال، مذهب الأخفش والكوفيين فى جواز دخول «إن» الشرطية على جملة اسمية؟

إن مجىء جملة الشرط اسمية فى هذا المثال يطرح أمامنا تساؤلا، ذلك أن جمهور النحاة يرى أن الأصل فى جملة الشرط أن تكون فعلية، إلا أن تكون أداة الشرط «لولا» من ثم يخطىء ابن هشام من يرى أن يكون المرفوع مبتدأ فى قوله تعالى:

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً)[٢].

وفى قوله أيضاً: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[٣].

(١) الرسالة، ص ٣٨٥. (٢) سورة النساء، الآية ١٢٨. (٣) سورة التوبة، الآية ٦.

لأن ذلك كما يقول : «خلاف قول من اعتمد عليهم، إلا أن يذهب مذهب الأخفش والكوفيين، حينذاك لا يعد ذلك الإعراب خطأ، لأن هذا مذهب ذهبوا إليه ولم يقولوه سَهْوا عن قاعدة».

ويبدو واضحاً أن ابن هشام على رأى الجمهور فى هذه المسألة إذ يقول إثر ذلك :

«نعم»، الصواب خلاف قولهم فى أصل المسألة وأجازوا أن يكون المرفوع محمولا على إضمار فعل كما يقول الجمهور[1]».

إذا كان أبو العلاء على رأى الجمهور، إذ ذاك يجب إعراب «هى» فى قوله : «إن هى صادفته أكيل سوذانق...» فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده.

ولعل هذا الرأى أقرب إلى الصواب مادام المثال جاء منفرداً.

الصنف (ب)

إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة اسمية.

تبلغ أمثلة هذا الصنف ٢٨ مثالا. والجمل الاسمية فيها جاءت على نوعين :

١ - مبتدأ وخبر وذلك فى ١٤ شاهداً نحو:

«ولقد كانَ الرجُل مِنَّا يُعْمِل فِكرَهُ السَّنَة أو الأشهرَ فى الرَّجلِ قد أتاهُ الله الشرَفَ والمالَ فَرُبما رَجَع بالخَيْبة، **وإنْ أعطَى فعَطَاء زهيد**»[2].

وغالباً ما يكون المبتدأ ضميراً منفصلا كقوله :

«فإن كَانَ من فعله جاهليًّا، فهو من الذين وُجِدُوا فى النار صُلِيًّا»[3].

أو اسم إشارة كقوله :

---

(١) المغنى، ص ٦٤٣.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٧، انظر أمثلة أخرى مماثلة فى ص ٤٥٥، ٥١٤، ٥٨٣.

(٣) الرسالة، ص ٣٢٢، انظر أمثلة أخرى مماثلة فى ص ٢٠٥، ٣٩٣، ٥١٢، ٥٣٠.

«وإنْ عنَّ لَه فى الخَرْقِ ظَليمٌ فذلك العذابُ الأليم»[١].

٢ – جملة اسمية دخلت عليها «إن»، وذلك فى ١١ مثالا كقوله:

«فإنْ قَال أم عمرو فإنَّ أشبَه مَا يقول حُوارى بتمر»[٢]

ويلاحظ أنه غالباً ما يكون اسم «إنَّ» ضميراً متصلا للغائب، مثل قوله:

«إنْ شِئتَ لَبنَ الضأنِ فإنَّهُ كثيرٌ جَم»[٣]

وقد يكون الناسخ أحد أخوات «إنَّ». وقد ورد ذلك فى أربعة أمثلة نجد «لعل» فى مثالٍ واحد وهو:

«فإنْ كَانَ فرٌّ من صيام شهرٍ فلعلَّهُ لا يقعُ فى تَعْذِيبِ الدَّهرِ»[٤].

أو «كَأَنَّ» نحو:

«وإنْ جَبَهُ ذَيَّالٌ فكأنه الهَصور العَيَّال»[٥].

الصنف (جـ)

إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة طلبية.

وأمثلة هذا الصنف خمس، منها:

«وإنْ صَدَقْتَ فَخِزْيًا لكَ ولِمُقَارِّك»[٦].

وقد جاء فعل جملة الجواب فى ثلاث منها أمرًا كقوله:

«إنْ قَام قَائم يَدْعُوكم إلى عِبَادَةِ الله فَأطِيعُوه»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٤٨١، انظر أمثلة أخرى مماثلة فى ص ٤٥٥، ٥٤١، ٥٧٧.
(٢) الرسالة، ص ١٦٠، انظر أمثلة أخرى مماثلة ص ١٤٨، ١٦٢، ٢٣٨، ٣١١.
(٣) الرسالة، ص ٢٣٩، انظر أمثلة أخرى مماثلة فى ص ٤١٠، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٧.
(٤) الرسالة، ص ٤٤٧.
(٥) الرسالة، ص ٤٨١، انظر أمثلة أخرى مماثلة فى ص ٤٨٠.
(٦) الرسالة، ص ٢٢٩، انظر مثالا آخر فى ص ٥٠٩.
(٧) الرسالة، ص ١٨٣، انظر المثالين الآخرين فى ص ٢٦٠، ٣٢٩.

الصنف (د)

إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة فعلية فعلها جامد.

ولم يرد لهذا الصنف إلا مثال «واحد» وهو قوله:

«إنْ كنتَ بِعتها بعاجِلٍ فبئسَ ما فعلتَ!»[١].

الصنف (هـ)

إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة مصدرة بأحد الحروف الأربعة التالية:

- «رُبَّ» جاءت فى شاهد واحد:

وإنْ أحْبَبْتُ وِردًا من رِسْل الأرَاوى فَرُبَّ نهرٍ منهُ كَأنَّه «دجلةُ» أو «الفُراتُ»[٢].

- «إنما» وجاءت فى شاهدين كقوله:

«وإنْ ظَهرَ منىِّ تَحَرُّز فى بعض المواطِن فَإنَّمَا ذلك على طريقةِ الحَزْم»[٣].

- «ما» وجاءت فى مثالين أيضاً:

«وإنْ آنَسَ نعَامةً بِقفْرٍ وهو مع الرَّكبِ السَّفْرِ فَما يأخُذُها من النعيم ويجعلها بالهَلَكة مثلَ الزعيم»[٤].

«فإنْ صَحَّ أنَّ هذين البيتين له فلا يمتنع أن يعترِضَ عليه قائلٌ فيقول: . . .»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٥٢٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٣٩. الأراوى، جمع أروية، بضم الهمزة وكسرها، ضأن الجبل.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٦، انظر المثال الآخر فى ص ٤٩٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٨١، مثال آخر فى ص ٤٨٣.

(٥) الرسالة، ص ٥٨٢.

الصنف (و)

إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + قد + جملة فعلية فعلها ماض. شواهد هذا الصنف ثمانية منها قوله :

«وإنْ كانَ من أهْلِ الإسْلامِ فقد خَبَطَ فى ظلامٍ »[١].

الصنف (ز)

إن + جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة فعلية فعلها ماض. وجاء له شاهد واحد :

«فإنَ سُررتُ بالباطِل فشهرتُ باتخاذِ النَّياطِل»[٢].

ملاحظـة :

من المعروف فى قواعد اللغة العربية أن «الفاء» تلزم جواب الشرط إذا بدئ بالحرف «قد». وقد رأينا أبا العلاء ينحو هذا المنحى فى أمثلة الصنف «و» أعلاه، لكننا وجدناه هنا يدخل «الفاء» على الماضى رغم خلوه من «قد» فهل يجيز النحاة ذلك؟

نعم، يجيز بعضهم دخول «الفاء» على الماضى والمضارع على السواء.

لكن السؤال الذى يمكن أن يطرح هنا هو، هل يجب تقدير «قد» أم لا؟

إذا رجعنا إلى ابن هشام نجده يقدر «قد» فى قوله تعالى :

(إن كان قميصُه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين)[٣]. حيث يقول : «وقد هنا مقدرة»[٤].

(١) الرسالة، ص ٣٢٢، الأمثلة الباقية فى ص ١٤٣، ١٤٤، ٣١١، ٤٤٥، ٤٨٨، ٥٤٠، ٥٧١.
(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.
(٣) سورة يوسف، الآية ٢٦.
(٤) المغنى، جـ ٢، ص ٤٣٦.

بناء على ذلك هل نستطيع أن نقدرها فى جملة أبى العلاء فنقول : « إن سررت بالباطِل فَـ(قد) شُهرت باتخاذِ النياطل »؟

الجواب إنه لا يجوز تقدير قد هنا لأن الجملة دعائية. وبذا نستخلص أنه استعمال شاذ فى العربية. ويلاحظ أننا لا نجد له عند أبى العلاء إلا هذا المثال منفردًا.

النموذج الثالث :

إن + جملة الشرط.

« مما هو معروف فى قواعد النحاة أن حذف جملة جواب الشرط واجب إن تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب »[1].

وأبو العلاء فى أمثلة هذا النموذج لم يخرج عما قرره النحاة، وبذلك جاءت الأمثلة عنده على صنفين :

(أ) ما يدل على جملة الجواب + إن + جملة الشرط

(ب) بعض ما يدل على جملة الجواب + إن + جملة الشرط + بقية الجملة الدالة على الجواب.

الصنف (أ)

ما يدل على جملة الجواب + إن + جملة الشرط.

تكرر ذلك فى ١٧ شاهدًا، منها قوله :

« ولست بموفق إن تركت لذات الجنة وأقبلت أستنسخ آدابَ الجن، ومعى من الأدَب ماهُو كافٍ »[2].

مما هو ملاحظ فى أمثلة هذا الصنف أن أبا العلاء، غالبًا ما يصاحب « إن » الشرطية هاته بـ« الواو » وذلك فى ١٧/١٠ من الأمثلة، كقوله :

(١) المغنى، جـ ٢، ص ٦٤٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٩٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ٣٧٢، ٣٨٥، ٣٩١، ٥٥٩.

«هكذا أُنْشِدْته : نُودِى، بسكونِ اليَاءِ، ولا أحب ذلك وإنْ كَانَ جَائِزا».

فما تفسير ذلك؟

لعل «إنْ» فى هذه الشواهد تأتى بمعنى «رغم».

الصنف (ب) :

بعض ما يدل على جملة الجواب + إن + جملة الشرط + بقية الجملة الدالة على الجواب. عدد الأمثلة هنا ٧. ومنها قوله :

«ولعلك إنْ صَحَّ قولُك لذلك، أن تكُونَ طَلبْتَ المشاكَهَة»[١].

«وما أحسبها إنْ شَاء الله تُظاهرُ بِذَمِيم العُقوقِ»[٢].

* * *

تلك هى شواهد النماذج الثلاثة الشائعة فى الاستعمال العلائى لأداة الشرط «إن» وهى فى مجموعها لا تخرج عن القياس اللغوى كما رأينا. غير أن أبا العلاء يستعمل «إن» هذه استعمالات أخرى قد نحسبها شاذة عن قواعد النحو العربى، وذلك ما سنحاول تحليله فى شواهده.

أشذوذ عن اللغة؟

وردت عند أبى العلاء فى جمله الشرطية ذات الأداة «إن» أربع جمل تثير الانتباه.

الشاهد الأول :

- «فإن أنشدَ مُنْشِدٌ : مُسْتَنْكِر، ما تَصْنَعُ بِه؟»[٣].

---

(١) الرسالة، ص ٣٤٢.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٧، انظر الأمثلة الباقية فى ص ١٤٠، ٢٨١، ٣٩١، ٥٣٤.

(٣) الرسالة، ص ٢١٠.

الشاهد الثانى :

- «إنْ أخَذَ أبو لَيلى قَيْنَةً وأخَذَ غَيرُه مثلَها، أليس يَنتَشِرُ خَبرُها فِى الجنَّة، فلا يؤمَن أن يُسَمَّى فَاعِلو ذلك أزواجَ الإِوَز؟»[1].

يثير الانتباه فى هذين المثالين مجىء جواب «إن» الشرطية جملة استفهام غير مقترنة بالفاء!

وبمراجعة كتب قواعد النحو وجدنا ابن هشام يقول :

«جملة الاستفهام لا تكون جوابًا إلا بالفاء مؤخرة عن الهمزة، نحو: إن جئتك أفما تحسن إلى؟، ومقدمة على غيرها، نحو: فهل تحسن إلى؟»[2].

وكما ينطق المثالين، جاءت جملة الجواب فى الأول استفهامية، وأداة الاستفهام فيها هى «ما» غير مسبوقة بـ«الفاء» الرابطة :

«ما تصنع به؟».

وكذلك فى المثال الثانى وقع الجواب جملة استفهام، والأداة فيها هى «الهمزة» ولم تتأخر عنها «الفاء» :

«أليس ينْتشر خبرها فى الجنة. . . ؟».

فما السبب يا ترى؟ أنقص فى النص لم ينتبه إليه المحققون؟

أم يعتبر هذا خروجًا من أبى العلاء عن قواعد اللغة؟

الشاهد الثالث :

«وذُكِر عند «أحمدَ بن يحيى ثعلب» «أحمدُ بنُ حنبل» وإنْ كان شربَ النبيذَ قطُّ؟»[3].

ما المعنى الذى تفيده «إن» فى هذه الجملة؟

تقرر كتب القواعد أن «إن» المكسورة المخففة إما أن تكون :

(١) الرسالة، ص ٢٣٤.

(٢) المغنى، ص ٧٢١.

(٣) الرسالة، ص ٥١٢.

١ - حرف شرط يتطلب جملة شرط وجملة جواب، كما رأينا.

٢ - حرف نفى بمعنى (ما) فتدخل على الأفعال والأسماء ولا تؤثر فيها لأنها ليست بمختصة، فلا تعمل.

٣ - مخففة من الثقيلة وتدخل على الجمل فتفيد التوكيد.

٤ - زائدة، وذلك إذا وقعت بعد «ما» النافية.

وقد حاولنا أن نتبين لـ «إن» التى فى جملة أبى العلاء السابقة أحد هذه الأوجه الأربع، فلم يستقم المعنى. والذى يبدو لنا أنها تفيد الاستفهام حسب ما يدل عليه سياق الجملة، يضيف أبو العلاء قائلاً :

«والنبيذُ عندَ الفُقَهاء غير الخمرِ - فقال «ثعلبُ» : أنا سقيتُه بيدى فى ختانةٍ كانت لِـ«خلف بن هشام البزَّاز».

فلعل السياق كما يظهر يفيد الاستفهام أكثر من أن يكون معنى الجملة التوكيد على شرب «أحمد بن حنبل للنبيذ». فلا تفيد «إن» هنا معنى التوكيد فى الجملة : «إن كَانَ شَرب النبيذَ قط»، وهى بذلك ليست مخففة من الثقيلة. كما أننا نرى أن دلالتها على النفى قد تكون بعيدة، وقد اتفق فهمنا للجملة مع ما نصت عليه بنت الشاطئ حيث أثبتت علامة الاستفهام فى آخر الجملة؟.

وحيث إن السياق العام هو التساؤل عما هو محرم من أصناف الخمر، فالأرجح أن يكون الحديث عن «أحمد بن حنبل» استفهام عما إذا كان شرب النبيذ أم لا. ثم التعقيب بإجابة «ثعلب» أنه سقاه بيده.

وكنتيجة لما سبق فإن استعمال «إنْ» للدلالةَ على الاستفهام استعمال جديد لم يسبق إليه أبو العلاء، حسب علمنا، أو على الأقل استعمال لم تقرره قواعد اللغة.

الشاهد الرابع :

«والدُّرُّ إذَا كُسِرَ ذَهَبَتْ قيمتُه، ولَم يحفظ إنْ تَنْحطم كريمتُه»[1].

(١) الرسالة، ص ٥٧٧.

يظهر من المثال أن جملة جواب «إنْ» الشرطية محذوفة، وحذف الجواب، كما رأينا تسيغه القواعد العربية لأن الشرط قد سبق بما يدل على الجواب: «لم يحفظ».

غير أن هذه القاعدة مشروطة بعدم كون الفعل فى جملة الشرط مضارعًا:

«لا يحذف الجواب إذا كان الشرط مضارعًا»[1].

وفى المثال السابق نجد الشرط فعلاً مضارعًا: «تنحطم». فلعل أبا العلاء فى هذا قد خرج أيضًا عن القواعد النحوية، فحذف جملة الجواب ولما يتوفر الشرط الثانى لحذفها.

هذه بعض الشواهد التى أثارت انتباهنا فى الاستعمال العلائى لـ«إن» الشرطية. وهى كما حللنا قد تخرج عن المألوف فى الاستعمال العربى الفصيح. وما كنا نتوقع من أبى العلاء، وهو العالم اللغوى والنحوى الكبير، أن يقع فى مثل هذه الفلتات. ولعل للعمى دورًا فى عدم تلافيها. فإن لم تكن لأبى العلاء فى تلك الاستعمالات وجهة نظر خاصة، وهذا ما نستبعده لعدم تواتر تلك الظاهرات وانفرادها، فقد يكون مرد ذلك إلى الكتاب أو مجرد فلتة لسان لا تضير أبا العلاء، كما لا تمس مقدرته وكفاءته فى اللغة.

ولا نستطيع أن نجزم برأى ما دمنا أمام نص مكتوب منذ قرون ولم نشهد صاحبه ولا خبرنا طريقته.

وكنا نود أن نقوم بدراسة وافية للأدوات فى الاستعمال العلائى علنا نستخلص من ذلك مذهبًا خاصًا به فى بعض الاستعمالات. غير أن هذا يتطلب، وحده بحثًا خاصًا، لا تسعه هذه الدراسات المتواضعة. ولعل الفرص توافينا فنعمل على تحرير ما توفر لدينا من جذاذات جمة فى الموضوع، فنستطيع أن نرسم بعض خصائص الاستعمال العلائى للأدوات مما قد يفيد فى إضافة شىء جديد إلى قواعد اللغة العربية.

---

(١) المغنى، جـ ٦٤٨/٢.

الخـــاتمة

كانت رحلتى مع أبى العلاء فى «غفرانه» شيقة، ولم يكن تمتعى أقل من تمتع ابن القارح فى رحلته إلى الآخرة، فلقد صحبته وعشت معه مشاهد الجنة والنار، وأشفقت لما عاناه من مشاق أهوال القيامة والحشر، وأفدت من محاورات الشعراء واللغويين، ومن أجوبة أبى العلاء على أسئلته. ولكنى تفردت دونه بمشاق دراسة لغة السبك والأداء، ويَامَا كانت متنوعة وكثيرة!

ويُخيَّل إلىَّ أَنَّ رحلة هذا البحث هى أيضًا، أولى المحاولات التى تضع لغة أحد عمالقة الكتاب المكفوفين تحت الدراسات اللغوية. فكما رأينا: إن لغة الرسالة مملاة وليست مكتوبة. وحسب ظننا: إن هذا البحث تمخض عن بيان الكثير من خصائص لغة أبى العلاء فى رسالة الغفران، فقد توصل فى الباب الأول إلى أن الرسالة تدخل فى إطار زمانى معين، ووسط إسلامى خاص، وأنها تعبر بصدق عن شخص أبى العلاء الأعمى وأسلوبه وعلمه، وتكشف عن تضلعه فى اللغة.

* * *

كما أظهر أن الاطار الفنى الذى اختاره أبو العلاء ونوعية المضامين التى سعى إلى تبليغها، ثم المنهجية التى سار عليها فى عرض تلك المضامين، وخصوصًا المنهج الاستطرادى الذى التزمه، كل ذلك جعل لغة الرسالة متميزة، فجاءت الجمل والتراكيب ممتدة امتدادًا داخليًا يعكس صورة تزاحم الأفكار ومشاهد الخيال والوصف فى ذهن أبى العلاء، وظهر أن للعمى مظنًا وافرًا فى انسياب الخيال والتأمل، وتداخل الاستطراد عنده. وقد ارتسمت معالم هذا الانسياب، وذلك التسلسل فى الاستطراد، فى التدفق القوى للجمل الطويلة المتشابكة التى لا تسمح، أحيانًا، برد النفس، وإنما تأخذ القارئ أخذًا لا يدرى معه أين أول الجملة من آخرها إلا بعد أن يعيد القراءة مرة ومرة.

وقد أكدت هذه الظاهرة نتائج البحث فى الباب الثانى حيث أبانت عمليات التطبيق والإحصاء أن الجمل البسيطة لم تكن لتظهر فى **الغفران** إلا نادرًا، وأن أغلب الجمل العلائية جاء مركبًا أو تركيبيًا، أو يجمع بين خصائص النوعين.

كما ظهر للبحث أن هذه الجمل كانت تمتد بما تضمه من تراكيب مستقلة تأتى فى أغلب الأحيان صفات. فقد ضمت الرسالة من النعوت الجمل المركبة والتركيبية، بقدر ما ضمته من النعوت المفردة، وتجلى ذلك فى مشاهد الوصف المعتمدة على نسيج الخيال بالفصل الأول من الرسالة (فصل الرحلة إلى الآخرة) وكذا فى بعض الاستطرادات فى الفصل الثانى (فصل رد أبى العلاء على اسئلة ابن القارح). وتمتد التراكيب كذلك بما غزاها من جمل دعائية لم يأل أبو العلاء جهدًا فى اختيار ما يلائم منها، مضمونًا وشكلا، للسياق الذى يوردها فيه.

وتمخض البحث أيضًا عن ارتفاع نسبة الجمل الفعلية فى لغة الغفران، وقد اعتمدها أبو العلاء كثيرًا فى فصل الرحلة، وفى الاستطرادات القصصية بالفصل الثانى، وجاءت أفعالها غالبًا فى صيغة المضارع لنقل مشاهد تجوال ابن القارح فى الآخرة. أما الجمل الاسمية فنسبتها قليلة، وأغلب ما ورد منها كان فى قسم الرد على أسئلة ابن القارح، حيث التزم أبو العلاء، غالبًا، الأسلوب العلمى التقريرى، وكذا فى استطرادات الفصل الأول، النقدية والنحوية واللغوية، وإنه بذلك قد اختار لكل مقام ما يناسبه من أشكال الجمل والتراكيب.

* * *

وفى مجال المفردات، تبين للبحث أن أغلب صيغ النعوت المفردة جاءت اسم فاعل أو اسم موصول أو اسم مفعول، أو صفة مشبهة، وقد راعى أبو العلاء فى اختيارها ما تقتضيه طبيعة الموصوف الذاتية والبيئية، إذ كثيرًا ما جعل للموصوفات الدنيوية صيغ اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الموصول، وخص مواقف العالم الأخروى بالصفات المشبهة.

وظهر لهذه الدراسة أن أبا العلاء لم يكن يتحرج من استعمال الدخيل من الكلمات بجانب العربى، وأن أكثر الكلمات الدخيلة ترجع إلى أصل فارسى. وتميز

فى شرحه للمفردات ببعض الشروح، وكذلك بعدد من الكلمات لم ترد عند ابن دريد ولا عند الفيروزبادى، وأخرى لم نعثر عليها فى الجمهرة التى سبقته، وإنما أتت فى القاموس وهو متأخر عنه.

وكشف البحث فى طريقة استعمال أبى العلاء لبعض أدوات الربط التركيبية، أنه لم يخرج عمومًا عما تقرره قواعد اللغة إلا فى أمثلة قليلة كاستعماله مثلا «إن» المكسورة الهمزة المخففة لأداء معنى الاستفهام.

* * *

إن المنهج الوصْفى الذى التزمه هذا البحث فرض عليه الاعتماد فى جميع مراحله على الاستشهاد والتطبيق والإحصاء. وقد اضطر أحيانًا إلى إيـراد نفس الجملة أكثر من مرة، ليستدل بها فى كل مرة، على جانب خاص يميـزها، أحيـانًا يتعلق بشكـل الجملة من حيث كـونها بسيطة أو مـركبة أو تـركيبية، وأحيـانًا أخـرى، لما بهـا من نعوت مفردة أو تراكيب، ومرة لاشتمالها على لفظ دخيل، وغير ذلك مما جاء مفصلا فى الأبواب السابقة. هكذا تكـررت بعض الشواهـد بعينها اضـطرارًا وعن قصد، لا عن غفلة.

* * *

وبعد، فرجاؤنا أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت بقسط مقبول فى ميدان علم اللغة، وخاصة فى التعريف بلغة هذا البصير المستطيع بغيره، وأن تكـون قد وفقت فى كشف النقاب عن بعض خصائص لغـة «**الغفران**»، **ولعلهـا** تكون مقـدمة إلى وضـع لغـة الكتـاب لمكفـوفى البصر، (أى اللغـة الممـلاة) تحت دراســة لغـويــة مستقصية، لتحديد الخصائص التى تجمع أسلوب وأدب العميان فى الـتراث العربى كله كظاهرة لغوية متميزة.

وغفر الله لنا ما قد نكون ارتكبناه من خطأ أو زلل فى حق صاحب «**الغفران**».

ولله أرفع خالص التبجيل لما وفقنى إليه.

المراجع

ابن جنى (أبو الفتح)، **الخصائص**، تحقيق محمد على النجار، القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٢.

ابن السكيت، **إصلاح المنطق**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٩.

ابن عصفور، **المقرب**، بغداد، ١٩٧١.

ابن عقيل، **شرح ألفية بن مالك**، القاهرة، ١٢٨١ هـ.

ابن هشام (جمال الدين)، **أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٦م.

ابن هشام (جمال الدين)، **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة.

ابن العديم، **الإنصاف والتحرى**.

ابن النديم (محمد بن إسحاق)، **الفهرست**، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٣٤٨ هـ.

ابن يعيش، **شرح المفصل للزمخشرى**، القاهرة، دار الطباعة المنيرية.

الأشمونى، **حاشية الصبان**، ط المدارس الملكية، ١٦٩١.

أنيس (إبراهيم)، **من أسرار اللغة**، القاهرة، الأنجلو، ط ٤، ١٩٦٦م.

أنيس (إبراهيم)، **دلالة الألفاظ**، القاهرة، الأنجلو، ١٩٥٨م.

أبو العلاء المعرى، **رسالة الغفران**، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط ٥، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩م.

أبو العلاء المعرى، **شروح سقط الزند**، ط القاهرة، الدار القومية للنشر، ١٩٦٤م.

أبوالعلاء المعرى، **الفصول والغايات**، القاهرة، ١٩٣٨م.

أبو العلاء المعرى، **اللزوميات (لزوم ما لا يلزم)**، ط بيروت، دار صادر، ١٩٦١م.

البغدادى : **خزانة الأدب**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة.

بيرجشتراسر، **التطور النحوى للغة العربية**، القاهرة، مطبعة المساء، ١٩٢٩م.

(ت)

ترزى (حنا)، **فى أصول اللغة والنحو**، بيروت.

تيمور (أحمد)، **أبو العلاء المعرى**، القاهرة، الأنجلو، ١٩٧٠م.

(ث)

الثعالبى (أبو منصور)، **فقه اللغة وسر العربية**.

(ج)

الجاحظ (أبو عثمان)، **البيان والتبيين**، ط ٢، بغداد، ١٩٦٠م.

الجندى (محمد سليم)، **تاريخ معرة النعمان**، دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٦٣م.

الجندى (محمد سليم)، **الجامع فى أخبار أبى العلاء وآثاره**، دمشق، المجمع العلمى، ١٩٦٢م.

الجواليقى (أبو منصور)، **المعرب من الكلام الأعجمى**، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الكتب، ١٩٤٢م.

(ح)

حسان (تمام)، **مناهج البحث فى اللغة**، القاهرة، الأنجلو، ١٩٥٥م.

حسان (تمام)، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، القاهرة، الأنجلو، ١٩٥٨م.

حسان (تمام)، **اللغة العربية مبناها ومعناها**، القاهرة، ١٩٧٣م.

حسن (عباس)، النحو الوافى، طبعة القاهرة، دار المعارف.
حسين (طه)، مع أبى العلاء فى سجنه، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م.
حسين (طه)، تجديد ذكرى أبى العلاء، القاهرة، ١٩٦٨م.
حسين (طه)، تعريف القدماء بأبى العلاء، تأليف مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الأبيارى، حامد عبد الحميد (تحت إشراف طه حسين)، القاهرة ١٩٤٤م.

(خ)

الخضرى، حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، مصر، ١٣٠٦ هـ.
الخفاجى (شهاب الدين)، شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، تحقيق عبد المنعم خفاجى، القاهرة، ١٩٥٢م.

(د)

داغر (أسعد)، ٣٥٠ مصدرًا فى دراسة أبى العلاء، بيروت، ١٩٤٤م.
درويش (عبد الله)، المعاجم العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.
ديكارت (رونيه)، مقالة المنهج، (ترجمة جميل صليبا).

(ر)

الرازى (أبو حاتم أحمد بن حمدان)، كتاب الزينة فى الألفاظ الإسلامية، تحقيق حسن بن فيض الله الهمدانى، القاهرة، ١٩٥٧م.
الرضى، شرح الكافى، ط ١، ولنمسدر، ١٣١٠ هـ.

(ز)

الزمخشرى (جار الله)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، بيروت، دار الكتاب العربى، ١٩٤٧م.

(س)

السامرائى (إبراهيم)، دراسات فى فقه اللغة، بغداد، ١٩٦١م.

السيوطى (جلال الدين)، البهجة المرضية فى شرح الألفية، المدارس الملكية، ١٢٩١ هـ.

السيوطى (جلال الدين)، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، القاهرة، مطبعة صبيح.

السيوطى (جلال الدين)، الإتقان فى علوم القرآن، ط الأعلمى، بيروت.

سيبويه، الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون).

سيد (قطب)، فى ظلال القرآن، بيروت، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

(ش)

شاكر (محمد محمود)، أباطيل وأسمار فى الرد على هامش الغفران، القاهرة، ١٩٧٢م.

شاهين (عبد الصبور)، القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، القاهرة، ١٩٦٦م.

شاهين (عبد الصبور)، فى علم اللغة العام، القاهرة، ١٩٧٧م.

شاهين (عطية)، رسائل أبى العلاء المعرى، بيروت، ١٨٩٤م.

(ص)

صبحى (الصالح)، دراسات فى فقه اللغة، دمشق، مطبعة الجامعة، ١٩٦٠م.

(ط)

طحان (ريمون)، الألسنية العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

الطرابلسى (أمجد)، النقد واللغة فى رسالة الغفران، دمشق، مطبعة الجامعة، ١٩٥١م.

(ك)

كامل (مراد)، **دلالة الألفاظ العربية وتطورها**، القاهرة، ١٩٦٣م.

(م)

مجمع اللغة العربية، **البحوث والمحاضرات**، القاهرة، ١٩٦٠-١٩٦١م.

مجمع اللغة العربية، **مجلة مجمع اللغة العربية**، ٧، ١٩٥٣م.

المسعودى، **مروج الذهب**، ط أوربا.

المالقى (أحمد بن عبد النور)، رصف المبانى فى حروف المعانى، تحقيق (أحمد محمد الخراط)، دمشق، ١٩٧٥م.

(ن)

نخلة اليسوعى (الأب)، **غرائب اللغة العربية**، بيروت، ١٩٦٠م.

(ع)

عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، **الغفران لأبى العلاء المعرى**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م.

عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، أبو العلاء المعرى، سلسلة أعلام الفكر، القاهرة، ١٩٦٥م.

العقاد (عباس محمود)، **رجعة أبى العلاء**، القاهرة.

عوض (لويس)، **على هامش الغفران**، القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٦م.

(غ)

الغزالى (أبو حامد)، **المنقذ من الضلال**، تحقيق عبد الحليم محمود، القاهرة.

(ف)

فندريس (جوزيف)، **اللغة** (تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص)، القاهرة، الأنجلو، ١٩٥٠م.

فروخ (عمر)، **أبو العلاء المعرى**، (سلسلة أعلام العرب).

(و)

وافى (عبد الواحد)، **فقه اللغة**، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ٦، ١٩٦٩م.

وافى (عبد الواحد)، **علم اللغة**، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ٦، ١٩٦٧م.

(ى)

يوهان (فوك)، **العربية، دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب**، (ترجمة عبد الحليم النجار)، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربى، ١٩٥١م.

المعـاجم

الأزهرى (أبو منصور)، **التهذيب**.

الأصفهانى، **المفردات فى غريب القرآن**.

ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى)، **الجمهرة**.

ابن فارس (الحسين)، **مقاييس اللغة**.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، **لسان العرب**.

الجوهرى (إسماعيل بن حماد)، **الصحاح**.

الزبيدى (السيد مرتضى)، **تاج العروس**.

الزمخشرى (جار الله)، **أساس البلاغة**.

الشرتونى (سعيد)، **أقرب الموارد**.

الشهابى (مصطفى)، **معجم الألفاظ الزراعية**.

الشهابى (مصطفى)، **المصطلحات العلمية**.

الفيروزبادى (مجد الدين)، **القاموس المحيط**.

مجمع اللغة العربية، **المعجم الكبير** (جـ١).

أدى شير، **كتاب الألفاظ الفارسية المعربة**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٨م.

جبور عبد النور وسهيل إدريس، **المنهل** (فرنسى - عربى) بيروت، ١٩٧٠م.

الهنداوى (خليل)، **المعجم فى اللغة الفارسية**، القاهرة.

المخطوطات

- الأزهرى، شرح الحدود فى النحو، القاهرة، دار الكتب، رقم ٢٢٧ (نحو).
- ابن القاسم (المالكى)، شرح حدود الآمدى، القاهرة، دار الكتب، رقم ١٩٥٠ (نحو).
- القصبجى (حسن)، ذكر بعض الحقائق النحوية، القاهرة، دار الكتب، رقم ١٠٤ (نحو).
- أرجوزة جزئية فى الحدود النحوية، القاهرة، دار الكتب، رقم ١٠٠٤ (نحو).
- إصلاح الخلل الواقع فى الجمل، القاهرة، دار الكتب، رقم ١١١٠ (نحو).
- شرح الجملة وأقسامها، (منظومة)، القاهرة، دار الكتب، رقم ١٢٩٣ (نحو).
- شرح الجمل الكبيرة للزجاجى، القاهرة، دار الكتب، رقم ٨٩ (نحو).
- الفاخر فى شرح جمل عبد القاهر الجرجانى، القاهرة، دار الكتب، رقم ٢٢٧ (نحو).

رسائل جامعية (غير مطبوعة)

- بدرى (كمال إبراهيم)، الخواص التركيبية للهجة أم درمان العربية، القاهرة، كلية دار العلوم.
- عبد العزيز (محمد حسن)، الخواص التركيبية للجملة فى اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة، القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٧٥م.

المراجع الأجنبية

- BERGSON (H), **Les deux sources de la morale et de la religion,** Paris, Alcan, 1923.
- BLACHERE (R), **Dictionnaire arabe, français, anglais** (Langue classique et moderne), Paris, Maison/euve et Larose.
- CRESSOT (M), **Le style et ses techniques,** Paris, P.U.F., 1969.
- CHOMSKY (N.), **Les Langages et la pensée,** Paris, Payot, 1930.
- DESCARTES (R.), **Discours de la méthode,** Paris.
- DE SAUSSURE (F.), **Cours de linguistique générale,** Paris, Payot.
- FRIES: **The structure of English.**
- MARTINET (A.), **Eléments de linguistique générale,** Paris, Colin, 1962.
- LAHBABI (M.A.), **De L'être à la Personne,** Paris, P.U.F., 1954.
- LAROUSSE, Dictionnaire encyclopédique.
- Littré: Dictionnaire de la langue française.
- ROBERT: Dictionnaire.

فهرس الموضوعات

صفحة

الباب الثانى
الخواص التركيبية للجمل فى رسالة الغفران

صفحة

صفحة

الباب الثالث
من قضايا المفردات

صفحة

رقم الإيداع		١٩٨٨ / ٥٨٠٠
الترقيم الدولى	٠-٢٥٤٦-٢-٠-٩٧٧	ISBN

١ / ٨٤ / ٦٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

